مقدمة

بين الامس والغد

من طبائع الايام التحول من حال الى حال؛ ففى كل يوم طلوع جديد لم يكن معروفا. او أفول معروف كان لم يكن فى يوم ما جديدا. فما يالفه الاجداد حتى يكون جزءا من حياتهم قد يكون عند الاحفاد منكورا. وما يكون منكورا عند جيل قد يكون عند جيل آخر مالوفا. وهذا ما يراه الانسان فى نفسه. فيكون فى كهولته غيره فى شبيبته فكرا وذوقا ورغبة فى شيء او رغبة عنه؛وهي اطوار جبلت عليها هذه الحياة. سنة الله فى الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والتحول فى الهياة الاجتماعية فى غالب الازمنة؛ يعهد منه ان يتتابع ببطء : حتى لا يكاد يفطن له الا الامعيون ؛ حتى جاء هـــذا العصر ؛ عصر الذرة والصواريخ، فاذا بها تكاد تتحول من حال الى حال فى طرفة عين، خصوصا فى بعض الاقطار كقطرنا هذا الذى هجم عليه هذا العصر المسرع هجوما مباغتا؛ فاذا به بين عشية وضحاها كانما انقلب راسا على عقب.

أمس

اننا اليوم فى (المغرب) لفى عهد يعده من يعيشون قبله؛ ثم يمتد بهم العمر الى ان يعيشوا فيه عهدا غريبا عجيبا.فقد شاهدنا كل شيء الى تحول سريع. فقد كنا نحيا فى بيئة لا تكاد تمت اليها هذه البيئة الجديدة باى لون. كنـا فى دين وفى عادات وفى هيئات وفى افكـار وفى مقاييس وفى اوضاع. ثم هانحن اولاء مندفعون الى ما يعاكس كل ما الفناه على خطمستقيم.

امس كان الدين ومثله العليا. والتخلق به. والتحاكم اليه. والحرص على علومه. واحترام حملته. هو المعروف المجمع عليه لا يختلف فيه اثنان لان ذلك راسخ فى النفوس؛ وتواترت عليه القرون؛ منذ عرف المغرب الاسلام فى القرن الاول الهجرى الى أن ادركنا نحن ذلك فى أوائل القرن الرابع عشر .

امس كانت الحضارة الشرقية هى المعروفة وحدها عندنا بأذواقها وادابها والوانها وهدوئها واتساع ساحتها. وهى التى استطاعت أن تلتهم حضارة فارس وبيزانطة. ثم تبلورت فى دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة. ثم كان مغربنا هذا ممن له من ارث هذه الحضارة كنوز كاديحافظ عليها وحده منذ أن انهارت الاندلس. واستولى التركيون على الشرق الادنى كله ما عدا هذا القطر السعيد. الذى لم يعرف الا الاستقلال منذ عرفالاسلام الى الان. فكان يعرف مقدار كنوزه هذه ويعتز بكل ما فيها من ألوان وافكار وفلسفة وعلوم وآداب ومعمار .

امس كانت عندنا تقاليد محترمة فى اللباس وفى اختيار التأثيث وفى هيأة الجلوس وفى اقامة الحفلات وفى مزاولة الاعمال. فتكونت لنا هيأة اجتماعية توافقنا لانها كانت متسلسلة عن الاجداد. لا يحس فيها بانها تتغير فى كل جيل، وان كانت فى الحقيقة لا بد أن يكون فيها تغير ما فى كل جيل ـ فكانت لها موازين خاصة مألوفة. اليها يتحاكم ذوو الاذواق والافكار عند الاختلاف. فيتخذ حكمها مسمطا. وقانونها مرتكز فى أعماق النفوس لا مسطر فى الطروس. تلاءمت فيه مقتضيات حياتنا وديننا وعادات مجتمعنا تلاؤما تاما. دين العربية ولغة الدين. وعادات تكونت تحت نظرهما فى قطر امتزج فيه العرب والبربر تمازج الماء القراح بالراح .

هكذا كنا امس نعيش عيشة راضية نقر بها عيناء ونرضى عنها كل الرضاء لا نرى بها بديلا. بل لا نظن أن هناك من يحيا حياة طيبة مثل حياتنا التى نحياها فى امسنا الحلو اللذيذ؛ يوم كنا فى عزلة عن العالم. فى قطرنا هذا المحاط من جميع جهاته بسدود طبيعية. فمن الجنوب بالصحراء الكبرى، ومن الغرب والشمال بالبحر الواسع الذى لا نكاد نملك فيه ولو سفينة واحدة لركوبه. ومن الشرق بالجزائر التى سدت ايضا دوننا منذ ان استعمرها الفرنسيون من عقود من السنين. فهذا هو محيطنا الذى لا نعرف سواه قد الفناه وسعدنا فيه سعادة من ينشأ فى محل خاص فى عمره كله. فلا يتصور ان هنالك حياة اخرى غير ما هو فيه .

اليوم

وفى هذا اليوم دهم علينا الاستعمار بخيله ورجله. بلونه وفكره. بسياسته ومكره. بحضارته المشعة. بعلومه الحيوية المادية. بنظامه العجيب؛ بمعامله المنتجة السريعة؛ بكل شيء يمت الى الحياة الواقعية. فوقع لنا كما وقع لاصحاب الكهف يوم رجعوا الى الحياة، فوجدوا كل ما يعرفونه قد تغير تغيرا تاما. وحين كان المغرب لقنا حاذقا سريع التطور. مندفعا الى كل ما يروقه. اقبل بنهم شديد على التهام كل ما فى هذه الحضارة الغربية العجيبة. التى تغير على جميع نواحى الحياة. فتحدث من التغيير ما يجرف التقاليد والافكار وكل ما يمت الى العادات. فاذا بالمغرب يتحول فى عهد قصير الى مغرب آخر يغاير كل ما كنا معروفا منه فى الامس. فاذا بأمثالنا نحن الذين كنانعيش فى شرخ شبابنا فى المغرب المستقل قبل 1330 هـ قد كدنا نكون غرباء فى طور شيخوختنا فىالمغرب المستقل من جديد 1375هـ. فقد حرصنا أن لا ننكر الا ما يستحق أن ينكر. وان نحمد كل ما يمكن أن يحمد واجتهدنا أن نساير العصر. وان نتفهمه فلا ننكر اخذ ما لا بد من اخذه من اساليب الحضارة ونظمها وعلومها ـ لان الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها انى وجدها ـ ولكننا مع ذلك نشاهد اسرافا فى التحول السريع الذى لم يراع فيه ـ حسب انظارنا نحن المسنين ـ حكمة ما بين التفريط والافراط؛ فنحاول ان نجمع بين محاسن امس واليوم. ناصبين ميزان القسط. فاذا بنا نكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التى اندفع اليها هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال. واعظم ما نهتم له شيئان: احدهما التفريط فى المثل العليا التى لا ترسخ فى الشعوب الا بعد جهود قرون؛ ومتى اجتثت من اى شعب بمثل هذه الاندفاعات العمياء فان ابناء ذلك الشعب سرعان ما ينحرفون عن الصراط المستقيم فى الحياة. وثانيهما التفريط فى المحافظة على اللغة العربية وآدابها التى هى شعار المغرب وكنزه الموروث المحافظ عليه كلغة رسميةحتى يوم عممت تركيا لغتها فى جميع انحاء بلاد العرب منذ اوائل القرن العاشر الهجرى. وليت شعرى لما ذا كنا نحرص على الاستقلال ان لم تكن اهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة فى اسس ديننا الحنيف؟ والمحافظة على هذه اللغة التى استمات المغاربة كلهم عربهم وبربرهم فى جعلها هى اللغة الوحيدة فى البلاد .

ومعلوم ما للمغراويين والمرابطين والموحدين والمرينيين من تمجيد هذه اللغة وهى دول بربرية صميمة وذلك هو موضوع العجب. واما ان يحافظ الادارسة والسعديون والعلويون عليها فان ذلك امر طبيعى.

لان الجالسين منهم على العرش عرب الحاج. هكذا اصبحنا نرى كثيرا من تراثنا يضمحل بكل سرعة. ثم لا يطمع ان يتراجع اليه الاخلاف الا بعد زمان نطلب الله ان لا يطول .

الغــــد

نحن نوقن انه سياتي يوم يثور فيه اولادنا او احفادنا ثورة عنيفة ضد كل ما لا يمت الى غير ما لآبائهم من النافع المحمود. ثم يحاولون مراجعة تاريخهم ليستقوا منه كل ما في امكانهم استدراكه. فلهؤلاء يجب على من وفقه الله من ابناء اليوم أن يسعى في ايجاد المواد الخام لهم في كل ناحيـة من النواحي التي تندثر بين اعيننا اليوم. وما ذلك الا بايجاد مراجع للتاريخ يسجل فيها عن امس كل ما يمكن من الاخبار والعادات والاعمال والمحافظة على المثل العليا. بل يسجل فيه كل ما كان ولو الخرافات؛ او ما يشبه الخرافات، فان ثم من سياتون في الغد سيلتهم كل ما يقدم اليه كيفما كان؛ ليستنتج منه ما يريد ان يعرفه عن ماضي اجداده. وهذا احد مغازي هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء .

فكرة جمع الكتاب

كنت مرة زرت الزاوية الدلائية من ايت اسحق في سفح الاطلـــس الكبير. فصرت ابحث هل اجد هناك اثرا من آثار اولئك العلمـاء الادبـاء العظام؟ فلم اقع على أي أثر . فأغمضت عيني برهة فصرت استحضر كل ما كنت قرأته من الكتب التي تحدثت عن هذه الزاوية. وعن اعمال رجالاتها. فاذ ذاك عرفت ان الخلود لامثال هؤلاء لا يكون الا بالتسجيل بالاقـــلام فاختمرت هذه الفكرة في نفسي عن ناحية سوس الذي اعرف فيها من امثال الزاوية الدلائية عشرات فعشرات كادوزو تيمكيدشت وأكشتيم وطاطـة وتانلت والمعدر وتادرارت واسرير وتاكوشت وتيفيراسين وأغبالو ماسة وتامانارت وأقا وتازموت واكرار وتاغاتين والمججوب وامثالها. فمنها ما اندثر قبلنا. ثم لا نجد عنها الا مثل الوشم على ظاهر كف العجوز وذقنها. ومنها ما لايزال فيها رمق. يعرف منه ماضيها المجيد. فكنت أتمنيوأنا اذذاك في مراكش في موالاة الدروس لمن يحلقون حولي لو أجد فراغا لمايختمرفي نفسي حتى أؤدي هذه المهمة التي كانت عندي اذ ذاك كفكرة حديثة بسبب الاخ البونعماني ابي هذه الفكرة. ثم جاء النفي مختتم 1355هـ. الى مسقط راسي

حيث الزمت القبوع والانحياش والبعد عن المجتمعات. فامتشقت القلم فاتخذته انيسا في اليوم الثاني لنزولي في (الغ). وحين لم أجد من اخالط الا من في زاويتنا قنعت بتسجيل ما يتيسر من بعض اذكيائهم. وفي عشية يوم كنت مع اخي احمد رحمه الله؛ فقال لي وقد رآني مكبا على تسجيل كل ما اسمع مما جمع في كتاب (من افواه الرجال) ولا انظم ما اسوقه فيـه ولا اختار؛ ماذا تصنع الآن؟ فان كنت لا بـد كاتبـا؛ فهيىء لنا كتابـا عن (الغ) وعن كل من مر فيه من العلماء والادباء والحوادث. ليكون لنا ككتاب آل زاوية تيمكيدشت الذي الفه العربي المشرفي الفاسي؛ فكانت هذه الكلمة من الاخ هي البذرة الاولى من هذا الكتاب. ثم نظمته تنظيما يكاد يستوفي كل اعمال زوايا سوس ومدارسها مع الالمام باخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم. وجمع رجالات الاسر العلمية تفصيلا. وقد رتبت الكتاب على خمسة اقسام. فاشترطت انني كلما ذكرت رجلا ممن كانوا على شرط الكتاب ان اذكر كل ما حواليه من رجالات اسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن اساتذته وبهذا استطعت ان احشر في الكتاب كمية عظيمة من زوايا العلم بسوس وبعض ديار الرياسة. فطال الكتاب بذلك حتى كانت مجلداته تنقسم الى هذه الاجزاء

3 في الالغيين العلماء والرؤساء .

5 في اساتذتهم كالجشتيميين والادوزيـين والتيمكدشتين وآل ماء العينين والمزواريين والتامانارتيين والاقاريضيين.

3 في تلامذة مدرستهم كاليزيديين والساليين والخصيكيين والتادرارتيين والناصريين والوهداويين الاساويين .

6 فـي الاخذين عن زاويتهم كالاكراريـين والمججوبيين والكرسيفيـين والمعدريين والركنيين والتاتلتيين .

3 في اصدقائهم السوسيين منهـم رؤساء كالجرارين والتامانارتيين والقائد المدنـي والقائـد الناجم وغيرهم. وبهذا صار الكتاب عن سوس موسوعة فيها تسجيل كل ما امكن من اخبار بعض العلماء، وبعض الصوفية؛ وبعض الرؤسا. وانما قلت البعض لان هناك كتابا خاصا بعلماء سوس. وآخر في رؤسائهم. والمقصود ان أسجل أكثر ما يمكن لي تسجيله للغد بهذه الكتب عن هذه الناحية من المغرب .

هذا وقد يجد القارىء من ابناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط المتاع ومما لاينبغي أن يهتم به مما يعده عند نفسه في ذوقه من الخرافـات

ولكن لا ينسين انني مؤرخ؛ وقلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل ما امامها حتى ما تقذى به الاعين. فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة تلتقط الظلال القاتمة فان لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك، فانه قلم التضليل والمسخ للحقائق. لان واجب المؤرخ ان ينقل قارئه بوساطة يراعته الى الذى يتحدث عنه حتى كانه يشاهد عيانا. واما ان يهذب او يشذب ويحذف ويزيد حتى يضلل القارىء عن الحقائق فذلك هو الزور بعينه ولهذا احرص انا فى التراجم أن أذكر كل شىء مدحا وقدحا وان كنت اعمل فكرى واختار وارجح. لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ. ولا خير فى مؤرخ جماع فقط من غير ان يظهر اثر فكره فيما يكتب .

وبعد فها انذا اجعل امام القارىء بعض ما سودته عن سوس فى هذا الكتاب الذى هو احد تلك الكتب. وسيجد فيه احيانا تكرارا فى التحدث عن شىء واحد فى مختلف التراجم. والمقصود ايجاد الصور المختلفة باختلاف الروايات لحادثة واحدة. ليستطيع من سيدرس الحادثة غدا ان يستوعب كل ما حواليها. فينتظم الكلام فى صعيد واحد. وانا لا أزعم فى هذا الكتاب الا انه مجموعة مهياة لمن سيستقى منها غدا ما يريد. ولذلك احرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار. والنكات الادبية. والقوافى وان لم تكن بمستساغة عند الاذواق العالية فى الادب؛ كما لا ادعى اننى بلغت الغاية او اتبعت المنهج العلمى فى الدقة. وانما ادعى اننى حرصت على أمانة النقل عن المصادر — وغالبها من افواه رجالات الاسر — واجتهدت على أن أتبع الترتيب المنطقى ان حاولت الاستنتاج. باذلا جهدى ما استطعت — لان المقصود اولا وآخرا ان يرى القارىء مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب. يضم طائفة من ابناء أمازيغ الشلحيين البلدويين. فى نشر اللغة العربية وعلومها وآدابها وقد اولعوا بذلك ولوعا غريبا. فقاموا باعظم دور فى ذلك بجهودهم الخاصة من غير ان تعينهم الدولة.

ومن مفاخر المغرب ان هذا العمل بنفسه او اكثر منه كان فى بوادى درعة وفى تافيلالت وفى دكالة وفى الريف. ولكن اين من يجمع لنا مما هنالك مثل هذا الجمع. وان لم يكن جمعا واسعا كما ينبغى. ولا مستوعبا كما كان يجب .

ثم اننى ابن زاوية وابن بيئة امس. مومن بالروحيات الصادقة. فاقبل خرق العادة ان صح ان ذلك واقع. ولذلك يعذرنى من ليس له هذا الايمان ان وجد فى بعض التراجم من الكتاب مثل ذلك فله دينه ولى دينى .

نحن بما عندنا وانت بمـــا   عندك راض والراى مختلف

فليعلم المطالع لهذا الكتاب باجزائه العشرين انه سيخوض فيها اخبار الفقهاء والادباء والرؤساء والصوفية وكل ما يعن من احوال البادية وسيكون كالداخل الى السوق التى تجمع كل شىء. فلياخذ ما يعجبه وليعرض عما لا يعجبه. فان ما لا يعده الا شيئا تافها؛ ان كان لا يذوق حلاوته. قد يكون ازاءه قارىء آخر لا يعجبه هو الا ذلك. فالكتاب كما يقولون كالمائدة الطافحة بانواع الاطعمة، ياكل كل واحد منها ما يشتهيه فمن ليس باديب لا يرتاح للادب. ومن ليس بفقيه لا يرتاح لاحوال الفقهاء. ومن ليس بصوفى يستنكر حتى ما هو حق من احوال الصوفية. نعم ان من يكون مؤرخا يريد ان يستنتج يفرح بكل شىء ولو الخرافات فضلا عن الحقائق .

وأخيرا

فقد وضعت امس كتاب (سوس العالمة) أمام القارىء. وهو كالنافذة لهذا الكتاب واخوانه من الكتب الاخرى. وهاك الآن (الجزء الاول) من هذا الكتاب الثانى الذى ستعد من اجزائه الى العشرين ان شاء الله. فالله ييسر بفضله؛ فان لم يخرج القارىء بكل ما يريد من الكتاب عن (سوس) فانه على الاقل يخرج بفائدة كانت عنده قبل الكتاب من المجهولات. نطلب الله ان ياتى بمن يستتم ما ينقص فى الموضوع ، او يصحح الاغلاط ، وما ذلك على شبابنا الذى نراه يشارك اليوم فى هذا الميدان ببعيد .

م خ س

بيـــان

غالب الاعلام في لغة الشلحة لا ينطق بها كما هي عند اهلها الا مضبوطة مشكولة وحين كان ذلك الآن كالمتعذر في مطابعنا العربية المغربيـــة سلكت الطريقة التي تعتاد في أخوات الشلحة من اللغات العجمية : فأجعل الالـــف مكان الفتحة والواو مكان الضمة والياء مكان الكسرة : وكل حرف ليس أمامه الف او واو او ياء فانه مسكن : فمثلا : تجد (تمنرت) في اقـلام الكاتبين السوسيين فلا تهتدي الى قراءتها ، ولكن ان كتبتها هكذا (تامانارت) فانـك تفتح التاء والميم والنون وتسكن الراء : فاذا بـك نطقت بها نطقا صحيحا : وكذلك (ايذيكل) و(ءازاريف) و (ءاكجكال) و (تيغمي) و (ءاقا) و(تامادولت) و (تيفنوت) و (تاكانزا) و (ايسي) و (تالبرجت) و (تيفرميت) و (تاكموت) و (أيليغ) و (السغ) فالفرق بينهما ان الاول مكسور اللام والثاني مسكنهـا : وبهذه الطريقة يستغنى عن شكل ألفاظ شلحية لا حصر لهـا : فلم يبق لنا الا معرفة الحرف المشدد من غيره ؛ فلم أقع الى الآن على ما ينبه به على التشديد الا الشكل : فمثلا (تيمكيدشت) فجميع الحروف يظهر ضبطها مما تقدم : فلم يبق الا الكـاف المشددة : وكـذلك (تاغاجيجت) فالجيم الاولى مشـددة : وكذلك (أكادير وايو) فان الواو والياء مشددتان : كما يبقى لنا أيضـا مـا يتعلق بالتفخيم والترقيق في الحرف؛ والكاف المعقودة التي تكون بين القاف والكاف وهي كثيرة في الشلحة؛ مثل (اكلو) (اكرسيف) و (ايكوسالن) و (تاكنيت) فان هذين وهما ما يتعلق بالتفخيم والترقيق. وما يتعلق بالكاف المعقودة أمرهما خفيف في نظري الآن فحينئذ يتلخص لنا أن الذي يكون لنا حجر عثرة في مطابعنا التي لم تزود بالحروف المشكولة هو الحرف المشدد وحده؛ وسنجتهد ان نبين ذلك آخر كل جزء فنرتب الاعلام التي فيها الحرف المشدد على حروف المعجم باعتبار اول الكلمة والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله

الحمد لله الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم؛ فتح العيون؛ وأرهف الاذان؛ وهدى النجدين؛ وانطق الالسن باللغات؛ وخص كتابه الكريم بأفصح اللغات لغة العرب خير لغة أخرجت للناس؛ بعد ما هذبتها ألسن العرب العرباء؛ ثم شذبتها حكمة القرآن بالمثل العليا. فاستحقت أن تكون كلغة عامة لجميع من يعتنقون الاسلام من اقصى المشرق الى اقصى المغرب. فالحمد لله الذى هدانا حتى صرنا — نحن أبناء الغ العجم — نذوق حلاوتها؛ وندرك طلاوتها؛ ونستشف آدابها؛ ونخوض امواج قوافيها، حتى لنعد انفسنا من أبناء يعرب وان لم نكن الا أبناء (امازيغ). فالانسان بذوقه وبما يستحليه عند التعبير؛ لا بما رضعه من ثدى امهاته، واللسان بما تنفتح له به المعاني الحلوة؛ لا بما يتهدج به من لغة يرثها لا تعد من نبع ولا غرب (1)؛ فاللغة العربية عندنا — معشر الالغيين — هى لغتنا حقا التى نعتز بها. لان بها مراسلتنا ومخاطبتنا حين نريد أن نرتفع بانفسنا عن مستوى جيراننا، وأبناء جلدتنا من الحربيليين والوفقاويين والمجاطيين والساموكنيين؛ وتلك نعمة أنعم الله بها علينا بفضله وكرمه؛ حتى اننا لنرى أنفسنا من ورثة الادب العربي؛ فنغار ان مسه ماس بفهاهة؛ ونذود عن حماه ان احسسنا بمن يريد أن يمسه باهانة؛ فنحن عرب أقحاح؛ من حرشة الضباب، والمستطيبين للشيح والقيصوم؛ وان لم تكن اصولنا الا من هؤلاء الذين يجاورونا من أبناء الشلحيين الاماجد .

---

(1) النبع: كفلس والغرب : كالفرح من شجر البادية تصنع منها السهام. قال أبو تمام :

تخرصا واحاديثا ملفقة ليست بنبع اذاعدت ولاغرب

الا صحراء قاحلة؛ فكان للانسانية جمعاء، قبل ان يكون مخصوصا في مبادئه الحق للعرب الخلص؛ رفع راية الحرية والمساواة والاخاء؛ فاوى الى ظلها كل الذين هداهم الله فاستظلوا بتلك الراية من فلبين فالدونيسية الى هذا القطر المغربي الذي نكون نحن - ابناء الغ - في اقصى ذنبه الذي هو ذنب الطاووس - فيما نرى - ورضى الله عن الصحابة وتابعيهم الذين شرقوا وغربوا بهذه الرايـة المباركة، حتى ركزوها وراءنا في الصحراء الكبرى تركيزا؛ ثم لم نقـدر اربعة عشر قرنا ان تزعزعها عن محلها ؛ لان ما مراكزه في القلوب لا يمكن ان يتزعزع بالاعاصير، فحيا الله تلك الهمم الشماء التي تفتح القلوب باللسان العربي وبكتابه الكريم؛ قبل ان تفتح البلاد؛ وهل عرف العالم فاتحا مثل العرب كما يقول غوستاف لوبون ؟

اما بعد فقد اولعت منذ عرفت قبيلي من دبيري؛ وميزت يميني من شمالي، بالتاريخ والادب؛ وبمطالعة كتبهما فلا أظل ولا أبيت منذ كحلتني العربية بأثمدها، واذاقتني حلاوة معانيها الطلية فانشتني بخمرتها؛ الا بين كتاب ابتدئه وآخر اختتمه؛ منذ بكرت الى مطالعة كتاب (الف ليلة وليلة) في فجر حياتي؛ اذ كان اول كتاب طالعته وانـا ابن نحو عشر سنين؛ فاخذت بحكاياته التي تدل على ما لمدنية العرب في بغداد ومصر وما اليهما من اناقة ولطف وحسن ذوق؛ ورفاهية عيش، ثم لما زدت قدما؛ طالعت مثل: المستطرف وحياة الحيوان للدميرى وابن خلكان؛ ومروج الذهب؛ ونفح الطيب؛ وقلائد العقيان، والاستقصا؛ ونزهة الحادي؛ والصفوة - وهي الكتب التي طالعتها في حياتي الاولى في الغ وما الى الغ من افران واغشان - ثم لما كلت تراب الارض بقدم الهجرة (1) ووجدت خزائن تطفح بالكتب الكبرى؛ اقبلت بنهم الذي لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عيني كيفما كان الكتاب؛ ما دام يمت الى الادب والتاريخ، فلا ارد أي كتاب سنح؛ ولسان حالي ينشد قول ابن المعتز :

قلبـي وثاب الى ذا وذا   ليس يـرى شيئا فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي   ويرحـم القبح فيهـواه

ثم لما حللت بفاس أتى الوادي فطم على القرى (2)؛ فبدلت اخلاقا غير التي عهدت من نفسي قبل؛ وانا في مراكش واحواز مراكش، فقد تلقحت

---

(1) لا يدرك المرء في اوطانه شرفا   حتى يكيل تراب الارض بالقدم
(2) مثل عربي، القرى كغنى: مسيل الماء من الوادي؛ وطم الماء على الشيء: اذا غمره .

ولا لزمت بي نفس عزوف تقول بملء فيها :

لي همـة عاليـة فذة   طموحها ليس له منتهـى
لو ملكت كل الثرى لاعتلت   الى امتـلاك سدرة المنتهى

تكونت لي في فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات المموهة، وبين الروحانيات الربانية؛ كما نبتت مني غيرة وطنية نسيت بها نفسي ومصالحي الشخصية؛ فاعددت نفسي فداء لديني ولوطني ولامتي التي هي امة العرب والاسلام جمعاء، وانا بين هاتين: الفكرة والغيرة اسبح في آداب حية طلع بها هذا العصر الجديد؛ فصرت أقرأ من نثر المنفلوطي وفريد وجدي ومحمد عبده واضرابهم، ومن شعر شوقي وحافظ ومطران وامثالهم ما عرفت به ان الذي كنت اسبح فيه منذ صغري ليس الا ضحضاحا كدرا؛ لا يبرد جسدا؛ ولا يفثأ غلة ؛ ولا يقضي على لهفة .

ثم لما ابت من فاس. وقد المت بالرباط. حيث احتقبت أيضا علوما وفهوما وانظارا وبحوثا؛ لم أقع عليهـا الا في الرباط وفي مشايخ الرباط. حللت بالحمراء وقـد القيت فيها مرساتي، وانـوي أن اقضي الواجب على لديني ولوطني ولشعبي؛ ما بين تلميذ يهذب؛ وبين درس ارشاد يلقى؛ وانا في جانب ذلك اناغي اليراع فيما عسى أن يرفع من شان هذه الامة؛ من احياء ما اندثر من آثار ماضيها، ومن المحافظة على العربية الفصحى التي اراهـا اذ ذاك في انهيار؛ ففي هذه الميادين الثلاثة قضيت أزمانا؛ تكشفت عن أعمال كان فضل الله على فيها عظيما؛ ومن بينها اشتغالي بجمع مؤلف حول (العصر الذهبي لمراكش) يوم كانت عاصمة المرابطين والموحدين، اعددت له من المراجع ما لو تم بها لكان - فيما كنت أقدر - صنو (عصر المامون) حجما واسلوبا وافادة وروعة، لانني وجدت من ذلك مكان القول ذا سعة؛ ولكن جاء النفي بغتة؛ فذهبت تلك المراجع مع ما كتب من الاصل الى سلة المهملات .

ها انا ذا الآن انفى الى الغ؛ الى مسقط راسي؛ حيث امنع من ان اتصل بالناس؛ فوجدتني فجأة امام بيئة كنت نسيتها، فخاطبت من هنـاك بهـذه القصيدة التي المت فيها ببعض لعب الولـدان الالفيين؛ وبذكريـات اول شبابي ؛ أتمطق بها الآن بكل حلاوة :

اليكم - بني امي - ائيب ركائبي   فياليت شعري هل انا خير آئب(1)
فقد غبت احقابا طـوالا وذا انـا   اعود كأن لم اغد - قط - بغائب

---

(1) ائيب؛ تقـرأ الهمز ةالثانية بالهاء تسهيلا على ما عرف من القاعدة اذا اجتمعت همزتان .

والصلاة والسلام على من بعثه الله من خير ارض وان لم تكن الا صحراء قاحلة؛ فكان للانسانية جمعاء قبل ان يكون مخصوصا في مباءته الحق للعرب الخلص؛ رفع راية الحرية والمساواة والاخاء؛ فاوى الى ظلها كل الذين هداهم الله فاستظلوا بتلك الراية من فلبين فاندونيسية الى هذا القطر المغربي الذي نكون نحن - ابناء الغ - في أقصى ذنبه الذي هو ذنب الطاووس - فيما نرى - ورضى الله عن الصحابة وتابعيهم الذين شرقوا وغربوا بهذه الراية المباركة، حتى ركزوها وراءنا في الصحراء الكبرى تركيزا؛ ثم لم تقدر اربعة عشر قرنا ان تزعزعها عن محلها ؛ لان ما مراكزه في القلوب لا يمكن أن يتزعزع بالاعاصير، فحيا الله تلك الهمم الشماء التي تفتح القلوب باللسان العربي وبكتابه الكريم؛ قبل ان تفتح البلاد؛ وهل عرف العالم فاتحا مثل العرب كما يقول غوستاف لوبون ؟

اما بعد فقد اولعت منذ عرفت قبيلي من دبيري؛ وميزت يميني من شمالي. بالتاريخ والادب؛ وبمطالعة كتبهما فلا أظل ولا أبيت منذ كحلتني العربية بإثمدها، وأذاقتني حلاوة معانيها الطلية فانتشتني بخمرتها؛ الا بين كتاب ابتدئه وآخر اختتمه؛ منذ بكرت الى مطالعة كتاب (الف ليلة وليلة) في فجر حياتي؛ اذ كان اول كتاب طالعته وانا ابن نحو عشر سنين؛ فاخذت بحكاياته التي تدل على ما لمدنية العرب في بغداد ومصر وما اليهما من اناقة ولطف وحسن ذوق؛ ورفاهية عيش، ثم لما زدت قدما؛ طالعت مثل: المستطرف وحياة الحيوان للدميري وابن خلكان؛ ومروج الذهب؛ ونفح الطيب؛ وقلائد العقيان، والاستقصاء؛ ونزهة الحادي؛ والصفوة - وهي الكتب التي طالعتها في حياتي الاولى في الغ وما الى الغ من افران واغشان - ثم لما كلت تراب الارض بقدم الهجرة (1) ووجدت خزائن تطفح بالكتب الكبرى؛ اقبلت بنهم الذي لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عيني كيفما كان الكتاب؛ ما دام يمت الى الادب والتاريخ، فلا ارد أي كتاب سنح؛ ولسان حالي ينشد قول ابن المعتز :

قلبي وثاب الى ذا وذا ... ليس يرى شيئا فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي ... ويرحم القبح فيهواه

ثم لما حللت بفاس اتى الوادي فطم على القرى (2)؛ فبدلت اخلاقا غير التي عهدت من نفسي قبل؛ وانا في مراكش واحواز مراكش، فقد تلقحت

(1) لا يدرك المرء في اوطانه شرفا ... حتى يكيل تراب الارض بالقدم
(2) مثل عربي، القرى كغنى: مسيل الماء من الوادي؛ وطم الماء على الشيء: اذا غمره .

في جو فاس بما لو لم اتلقح به لما كانت لي فكرة، ولا تحركت بي همة؛ ولا نزعت بي نفس عزوف تقول بملء فيها :

لي همة عالية فذة ... طموحها ليس له منتهى
لو ملكت كل الثرى لاعتلت ... الى امتلاك سدرة المنتهى

تكونت لي في فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات المموهة، وبين الروحانيات الربانية؛ كما نبتت مني غيرة وطنية نسيت بها نفسي ومصالحي الشخصية؛ فاعددت نفسي فداء لديني ولوطني ولامتي التي هي امة العرب والاسلام جمعاء وانا بين هاتين: الفكرة والغيرة اسبح في آداب حية طلع بها هذا العصر الجديد؛ فصرت أقرأ من نثر المنفلوطي وفريد وجدي ومحمد عبده واضرابهم، ومن شعر شوقي وحافظ ومطران وامثالهم ما عرفت به أن الذي كنت أسبح فيه منذ صغري ليس الا ضحضاحا كدرا؛ لا يبرد جسدا؛ ولا يفثأ غلة ؛ ولا يقضي على لهفة .

ثم لما ابت من فاس. وقد المت بالرباط. حيث احتقبت أيضا علوما وفهوما وانظارا وبحوثا؛ لم أقع عليها الا في الرباط وفي مشايخ الرباط. حللت بالحمراء وقد القيت فيها مرساتي، وأنوي أن أقضي الواجب على لديني ولوطني ولشعبي؛ ما بين تلميذ يهذب؛ وبين درس ارشاد يلقى؛ وانا في جانب ذلك اناغي اليراع فيما عسى أن يرفع من شأن هذه الامة؛ من احياء ما اندثر من آثار ماضيها، ومن المحافظة على العربية الفصحى التي اراها اذ ذاك في انهيار؛ ففي هذه الميادين الثلاثة قضيت أزمانا؛ تكشفت عن أعمال كان فضل الله علي فيها عظيما؛ ومن بينها اشتغالي بجمع مؤلف حول (العصر الذهبي لمراكش) يوم كانت عاصمة المرابطين والموحدين، أعددت له من المراجع ما لو تم بها لكان - فيما كنت أقدر - صنو (عصر المامون) حجما واسلوبا وافادة وروعة، لانني وجدت من ذلك مكان القول ذا سعة؛ ولكن جاء النفي بغتة؛ فذهبت تلك المراجع مع ما كتب من الاصل الى سلة المهملات .

ها انا ذا الآن انفى الى الغ؛ الى مسقط راسي؛ حيث امنع من ان اتصل بالناس؛ فوجدتني فجاة امام بيئة كنت نسيتها، فخاطبت من هناك بهذه القصيدة التي المت فيها ببعض لعب الولدان الالغيين؛ وبذكريات اول شبابي ؛ أتمطق بها الآن بكل حلاوة :

اليكم - بني امي - اثيب ركائبي ... فياليت شعري هل انا خير آئب(1)
فقد غبت احقابا طوالا وذا انا ... اعود كان لم اغد - قط - بغائب

(1) آيب؛ تقرا الهمزة الثانية بالهاء تسهيلا على ما عرف من القاعدة اذا اجتمعت همزتان .

صدفت الى ان كان ميل اليكم ... ورجعاى هذا اليوم احدى العجائب(1)
كأن لم يكن الغ بلادى التى بها ... سموت به فوق الذرى والمناكب
كأن لم يكن اصلى ومنبت نبعتى ... ومجمع اخوانى ومغنى اصاحبى
كأن لم تكن لى ارضها خير مرتقى ... سربت صغيرا بين شتى المسارب
وروض وصال قد تمتعت برهة ... بأزهاره بين اللمى والذوائب
اذ الدهر بشر والحياة مسرة ... وروض الامانى مستهل المعاشب
ويوم الصبا يوم ضحوك كأنما ... تغازل صبا سافرات الكواعب
نهارى حبور ثم ان زرت مضجعى ... فاطيب بحلم مستلذ المشارب
قليل هناء والنهار سعادة ... وعيشى طليق الوجه عذب المشارب
تناغينى الآمال من كل وجهة ، ... مناغاة أم الطفل مهما تلاعب
فامى واختى لا تريدان غير ما ... أريد جناه من جميع المراغب
اشير فيوتى لى بكل الذى اشا ... وان كان مجناه مناط الكواكب
فاحسبنى بالامر والنهى اننى ؛ ... امير على اهلى وكل صواحبى
تطارحنى نفسى المنى فاظل فى ... خمائلها أجنى ثمار رغائبى
فلم ادر الا ان انال المراد كى ... اساجل اقرانى بكل الملاعب ؛
فاسدر فى ميدان لهوى واننى ... ساخال ذكاء قد علت كل ثاقب(2)
اجول كما اشهى واجرى كما اشا ... واسحب ذيلى سحب سكران شارب
الاعب اترابى فنغدو الى المسا ... وما ان درينا كيف مس المتاعب
نظل على فر وكر كأنما ؛ ... تلاطم ميدان الوغى بالكتائب
على قصبات شققت جنباتها ... ولكنها من تحتنا كالشوازب (3)
نجيل اذا جلنا بها فى اكفنا ... عصيا نرى منهن امضى القواضب
فنصعد والنقع المثار مطنب ... كما اعترضت فى الجو سود السحائب(4)
فنجرى ولا تدرى المجلى بيننا ؛ ... واى نظام بين خيل الملاعب ؟
نحاول تنظيما وسرعان ما ترى انـ ... ـتثارا كوهى العقد فوق الترائب
والفصل يوم عندنا يوم نغتدى ، ... حفاة بجرى المذكيات السراحب(5)

(1) صدف عن الشيء: مال عنه .

(2) السادر: الذى لا يهتم ولا يبالى بما صنع؛ والفعل سدر كفرح، وذكاء بضم الذال ممنوع من الصرف ولكنه مصروف هنا ضرورة: الشمس

(3) الفرس الشازب: الضامر. والصبيان يشقون من أخريات قصباتهم التى يركبون عليها لتثير الغبار كالخيل عند اجرائها .

(4) طنب بالمكان: اقام فيه .

(5) المذاكى من الخيــل: التى اتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان؛ وفرس سرحوب: طويلة.

وقد اعصرت ريح التفاقم بيننا ... واقبلت الصبيان من كل جانب
وصرح بين القريتين تضارب ... فدارت رحى الهيجاء بين المقانب(1)
وفرقع فى الميدان «الد» وصوتت ... «تزبا» وخاض الحرب كل محارب(2)
وقد جالت الاحجار فوق كأنها ... عصائب طير صادمات عصائب
وقد زجلت اصداء سرعتها كما ... تصل قطا عطشى سرت للمشارب(3)
وقد علت الاصوات منا ومنهم ... فكل يعانى ان يرى جد غالب
وقد حمل الاذمار حملتهم وقد ... تلاحم صفانا بشوس محارب (4)
ونابت ايادينا عن «الد» واختها ... وضقنا عن اعمال القنا والقواضب
يلز قرين قرنه حين يبتدى ... تماسكنا فوق القرى والجوانب (5)
يغالب كل قرنه فمجندل ... على الارض او جلد امام المغالب
اذا بعضنا صرعى . وبعض ازاءهم ... وقوف. وبعض ماسكو بالتلابب(6)
فيحتدم الخصمان حينا فينتحى ... ذوو الرأى منا نحو صلح مقارب
فيأتمر الجمعان ان يجعلوا الذى ... مضى مثل امس غابر العهد ذاهب؛
فتراب بالصلح القلوب اذا بهم؛ ... عناق كأن لم يلتقوا فى المعاطب ؛
كأن لم تلطخ بالدماء رؤوسهم ... فسالت على أعناقهم والمناكب
كأن لم يدقوا بينهم عطر منشم ... باحجار «الد» الجائيات المواهب(7)

(1) القريتان: قرية آل سليمان. وقرية الزاوية العليا. والمقنب بكسر الميم من الجيش. قطعة من الفرسان الى ثلاثمائة .

(2) الد بكسر الهمزة وسكون اللام وكسر الدال؛ وتزبا ـ بكسر التاء والزاى؛ ثم باء مفتوحة مشدودة: نوعان من المقاليع يصنعان من الحلفاء؛ وترمى بهما الاحجار، وبهما يقع التضارب بين الصبيان .

(3) الزجل. محرك من زجل كفرح: الصوت. قال الشاعر يصف قطاة غادرت ولدها وقد استولى عليها الظمأ. فكان لها صليل أى صوت.

غدت من عليه بعد ما تم ظمئها ... تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

(4) الذمر بالكسر: الشجاع؛ والاشوس: الناظر بمؤخر العين تكبرا او غضبا؛ والمحاريب جمع محراب؛ المبالغة فى الذى يحارب؛ واسقاط الياء فى مثل المحاريب قياسى؛ فتقول: المحارب .

(5) القرى بالفتح: الظهر. ولزه: ربطه بشىء آخر قال:

وابن اللبون اذا ما لز فى قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

(6) اصله التلابيب. ولببه: اخذه بثيابه من فوق صدره.

(7) عطر منشم: يفسر بالعطر الذى يجعل فى الاكفان: كانت امراة عربية تسمى منشم تبيعه؛ وهو تعبير جاهلى. ومن معلقة زهير :

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

لروح جميعا بالوئام الاربـــا ،   وان لم نكن في اهلنـــا بالاقارب
الى لعبـة اخرى فنفتح بابهـــا   جديدا بشوق الصب نحو الحبائب
فحينا الى (الاسداء) نمضي وتارة   لنحو «ضما» نثنى زمام الركائب(1)
وطورا الى (شلوك) افضل لعبـــة   لنا حيث يدمي القرص كف الملاعب(2)
وآونة نغـدو الى الاختبا فــان   نفتش نفزع في المخابي بضاغب (3)

* * *

كذلك نمضي يومنا مرحـــا فلا   نصيخ لجوع لافح النـــار ناصب
فلا نتقى بـــردا ولا نتـقى حفـا   ولا نتقى ليلا بطيء الكواكب (4)
ولا نتقى الإكمام والحجر لا و ـ لا   (اقلمون) في جمع الثرى للالاعب(5)
نجيء بقمـص كالزهـوز ونثنـى   بدكن كاسمال الثكالى السلائب (6)
فان غمغم الاهلون فالامهات في ؛   مناغاتنـــا او ضمنـــا للترائب ؛
يمطن الاذى بالبشر ثم يسلن من   نضار اليرنا بين سود الذوائب(7)
ونصبح ايضا عـــود بـــدء وهكـذا   قضينـــا عويمات بغير مراقب ،

(1) استدى الصبيان واسدوا: اذا كانوا يلعبون بالجوز: ونحن جعلناه اللعب بالحصى؛ وهى المسماة: (اكنترن) وضما معلوم: صنو الشطرنج.

(2) شلـوك بفتح الشين وضم اللام المشددة: لعبة بالحصا يقرص على ظهر كف من غلب فيها .

(3) والمقصود بلعبة الاختباء ما يسمى بالشلحة (توتكلا) بسكون التاء وفتح الواو المشددة وسكـون التاء الاخرى وسكون الكاف المعقودة وفتح اللام المشددة. ومعناه طابت العصيدة؛ وهى لعبـة يختبىء فيها الصبيان؛ فيفتش عنهم أحدهم؛ وقد يباغته احد المختبئين فيفزعه؛ وهو الضاغب، ولهذه اللفظة الغريبة تسمى هذه القصيدة عند بعض الادباء بالضاغبية. ولعل لعبة (الغميضا) تشبه لعبة الاختباء. وسيرى القارىء وصف هذه اللعبة فيما ياتى .

(4) ينظر فيه الى قول الشاعر:

كليني لهم يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطيء الكواكب

(5) أقلمـون بفتح الهمزة والقاف وسكون اللام هو مـا يسمى بالقب للجبة والبرنوس: ما يجعل فوق الرأس منهما .

(6) السلائب والثكالى بمعنى واحد. والدكنة معروفة فى الالوان. والاسمال الثياب الخلقة .

(7) اليرنا: الحناء، ودهن الراس بالحناء الملتوت للصبية عادة الفية. وهو احمر اللون كالنضار: الذهب .

وليس لدينا من لغافهم سوى !   ليوث اطلوا من صدور الكتائب
اذا ماسمعنا الهمس من صوبهم فلا   نسل عن قلوب في الضلوع ذوائب
مساورة مـن مشبل وسط خيسه   اخف علينا من ملاقاة طالب (1)
عبـوس المحيا قمطرير كانمـــا   تجهمت السملاة في وجـه هارب
فلم يدر الا البطح فالهشم ان تصل   عصاه بنا كالثمر بين الثعالب !
او اللكم والركـل الممض اذا ونت   يداه بعبل من حبال ازاغب (2)
نسر الرشاكـى نستـدر ليونـة   لو ان الصخور الصم درت لحالب
فلولاه كان العصر عصر الصبا لنا   الـــذ زمـــان لم يمس بشائب
ولكنـــه ادى الثقـاف صلابـة ؛   مؤيـــدة بالقرص من كل جانب
فبصرنا تحت الذقون كانما   يحاول ضـــار خنقنـــا بالمخالب
فرضنا على رغم الانوف ومن يجل   بقوائه سوى جميع المصاعب (3)
فمر بنا عام فعــام فبدلت   ضرائب منا سذج بضرائب (4)
فطاف بنا عقـل جديـد فحلقت   اماني اخـــرى لاغتنام مـــآرب
بدت من سماوات المعارف برقـة   اثرنا لها ــ نرتادــ قود النجائب
راينا المعالى كلهـا فى مرادها ؛   فطرنا اليها بالنفـــوس الرواغب
فبادرت الـغا والشبيبـة غضة ،   ووجهي وغصني مثل ابيض قاضب
اريغ العلا بالنص فـــى كل فدفـد   تقل به الخريت شتى المشاعب(5)
اعرض حر الوجه نحو سمومـــه؛   فيكسوه من اثواب سود غرابب(6)
فجبت الجبال الشامخات؛وخضخضت   سراب البطاح الفيح هوج ركائبي
فخيمت بالحمراء حينـــا وسابقت   من ابناء فاس آونات سلاهبي (7)
وطورا اراني في الرباط وقد طمت   عـــلى غيوث الهاميات السواكب
فافرغت فى هاتي وتلك وتلكـم   جهـــود مجد فى التفوق راغب !

(1) اسم الطالب يطلق فى الغ على استاذ التعليم فى المسجد. والمساورة: المواثبة. والاسد المشبل: الذى له اشبال والخيس بالكسر: عرين الاسد.

(2) العبل: الغليظ. وحبل ازغب: اختلط بياضه بسواده. وكثيرا ما يبرم حبل الطالب الفاسي من حلفاء ومن شعر ليكون أمتن .

(3) ريض الفرس: اذا وطيء للركوب. ورضنا بكسر الراء.

(4) الضرائب: الاخلاق.

(5) المشاعب: المذاهب. والدليل الخريت: العارف بالطرق. والنص: نوع من السير السريع. واراغ الشيء: طلبه .

(6) غرابب: اصله غرابيب؛ وفى القرآن غرابيب سود؛ والكلمة للاتباع.

(7) الافراس السلاهب: الطويلات .

وشغل الوحيدالدرس في كل محفل … دروز بـدر خالص المواظب ،
فاجثم فوق الركبتين كأنني … ربيئة قوم جاثم في المراقب (1)
اليد عن ذالك الشوارد تارة … والقى لذا طورا ببحث مجاذب ؛
فيوردني الاشياخ بحرا غطمطما … اغوص بـه حتى تغشى ذوائبي
ويجلون ابصاري بفكر كأنه … صباح تجل منسجوف الغياهب(2)
فابصرت نورا مشرقا متلالئا … تنظم منه جزعها يـد ثاقب (3)
فابت بحمد الله في حالة – اذا؛ … تنقصتها أثنت عليها حقائبي (4)
عرفت قبيل من دبيرى بها ومن … درى حالتيه لا يحر في المذاهب
وصممت ان اقفى الحياة جميعها … واني بعيد عن دنايا المشاغب (5)
لعلمي ان المـرء حيث توقفت … به النفس في آرائـه والمذاهب
وان نفيس العمر خير ذخيرة ، … تصان عن اطماع الحياة النواهب؛
فملت الى درس المعـارف معرضا … عنالعرض الفاني المر العواقب(6)
فاسر همي كله حول نشرها … أصيره غـايـات كـل مطالبي
بمراكش الحمراء حيث الغريب لا- … يحس بان قد حل بين الاجانب
كأن كان عن جداتـه وصحابه ؛ … واترابه في مهـده غير عازب ؛
ينال من التبجيل ذكرا كأنـه … زهور نمت بين الصبا والمذانب(7)
ويضفون اثواب التجلات فوقه … الى أن ترى رجلاه فوق المناكب
ويؤثر بالشيء النفيس لديهم … ويشكر أن يقبله من يـد واهب
فمن تره منهم تر البشر نيرا … عليه. كأنـوار النجوم الثواقب
كأن قطوب الوجه لا يعرفونـه … فلست ترى من بينهم اى قاطب

(1) المرقبة المحل الذى يراقب منه العدو ومثله. والربيئة:الطليعةللجيش أو للرفقة .

(2) السجف: الستار .

(3) تلميح لقول ابن الطمحان :
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم … دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(4) تلميح لقول الشاعر :
يمرون بالدهنا خفافا عيابهم … ويرجعن من دارين بجر الحقائب

(5) يعنى بالمشاغب: مشاغب التجارة كما يرى عند بعض السوسيين.

(6) انما عبر هذا البيت عن أن كثيرين من السوسيين انما يتغربون اليوم فى العرض الفانى لا فى المعارف. وامر الشيء ومر . اذا كان مرا غير حلو

(7) المذانب: الجداول .

اذا اوقدوا نارا وشبوا وقودها … فما هى للعاشيسوى نار غالب(1)
يحاولني في حضرتي. ثم انأغب؛ … فليس الثنـاء الرطب عنى بغائب
امن بعد ذا ياأهل (الغ) الامـان؛ … نسيت بهـم اهلى وكل آقاربي ؟
اها انذا في اليوم غادرت قطرهم … ودارت ببيني دائرات الـدوالب
فهل اجد المألوف منهم لديكـم، … فاحسبني لم اغـد عنهم بعازب ؟
فاني انخت العيش يومي بالغكـم … والغى أنا ايضا زمـان الملاعب
وقد انكرت عيناي منه وانكرت؛ … رباه سبالي واستطالـة شاربي ؛
فقـد غيرت منى ومن جنباتـه … نوائب تترى تاليـات نوائب ؛
فقد عهدت مني رباه غليمـا ؛ … نشيطا سريع الخطو امرح لاعب
فعاد اليها اليوم كهل تعرقت ؛ … جوانبـه مستأسدات المصائب
كأن خطاه في المسير خطـا الذى … تمشى بكبل في شفيرالسراديب(2)
ربـوض بمثـواه فليس بناهض … لغير ديون تقتضى في المحارب(3)
كأن عاد في الرهبان يقفو قفاهم … ايبعد عن كل الورى غير راهب ؟
كذاك انا انكرت (الغ) وارضها … وحال رباهـا والبطاح الاجادب
نكبتها حتـى تنكر جوهـا … على واعلام الصوى والمذاهب (4)
ارى جوها في بهرة الصحو باهتا … كأن جللته قاتمات الغياهب (5)
الكم (بردى) الذى كان حقبـة … اذا احتفل النوار مغنى الكواعب(6)
وهذا (أمقسو) شامخا فكأنـه … مدارج منها يرتقى للسحائب (7)

(1) فيه تلميح لقول الفرزدق فى جده غالب من قطعة:
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها … وقد خصرت ايديهم نار غالب

(2) هذا يشبه قول مسلم بن الوليد:
اذا ما علت منا ذؤابة شارب … تمشت به مشى المقيد فى الوحل

(3) يعنى الصلوات .

(4) الصوة: ما يجعل من الاحجار فى الفيافى لتعلم به الطرق؛ وفى الحديث: ان للاسلام صوا ومنارا كمنار الطريق .

(5) ضوء باهت: ضعيف. والكلمة ينتقدها الالغيون؛ فانهم لم يجدوا لها هذا المعنى فى القاموس .

(6) بردى بفتح فسكون فدال بعدها الف مقصورة: الناحية الشمالية من بسيط الغ .

(7) أمقسو بفتح الهمزة والميم وسكون القاف وضم السين: اعلى جبل من جبال الغ الشمال الشرقى .

وهلى (تكنزا) فوقها الحصن مشرفا … كذروة فحل اشرفت فوق غارب(1)
فاين (فهي) و(العنصر)العذب ارشدوا … اخاكم وقودوه لتلك المثاعب (2)
لا نقع من تلك المشارب غلتـــي … فعهدي بها من قبل أحلى مشارب
معالم كانت في زمـــان طفولتي؛ … مسارح ابصاري ومجلى ملاعبي ؛
وعهدي بها مسكية الترب، والصبا … شذا، ونثير الدر بين المحاصب(3)
اذا وجهها في اليوم اجـرد كالح … تصرصر فيها معصرات الجنائب؛
فلله الـــغ يوم ذاك فانهـــا ، … حدائق رفت بالحقـــول المعاشب
اجر بهـــا شرخ الشباب وانني … خلي رخي البـــال بين اصاحبي
واما أنا في اليوم فالطرف شاهد … بحاضر حالي مستشف لغائبـــي
فمن كان في سني يرى مثل ماأرى … وطاف به ما طاف بي من غرائب
وشاهد ما شاهدت من رد أرؤس … مكللـــة بالمجـــد تحت العراقب
فاجـــدر به الا يهـــز فؤاده … جاذر ان عنت بزي الاعارب (4)
فما ابعد الكهل الكئيب عن الهوى … وعن ذكريات قبـــل عنه ذواهب
ففي همه المشبوب أشغل شاغل … له عن مناغاة الدمى في المسارب
اذا غمر الهم الفؤاد فهل تـــرى … له لفتة للرائعات الرعابب؟ (5)
اشغل الا بي لا أبالك في الهوى … وقد سيم ما قد سيم من كل جانب؟
فلا كان حـــر تطبيه سوالف ، … وان لسعت اصداغها بالعقارب (6)
وا ولم يحل دون القريض الجريض ما … كففت يراعي عن قواف صواخب

بني الغ هذا صنوكم وعشيركم؛ … يؤوب، أيغدو بينكـــم خير آئب
فقد جاءكم من بعد عشرين حجة؛ … غريب المبادي والحجـــا والجلابب
فان تنكروا منه وينكر لديكـــم … خلائـــق فالاغضاء أوجب واجب
فعما قليـــل يقرن الدهر بيننـــا … فليس لزوم الطبـــع ضربة لازب
عليكم جميعا من اخ حل بينكـــم … حلول السها بين النجوم الثواقب

---

(1) وتكنزا من جهتها جبل فوقه حصن جنوبي الغ وهي بفتح التاء والكاف وسكون النون وفتح الزاى

(2) فهي بكسرتين والعنصر بفتح العين والصاد: بيران امام دارنا. ومثعب الماء: مجراه.

(3) فيه تلميح لما قاله الشاعر سيدي الطاهر الافراني في ارض الغ
أرض ثراها عبير. والنسيم شذا … والماء راح. وكالياقوت حصباء

(4) تلميح لقول المتنبي:
من الجاذر فـــي زى الاعـــاريب … حمر الحلى والمطـــايا والجـــلابيب

(5) جارية رعبوب: بيضاء حسنة رطبة حلوة

(6) اطباه : استماله؛ اطبى يطبي؛ افتعل يفتعل .

سلام كما طابت شمائل منكـــم … وفاحت لديكـــم طيبات المناقب،
يعمكـــم يا آل الغ فانتـــم … جميعـــا أوداني وغـــر اقاربي ؛

خاطبت الالغيين بهذا النوع من الشعر العربي القح، لانهم لغويون اقحاح يستحضرون كل ما ربما يعده غيرهم غريبا يحتـــاج الى مراجعة القواميس قبل فهمه؛ وكان مقصودي فتح الباب بيني وبينهم؛ وازالة كل الحجب التي تكاثفت في العشرين سنة التي فارقتهم فيها من عام: 1336 هـ الى عام: 1356. ثم سرعان ما ما زجت القوم؛ فانثالوا علي بقصائدهم؛ فاجبت كل واحد قافية بقافية حتى تكون من ذلك ومن تسجيل أحاديث وذكريات كتاب يطول الى ان كان في ثلاثة أجزاء، وهو كتاب (الالغيات)؛ فلما شاهدت ما شاهدت خطر في نفسي أن أكتب حول تاريخ الغ؛ لاسجل ما يمكن من آثاره الادبية؛ واخلد ما يسنح من حياة عظمائه الذين اسسوا لمجده؛ وغرسوا فيه باعمالهم ما غرسوا؛ وقد كنت أخذت عن اخي البحاثة الاديب سيدي الحسن بن احمد البونعماني نبذة من تاريخ جزولة، اثر جولة جالها هناك حوالي عام: 1351 هـ. فثارت مني نعرة جزولية؛ ينبت مثلها من كل بشر نحو مسقط راسه؛ ولذلك لما وجدت الآن الفراغ في هذا المنفى؛ ووجدت بعض المواد؛ اقبلت على جمع كل ما اتصل به من وفيات علمـــاء، وقوافي أدباء؛ ورسائل المخاطبات؛ فلما رايت ذلك متشعب الطرق؛ غير متساو في الكفات، صرت أميز بعضه من بعض. فجعلت للادباء السوسيين كتابا خاصا. وهو (المترعات) وللرؤساء السوسيين آخر وهو (رؤساء سوس في العهود الاخيرة) وللعلماء السوسيين ديوانا آخر؛ وهو (سوس العالمة) الذي من تمامه كتاب (رجال العلم العربي في سوس)؛ وفي أثناء ذلك اجدني مقصرا في كل ما اكتب لدواع شتى؛ فقلت في بنيات صدري: «لما ذا لا أخص اهل هذه القرية الادباء وهذا البسيط الذي يضمها بين قراه الاخـــرى بكتاب خاص؛ يسهب في كل ما أعرفه عن (الغ) وذلك بايحاء بعض أهلينا؛ فلم تكد هذه الفكرة تخطر لي حتى نفذتها، فاكتب عن شيوخ هناك مسنين كل ما يصلح ان يدخل في كتاب؛ فاجمع التراجم؛ وأقيد الاوابد؛ وانظم احاديث مجالس الغ الادبية؛ والوقائع وحوادث حياتهم، فاستطعت - بفضل الله - أن أقر عين الاخ البونعماني الذي هو ابو كل أفكاري في هذا الموضوع؛ وقد رايت استيفاء لكل ما اتصل به من آثار الغية او سوسية ان اسمي الكتاب؛

« المعسول »

«في الالغيين واساتذتهم وتلامذتهم واصدقائهم السوسيين»

فاشترطت ان اسهب في ترجمة كل استاذ او تلميذ، حتى لاذكر كل علماء

اسرته، وكل من اخذوا عنه، ولا اقصد - يعلم الله - الا ان افتح الباب لذكر كل من اعرف عنه شيئا من الاسر التى تمت الى الغ بالاستاذيــة؛ او بالتلميذية او بالصداقة؛ لان الكتاب مائدة أدبية تاريخية؛ لا يوصد دونها باب؛ ولا يكون دونها حجاب.

فهاك ايها القارىء تاريخ قرية متواضعة خدمت العلم والدين والارشاد؛ لعلك تضمه الى التواريخ التى كتبت فى هذا العهد: عن (الصويرة) بقلمى اخينا سيدى محمد المراكشى والسيد الركراكى الرباطى، وعن(مراكش) بيد شيخنا القاضى سيدى عباس وعن قبيلة (زيان) وما اليها بقلم الاديبالكبير سيدى احمد الزيانى القاضى .وعن (درعة) بقلم ابن الحبيب الدرعى. وعن (دمنات) بيراعى القائد السيد عمر بن المدنى الاكلاوى؛ والفقيه المرحوممولاى على الدمنانى. وعن (آسفى) بجهود البحاثة المغفور له الكانونى. وعن قبيلة (عبدة) بقلم الفقيه السيد الصبيحى السلاوى، وعن (الرباط) و(سلا) باقلام المرحومين محمد بن على دنية؛ وبوجندار؛ ومحمد بن على السلاوى. وعن (مكناس) بيد شيخنا ياقوتة الشرفاء مولاى عبد الرحمن بن زيدان. وعن (فاس) بهمة شيخنا محمد بن جعفر؛ وعن (تطوان) براحة اخينا الاديب محمد داود الذى بذ كل هؤلاء بكتابه الذى لا نظير له، استيفاء وتهذيبا وترتيبا. وعن (طنجة) بقلم السيد محمد سكيرج.

على أن كتاب (الغ) المتواضع الذى لا يغترف الا من وشل؛ وليسموضوعه الا بادية قاحلة؛ وادباء بدويين؛ واخبارا شخصية اقليمية؛ ليستحيى أن يقف ازاء هذه المؤلفات العظمى؛ استحياء قزم وقف ازاء عماليق من أبناء بنى عبد المدان (1)؛ ولكنه حين افاد عن تلك الجهة ما لا يفيــده غيره؛ فبحسبه ذلك قيمة بين اخوانه من هذه المؤلفات .

قيل لابن الرومى: لم لا تشبه كتشبيهات ابن المعتز؛ وانت اشعرمنه؛ فقال: انشدونى مما استعجزتمونى عن مثله؛ فانشدوا له فى وصف الهلال قوله :

انظر اليه كزورق من فضــة ... قد اثقلته حمولــة مــن عنبر

وقوله فى وصف زهرة آذريون :

كــأن آذريونهـــا ... والشمس فيه كاليــة
مداهــن مــن ذهب ... فيها بقايا غاليـــة

---

(1) قال حسان :

وقد كنا نقول اذا راينـــا ... لذى جسم يروق وذى بيان
كأنــك ايها المعطى بيانـــا ... وجسما مــن بنى عبد المدان

فصاح: واغوثاه! تالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها؛ انما وصف ماعون بيته! وما ذا اصف انا؟ ولكن انظروا اذا وصفت ما اعرف اين يقع قول من الناس! فانشد :

ما انس لا انس خبازا مررت به ... يدحو الرقاقة وشكاللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفــه كرة ... وبين رؤيتهـــا قوراء كالقمر
الا بمقدار مــا تنداح دائرة ... فى صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

وبعد: فهذا جناى فى هذا المنفى أقدمه للقارىء لقمة سائغة؛ واعتذر له ان وجد بين أثناء الكتاب عدم الوحدة فى التعبير؛ لان الكتاب كان يجمع من الزمان شتى. فيستلحق فيه كل طرف او ترجمة أو تتمة ترجمة كيفما يتيسر؛ فحينا بلغة ساذجة تسحب ذيول الفهاهة؛ وحينا يحاول ان تكسى العبارة ملاءة مذهبة يرضى عنها الذوق؛ وحينا تغلب فيه فكرة الادباء؛ وحينا فكرة الصوفية الاصفياء؛ وحينا أكون من هؤلاء العصريين الذين لا تدور اعينهم الا فى مجالاتها المعتادة؛ وحينا يجد هؤلاء ما يعدوننى به من المخرفين البله؛ وانا بين كل هذا لا أتعمل؛ ولا أتكلف توحيد التعبير؛ لاننى هكذا خلقت؛ نشأت فى زاوية؛ ودرجت بين الطلبة؛ ثم عاشرت حينا أبناء العصر، فلا بد أن أتأثر بكل ناحية أتصل بها؛ ثم تكونت منى مجموعة تضم كل ما اقتبسته من هذه البيئات .

فالله اسأل؛ أن يوفقنى للعمل الصالح؛ وأن يختار لى كل ما فيــه رضاه؛ فقد قادتنى الاقدار للكتابة حول هذه القرية؛ بعد ما كنت عزمت على أن أكتب حــول (مراكش فى عصرهــا الذهبى) (فالله يعلــم وانتــم لا تعلمون) ولو خيرت لاخترت .

وصف (إلــغ) الجغرافي

بسيط الغ البعيد عن تزنيت شرقا بـ 84 كلم. يكاد يكون مستديرا؛ تحيط به الجبال من جميع جهاته الاربع؛ فمن الشمال يبتـدىء الشمال الشرقى بجبل امقسو العالى القمة؛ وهو آخر ما يرى قرص الشمس عند وجوبها؛ ثم يمتد الجبل من شعب أكنى اديان. فجبل توكال. فالجبـــل العظيم الممتد فى كل الشمال الى (آيت وفقـا) وهو جبــل (الايغشانيين) الذى فى سفحه (ايجنى نتاكزين) - شعب العصر - ثم يحوط البسيط غربا جبل له قمة مسنونة عليه مشهد صالح يسمى ابا بكر. من بعد أن

امر بمصرك بمكان المدرسة الوافقاوية. فمتسوق يوم الخميس ازاء (صخرة تعزى)؛ ثم يسير الجبل جنوبيا الى ثنية (تيزكى نحموعيس) حيث يطلع الالغيون الى مجاط؛ وراء قرية (تافكاغت) الى الشعب الذى يطلع فيه من يذهب الى (اكادير ايزرى)؛ ثم يحوط البسيط من جنوبيه جبل آخر غير عال الا فى ناحية (تاكانزا). حيث بنى الحصن القديم؛ وهو الذى تسمى به القرية تحته (دوكادير) — تحت الحصن — ثم الى محل الخلوة؛ ثم يمر الجبل بثنية (أكنى والبان)؛ ثم الى (أكنى ادقى) الى أن يتصل البصر بجهة قرية (اكجكال) الى (تافيلتاست)؛ ثم من سمت هذه القرية يبتدىء جبل آخر غير عال. فيمر بمعدن النحاس؛ ثم بـ (أكادير وايو)، ثم يستمر الى جوار قرية (ايزدبى). حيث مدفن الشيخ سيدى عيسى بن صالح.

هذه حدود بسيط الغ من جهاته الاربع. واما حالة هـذا البسيط فانه اجرد بلقع مسطح. لا تكاد العين تجد فيه الا كدى صغيرة، واعلاها كدية اسايالك؛ ولم يكن فى اوساط البسيط الآن ماء لا من عيون ولا من آبار الا ما كان من بعض قرى فى اطرافه؛ فهناك عين جارية فى قبلى قرية (تاحواوت) تسمى العناصر؛ وقد تجرى المياه فى بعض الاعوام المطرة من آبار؛ فتسيل فى الجداول، لكنها سرعان ما تغيض متى قلت الامطار. وفى قرية (أغرابو) بآيت وافقا وفى اكلى وفى قرية (دو كادير) آبار على هذه الوتيرة؛ منها بير أمغار. والكثير هو الآبار المنتشرة فى جوانب البسيط حيث تتكون حولها القرى؛ فتستغل الآبار استغلالا عاديا فى سقى الحقول وفى بعض اشجار قليلة من اللوز والزيت والتين، وقلما ترى العين غير هذه الاشجار على قلتها، وا نكانت الارض تصلح للزياتين صلاحية ممتازة كما يقول ارباب الفن؛ ويوجد بعض كروم وليمون ورمان وخوخ ومشمش؛ ولكنها قليلة جدا؛ بل لا توجد الا فى بعض بساتين خاصة؛ واما البقول والخضر التـي يعتنـى بها، فاللفت والجزر والبصل والفول والباذنجان والفلفل الحار؛ والقرع بأنواعه. فهذه هى التى تزخر بها الحقول حـول الآبار؛ ثم ييبسون ما يفضل عن معيشتهم من اللفت والجزر والفول؛ كما يخزنون البصل والقرع؛ هذا ما يفلحونه ويسقونه .

واما ما يحرثون فى البور فالشعير وحده، لان منه معيشتهم؛ وقلما يحرث بعض اغنيائهم من آصع من القمح او من العدس او من الحمص؛ ويكاد بسيط الغ الغربى والجنوبى يحرث كله؛ ولا يفلت منه الا القليل الذى لا يصلح للحرث؛ ان كان محجرا غير منقى؛ ولا تكاد تجد منه وقت الكلا مرعى واسعا، ولذلك ينتجع الالغيون بمواشيهم منتجعات (اسافن)؛ وهو خلاء يباب متسع افيح فى الجنوب من بسيط الغ؛ اذا اخصب يكون كنزا

للمواشى الالغية؛ الا ان (بردى) فى شمال الغ الذى لا يحرث كثيرا يكون من المراعى للقريبين منه؛ ولكنه لا يكون كاسافن .

وارض الغ لا تخصب كثيرا؛ حتى انها قلما تفى صاع محروثة فى الاخصاب الا بنحو عشر الى اثنتى عشرة، ولهذا يتعذر الاتساع فى المعيشة بالغ؛ الا لمن له مستمد من خارج الغ، ويروى عن بعض حكمائهم: ان كل بلدة تسعى على اهلها، الا الغ فان أهلها هم الذين يسعون عليهـــا. وعن آخر: ان الغ لا يطيق أن يمد الساكن فيه الا بوجبة الغذاء فقط؛ هذا ان دام فيه الخصب — وقلما يدوم — واما الهجورى (1) فمن تامانارت؛ يعنى بالتمر. واما العشاء فمن ماسة؛ يعنى بذرة ماسة التى تجعل منها العصيدة؛ كما هى العادة الالغية غالبا من أن العشاء يكون بالعصيدة، ولكون الجدب والاقلال هــو الغالب على من فى الـغ؛ ترى أهل الغ يجدون ويجتهدون فى كسب المعيشة؛ ويقتصدون غاية الاقتصاد؛ ثم لا ترى واحدا منهم خاليا من أى شغل من أشغاله؛ حتى اذا جلس اليك، او كان أمام المسجد ينتظر اقامة الصلاة بعد ان يتوضأ. يشتغل بابرام حبل؛ او اصلاح دلو او وطبـــة؛ او بخرز نعله؛ او بخياطة ثوبه او رفوه او ترقيعه؛ وهكـذا ادركناهم ، ولا أزال أستحضر أحد المسنين من أعمامنا يقول: اننا اهل الغ قسمنا ايام السنة على اشغالنا؛ ففضل لنا يوم واحد فجعلناه للاتيان بالدباغ من جبل (أمقسو) .ورحم الله العلامة محمد بن العربى الادوزى الذى قــال: لا يقدر على الجمع بين الدين والدنيا الا اهل الغ؛ لما آنسه منهم من الاكباب والاشتغال الدائم، مع اهتمامهم بالدين .

ثم ان لالغ ذكرا من قديم؛ فقد قرات فى كتاب يسمى ديوان مولاى احمد الذهبى (2) جمع فى مختتم القرن العاشر؛ ان الذهبى نزل فى الغ وهناك قام بضيافته الحربيليون والاغشانيون والوافقاويون؛ ولعـــل محلا يوجد الآن فى وسط هذا البسيط يضاف الى السلطان — اغرم أكليد — كان منزل الذهبى اذ ذاك؛ ثم علمت ايضا أن الملك مولاى الرشيد مر بالغ فى سنة 1081 هـ. بعد تخريبه لايليغ؛ كما علمت ايضا ان جيشا اسماعيليا يقوده القائد الكبيرعبد الكريم من القواد الاسماعيليين نزل فى الغ ايضا عام 1124 هـ. واذ ذاك اعتقل رؤساء قرية (ايكلى) .

واما سكان (الغ) فانهم منسوبون الى القبائل التى تجاور هذا البسيط؛

---

(1) الهجورى بفتح الهاء: ما يؤكل بين الغداء والعشاء .
(2) نشرناه فى كتاب (ايلغ قديما وحديثا) .

ضرورة ان لكل واحدة طرفا من (الغ)؛ امتدت اليه من محلتها، ففي الشمال قبيلة (ايغشان) الحربيلية فان لها بعض القرى الالغية: ايكل؛ آيت الحسن اعل؛ اكني اديان؛ توكال، وارض هذه القرى محسوبة من قبيلة ايغشان؛ وفي غرب بسيط الغ: قرى اغرابو؛ دو تمزروت، تافكاغت؛ فهذه تعد من قبيلة آيت وافقا؛ وفي شرقيه قرية اكجكال تعد من قبيلة ساموكن؛ واما قرى اكادير وايو – تونين – ازار أوعيسى – ازربى؛ فهي من قبيلة أمانوز، ولم يبق الا القرى التي في الجنوب؛ فانها للمرابطين الالغيين اولاد الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد. ووراء حدود هذا البسيط من الجنوب الغربي؛ قرى اخوان هؤلاء المرابطين في (اكادير ايزدى) .

قرى (إلـغ) كلها

لنلق نظرة على كل هذه القرى البسطية ولنبدأ بالجنوب ثم الشرق ثـم الشمال ثم الغرب ، فالتي في الجنوب او كالجنوب :

١ – تافكاغت من ايت وافقا
٢ – الزاوية من دوكادير من المرابطين آل عبد الله بن سعيد
٣ – آل سليمان من دوكادير منهم ايضا . ويقطن معهم بعض الحربيليين الذين هم اصلاء في القرية
٤ – تيبيوت القاسمية من المرابطين وحدهم .
٥ – تيبيوت الواوكرضائيـة: من المرابطين وحدهم. وقد اشتروا من آل واوكرضا تلك الارض. وهم من الساموكنيين وربما قطن بعضهم هناك
٦ – تاحواوات تميل الى وسط البسيط من المرابطين وحدهم .
٧ – تافراوت كذلك ازاء التي قبلها من المرابطين وحدهم
٨ – انويدر كذلك ازاء التي قبلها من المرابطين وحدهم

والقرى التي في شرق البسيط هي :

٩ – اكجكال من قبيلة ساموكن لا يقطنها مرابطي واحد .
١٠ – اكادير وايو من قبيلة امانوز ليس فيها مرابطي واحد .
١١ – تونين من امانوز ليس فيها ايضا مرابطي واحد .
١٢ – ازار اوعيسى من المانوزيين ايضا، ليس فيها مرابطي واحد.
١٣ – ايزربى من المانوزيين بل هناك رئاستهم حديثا
١٤ – ايغيل وامان من المانوزيين ايضا

والقرى التي في الشمال او كالشمال هي :

١٥ – ايت الحس أوعلي من الاغشانيين .

١٦ – ايكل من الايغشانيين ايضا حيث كانت رئاستهم قديما .
١٧ – اكني اديان من الايغشانيين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
١٨ – توكال من الايغشانيين .

واما القرى التي في الغرب فهي :

١٩ – ذوتمزروت من الوافقاويين
٢٠ – اغرابو من الوافقاويين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
٢١ – تالزكي بين سوق الخميس وتافكاغت

هذه احدى وعشرون قرية بسيطة؛ بينها قرى المرابطين في قبيلة آل عبد الله بن سعيد التي كانت مغمورة بين جيرانها الى العهد الاخير لفقر اهلها ولكون الاقوياء من جيرانهم يستضعفونهم حتى من عليهم بهذه الشهرة على لسان العلم والادب والدين والارشاد: من يمن على الذين يستضعفون في الارض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين؛ ولولا هذه الخصال لما كانت تلك القبيلة وتلك الارض الجرداء تستحق حتى الخط بالقلم وحين كانت وطننا وفيها مسقـط رؤوسنا نجد في انفسنا ما يجده كل البشر في مثل موقفنا :

بلاد ألفناها على كل حالـة   وقد يؤلف الشيء الذى ليس بالحسن
كمـا تولف الدار التي لم يطب بهـا   هـواء ولا مـاء ولكنهـا وطـن

بسيط اجرد قفر نزاحم به تفكها – بهذا الكتاب – اهل دمشق ولبنان واصحاب النيل والرافدين. وهذا ما قدر لنا. وقديما قيل – من قر عينا بعيشه نفعه –

بعض العادات الالغية

ان لكل بيئة عادات قد توافق عادات غيرها وقد تخالفها والغالب ان عادات المتجاورين تتشابه؛ ولذلك يعلم ان غالب ما نذكره عن الالغيين من العادات لا ينفردون بها عن جيرانهم الا ما قل وندر ؛ والعادات تدخل كل ناحية من نواحي الحياة حتى الدين نفسه لا يرتكز الا بعاداته؛ ولذلك نجد كثيرين من المتدينين انما اعتادوا التدين كالصلاة والصيام وآداب السلام واعتياد القو ل الجميل؛ والاخلاق الفاضلة، والا فهم قد يتكشفون عما في حنايا صدورهـم . فاذا بهم لم يمازج الدين ولا بشاشته قلوبهم وهذا ظاهر بيـن عند كل من يزن بتمييز ولا تنطلي عليه البواطـن بزخـاف الظواهـر ولا بتمويهات الالسن (ولا ينبئك مثل خبير) .

نحن هنا لا ننظر الا للواقع المعتاد من غير ان نزن بميزان الشرع ولذلك نحكي ما كا ن للتاريخ وللعبرة وان كان بعضه من البدع او من الخرافات

او مما لا يرضى الالغيون ان يعرف عنهم ؛ لان التاريخ كالمرآة تبين كل ما يقابلها كيفما كان .

عــاشوراء

اعتاد الالغيون أن يعمد بعضهم في عشية التاسوعاء الى الغثاء الذي تتركه السيول ضفاف مسيلات المـاء فيأخذون منه وهو يضم ما يضم من أبعـــار واعواد مغار فيبخرون به الديار في صبيحة عيد عاشوراء دفعا لتأثير الجن وقد رايت عجوزا تفعل هذا اول ما نفيت الى الغ؛ فكان ذلك هو السبب حتى صرت ابحث عن مثل هذه العادات. وكذلك يعمد في سحر عاشوراء الى استقاء الماء من الآبار؛ ظنا من الساقين ان الآبار تستمد من بئر زمزم في ذلك الوقت ومن ذلك اليوم فيرش بذلك الماء جميع زوايا الديار تبركا خصوصا اهراء الزرع وحظائر المواشي .

وفي ليلة عاشوراء يخرج رعاع الشباب زمرا زمرا الى بعيـد مـن قريتهم فينادون ـ فيما زعموا ـ على الذئب ان يبعد عن غنمهم فيبنون هناك احجارا في محلات ثم يرجع الجميع وهم يغنون غناء معلوما محفوظا متوارثا الى أن يصلوا القرية فيبيتون على لعب احواش وفي صبيحة عاشوراء يبكر جميع النـــاس رجالا ونساء الى زيارة المقابر • من غير اختلاط يترحمون على أهاليهم ويتصدقون والغالب ان يصبح الرجال وغالب النساء صائمين بل ترى الفقهاء والمتنسكين يحرصون على الاثنتى عشرة خصلة التي ذكرها العلماء مـن خصائص عاشوراء من صوم وصدقة وزيارة عالم وصلة رحم ومسح راس يتيم وصلاة ركعتين وتوسعة النفقة واغتسال وعيادة مريض واكتحال وقلم اظفـار وقراءة سورة الاخلاص الفا واهل الحديث يعلنون انـه لا يصح من هـذه الا الصوم والا التوسعة على العيال الذي ورد في حديث حسن وقد رأيت احد عمد الالغيين من اهل العلم يوصي بغسل ثيابه ذلك اليوم وكذلك يجتمع اهل القرى على توزيع بقرة ونحوها يفرقونها على الديار ويؤجلون في ثمنها بضمان ومن كانت لهم غنم لها راع فان مغرس ذنب كبش عيد الاضحـى الذي جعل قديدا يعطى في يوم عاشوراء للراعي وهو ياكله في ذلك اليوم (١) وهم يحرصون على ان يستدير شيء من قديد الاضحية على دور السنة فــي ديارهم تبركا به

١ ـ وهذا مما تشارك فيه الحواضر الغ، فان ذنب الاضحية يخبأ عندهـم ايضا قديدا الى ان يوكل يوم عاشوراء• الا ان اهـل الرباط وفاس ياكلونـه انفسهم• واما الالغيون فانهم يوثرون به الرعاة• لان الرعاة اولى به• لكونهم يلاقون المشقة فيـه بالرعـي

هذا ولا يشتغل بهذه العوائد في عاشوراء الا الرعاع والعجائز واما العقلاء فانهم لا يتنازلون الى تلك الميادين ـ وحاشاهم ـ فانهم لا يزالـون ضد هـذه البـدع .

ليلة المولد

في الغ زاوية للفقراء ومدرسة للعلماء وكلتاهما تعمر في ليلة المولد النبوي. فالزاوية بالاذكار ورب المدرسة يملأ مجلسه بالامداح النبوية وقد اعتاد العلماء والطلبة الذين يجاورون الغ ان يحضروا في تلك الليلة التي تتلى فيها بالتغني على السنة المنشدين قصائد البوصيري من الهمزية والبردة وبانت سعاد ثم تقال قصائد نبوية على السنة اصحاب القريض من الحاضرين فمن هنالك منبع كثير من قصائد شيخنا سيدي الطاهر بن محمد، فيلقيها بنفسه ان حضر؛ وان لم يحضر يرسلها من افران فتلقى هناك في حضرة شيخه سيدي علي بن عبد الله؛ فهناك مطلع قصيدة من هذه القصائد النبوية الطاهرية :

بـــرح الخفاء وصرح الوجد　　　وبدا الذي ما خلته يبـــدو

ومطلع اخرى همزية :

راى برقـا بكاظمـــة مساء　　　فامطر مزن مقلته دمـــاء

ومطلع اخرى وازن بها البردة :

بطيب ما نقلت عن جيرة العلم　　　ريح الصبا يشتفي قلبي من الالم

والاخرى وازن بها (بانت سعاد) :

دع عنك لومي فما التعذال مقبـول　　　(بانت سعاد فقلبي اليوم متبـول)

والاخرى مطلعهــا :

سرى طيف سلمى فسل ما اثـارا　　　اثـــار دموعـا واورى أوارا

والاخرى مطلعهــا :

بارق الرقمتين جـد ائتلافـا　　　فجفوني القرحى ابت ان تلاقى

والاخرى مطلعهــا :

اذا اغبرت الارجاء من آلهاشم　　　بوارق غيث من رباءال هاشم(١)

الى آخر ما هنالك من القصائد المولدية الطاهرية؛ وغيرها، وهي عشرات سنذكرها في ترجمته ان شاء الله

(١) شام البرق : اذا لمحه • والال : السراب • وبهذا يفهم الشطر الاول من البيت •

ومن العادات المولدية، ان بعض العجائز من المتحجبات اللاتي لا يحضرن في ملعب احواش تنتحي وحدها الى زاوية من زوايا حجرتها حيث تعلق ثيابها على عود معروض – ويسمى عندهم احمـال – فتقف ازاءه فترقص رقصا متواصلا، وهي تغني بامداح الرسول فرحا بليلة مولده، تفعل ذلك احتسابا وتيمنا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا طلعت الشمس في عيد المولد ترى بعض الناس يرقصون لها ويقولون ما يدل على ان الشمس انما استمدت انوارها من نوره صلى الله عليه وسلم

العرس

متى اريد ان يخطب انسان بنتا، فانه يبعث احد اهله او اصحابه ليخطب ويعدون من المجابهة والوقاحة ان يخطب الانسان لنفسه ، كما يرون مثل ذلك في ان يعرض انسان بنته على آخر من غير ان يخطبها، يذهب الخاطب بشيء ما يقدمه بين يدى نجواه : قوالب من سكر او كبشا حيا او مسلوخا او سطل سمن مع خبز. ثم اذا قبل المخطوب اليه فانه يملي شروطه والغالب ان تكون نعال كل من في دار أهل السيدة ؛ وحليا خاصا يبينون نوعه من الاسورة والخواتم والاخراص والقلائد واللبان والثياب، ومن الغنم او البقر عند بعضهم ثم يتواعدون يوم العقد ، فيرسل الزوج من ينوب عنه ويختاره من ذوى اللباقة ومعرفة الاثمان، ومن اهل الوقاحة الذين لا يستحيون ويذهب معه بعض نساء اهل الزوج واهل الوجاهة والمختارون من اصحابه، فيتكون هذا الوفد الـذي يسمى – اسلان – ويذهبون بالسكر واللحم والخبز ، فاذا طعموا في دار اهل الزوجة قدموا ما اتوا به مما هو شرط فاذا حازه اهل الزوج، يستخرجون كل ما أعدوا للزوجة مع ماأتى به الزوج كالشرط أويهدى للزوجة أو قدمه أهلها لها، فيقدم ذلك كله وهو مكوم أمام الحاضرين شيئا فشيئا؛ فيقدر لكل شيء من الثياب والحلي وما اليهما الثمن الخاص ، فاذ ذاك تكون المعركة فيغالي في اثمان هذه اهل الزوجة ويماكسهم اهل الزوج وربما ادت هذه المماكسة الى تفـرق الجمع بلا عقد، ولكن ذلك قليل جدا لان المجلس لا يخلو ممن ترضى حكومتهم بعد المماسكة. ولهذه المماسكة يعتني الزوج باختيار وكيله؛ ثم يكون العقد فيتلقى فقيه المسجد الرضا من الفريقين ، والصداق مـن الدراهم هـو شيء معلوم في كل قبيلة قبيلة في تلك النواحي، ولذلك لا يذكـر فـي الشروط المذكورة وانما يكتب عند العقد وفي المجلس يحوز وكيل الزوج كل ما توصل به من اهل الزوجة حتى يدفعه للزوج ، هذا والالعاب اذذاك تقام على العادة خارج الدار رجالا ونساء، ثم ان غالب الالغيين يزفون العرائس نهارا مـن دارها الى دار زوجها، او من قريته الى قريتها على البغال، واذذاك تخرج العجائز

اللاتي يجلون العروس بأغانيهن؛ ويركب وراء العروس على البغلة ولد يحيا والداه ثم لا ينزل حتى يعطى شيئا من الدراهم ويسمى الخاتمية وكذلك يقع لها حين تخرج من دارها فان اخاها او واحدا من اهلها يقف امام باب دارها فلا يتركها تخرج حتى يغرم زوجها شيئا؛ ومثل هذا يكرر امام دار الـزوج فان العجائز الجاليات لا يدخلن حتى يعطين ايضا دراهم يسمونها بتلختمت – نسبة الى الخاتم – ويقف الزوج فوق السطح ويطل على باب الدار فيلقى على العروس نثرا من الزبيب واللوز والتمر ، فينتهب ذلك، وقد كان الشيـــخ الوالد سن لقرية آل سليمان اهله الاخصاء في اعراسهم عرسا يخلو من كثير من هذه العوائد حتى ان العروس تجلى تحت الظلام وفي صبيحة الجلـوة يذهب بالعروس الى اقرب بير لتسقى الماء فيجعل الماء في اناء نحاس يكون من جملة ما تأتي به من عند اهلها فيتجاذب الاناء المملوء بالماء بين اهل الزوج واهل الزوجة فمن غلب سقوا صاحبهم او صاحبتهم ويرون ان من سقي اولا مـــن الزوج او الزوجة لا يزال يغلب صاحبه ، هذا والالعاب تقام فـي دار الزوج حتى يطعم الناس والعادة ان ياتي مع الزوجة من كل اقاربها كل من دب ودرج، وعهدنا بعرس الفقيه سيدى المدني لما تزوج من الايغشانيين جاءوا بنحو ثلاثمائة وهكذا كل من يقصد النكاية باهل الزوج ، وقد يتعنت احيانا اهل الزوجـــة فيأبون ان يطعموا حتى يقدم لهم أهل الزوج مكتلا مملوءا بالحلي ليعلموا ان بنتهم حلت في دار غنى وثروة ثم لا يكون ذلك الا ان تراه العين ثم يرجع الى مكانـه ثم بعد اسبوع تزور العروس أهلها. ومتى ولدت الزوجة ولادتها الاولى ياتي اهلها – ولا بد – اما بثور او كبش. ومتى بلغ الولد الاول ان يمشي فاول نعل يحتذيها حذاء ياتيه من اخواله، وعند حلق رأسه بادىء ذي بدء لا يحلقه الا اخواله ، مع شرط ان يهبوه شيئا ما ،

العقيقة

ترى النساء ان النفساء نالت من العنت ما نالت به غفران كـل ذنوبـــها فيحرصن على ان يزرنها في الثلاثة الايام الاولى وتذهب كل واحدة بدقيـــق وعليه بيض ولا يصنع لهن الا العصيدة ثم قبل يوم العقيقة ترسل الوالدة من تستدعي النساء للحضور في العقيقة كما يستدعي الزوج ايضا الرجال وفي صبيحة يوم العقيقة تقوم عجوز من عجائز الاسرة تلف امامها الصبية ليجمعوا اغصانا من الاعواد الصغار لتخبز بها (توفديلت) – وهي خبزة كبيرة يغطى مخبزها فيوقد تحتها وفوقها – وطالما فعلت بنا عجائزنا ذلك فنفرح له ثم اذا ذبـح الكبش يعمد الى الكبد فتشوى على الجمر فيقطع منها لكل من في الـدار وتحرص النساء على ان لا يغفل من الاكل منها احد ويقلن ان ذلـك يسبب

معية الولد . وفي وسط النهار تجتمع النساء على حفلة عصيدة اولا ثم تقدم كل واحدة منهن ثيابا للمولود ودراهم زيادة على ما يوتى به من السكر واللحم والسمن من عند الاسر اللاتي تتعاطين بينهن ذلك ثم تجتمع الحاضرات تنظم قلادة المولود فتمنح كل حاضرة من قلادتها اما لبانة او عقيقة او قرشا ــ خصوصا القروش المربعة التومرتية. واراها كثيرا في قلائد الصبيان الالغيين ــ ثم اذا نظمت القلادة يذهب بها الى مخزن الزرع فتجر عليه تفاؤلا ان يكون المولود ذا رزق حسن ويستدعى الطلبة في العقيقة كما يستدعون في الاعراس وفي يوم من ايام رمضان لقراءة ختمة من القرءان والطلبة دائما في الــغ يعزلون على حدة تعظيما لهم ورفعا لشأنهم على العوام

الحذاقة

متى ختم التلميذ القرءان تزوق لوحته بابيات شعرية مهلهلة تستديــر باواخر البقرة ــ آمن الرسول الى آخرها ــ ويذهب مع التلميذ كل طلبــة القرية وهو في لباس جميل، يدورون به في القرية ويزيرونه مشهدا يتبرك به ثم يكتب كل واحد من الطلبة في اللوحة كلمة من حزب الرحمن ثم تقام حفلة يحضرها الطلبة عند ابي التلميذ فيختمون القرآن على العادة. وهذه الحفلة لا تتجاوز يوما واحدا كالعرس نفسه. لان الالغيين مقتصدون لفقر بلادهم .

وقد اعتادوا ان ياتي التلاميذ في كل اسبوع من كل يوم اربعاء ببيضة الى الاستاذ وان يوتى اليه بالبسيس والتمر او باحدهما كلما افتتح التلميــذ حزبا من الاحزاب ويسمى ذلك (تانعريفت)

العواشر

متى اعلن استاذ المسجد لتلاميذه العواشر فانهم يحملون لوحة مزوقة بآيات من القرءان ويغلفونها بزيف احمر او ارقط فيجعلونها فوق قصبة فيحملهــا احدهم فيدورون امام الديار بقفة كبيرة يضعون فيها الزرع الذي يعطى لهم من الديار؛ والنساء يتبركن باللوحة والتلاميذ يرفعون اصواتهم بنشيد خاص لهذا الموقف فيه تمجيد القرءان وحملته .

الختان

يجتمع اهل المختون والجيران، واهل القرية في مكان؛ حتى اذا حضر الطعام؛ تنحى الطلبة، فقراوا ختمة من القرآن؛ ثم يلتئم الحفل؛ فيوتى

بالصبي، فيختن وسط كل الحاضرين وهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم وه (ابراهيم خليل الرحمن) في الشمودة خاصة لذلك؛

الحصاد والدراس وما اليهما

ادركنا الالغيين اعتادوا أن يتعاونوا على اشغالهم ــ كالعادة في كل تلك النواحي ــ بل ينظمون كل اشغالهم العامة بنظام خاص؛ وقد جعلوا غرامة معلومة لكل من تعدى ذلك النظام؛ فلا يمكن ان يذهب اي انسان لجني اللوز من حقله الا متى اذن في ذلك الاذن العام؛ وكذلك يحافظ على الحقو لوالمزارع، فلا يزال الحراس الذين يجعلون لذلك في تيقظ وجولان؛ فما وقعوا على بهيمة وغلت الى حقل او الى مزرعة الا غرمــوا صاحبها ــ وتلك الغرامات هي اجرتهم ــ حتى الحصاد والدراس لا يفتتحان الا متى اعلن ذلك بالنداء فوق المسجد؛ ومن تاخر في الحصاد لكثرة مزروعاته؛ يتداعى اليه الناس فيعينونه؛ وعليه الاطعام؛ ثم لا يفتتح الدراس حتى يتم الحصاد، وتنظم كيفية الدراس بالتتابع؛ فاليوم لفلان ثم لفلان؛ والدراس يكون بالبهائم المجتمعة من كل اهل القرية. او ممن يلتئمون على ذلك؛ وكل من سخطت عليه القرية؛ فانه ينبذ من هذا النظام؛ ومتى كان الدراس في بيدر احدهم، فانه يذبح كبشا ويطعم الناس؛ ولذلك لا تزال عندهم ايام الدراس ايام الحفلات؛ وللالغيين همة معلومة مذكورة في اشغالهم؛ فاستحضر ان بيدرنا الذي كان يستخلص منه اذ ذاك ــ ونحن صغار ــ نحو عشرة آلاف عبرة؛ يدرس في يوم واحد لكثرة البغــال التي تجمع وليبس المدروس، ثم ان هذا النظام لم تزل عراه تنتقض شيئا فشيئا الى الآن؛ وقد حكى لي الفقير احطيو كيف كانت صرامة النظام واحترام الحقول في سفي قريتنا: دو كادير؛ منذ عقله من نحو 1280 هـ. فذكــر العجب العجاب الذي ادركنا نحن بعضه .

الجنائز

انّ مما اختصت به الغ ان لا نياحة في جنائزهم؛ حين تخرج من الدار فكل ما هناك بكاء النساء والصبيان داخلا. حتى ان الخارجين لا يسمعون بكاء الداخلات المفجوعات؛ وطالما حضرنا امثال هذه المواقف، فلا تحس الا لوعة في الصدور؛ او دموعا تترقرق مغالبة في العيون؛ مع تجلد المصابين؛ والميت يغسل على السنة ويكفن ثم يحمل في الشبكة، ولا يعرفون الآلــة الحدباء التيذكرها صاحب (بانت سعاد)(1)؛ ثم يصلى عليه عند القبر؛ وتقرأ

(1) كل ابن انثى وان طالت سلامته   يوما على آلة حدباء محمول

سورة يس عند الاقبار. ثم يلقن الميت امثل الحاضرين؛ ثم يستحضر الطلبة في اليوم الثالث والمساكين؛ فيختم القرآن ويطعم الحاضرون؛ والبيت الذي يتوفى فيه لا يزال يبخر ويحترم الى ان تضعف ذكرى الميت؛ وتتعمد الثكلى المحدة ان لا تلبس الا الثياب التي لا تلفت الابصار، ولاتكتحل ولكنها لا تترك الغسل والاغتسال ولا تقرب الصابون في غسل ثيابها؛ فيما قيل لي؛ ان هناك الا الاشنان .

الحرف والصنائع

مما يتعجب منه المطلع في كل نواحي المغرب، انه يجد في كل جهة من الحرف والصنائع ما تدعو اليه الحاجة الحيوية؛ فلو كنت الآن بصدد كل ما اعرفه في سوس؛ من الصنائع التقليدية التي ادركناها لتعجب القارىء من حدادة في كل انواعها التي من بينها صناعة السلاح من البنادق على الطراز القديم؛ ومن السيوف والسكاكين بانواعها؛ وهي صناعة سملالية، ومن الصياغة العجيبة؛ حتى ان الحلي السوسي له ميزة خاصة؛ واما صناعة الصابون والجلود من الاكياس والجرب والقرب والوسائد وهي — صناعة ممتازة — فانها منبثة في جزولة وخصوصا في آل حامد، وكذلك صناعة السروج؛ بله الاكف؛ ولهذا الموضوع ذيول؛ لعلنا نؤدي له حقه مرة اخرى.

نعم ان الذي يهمنا الآن هو الحرف والصنائع الالغية؛ وهي قليلة غير متسعة، لان اعمال الالغيين انما تدور حول الآية الكريمة: كلوا وارعوا انعامكم. فقد كان الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله يقول: ان هذه آيتنا نحن الالغيين .

الحدادة

توجد الحدادة في قرية (دو كادير) في أيدي اناس سود يتوارثونها من قرون؛ وهم عدة اسر؛ وكذلك في قرية (ايكلي) من القرى الايغشانية؛ كانت فيهم ايضا تالدة. والعادة ان الحدادة كاستاذ المسجد؛ يعطيه من يستخدمونه في اصلاح محاريثهم او في صنع حدائدها وما الى ذلك اجرته على راس السنة من البيدر حين يجمع كل واحد محصول فلاحته؛ ومن اسماء الحدادين الالغيين من يسمى : بعل ؛ وآخر أوشنا لقبان لهما • وقد درجا الآن وتركا اولادهما؛ وقد اغتنم بعض الالغيين الادباء هذين اللقبين فورى بهما في هذين البيتين :

وكم عانس بكر تخطت زواجها
الى ان غدت تقلي وتشنا لدى الاهل

اذا اصبحت نادت الا ليت لي نوى
من (اشنا) لديهم والرواح الى (بعل)

وحدادو (ايكل) امهر واكثر اتقانا؛ بل هناك صناعة المجامير، التي تتخذ — حديثا — من البراميل؛ تذكر فتشكر؛ وتخطت (تفراوت) لخفتها وطلاوتها ورخصها الى الحواضر لرواجها .

النجارة

اما نجارة المحاريث مقابض والمعاول والمساحي؛ فقد يحسنها غالب الناس، كالفقير محمد بن المؤذن الذي مات اخيرا في قرية (دو كاير)؛ والفقير بلقاسم السوقي الوافقاوي؛ واما النجارة المتقنة في الابواب والنوافذ والاخونة والموائد ؛ فانها في قرية (ايكلي) وهي الآن في أولاد موماد فانهم من احذق من هناك في صنائع متعددة؛ واعظمها النجارة البارعة التي تضارع نجارة الحضريين، وهم الآن المذكورين في كل دائرة (تافراوت) لا في الغ وحده .

الدباغة والحذاءة

اشتهرت قرية (تاحواوات) بالدباغة؛ ومن اشهر الدباغين هناك الفقير بلقاسم بن احمد؛ في داره مدبغة يقصد لذلك؛ وهي حرفته؛ على أن هذه الحرفة يحرص كل الالغيين أن يزاولوها، فلا تكاد تجد اى واحد لا يحرص ان يدبغ جلد اضحيته بنفسه ليتخذ منه دلوا اوجرابا او وطبا؛ او خمرة لصلاته او يتخذ منه كل ما يتوقف عليه في داره؛ وقد رايت فيما قبل ان ما يدبغون به يستوردونه من جبل (امقسو) ازاءهم ويسمى عندهم (ايركل)• وفي جبل امقسو اجمة لا باس باتساعها. وقد حماها اليوم رئيس الغابات .

وما قلناه في الدباغة نقول مثله في صناعة الاحذية، فانها وان عمت مزاولتها فهناك اناس اختصوا بهذه الحرفة؛ كمحمد بن مسعود التيوتي؛ ومحمد بن محمد من آل بلقاسم بن محمد التيوتي ايضا؛ وقلما يتفرغان هما وامثالهما الا لهذه الحرفة؛ ولاهل (تاكانزا) التي تطل على الغ صناعة الاحذية الخاصة بالنساء، ولها لسان طويل يغطي بعض الساق؛ اشبه شيء بالاحذية الفرنجية؛ والمشهور محمد بن قاسم ثم اولاده في (تاكانزا)

الاكافة

الاكاف حلس البغل او الحمار ؛ وقد اشتهر بها من قرية (دوكادير)

الفقير ناصر المتوفى اخيرا؛ وابن العربي؛ وابن همو؛ في قرية (تافراوت) (١) وهذه الصناعة شريفة عندهم مطلوبة؛ يحترم اهلها لاحتياج كل ذي بغل او حمار اليها؛ ولها ثمن، حتى ان الاكاف قد يصل ثمنه الى الف ريال واكثر الآن 1358 هـ.

الحبالة والشباكة

لكل واحد من الالغيين يد صناع في فتل ما يحتاج اليه من الحبال البسيطة؛ حتى الشيخان سيدي الحاج علي. وسيدي علي بن عبد الله. – وهما ما هما – يبرمان بايديهما ما يتوقف عليه العمل. حين يقفان على اعمال الحرث والحصاد؛ وعلى خياطة الاحمال عند الاسفار؛ الا ان اتقان تلك الحرفة وابرامها وفتلها هي من صناعة الوافقاويين، فلهم حذق في صنع انواع الحبال الرقيقة والغليظة والجواليق والزنابيل، وفي صنع الشباك من الحلفاء او من الفدام ان اتى بالفدام من محله (تامانارت)؛ ومما يصنعونه من الحلفاء احذية تلبس في اوقات الشتاء في الطين. وقد قال بعض الالغيين من قطعة قيلت ارتجالا يداعب بها بعض الوافقاويين :

خلق الله للحرير اكفا ... وأكفا لصنعة الحلفاء
حرفة الالغيين فتل حبال ... وشباك ودبغهم للدلاء
غير ان المرابطين منهم اتيحوا ... عن سعود لمنصب العلماء
فبنو وافقا لفتلة حبل ... والسعيدي لفتله البلغاء

نساجة الصوف

اشتهرت الالغيات باتقان نسج الصوف شهرة تامة؛ حتى ان جيران الغ وكل من يلم بالغ يوصون بان ينسجن لهم ما يريدون بالاجرة؛ وقلما تجد دارا تخلو من مناويل النسج. ولهن عوائد خاصة حول النسج؛ كيوم خاص لا يفتتحن فيه النسج؛ فمتى فعلت فاعلة غير ذلك فان المنسوج تصيبه مصيبة؛ ويحكين ان بعض العلماء السنيين انكر عليهن هذه الخرافة، فاذا بثور اصطدم والمنسوج فهتكه. فقال لهن: ان علمكن ايها النساء اصح؛ ولكون نسج الصوف في الغ هو حرفة الدار؛ تجد غالب اللباس منه؛ وهناك بعض العجائز لا يتقوتن الا من النسج، كالفقيرة الصالحة فاطمة

(١) هذا اسم قرية في بسيط الغ، وهناك (تافراوت) مركز المقاطعة في قبيلة املن .

(تابوبليت) وامثالها؛ وقد كان الالغيون يحرصون الى الآن ان يكون لكل واحد منهم غنم ليلبس من صوفها؛ وينتفع بثمن ما يبيعه منها؛ واما ان يذبح منها. فيكاد يكون حراما؛ الا في بعض الفترات من عند بعض كرمائهم لا تخرق اجماعا، ولا تثلم قاعدة؛ فلم يعتادوا الا التنمية للمواشي سنة عن سنة؛ حتى ياتي بعض الاعوام المجدبة فيسنتون فتذهب مواشيهم مواتا؛ ثم يستجدونها ايضا. متى وجدوا لذلك سبيلا؛ وقد بت مرة انا وصبية من اهلنا في مرتبع الغ (ايسافن) وباتت حوالينا من اغنام الالغيين ماتّ بعضها لمن هم آقاربنا؛ ثم لم ناكل اللحم الا بشرائي لخروف من عند بعض اصحابنا منهم، فلم يجل في اذهانهم ان هذا بخل عظيم؛ مع ان لي عندهم ما يزعمونه من الاجلال؛ واين هذا ممن كنا نبيت في قبائلهم في الحوز؛ أوليس من يحضرون منهم ينشدون ما انشده الاعرابي :

واذا تامل شخص ضيف مقبل ... متسربل برداء عيش اغبر
اوما الى الكوماء هذا طارق ... نحرتني الاعداء ان لم تنحري

لكنني في الحقيقة اعذر القوم. فانهم في بلد مقفر. لا يمكن ان يعيشوا فيه الا بالتقتير الشديد؛ والكزازة التامة – وقد كدت آكون كذلك الآن – ومن دخل ظفار حمر (١)

لا تعذل المشتاق في أشواقه
حتى يكون حشاك في احشائه

الخياطة

علم الطلبة باتقان الخياطة في جميع نواحي سوس؛ حتى ان الطلبة السوسيين الذين يشارطون في الحوز وما وراءه ؛ يتخذهم من يشارطونهم كخياطين رسميين في القرية. لما عسى ان يتوقف عليه احد من اهل القرية؛ فينتفع بالاجرة الاستاذ زيادة على اجرة المشارطة؛ والطلبة الالغيون في عرض جماعتهم هذه في هذه الحرفة. ولذلك ترى الكثيرين من الذين يجيدون الخياطة في اثواب الصوف من السلاهم والجباب هم من الطلبة؛ بله ثياب الكتان. فهذا سيدي محمد بن الحسن التياسينتي؛ والسيد علي الاحطيوي من اهل قرية (دوكادير) اشتهرا كنظائرهما في اتقان هذه الحرفة؛ يقصدان بها من الالغيين وغيرهم؛ وقلما تخلو قرية من امثالهما .

(١) ظفار كحذام: مدينة لحمير باليمن. معناه: من دخل هذه المدينة تكلم بلغة حمير. وهو مثل مبني على حكاية .

الرفـادة

اذا كان هناك كثيرون يحسنون الخياطة للجديد بكل انواع الخياطة؛ فان رفو القديم خصوصا ما يقع في وسط المنسوجات الصوفية من خروق؛ يحتاج الى حذق خاص؛ ولذلك يقل من يتعاطاه، ويسمى؛ (تاغزديست) وكثيرا ما اتعجب من ذلك الرفو اذا اتقن؛ فانه يكاد يكون كالاصل (وقد رايت مثل هذا من عند مصرى رفا لى ثوبا فى المدينة المنورة فى حجتنا 1363 هـ. فلم اكد اتبين ما بين الخيوط الاصلية والجديدة؛ كانه لم يتخرق) ولم ار فى المغرب فى رفو الصوف مثل ما رايت عند الالغيين؛ ولعل قلة الثياب عندهم والحرص على استدامة القديم حتى يعود كطيلسان ابن حرب(1) هو الذى يحملهم على اتقان هذا الرفو العجيب، وهذا الترقيع مالوف عندهم حتى عند غير المدقعين؛ حتى فى الاحذية فانها ترقع حتى ينمحى الجلد الاصيل احيانا ؛ وكل ما يعاب فى بيئة قد يعد مالوفا فى بيئة اخرى ٠

الخزافـة

لهذه الحرفة رواج عند الالغيين؛ لان من عزمهم ومن ولوعهم بالتكسب ان يصنع كل واحد فى داره عشرات او مآت من الاوانى قدورا ومخابز ومعاصد وقصاعا وطواجن واكوابا وكل ما يحتاج اليه، فيستهلكون فى دورهم على دور السنة ما يستهلكون؛ والباقى يذهبون به الى (تامانارت) وقت التمر فيبيعونه بالتمر؛ ولكـــن صناع هذه الحرفة الحاذقين انما يستوردون من (أفلاوكنس) من بعقيلة ؛ وقلما يتقنها الالغيون ٠

الحجامة

لم اعرف الآن من الحجامين الالغيين الا الحاج الناجم من المرابطين من قرية دو كادير؛ والا السيدة بنت الفقير على بن يوسف التوكالى، ذاك للرجال. وهذه للنساء؛ وقد ينتجعان بصنعتهما القبائل المجاورة؛ وهناك حجام آخر سموكنى قطن الزاوية العليا يسمى ابن سى مبارك؛ ولكنـــه لم يشتهر كثيرا، كما ان هناك حجاما آخر من دو كادير غير انه جلا عن الغ؛ يسكن (تامانارت) او فى (تيندوف) وهو عبد بن المحفوظ؛ ولكنه الآن ليس من الالغيين ٠

(1) فى هذا الطيلسان قطع شعرية لشاعر. وتوجـد فى كتـاب (زهر الآداب) الحصرى ٠

معدن النحاس

انتذا نرى ان لالغ الفقيرة المسكينة طرفا من كل ما يحتاج اليه فى الحياة من الله اللطيف الرحيم عليها به؛ فنزيدك الآن ان التعدين ايضا من جملة تلك المنن فان فى كدية ازاء قرية اكجكال؛ معدن النحاس متوارثا. فيها غيران تمتد تحت الارض بطول الازمنة، كان اهل هذه القرية يعملون فيها هماومن اذنوا لهم؛ فقدكان المعدنون يستخرجون منذ اجيال النحاس من المعدن ثم يبيعونه خاما الى مدينة (تازالاغت) فى نحو القرن السابع وما قبله؛ او الى تارودانت المشهورة بصناعة النحاس. وقد الم المؤرخ عبدالواحد المراكشى باخبار هذه الصناعة فى عصره بسوس توفى نحو: 624 هـ.

لهذا المعدن حديث فى ايام الاحتلال؛ حين عزم المحتلون ان يزيلوه من ايدى اصحابه؛ وقد اثاروا عليهم جيرانهم المانوزيين، ولكن اصحابه الاكجكاليين دافعوا بحججهم وبرسوم ملكياتهم؛ فاستطاعوا ان ينتزعوا معدنهم من شركـة استعمارية كانت بدأت بالفعـل فى العمل ٠ وها هو ذا الآن المعدن ينتظر شركة الغية تستورد الآلات الفنية لتقوم بالعمل بالجد الموافق للعصر. (ثم بعد الاستقلال عمدت الحكومة الوطنية الى العمل فيه. من غير ان يوخذ راى مالكيه الاصليين) مع ان ذلك يخالف القوانين ٠

العلم والتدين والاخلاق العامة

معلوم ان للسوسيين عامة من روح التدين؛ ومن مراعاة اخلاق الفضيلة ما لهم؛ وخصوصا منهم الجزوليين، حيث كثرة المدارس والزوايا وبيوتات العلم؛ ولمكانة الغ. من جزولة كان لها ما لها، منذ نزل هنالك المرابطون ابناء الشيخ عبدالله بن سعيد؛ فقد وقفت على وثيقة كتبت حوالى عام؛ 1090 هـ. يوصف فيها هؤلاء المرابطون باوصاف محمودة مغبوطة. شهد لهم بتلك الاوصاف فيها ثمانية عشر عالما من جيران الغ ـ ويجدها القارئ فى ترجمة الشيخ امامه ـ ثم لما بنيت المدرسة الالغية. ثم الزاوية ازاءها، ظهرت الغ بمظهر آخر خفقت به الالوية؛ وسالت اليها ومنها الركبان؛ فمن رائد للمعارف؛ فيروى حتى يضرب بعطن؛ ومن مستجل لمرآته بالتصوف، فاذا به تشرق سريرته بالانوار. وقد كانت فى الغ مدرستان قبل: احداهما فى (ايزربى) ولكنها لا تذكر قط؛ الا باسم المدرسة؛ ولم تود اى عمل فى ميدان التخريج، وثانيهما المدرسة الوافقاوية التى كانت منذ اسست بايدى السادة الكرسيفيين آل العالم؛ قد تضىء حينا بنويرة من العلوم؛ ثم تنطفىء احيانا؛ ثم لم تؤد عملا يستحق ان يبقى لها خلودا. ولكن المدرسة المرابطية

لم تكد تؤسس عام 1207 هـ. حتى صار المتخرجون منها تطفح بهم الطرقات وتتموج في سوس اولا؛ ثم في الحمراء بالرميلة، ثم في تطوان بابراهيم الالغي؛ ثم في ابن كرير بابراهيم بن احمد وابن ناصر؛ ثم بعد ذلك ذهبت فروع التخريج بمن تخرجوا من الرميلة. ومن بين ايدي ابراهيم كل مذهب؛ وما يوم حليمة بسر، وقد قال القاضي سيدي موسى الروداني ما معناه: « لانعلم اليوم من يؤدون في سوس للعربية وللادب الواجب الا الالغيين».

هذا مقام الالغيين في العلم الذي يلد العمل؛ وهو التدين؛ فيغلب على كل الغي ملازمة الصلاة في الصف؛ والحرص على صلاة الجماعة في السفر؛ وهم مشهورون بذلك؛ ومساجدهم عامرة فيها مجتمعاتهم العادية، ولم يسر الضعف الى هذه الناحية منهم الا بعد الاحتلال؛ ثم هم مع ذلك لايزال تارك الصلاة منهم قليلا؛ ويعد في كل قرية من لا يبالون بالصلاة؛ والعادة ان يقدم للضيف اول ما يطرق الوضوء؛ ثم مصاحبته الى المسجد في كل صلاة، ونساؤهم كذلك يغلب عليهن الصلاح؛ وقلما تجد من لا تصلي منهن؛ ويأتممن بالمسمع من فوق سطح المسجد؛ وعهدي بمساكننا في (دو كادير) تقام فيها الصلوات في خمسة محلات: زاويتنا من الاسفل. ثم مسجد آل سليمان، ثم مسجد الحربيليين. ثم مسجد الزاوية العليا؛ ثم مسجد المدرسة في سفح الجبل وتسمع الاذانات في كل وقت؛ ويقوم المؤذنون في الاسحار باذكارهم من قبل الفجر؛ وعادة الالغيين التبكير في أشغالهم ، فكل سفر يبكر اليه من قبل الفجر، وحين لم تكن الصلاة فقط المظهر الخاص للتدين؛ فان لهم في اخلاقهم وفي امانتهم وفي مثلهم العليا مظهرا اسمى واعلى؛ فيقل الكذب والنفاق والخيانة والعهارة؛ بل كان هذا كله أقل القليل في الجيل القديم؛ ولم تشع هذه الاخلاق الفاسدة الا بعد الاحتلال الذي جر كل وبال على المغرب؛ وقد كان شيوخ الغ حرصوا على قطع الالعاب التي تفسد الاخلاق ولكن حدث بعدهم ما حدث، ولله في خلقه شؤون؛ والالغي على كل حال تجده غالبا متفقها في ديانته يعرف الحلال من الحرام؛ وان حادثك تسمع الحكمة ـ وان لم يكن الا عاميا ـ لمصاحبتهم للعلماء .

واما اخلاق القوم من الشجاعة فلا أكذب على الله وعلى التاريخ؛ فانهم مستضعفون بين المجاطين والبعقيليين والحربيليين والمانوزيين ممن لايردون الماء الا عشية (1) ولا تقضى حاجة واحد منهم ولا يتوصل بحقه الا بخفارة مجاطي او بعقيلي او حربيلي؛ وما ذلك الا لانهم ليسوا من ذوي السلاح؛ ولا من ذوي عصبية تناصر اخاها ظالما او مظلوما، خصوصا نحن المرابطين؛

(1) قال بعضهم في قوم مستضعفين من قطعة :

ولا يردون الماء الا عشية   اذا صدر الوراد عن كل منهل

فاننا نكاة كل قوي؛ ومرمى لكل سارح؛ فلذلك كان لكل اسرة مجاطيها او بعقيليها؛ يذود عن حماها؛ ويرد لها حقوقها، وهكذا كان الحال من قرون الى ان جاء الاحتلال؛ فاستوى الماء والخشبة؛ فامكن للمرابطين ان يكونوا قبيلة كالقبائل، فتستطيع ان تتملص ممن كانوا ياخذون كل اسرة بالاتاوة فنفعهم الاحتلال من هذه الجهة ـ ومصائب قوم عند قوم فوائد ـ .

هذا وقد عرف الالغيون بانه لا عرف عندهم يذكر؛ ان هناك الا الشرع فبه يحكمون؛ واليه يتحاكمون؛ وعاداتهم قبل الاحتلال ان من له دعوى يرفعها مع خصمه الى بعض الفقهاء تحكيما؛ يشهدان بذلك على انفسهما. ثم ان لم يقبل المحكوم عليه الحكم ترفع الدعوى الى فقيه آخر يسمونه المفتي، كالاستيناف؛ وبذلك تقطع جهيزة قول كل خطيب (1) .

واما ما يرجع الى الكرم فان قصد منه ان يتلقى الضيف الذي لا بد منه بما تيسر بلا تكليف؛ فان الالغيين يكادون يكونون كلهم كرماء؛ وان قصد ما يعهد من الاحتفال بالاضياف من ذبح الكباش وقلي الدجاج؛ وبسط جفان كالجوابي. وقدور راسيات؛ فان بلدهم القفر الاجرد لا يطيق ذلك ولو ارادوه، ولذلك ترى من امكن لهم مثل ذلك لا يقصرون؛ كاهل الحاج ابراهيم الايغشاني؛ وكالفقيهين ابني عبد الله؛ وكالشيخ الالغي، ثم بعدهم الرؤساء من ايت وافقا وايزربى وسيدي المدني واخينا سيدي محمد؛ على أن الغ نالت مكانة مكينة يوم المقاومة؛ فقد ظل الفقيه سيدي علي بن عبد الله في طليعة القبائل التي تقاوم الاحتلال من عام: 1330 هـ. فكان هو الامام المرشد الواعظ الحافز للهمم الى ان توفي عام: 1357 هـ. ثم خلفه في ذلك شيخنا سيدي الطاهر الإفراني الذي ما فارق قط الصف الاول في المقاومة فهذه بعض اوصاف الالغيين (وما قلت الا بالذي علمت سعد) .

اطعمة الالغيين ووجبات اكلهم

راى القارىء من وصف الغ المتقدم القفار ذلك البسيط؛ فلا اشجار تثمر، و لامزارع مخصبة اخصابا يورث الثروة؛ ولا تجارة متسعة تفعوعم بارباحها الجيوب؛ فهل يمكن ان تكون معيشة من يقطنون في هذا القفر اليباب، الا ما عسى ان يتبلغ به؛ من كسكسو مفتول من دقيق الشعير؛ او عصيدة ملتوتة من دقيق الذرة ـ ان اتى بها من افران او ماسة او

(1) اجتمع قوم من العرب ليصالحوا بين ذوي دم فيخطبون فيهم لذلك، فاذا بامرأة وردت عليهم تسمى جهيزة (بفتح الجيم) فاعلمتهم بان صاحب الدم قتل صاحبه. فقيل: قطعت جهيزة قول كل خطيب. فكان ذلك مثلا.

تامالارت — او من جريش الشعير؛ وقد ادركنا حوالى عام 1323هـ. ان غالب الالغيين لا يعرفون ان يصنعوا الحريرة صباحا؛ فضلا عن القهوة والحليب؛ ولا ان يخبزوا الا اذا دعت الضرورة؛ فليس هناك فـي الطعـام العام الا الكساكس المسنمة فى القصاع ،بالخضر كاللفت والجزر والقرع والبصل والباذنجان، وهذا هو الغداء توجده ربات البيوت مع الضحى؛ الا فى وقت الحرث فانه يوجد :

من قبل انترشف شمس الضحى ريق الغوادى من ثغور الاقاح

(كما يقول ابن رشيق) لان الفلاح ذكرا او انثي يريد ان يبكر الى حرثه؛ وعند الزوال يكون التمر هو الهجورى — ما يوكل بين الغداء والعشاء — وعند الغروب التعشى بالعصيدة ان كان فى البيت لبن؛ والا فالكساكس؛ هذه هى المعيشة المطردة؛ وقلما يخرج عن ذلك الا بضع ديار، وهى دار ال صالح اغنياء القرية؛ والا رؤساء ايغشان ان كان عندهم اضياف (1) والا فمثلهم مثل غيرهم فى المعيشة المعتادة؛ واما دارنا؛ فان الوالد وان كان متسعا الا انه لتصوفه حريص على عدم الرفاهية فيما شى عادة البلد، فلا لحم الا فينة بعد فينة بحيث لا يغير ذلك الا فيما يقدمه لبعض الاضياف الذين يحتفل لهم وحدهم لا لابنائه ولا لمن فى زاويته من المنقطعين؛ هذا ما فتحنا عليه اعيننا. ثم بعد الاحتلال صارت المعيشة تتغير؛ فيدخل الاتاى فى المعيشة شيئا فشيئا. حتى عم البيوت بيتا بيتا؛ وكذلك اللحم صار يزور جميع الديار فينة بعد فينة؛ وربما فى كل اسبوع، بعد ان كان غالب الاسر لا ترى اللحم الا فى عيد الاضحى. او اذا وزع اهل القرية بذبيحة يجتمعون عليها فى مثل عاشوراء. او كانت حفلة من الحفلات التى تقام سنويا على المشاهد المحترمة؛ ولم نكن نعلم فى صغرنا من يدوم اللحم فى دارهم الا دار الرئيس الايغشانى القديم؛ وتضاهيها دار الفقيه على بن عبد الله؛ ثم تتلوهما دارنا احيانا ان حضر والدنا وكثيرا ما يغيب؛ والا فنبقى شهرا او اكثر لا نذوق مرقة . والشعير هو عماد المعيشة ؛ ولا يعرف القمح بعض الاضياف الا فى بعض الديار حتى ان هناك حكايات مضحكة تقع وتحكى كالنوادر؛ اودعنا منها فى كتاب: (قطائف اللطائف). واما الفاكهة فلا يعرف هناك كثيرا الا ما يستورد من اكنارى من ايغشان ومجاط، فيدور به البدالون امام الديار؛ وقد الطف بعض الادباء فى قوله بديهـة يوما؛

(1) با تالاديب البونعمانى سنة 1351 هـ عند الرئيس أحمد الايغشانى لتعشى عنده العشاء المعتاد بالعصيدة واللبن. ولو كان احتفـل لتنكبت العصيدة لمثل هذا الاديب. لان الايغشانى اذ ذاك لا يرضى أن يقدمها لمثل هذا الاديب، لو احتفل به وعرف قدره .

وقد راى بعض الناس يريد ان يشترى تفاحا لالغى؛

فكه مصاحبك الالغى مـــا الفت لهاه من (اكنارى) شانك فاس
لا تتحفنـه بتفـاح فشهوتـــه فى غير ما يشتهيه اكثر الناس
يعيش فى فطرة البادى الذى مرنت يدا ومن مسك محراث الى الفاس
فواكه البدو اشهى ما استساغ فدع تلك التفافيـــح للمصرى والفاسى
لذائذ البدو فى الاذواق اطيب من سوائهـــا منظرا وطيب انفاس
فلـــذة المرء فى عاداتـــه ومتى تجووزت فظــلام قاتم عاسى

والخبز عند الالغيين انواع، اشهرها عند من ادركناهم؛ الخبزة الكبيرة التى تجعل فى المخبز. ثم تغطى بغطاء المخبز؛ فيوقد فوقها وتحتها؛ وتسمى (توفديلت) وبها تفد النساء من اسرة الى اسرة؛ وبها يتزود المسافر فتبقى معه اياما الى اسبوع؛ ومن انواع الخبز الرقاق، وخبزة الكانون؛ تلصق بجانب الموقد بداخله؛ بعد ان يلتظى ،بالنار الحامية؛ ثم تطيب الخبزة بالجمر. وقد تطور هذا الى أن استحال الى ما يسمونه (المجبوذ). لان العجين يجعل شيئا فشيئا فى الكانون بعد ما يحمر بالنار فيجبذ؛ وهو افضل ما يوكل فى الغ؛ وخبز الكانون عندهم حديث؛ لان المعروف القديم؛ هو خبز الفران الذى يهيأ للاعراس وللضيوف الكثيرين؛ وكثيرا ما تصنع الملة للرعاة، وللعصيدة اخ يسمى عندهم (بوفى) وهو مطعم الرعاة فى مرابعهم؛ وقد يصنعونه من الحليب الملتوت بالدقيق. وهو الذى ذكر فى بيتين ينسبان لليوسى؛ وهما :

أرى الحب يستولى على القلب بغية
كمثل هجوم الغيث فى الصيف إِغْدَ إِقّي(١)
ومن كـان هكـــذا فلست ارى له
دواء سوى أكـل العصيدة أو (بَفّي)

هذا وقد عرفت معيشة القمح اليوم فى الغ؛ فترى السميد وخبز الحوارى مما يقدم للاضياف، وكذلك حدثت الاوانى المتنوعة. ولا تكاد الآن تدخل دارا حتى تلمح الجديد من كل شيء.

فهكذا دبت الحضارة الى الـغ بمطاعمها وبفرشها من الزرابى والحشايا والكساء الحسنة؛ وبالتليفونات والسيارات؛ والانفاق بسعة؛ لكن هذا كله لا يتمتع به الا من يستوردون من البيضاء الاموال بالعمل او التجارة؛ حتى البناءات بدات تتغير شيئا فشيئا، وقد كان الاخ سيدى محمد اول من اتخذ

(١) اغد اقى * معناه : انهمر *

السيارة بالغ عام 1331 هـ. ويسوقها بنفسه. وهو اول من بنى رياضا. واول من كانت له ابهة حضرية؛ وكذلك ماشاه الرئيس علي الايغشاني وبلقاسم المانوزي وهو اغناهم؛ ثم يتلوهم الشيخ ابراهيم الوافقاني؛ والتاجر سيدي عبلا بن اليزيد. والباب مفتوح الآن على مصراعيه للمدنية؛ فمن يزور الغ الآن قد يستحلي ما يراه من اثاث واوان ومطاعم، ويجد في بضعة ديار اخونة مبسوطة تحتوي على الحنيذ. وخبز السميذ؛ والطواجين المزعفرة؛ والدجاج المحمرة؛ فضلا عن السفنج الذي يستدير بسكرجات السمن والعسل واملو – طحين اللوز – زيادة على القصاع المكللة لحما، المدفقة مرقا؛ وقد سنح ان نذكر هنا بعض تنظيم المائدة؛ فان المعتاد عند الالغيين أن يقدموا اولا زبديات العسل وأملو والسمن مع السفنج؛ ثم يثنى بالشواء ثم بالدجاج ثم بالطواجين ثم بالكسكسو؛ ثم يثلث بشراب الاتاي، وقد صارت الكوامخ تدخل المائدة ايضا بدورها شيئا فشيئا؛ وهكذا تقدمت بضع ديار غنية الغية الى ميدان الرفاهية في المطاعم .

وبعد هذا فلا باس أن نسوق هنا بعض أدبيات الغية حول بعض مطاعمهم نذكرها تفكها لا على انها من الغرر. فالتكلف في بعضها غير خاف عن ذوي الاذواق السليمة .

منها ما قاله بعضهم في البسيس – واللفظة عربية فصحى – وهو طعمة تستلذ عند العجائز؛ فبها يجازى معلم التلاميذ ان افتتح التلميذ حزبا جديدا؛ وربما استكثروا من لقمه يوم الختمة؛ فقد عقلت ان والدي صنع يوم ختمتي ثماني لقمة قدمت في قصعة عود؛ فيتناول كل من في زاويتنا من الفقراء لقمة لقمة، والبسيس يصنع من السمن والعسل الملتوتين بالدقيق؛ مطبوخا بالبيض؛ او من دقيق الزرع المقلي؛ وهو الذ. والمذنه قيل يوما في مساجلة مع المرحوم سيدي موسى بن الطيب ابن العم :

بسيسك يا زهراء (1) خير بسيس تطيب به في المضغ كل نفوس
صناع يد لتته لنا فكان من اخاير ما قد ذاقه كل سوسي
فمن ذاق منه لقمة خال انه يمس سماء من مكان جلوس
فما القلم من ثغر الحبيب معانقا ازاء بسيس مثل ذا بنفيس

وقيل في املو :

املوا علينا من حديث (أملو) ان حديث (املو) لا يمل
تمزجه بالعسل المصفى مع سفنج في الخوان صفا

(1) زوجة محمد بلقاسم والد الفقيه سيدي بلقاسم الذي تاتي ترجمته في الفصل الثالث .

تاخذ من هذا وذاك الخذة طيبة تاتي بكل لذة
ومن اتى الغ ولم يبتلع من هذه الاكلة لم يستمتع
وما البساطيل بهذا الباب ازاءها الا من السراب

ولشيخنا سيدي الطاهر الافراني يمازح رفيقه الاديب سيدي العربي الساموكني؛ وهما على مائدة الحاج ابراهيم الايغشاني الالغي:

ان الموائد انت من شجعانها والزرد حرب انت من فرسانها (1)
لله درك فارسا يفري بسيـ ـف السن لحم الشاء عن اخسانها (2)
ويفك في قعر الطواجن ظفره اسرى الدجاج تقاد في ارسانها (3)
واذا كررت على الطبالى كرة، اهرقت رشفا من دما كيسانها (4)
وتزج في بحر المكايل غائصا فلك السفنج فتنثني بحسانها (5)
وتعوم في جمع من السادات في نعم همت كالسحب في نيسانها
حادث بواكفها يدا بحر الندى فذ العلا طرا سنا انسانها
خير الاحبة احمد وابوه من شاد المكارم في ذرى غسانها (6)
فرد مكارم مجده اعيت على اعشى البلاغة أو على حسانها
لا زال في شاو المكارم جاريا طلق العنان الى مدى احسانها

وفي سنة 1356 هـ. اكلت مع الفقيه ابن العم سيدي بلقاسم السليماني، عصيدة من الذرة البيضاء تعلوها حفرة تطفح زبدة ذائبة؛ وقد امعنا فيها بلبن طيب حلو سائغ؛ فكان ذلك هو الحادي حتى قيلت هذه القصيدة التي نسوقها على ما فيها لانها أمس بالمقام؛ والقصيدة اعتنى بها فشرحت نحو ثلاثة شروح الغية .

وقبل أن نسوق القصيدة نقول: ان العادة في العصيدة في الغ أن تصنع من جريش الذرة البيضاء؛ ويصب عليها حالة انضاجها الحليب،

(1) الزرد المقصود به معناه العامي الذي هو الزردة المعلومة حفلة الطعام ؛ لا معناه العربي الفصيح

(2) اخسان بكسر فخاء مسكنة ؛ لفظة شلحية معناها : العظام

(3) الارسان جمع رسن : الازمة التي تقاد بها الخيل ونحوها

(4) الطبالى جمع طبلاة؛ وهي كلمة دخيلة وتطلق في الغ على الصينية ؛ وفي الرباط على الخوان؛ والكاس تجمع على اكؤس وكؤس ؛ وأما الكيسان فلم نقف لها على أصل

(5) المكايل جمع مكيلة؛ ويقصد بها في الغ الزبديات والسكرجات يجعل فيها السمن ونحوه

(6) يقصد بغسان قبيلة ايغشان؛ يحاول الالغيون بذلك تغليب الكلمة وذلك غير جيد ؛ لئلا يقع الالتباس في المستقبل

ثم تطبخ طبخا جيدا بعد ما تلت بالمعصد ـ وهو عود تلت به العصيدة في مطبخها ـ لتا محكما حتى تغلظ؛ ثم تغرف الى الجفنة؛ وتسنم فيها ويحفر في اعلاها حوض مستدير يملأ بالزبدة الذائبة حتى يطفح؛ ويوتى بانــاء اللبن، واجود الالبان ما لا رائحة فيه من وطب، ولا مذق بالماء ولا حموضة؛ ثم يستدار بالجفنة؛ فياكل كل من جهته بكل ادب لقمة لقمة حتى اذا كــان امام كل واحد حفرة؛ او حفر فيها من اول وهلة حفرة؛ يصب فيها من اللبن ثم يلته باصابعه؛ وهو يغرف من الزبدة قليلا الى ملتوته، وقد يغافل من معه ان ارتفعت الكلفة بين الاكلين؛ فيبثق من حوض الزبــدة باصبعه؛ فترشح اليه الزبدة؛ ومتى لت امامه وصار كالحريرة، يتناول منه بيده؛ ولا تعرف الملاعق في ماكل الغ؛ وهكذا دواليك. حتى يكتفى من الاكــل اكتفاء غير النهمين الشرهين؛ وللقوم ادب عال في المؤاكلــة؛ هذا هو المعروف، واما هذا الذي وصف في القصيدة فانه مقصود للاحماض ولاريحية الادب :

لمن جفنــة قــد اقبلت تتالــق   تلوح بــلالأ العصيــدة يبــرق ؟
مسنمــة حتــى كــان سنــامهــا   شماريخ طود لم يكد يتسلق (١)
وقد فغمت منها الخياشيم نكهــة   تطيب بها كل النواحي وتعبق(٢)
اهذا اريج المسك أم نفح روضه   ازاهيرها تحت الصبا تتفتــق ؟
نعم انها من غير شــك عصيــدة   من الذرة المعطار ان كنت انشــق
وعهدى بانفي ليس يغلط شمــه   فيا طالما شــم البعيــد فيصــدق
الم ترها كالثغــر أشنب باسمــا   وللشنــب البــراق فيــه تالــق
تميس بلون الثلج ابيض ناصعا؛   متى جال فيها لخظغرثان يشهق(٣)
لها قمة في وسطهــا حوض زبدة   (كجابية الشيخ العراقي تفهق) (٤)

فيا ليت شعرى من تحط أمامــه   فيوضع في الاطراف منها ويعنق (٥)
ويخبــط فيها باليــديــن كانمــا   تخبطه وسط الدجنــة أولــق

---

(١) الشماريخ ج شمراخ : بالكسر رؤوس الجبال ؛ وتسلق الجبــل طلع عليه ؛ وتسلق الجدار :
(٢) الخياشيم ج خيشوم : ثقبة الانف ؛ وفغم العطر أنفه ملأه .
(٣) الغرثان : الجائع :
(٤) الشطر الاخير من قصيدة الاعشى المشهورة؛ واوله :
(نفى الذم عن آل المحرق جفنة) .. وفهق الشراب في الكاس ـ اذا سال ـ من جوانبه لكثرة الامتلاء :
(٥) الايضاع والاعناق : الجري وسرعة السير :
(٦) الدجنة : الظلمة : الاولق : الجن :

يشــن عليها غارة مشمعلــة   بلقم اكول امن ليس يرهق (١)
فيالي على تلك العصيدة كلهــا   اذا الجفنة الغناء جرداء سملق (٢)

* * *

فيا فرحي انى السعيــد فانهــا   تحط امامى والرجاء مصــدق
فيا طالما اجرى احاديثهــا وكــم   اعرض في نطقي بها وارقق (٣)
فانى لمنهــوم اليها وللحشــا   الى سيلها منذ ازمنات تشوق (٤)
فها هي ذي عندى فيا بطن ابشرن   فعمــا قليل سيلها يتدفــق
فذى نهمتي جاشت اوارا تحرقــا   افي كــل يوم نهمة تتحــرق ؟
افي كل يوم فرصة مثــل هــذه   افي كل حين لى جراز يفلــق (٥)

* * *

دلفــت اليها والعيون كانهــا   نطاق حوالي ركبتي تحملــق (٦)
حللت لها طوقي وزحزحت معطفى   والقيت عني ما بــه اتمنطــق
فاغسل حــتى مرفــقي فربمــا   ستعمل ايضا معصماى ومرفــق
وهل فاز في اشغاله غير حــازم   يؤيــده عزم اذا هم يصــدق ؟
وهل فاز باللــذات الا الــذى اذا   تأتت له اللذات يفرى ويخلق (٧)
فانفض نفض المعجلين فلم يمــل   الى فوطة هم بتلــك معلــق (٨)
وهل يذكر الانسان امثالها سوى   اذا لم يكن أمر حواليه مرهــق ؟

---

(١) الغارة المشمعلة : المنتشرة على الاعداء ؛ وارهقت الانســان عــن عمله : اعجلته عنه .
(٢) الحديقة الغناء : المزدهرة ؛ والارض الجرداء : لا نبات فيها ؛ والسملق القاع المصفصف لا نبات فيه ولا أشجار .
(٣) التعريض والترقيق : اذا كنت تكنى عن الشيء ولا تصرح بــه ؛ ومنه المثل : « اعن الصبوح ترقق »
(٤) المقصود بالسيل : ملتوت العصيدة باللبن .
(٥) الجراز : السيف القاطع ؛ وهو بضم الجيم .
(٦) دلف الشيخ في مشيته : مشى مشية المقيد .
(٧) خلق الصانع الاديم : اذا قدر كيف يقطعه ؛ وفراه قطعه ؛ وفي المثل ما كل من خلق يفرى اى ما كل من قدر الاشياء يتمها كما قدرها
(٨) الفوطة : عربية فصيحة ؛ والاشارة بتلك الى الجفنة .

واما اذا الارهاق عن قربهـــا ... تخطى الشجاع الدرع اذ يتدلق (١)
وادلي الى القعب يطفح رائبـــا ... كغـــرب ملىء ماؤه يتدفـــق (٢)
وللمحض فيه نضرة وتلالـــؤ ... كعضب على متنيه لمع وورنـــق
وما اثرت فيه الوطـاب ولادنـــا ... الى أريه المبيض ارعن يمذق (٣)
ولا مخضته العانسات وقد بـــدا ... لشامات زبد من عليه ترقرق (٤)
وتعلوه امثال القباب سميكـــة ... زجاجيـة لماعـة تتـألــــق (٥)
فآخذ منه حسوة بعد حســـوة ... كما يحتسى الفحل الذى يترمق (٦)
وما القصد الا ان أبل مصـــارني ... والا فهمى ما اليها احـــدق (٧)
وان تغتدى بدء الفتوح لحملـــة ... تغرب فيهـا غـارتي وتشـــرق

* * *

ومن فاز فى بدء فاجـــدر به اذا ... تقدم ان يحظى بفـوز يحقـــق
فاعلن باسم الله أن حانت الوغى ... ومن كان محفوفا به ليس يزلـق
فاحفر في حرف العصيدة حفـرة ... موسعة كالحوض او هو اضيـــق
واجعل فيها يمنـة ثم يســـرة ... سدودا صحاحا عاليات توثـــق
فاملأها محضا فأجدحهـا كمـــاء ... يهيىء طينا مشمعل محـذق (٨)

(١) تدلق السيل : آندفع :
(٢) القعب بالفتح : ألقدح الضخم ؛ وكثيرا ما يطلق على قدح اللبن ؛
قال : تلك المكارم لاقبعان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا :
والغرب بالفتح : الدلو الكبيرة ؛ وهو مذكر ٠
(٣) الوطب بالفتح : جلد اللبن الـذى يمخض فيه ؛ والارى العسل ؛
والارعن : الاحمق ومذق اللبن بالماء : مزجه به :
(٤) العانس لكثرة أستخدام أهلها لها تتقن المخض وجمع الزبدة من الممخوض ؛ فلا تبقى من الزبدة شيئا؛ بخلاف من لا تحذق ذلك
(٥) المقصود الفقاقيع التى تعلو اللبن اثر ما يصب فى القعب .
(٦) ترمق الجمل الماء : يشربه قليلا قليلا ؛ وكذلك يقلل فى اللبن
(٧) الضمير فى اليها الى الجفنة :
(٨) جدح السويق : لته ؛ ومنه المثل (جدح جوين من سويق غيره) والمشمعل : الخفيف الظريف؛ والمحذق ؛ الذى تخرج فى حذق عمل حتى أتقنه

المخض فيها خضخضات بهمة ... تكاد اديها جفنتي تتشقـــق
واني في امثـال هذا لبـــاذل ... جهود مجد فى المهمات يصدق
فاجدح ما فى حفرتى جدح عـازم ... وسبابتى فى جانبى الحوض تبثق (١)
الى ان يرى والزبد يكسوه زرقة ... كما بان طرف واسع الجفن ازرق
اذن يبتدى التجديف والكف ترتقى ... وتهوى كخطف البرق فى الجو يبرق
وقد رصصت فيها الانامل كلهـا ... فعادت كسطل ليس فيها تشقق (٢)
اططها حتى اوسعهـا وهـــل ... يبلغك السؤل الاناء المضيـق ؟
فتاتى وتمضى كالـدلاء تواليـــا ... وللسيل فى وسط اللهاة تدفـــق
وللشدق صوت كلما صب وسطه ... كما يجد المخنوق روحا فيصعق
اذا ارتفعت مدت ذنابى كأنمـــا ... تمدد ذيل حين يوضع ابلـق (٣)
فاجدح ايضا ثم اجـدح ثالثـــا ... بسرعة خفق القلب ايان يفرق (٤)
فابـقى ولاء هكذا وانامــــلى ... بمنحـدر حينا وحينـا تسلـــق
وما فتئت جدحا وحمـلا كأنهـــا ... عفاريت تزجي حملهـا وتخنـدق
الى ان اخوض الحوض ثم اجوزه ... ولي بعد اغذاذ امام ومعنـق (٥)
وبطنى ينادى هل هناك بقيـــة ... فما من معى منى بذلك ضيـق ؟
وهل من مزيد فالعصيدة هــذه ... الذ واحلى من رحيـق يـروق ؟
فكان جوابى فى سيول كأنهـــا ... سيول الروابى والسحائب تغدق
ورائب قعبى فينة بعد فينـــة ... يصب كما حل المزادة اخرق (٦)
وقد وسعت تلك المجالات فاغتدت ... بسائط لكن ليس فيهن مـورق
فلتاح قبل الجدح والمحض مائـج ... وبعض لقيمات عليه تفـــرق
كبحر شديد مزبد قد تفرقـــت ... زوارق شتى فوقه وهى تغـرق
وانـى أوالى حملة بعد حملـــة ... كما يغتدى فى الزحف جيش مفرق

(١) بثق النهر : كسر شطه لينبثق الماء :
(٢) السطل عربية فصيحة ؛ وهو الاناء الصغير للماء ؛ ويستعمل الآن فى كل اناء ماء يحمل باليد ؛ وهو مجاز مرسل :
(٣) الذنابى : الذنب نفسه ؛ والابلق : الفرس٠
(٤) فرق يفرق كفرح يفرح : خاف :
(٥) والمقصود بالحوض : حوض الزبدة ؛ والاغذاذ والاعناق : الجرى :
(٦) الاخرق : من لا يعرف كيف يصنع الاشياء ولا كيف يعالجها ؛ فاذا اراد ان يحمل مزادة الماء افلت فاما فيندفع الماء :

فنسف هاتيك الجبال جميعهـا   وتعلى صياصيها ويفتح مغلق (١)
الى ان ارى الفتح المبين وانثنـى   على شبع والجوع خزيان يرمـق
ولم يبق الا جولة وحدها لـكى   يلمم ما يبقى هنالك ملعـق (٢)
فالحس كفى ثـم اغسلها وقـد   رسا بى على سيف الامانى زورق(٣)
فاعلن حمدا خالصا من طويـتى   لمن كان يعطينى النعيم ويـرزق
فان يطعم الفالوذج الحلو فتيـة   وبسطيلة جماعة مـا يعرق (٤)
فانى بحمد الله عندى عصيـدة   من الذرة الغبراء اولى واوفـق
فقد برئت من كل زور ولم يطف   على وجهها الوضاء طاه يزوق (٥)
فجاءت بما لم يات فيما اتى به الـ   ـمقنع فيما قاله والمحلـق (٦)
ادام لنا الله العصيدة ما غـدت   مصارين بطن الجائعين تنقنق (٧)
وما سالت الارياق ان عن ذكرهـا   وطـاف حواليهـا ثنـاء مخلـق

* * *

المشروبات الالغية

اذا كان الحضرى يجد بين يدى ترفه وبين يدى غناه من المشروبات المتنوعة مـا يجـد؛ من شراب اللوز والبرتقال والموز والمشروبات العصرية فان ابن الغ المسكين لا يجد الا العذب الزلال الذى يستقيه من الآبار بدلوه؛ ثم ان اراد تبريده فانه يعلق الدلـو او السقاء فى ممر الهواء فاذا به اعذب وابرد من مـاء الحواضـر المثلج؛ وما رآى كمن سمع؛ خصوصا ان كانت فيه رائحة القطران، وقد احسن من قال فى ماء الغ فى مطلع قطعة :

الا ليت لى من مـاء الـغ مروقـا   من الخمر قد سموه ماء على غلط

(١) الصياصى : الحصون ·

(٢) الملعق : الاصبع التى يلعق بها ما تبقى فى الاناء؛ على عادة الباديين الى الآن .

(٣) سيف البحر : شاطئه ·

(٣) سيف البحر : شطئه .

(٤) تحتوى البسطيلة على أطراف الدجاج والبيض والحلويات والسكر وامثالها :

(٥) البسطيلة يزوق وجهها بالسكر والتوابل :

(٦) للمقنع الكندى من قصيدته المشهورة حين يذكر أسباب الديون التى عليه : وفى جفنة لا يغلق الباب دونها   مكللة لحمـا مدفقـة ثردا
وأما ما قيل فى المحلق فقد تقدم البيت الذى قاله الاعشى فى قصيدته :
نفى الذم عن آل المحلق جفنة   كجابية الشيخ العراقى تفهق

(٧) تنقنق : صوت ؛ كنقيق الضفاديع ·

وقد كان العلامة سيدى محمد بن مسعود يقول؛ ان الله عوض الـغ الفقيرة الجرداء من الفواكه هذا الماء الحلو العذب الزلال السلسبيل .

ثم ان مشروب الغ الخاص هو الاتاى الذى يعرفه كل احد؛ وقد دارت قواف كثيرة حوله فى مناسبات؛ فمن ذلك قصيدة للشاعر الكبير ابن الغ البكر سيدى الطاهر يوم تسابق السوسيون فى وصف الاتاى الشحرا بقصائد كثيرة (١) فقال هو :

هذا وانى قد رايت رجـزا   موشحـا محبرا مطـرزا
قد دار بين سيدين احـرزا   خصل المدى فى الفضل لما برزا
كلاهما لدى الصيـال بازل   متـى سطاعنا لـه منازل
هما هـلالا هالة الاكـرار   سلالتـا الخيرة الابـرار
سيدنـا محمد ابـن احمدا   من صار فى قلب الحسود كمدا
وكفؤه سيدنا عثمانـا   من قد حكى نظامه الجمانا
تجاريا فى حكم امـر حدثـا   من صنع تشحير الاتاى عبثا
فعابـه الاول عيبا قادحا ؛   فيـه ورده الاخـير مادحـا
فبان لى ان اجرى الفكرة فى؛   فصل القضيـة بقول منصف
فاعلم بان صنعة التشحير قد   أحدثهـا ذوو المجانة فقد
اما الطباع المستقيمـة فلا   ترضى بان تفعلها او تقبلا
لانهـا تسخم البـرادا   وربمـا تفسده افسـادا
والكاس قد شرط اهل الظرف   فيهـا النقـاء وصفاء الظرف
لذا تغال الناس فى ماعونـه   وبذلوا النفيس فى شؤونـه
وربعه اذا غلا اسهك مـن   حوت رماه البحر صيفا فنتن؛
وشرط طيب الكاس طيب الارج   فضده اذن تمام الحرج !
لذا تنافس ذوو المفاخر ؛   فى العود والمراش والمباخر !
فما زوال الهـم والتقطيب   الا بمـرآى مبهـج وطيب
كذاك ايضا يستحيل طعمه ؛   كـما استحال لونه وشمه !
فهـذه قطعا ثلاث حجج ؛   بينة مثل الصباح الابلـج
وكلهـا حسيـة طبيعيـة ؛   وبعدها رابعة سمعيـة
قال فتى الظرف ابو نواس   وهو كما قيل امـام الكاس
فى وصف خمر «لم يشنها الطاهى   بالطبخ» فافهم لا تكن بالساهى

(١) يوجد بعضها بعين تراجم الاكراريين فى الفصل الثانى من القسم الرابع كما يوجد بعضها فى ترجمة ابن العربى الادوزى فى القسم الثالث وفى ترجمة العلامة ابى محمد الالغى قصيدة فى ذلك .

فهو كما سمعت سمى الطبخا　　　شيئا فهلا تتبعن الشيخا
ان قلت ان قولــه فى الخمر　　　قلت ومثلهـا الاتاى فــادر
فالقصد ان الطبخ شين الكاس　　　بالنص والاجمــاع والقيــاس
فصبح ان صنعـة التشحيـر　　　قذى يعين الانس يا سميري
لا هــم الا ان يخــاف البــرد　　　جدا عــلى البراد اذ يشتد
او اقتضاه سبب فلا حرج　　　اذن عــلى ما كــان فيه من عوج
لكن على السداد دون نفخ　　　بقدر ما يسخن دون طبخ
فالبرد ايضا يفسد الشرابا　　　ويغلــق الشهـوة بابا بابا
نص عليــه جلــة أكيــاس　　　وكلهــم فى زكنـــه ايـاس

* * *

المعتاد في اول السنة الفلاحية

من انواع الاطعمة الالفية ؛ نوع يسمى (اوركيمن) يصنع من حبـوب الذرة والقمح والفول والعدس واللفت اليابس مع الاكرعة التي تجمع لذلك من قبل؛ يطبخ الجميع في قدر طبخا جيدا طوال النهار؛ ويتحين صنع هذا الطعام فى ليلة اول السنة ويوتر ان اصل جمع هذه الحبوب أثر من آثـار نزول نوح من السفينة؛ فقد طلب ممن ركبوا معه ما تبقى مما تزودوا به؛ فاتى كل واحد بما عنده فطبخ الجميع طبخا واحدا؛ والالفيات يطبخنه تيمنا ودرءا للعين والجن؛ ولذلك يعمد بعضهن الى اراقة بعض مرق هذا المطبوخ على بعض زوايا الدار؛ وازاء أسراب المياه من الساحات داخل المنزل وما هي بالعادة الوحيدة التى تصنع ليلة اول السنة؛ فاتذكر أن الناس يحرصون على ان لا يبيت اى واحد خارج منزله مسافرا؛ ويرى بعضهم ان من لم يبت فى داره تلك الليلة لا يزال مفارقا لداره طول السنة .

الالبسة

الذى ادركنا عليه الناس عام: 1323 هـ. انهم يلبسون قمص الصوف وسراويل الصوف ـ ويسمونها التبان ـ وعمائم الصوف، وذلك لباسهم صيفا وشتاء؛ لا يعرفون اذ ذاك الكتان الا نادرا وذوو المروءة منهم يديـرون على اعاليهم شملة من صوف؛ او رداء تاما لمن كانــوا ملحوظين كالرؤساء والعلماء وائمة المساجد؛ وفى الشتاء يلبسون الخنيف ـ وهى لغة فصحى ـ ويستورد من (ازانيف) مكان في الاطلس الكبير الموالى سوس، وقد لبست انا ـ ما شاء الله ـ خنيفة غليظة تحور ما وراءها مما يقابل مقعدة الانسان ؛

والناس اذ ذاك غالبا السلاهيم من الصوف المنسوج بالغ المعروف بجودته ولم تدرك عند الناس لا جبة ولا سراويل الكتان ولا قمصه وعمائمه الا نادرا ثم سرعان ماانقلب الزمان فظهرت قمصان الكتان وسراويله وعمائمـه؛ ثم جببه؛ ولكن وشكان ما اختفى ذلك ايضا فى ابان الحرب الثانية فراجع الناس معتادهم القديم الى ان انقضت وطفحت الاسواق بالكتان فعاد الناس اليه فهو الآن 1364 هـ. الملبوس المعتاد .

واما النساء فان لهن عادتهن الدائمة؛ من رداء الصوف تجمع المرأة اعاليه بمصنوع من الفضة مثلث على تدييها؛ واحد على جانب والآخر عـلى الجانب الآخر؛ ثم يجمعن الاسافل عليهن اما بحزام او بادخال بعض في البعض الآخر، وهذا الرداء يسمى (تفكوت) ان كان من الصوف؛ او الملحفة ان كان من الكتان الاسود او الازار ان كان من الكتان الابيض؛ واما الغطاء؛ فان كان من الصوف فاسمه (تحيكت) او من الكتان فيسمى (أدال) والغالب الى الآن 1364 هـ. أن لا تلبس النساء الا الصوف؛ الا المترفات؛ فانهن يلبسن الكتان قمصا وملاحف وازرا حتى السراويل التى ما كن يعرفنه قد دبـت اليهن لبستها وشيكا، والفرجيات وجبات الساركة البيضاء او القهويـة والسلاهيم المنسوجة من المنسوج الرفيع الرومى او البزيوى قد صار اكل الآن ياخذ مكانه بين البسة الرجال الكبراء والتجار بعد ما دبت الحضارة الى الغ ديبها .

الفرش

ما كان يعرف الا الحصر التي تستورد من قرية (أمنفصي)؛ ومتى كان هناك حنبل او زربية على قلة ذلك؛ فان بقاءها فى الطى اكثر من بقائها منشورة تحت الناس ؛ ولم يكن الناس يفرشون على عهد صغرنا الا الهياضر ـ جلود الكباش المدبوغة بصوفها ـ ثم لم تنتشر الزرابى الا فى عهد آبائنا فى دور قليلة فى الغ؛ ولا يزال ذلك قليلا الى الآن واقل القليل جدا جدا المضارب والمخاد، ولا أعلم الآن دارا للاضياف استجمعت الفرش المعتادة فى الحواضر من المضارب والزرابى والمخاد الا نحو دارين؛ على ان ذلك لا بد ان يزداد بتزايد اتساع الحضارة .

المعتاد في المساجد

المسجد هو النادى العام لاهل القرية؛ ولا يتخلف عنه الا من لا خير فيه؛ ولاستاذ المسجد احترام؛ وهو الامام والمؤذن ـ غالبا ـ وقارىء الحزب،

والحزب يقرا في الغ على القاعدة الناصرية؛ تتبع الاحزاب الا في عشايا الخميسات فيقرا الكهف؛ وصباح الجمعة يس وتبارك، ولا يتعلق حزبهم بالشهر؛ ويقرا سبع من البردة في حزب كل عشية؛ وفي المدارس العلمية تقسم الهمزية ايضا على أحزاب الاسبوع الصباحية. ولهم دعوات خاصة تقرا وراء الحزب كما لهم دعوات خاصة كذلك كلما أريد التفرق من مجمع ؛ خصوصا المجامع التي يحضرها اهل الخير، تحتوي على الصلاة الابراهيمية؛ ثم الفاتحة ثم اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؛ ثم الصلاة الابراهيمية ايضا ثم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

هكذا يختم كل مجلس؛ كما يدعى بذلك نفسه بعد الصلوات؛ ولاريب ان هذا الدعاء المرتب قديم؛ لان مثل هذا مذكور في العهد الموحدي، ولكل طرف منه اساس من الحديث؛ وفي ليلة ختمة القرآن؛ ـ وتكون دائما عشية الاحد ـ تزاد دعوات اخرى؛ ويتحين محبو الخير من الرجـــال والنساء الحضور، لما ثبت من ان ذلك الوقت يستجاب فيه الدعاء؛ ويأتي اهـــل الفضل بالتمر ومقلو الذرة؛ او بقصعة طعام؛ وفي بعض المساجد من جيران الغ توجد احباس لهذه الختمة .

اما كيفية التدرير من الاستاذ؛ فلا تختلف عن المعتاد في كل المغرب ضفطا وتكرير السور وغسل الالواح صباحا؛ ثم املاء الاستاذ على التلاميذ كل واحد على حدة، ثم يكمل الاستاذ نصف اللوحة للتلميذ ان استظهر نصفها الاول؛ الذي كتبه بيده؛ ولا يذهب التلاميذ الى الغداء الا بعد أن يحفظوا؛ ثم يرجعون الى تكرير السور التي كانوا حفظوها الى الهاجـرة؛ ثم من الظهر يقرأون ما سيمحى غدا ثم التكرار للمحفوظات، الى أن يقرب المغرب؛ وحضور الحزبين صباحا وعشية من واجبات التلميـــذ؛ وتكرر المحفوظات الى العشاء؛ ومن عصر يوم الاربعاء تكون الراحة الى عصر يوم الجمعة؛ الا أن التلاميذ يبكرون يوم الخميس ان لم يغب الاستاذ الى أهله، لتكرير السور الى الضحى؛ والعواشر تكون اياما قبل العيد وبعده؛ وعلى التلاميذ ضريبة الاربعاء والعواشر؛ كل بما تيسر، وقد كان المعتاد في الغ البيضة الواحدة في الاربعاء وقرشا في العواشر؛ وذلك منذ نحو 40 عاما. ثم جاءت الدراهم في الجميع؛ واجرة الاستاذ تجمع له من محصول السنة من البيادر بعدد معلوم من الآصع على كل دار؛ ومع حرث تقوم به جماعة القرية، ومع اضحية او ثمنها؛ ومؤونته بالتناوب غداء وعشاء؛ دارا لدار؛

ولا هجوري ولا لهنة (١) في الغ؛ وقد ادركنا ان استاذ المسجد هو موثق القرية ان لم يكن فيها عالم؛ وعدلها المنتاز؛ وعاقد الانكحة؛ والمصلح بين المتخاصمين .

المعتاد في المدرسة الالغيــة

كان سيدي محمد بن عبد الله المؤسس لمدرسة الغ عام: ١٢٩٧ هـ مهدا فأسس في الغ القراءة الجديدة، فحين ينخرط التلميذ في المدرسة بعد ان يحفظ القرءان يتدرج من الجرومية فالجمل والزواوي؛ ثم اللامية لابـــن مالك مع ابن عاشر؛ ثم الرسالة فالالفية لابن مالك؛ ثم بعد ذلك التحفة والمختصر والمقامات والزقاقية؛ ثم المنهج وفي الرمضانات لا يقرا الا الحساب والفرائض والبخاري، وبين هذه الدروس يتلو الطلبة من عشية الاربعاء الى عشية الجمعة في كتب الادب بينهـم يبتدئون بالاسهل؛ كالمستطرف ومروج الذهب وابن خلكان؛ فسيرة ابن هشام؛ فالمواهب اللدنية ثم لايزالون يترقون الى ان يقعوا بعد ان يشدوا في نفح الطيب الذي هو الكتاب العالي عندهم؛ والعادة أن كتب الادب لا تقرأ في ايام الدراسة تفرغا للعلـــوم الرئيسية ما عدا المقامات الحريرية، واما المعلقات والطغرائية ولامية العرب والهمزية والبردة والشقراطيسية؛ وبانت سعاد؛ فان هذه تقرا في العواشر غالبا؛ واما الدروس الدائمة فالفقه والنحو والتصريف والتفسير احيانا ؛ والمعتاد ان يطالع التلاميذ دروس الغد بينهم يطالعها لهم نجباؤهـــم، ثم يقراونها عند الاستاذ؛ ثم تعاد بينهم ايضا؛ ثم يتعهدهم الاستاذ في حفظ الشواهد والابيات التي تستطرد في الدرس؛ ثم يواخذهم الاستاذ بالحفظ لعدد من الابيات في كل صباح من المتون مع تكرارها جماعة في عشايا الاربعاءات؛ واما ما بين العشاءين في غير الاربعاء والخميس فانه لمطالعة الدروس او لاعراب راس الحزب، حيث يجولون جولات في كل المتون التي يدرسونها؛ ولهذا تجد ابناء المدرسة الالغية؛ اكثر السوسيين استحضارا للمتون؛ وعادتهم في الدرس؛ ان يتغنوا بالابيات التي تقرا جماعة قبـــل افتتاح الدرس، وغالب قراءة الشادين فضلا عن المبتدئين في الالواح؛ يشغلون فيها المتون؛ ثم تفسر بيتا بيتا؛ كما تعرب كل الشواهد بالسنة الطلبة لا بلسان الاستاذ كما ادركناه في القرويين وابن يوسف؛ ويقراون الالفيــة اولا بشرح السيوطي ويتلـــو التلاميذ المكـودي مناوبـة ؛ ثم بشرح

(١) اللهنة بضم فسكون: ما يفطر به صباحا، فقد قال اعرابي لاناس : لهنوا ضيفكم .

الاشمولي والموضح في المرة الثانية؛ والرسالة بابي الحسن؛ والتحفة بالتاودي والتسول ؛ والمختصر بالدردير والمقامات بالشريشي ؛ وللاساتذة الذين مروا بالمدرسة الالغية استحضار تام في الفنون لكثرة ما مروا بها : فلا يحتاج احدهم لاعداد الدرس؛ واكبر اعتناء الالغيين بالنحو واللغة والادب؛ فلا تمر كلمة الا عرف ضبطها؛ واذا احتفل مجلس طلبتهم ياتي احدهم بكتاب يتلوه؛ ثم لا يستحيي الصغير أن ينبه الكبير ان لحن في اعراب او في ضبط كلمة؛ وقد تعجبت كثيرا حين خرجت من الغ فأسمع اللحن ثم لا يوجد من يرده، ومتى فرط مني ذلك عن غلط او عن طبيعة يقوم مثل الاخ التعلواني في وجهي كنصيحة أن لا أتسبب في معاداة الناس؛ فياللعجب؛ فهؤلاء شيوخنا كابي الحسن وابي محمد الالغيين وكشيخنا سيدي الطاهر ما كان احد من الفتيان أمثالنا يستحي أن يرد على أحدهم؛ وهؤلاء كذلك تلاميذنا عودناهم أن يردوا علينا؛ فسبحان من فرق بين البيئات .

كتبنا هذا للغد، ليعلم الغد كيف كان الغ واهل الغ في هذا الميدان؛ وللالغيين ابيات سقيمة يفتتحون بها المقروء في مجلس الدرس؛ فما كان رجزا تقدم له ارجوزة في أبيات قليلة؛ وما كان على بحر الطويل كالجمل تقدم فيه ابيات اخرى؛ فاول ابيات الرجزية: اعوذ بالله من الشيطان ... الخ ومن ابيات الطويل: قول حسان فيما اظن في الرسول:

له همم لا منتهى لكبارهـــا

وهمته الصغرى اجل من الدهر

وللمدارس فيما ادركنا قوانين في حضور الصلوات وفي خدمة الاستاذ، فكان من بينها للمدرسة الالغيـة من بينهـا قوانين اصعب بها استقامت ما شاء الله حتى دب التدهور الى الجميع .

دور المرأة الالغية

قديما يقـــول الحضريون: (المراة الفاسية؛ امراة وتجارة؛ والمراة البدوية امراة وحمارة؛ والمراة المراكشية: امراة وخسارة) .

لا ريب أن لوصف المرأة البدوية بهذا الوصف حظا من الصواب غير قليل فهذه المراة الالغية ككل نساء تلك النواحي؛ هي التي تقوم بكل شؤون بيتها، فتظل نهارها في الاعمال المرتبة على اوقات اليوم؛ تقوم سحرا لتطحن ثم تسخن ماء الوضوء مع الفجر؛ ثم تحلب البقرة؛ ثم تسقي من البير بالقلة على ظهرها تاخذ القلة بحبل يمر بكاهلها؛ ثم ان أرادت ان تحطب فانها تبكر ولا تطلع عليها الشمس الا وراء روابي الغ حيث لا يزال الشيح الذي

هو الوقود الوحيد للالغيين؛ فتجمع منه ابالة عظيمة تنظمها ثم ترجع بها على ظهرها والعجب ان ذلك الحمل الثقيل لا يؤودهن، فان النساء الحاطبات يرجعن بالاغاني يتداولنها باصواتهن الرخيمة؛ ثم لا تكاد تدخل الدار حتى تهيء الغداء ان لم تكن طبخته صباحا؛ ثم تمخض وطبها؛ ثم تنقي طحنها للغد؛ ثم تغربل طحين الصباح ثم تاتي بالخضر من الحقل، ثم تسقي البقر؛ ثم ان كان عندها سقي من البير للحقول فهي التي تتولى ذلك؛ وزد على ذلك أن تتعهد مغزلها؛ وترضع ولدها؛ ثم ان كان حرث او حصاد، فهي التي تقوم بذلك بمعاونة زوجها او وحدها ان غاب. بهذا تمـــلا نهارها؛ ثم تطبخ العشاء؛ هذا كله والغالب ان تحافظ على صلاتها في دارها مـــع السموع من المسجد، والمراة الالغية هي سيدة الدار حقا ــ فهي الخازنة وهي المتصرفة في الشعير والسمن والمراعية للاضياف ولـــو لـــم يحضر زوجها ان كانت الدار دار الاضياف ــ؛ والطلاق في الغ لا يكاد يذكر؛ وكذلك الزوجة الثانية؛ فلا اعلم من الغ الآن دارا فيها عدة الزوجات الا ثلاثا فقط من المتوسعين الذين دفعهم دافع خاص الى ذلك ومن الامثال الالغية: ان المراة تقول: (دعوا لنا المطبخ ندع لكم الراي) اي اتركوا لنا ادارة المنزل؛ نترك لكم ما في خارج المنزل، ومجمل القول أن المراة الالغية تقوم ازاء زوجها الذي لا يعرف الراحة ايضا بدور عظيم في الحياة مع الصيانة وعدم الزلق الا في النادر الذي لا يكاد يخرم القاعدة؛ مع الصبر العظيم والاخلاص لزوجها والرفق في المعيشة؛ مع حفظها للسر ومحافظتها على مظاهر التدين والتصدق على المقابر؛ خصوصا ايـام الجمعـة وعاشوراء؛ فتذهب النساء بالتمر، ومقلو الذرة او القمح؛ فيفرقنه على الصبيان .

الامثال الالغيـة

ان درس الامثال التي تطلق عفوا من الالسنة هو عين الدراسة لفكرة الذين يطلقون تلك الامثال؛ ولذلك حرصت على جمع الامثال الالغية من قديم في كراسة استوفت زهاء ثلاثمائة؛ ثم اخذها مني الكولونيل المستشلح؛ (جوستنار) فترجمها ونشرها في بعض المجلات الفرنسية؛ ثم رجعت كرة اخرى ونحن في معتقل: (اغبالو نكردوس) فامليتها على الوزير الكبير اخي سيدي محمد الفاسي؛ فجمع منها عني الفا وخمسين، ما بين منثور ومنظوم؛ وقد فسرها كلها بحكاياتها بالعربية الفصحى فضمها الى المجموعة الكبرى التي جمعها في الامثال المغربية؛ ولهذا اكفكف القلم الآن عن تتبعها اكتفـاء بما في مجموعة الاخ الوزير المحترم .

هي نوعان: فمنها ما هو مخصوص بالصبيان؛ ومنها ما هو مخصوص بعامة الناس؛ اما العاب الصبيان فانها :

1 ـ الاسداء، تقول العرب: (اسدى الصبيان واستدوا: اذا كانـــوا يلعبون بالجوز). وصبيان الغ انما يلعبون بالحصا؛ ولتشابه الملعوب به سمينا هذا اللعب هذا الاسم .

ياتي كل صبي بعدد من الحصا يتساوون ثم يعمد اولهم الى جمع الحصا في كفه؛ ثم يلقيه الى الاعلى من بطن الكف؛ فيعرض له ظهر الكف؛ فيبقى ما يبقى ويسقط على الارض ما يسقط، ثم اذا تراكمت الحصيات على الكف؛ ينظر في الحصا فما كان منه لا يمس الجلد وقد عـلا الحصيات؛ ياخذه اللاعب على انه ربحه؛ ثم يرمي ما على ظهر كفه ثانيا الى الاعلى فيتلقاه بباطن الكف؛ ولكن ان سقطت حصاة واحدة فقد خسر اللاعـب؛ فيعطـــي الحصا لغيره واذا توصل لقبض كل الحصيات براحتـه؛ يبتدىء اللاعب في التقاط ما انتثر أمامه مما لم يقع على ظهر الكف؛ فيرمي الى الاعلى حصاة من يده في الوقت الذي يلتقط فيه حصاة أخرى مما على الارض؛ ومتى لم يفلح في ذلك فقد خسر، وان امكن له ان يستتم التقاط المنتثر على الارض؛ فانه لا بد أن لا يمس عند اخذ حصاة غيرها؛ الا اذا بقيت اثنتان فقط فانه لا بد أن يجمعها مرة واحدة ولو تباعدتا؛ ومتى تمت اللعبة على هذه الوتيرة؛ فقد ربح حصاة واحدة ثم يعيد اللعبة؛ الى أن يربح الجميع او يخسر الباقي، فلا يتحصل له الا ما فاز به؛ ثم ينتظر حتى ياتيه دوره ثانيا؛ ومتى تمـت الصفقة وانتهت الحصيات؛ يحسب كل واحد ما ربحه، فمن نقص له من العدد الذي كان له فان الرابح لاكثر من عدده يدفع له حصاة حصاة مع ضربة فوق كفه لكل حصاة؛ وتسمى هذه اللعبة (اكنترن) .

2 ـ شلوك ـ لعبة تكون بنوى التمر؛ ياخذ اللاعب نوى في باطن كفه؛ فيسال صاحبه: اشفع ام وتر، ثم يقرص على ظهر كفه كلما اخطأ. وتسمى اللعبة عند العرب : (خسازكا) قال الشاعر :

وشر اصناف الشيوخ ذو الربـا
اخنس يحنـي ظهـــره اذا مشى
الزور او مـــال اليتيم عنـــده
لعب الصبـــي بالحصى خسازكا

3 ـ ضما ـ لعبة اشبه شيء بالشطرنج؛ الا ان شروطها اخف؛ تلعب بالحصا مكان البيادق .

4 ـ طابت المصيدة ـ لعبة الاختباء، يختبيء صبي حيث لا يرى ولا يرى؛ ثم يتفرق الصبيان في المخابئ، ثم ينادي احدهم بالشلحة: طابت المصيدة (توالكلا) فيخرج المختبيء فيفتش عن اصحابه فمن وقع عليه اولا يركب على ظهره مليا ويدور به بين الصبيان .

5 ـ لعبة الحبل ـ وهي رياضة نافعة، يوخذ حبل فيربط طرفاه فيدخل صبي في طرف وآخر في طرفه الآخر فيتجاذبان؛ لينظر من هو القوي.

6 ـ لعبة الحمل ـ يحاول الصبيان في ان يحمل كل واحد صاحبه الى غاية محدودة .

7 ـ رماية الهدف ـ يضعون حجرا مفلطحا؛ فيرمونه من امد محدود يقف فيه جميع الرامين؛ فمن اصاب الهدف يصفقون له ويصيحون بالصوت الواحد فلان فائز .

8 ـ صيادة اليمام ـ يحفرون حفرة وينصبون ازاءها حجرا مفلطحا غير كبير؛ ويسندونه الى عود يضيفون اليه خيطا بعقدة تنحـــل بمجرد ما يمسها ماس ثم ينثرون حوالى الحفرة الشعير، فيبتعدون؛ فاذا جاء اليمام يلتقط الحب فيتتبعه الى الحفرة الصغيرة يدخل فيها؛ ولا بد ان كان في الحفرة ان يمس الخيط؛ فاذا بالحجر يغطي الحفرة فيبقى هناك حيـــا؛ فياخذه صاحب الحفرة .

9 ـ لعبة الخيط بحجر ـ يعمدون الى حجر صغير قدر ريال حسني يسوون اطرافه حتى يستدير؛ فيثقبونه ثقبتين في وسطه، فيدخلون فيهما الخيط المستدير؛ فيدخل طرفا الخيط في السبابتين؛ فيدار الحجر دورا بينهما مستمرا؛ ويسمى (امجري) .

10 ـ الخذروف ـ لعبة معلومة عند كل المغاربة، لا أحتاج أن اتكلف وصفها تفصيلا؛ وهي بالاجمال: طرف من العود مدبب الراس؛ وفيه حديدة؛ والعود مستدير أملس يرمى بخيط يدار بالعود؛ ثم يدور بنفسه بسرعة.

11 ـ المضاربة بالفاطو ـ وهو طرف من عيدان التين، يقطع على نحو 7 سنتيمات فيزال لبابه؛ ثم ينجر عود من الزيتون على مقدار الثقبــة المستطيلة؛ فيدخل في الثقبة طرف صغير من الكاغد المجموع المبلل بالبصاق؛ فاذا وصل هذا الى طرف العود يبقى في محله؛ ولكن اذا ادخل مثله من الثقبة، ويدفع بالعود يندفع الكاغد الاول بضغط الهواء؛ فيرمي بعيدا ما بصوت مسموع؛ يجعل الصبيان ذلك بمنزلة البنادق.

12 ـ المضاربة بالاحجار الصغيرة ـ وكثيرا ما يقع ذلك بين القرى المتقاربة؛ وترمى الاحجار بالمقلاع؛ والمقاليع على نوعين : نوع يسمى (السدى)

واخر يسمى ليزيبا يصنعان من الحلفاء ؛ ولا فرق بينهما الا ان الاول يجمع مكان الحجر فيه، والاخر يبقى حبالا صغيرة متقاربة يدخل طرفاها في حبل الطرفين .

13 ـ اللعب بالكرة ـ ولا تضرب هنا الا بالرجل؛ والمعهود أن تخاط من الخرق البالية؛ قبل ان تظهر الكرة العصرية من المطاط .

14 ـ المراماة بالماء يوم العنصرة ـ على أن هذا اللعب قلما يتعاطى في الغ كما يتعاطى في غيرها .

هذه هي الالعاب المشهورة الخاصة بالصبيان الالغيين. واما اللعب العام؛ فانه للرجال او للنساء ـ ولا يختلط الجنسان في لعب (أحواش) بالغ؛ وهو لعب يعرفه كل الناس خصوصا شباب الحواضر الذى يعجب به ان رآه او سمعه في المذياع ويقام في الاعراس والاعياد والافراح، يديره رئيس يعرف ان يغني؛ وفي يده دف؛ وحين يكون عرس او عيد او فرح كبير؛ كان المعتاد قبل احتلال تلك الناحية وقبل ان يزال منهم السلاح أن ياتي ارباب البنادق فيصطفون أمام اللاعبين؛ وتحت انظار النساء المطلات على اللعب من السطوح، فيطلقون بنادقهم بالترتيب؛ في الوقت الذى تطلق فيه النساء الزغاريت؛ ويرسلن على الرؤوس ـ طاقات الحبق ـ وهو النبت الطيب الوحيد الذى يعتنى به في الغ حتى انه يستنبت عند كل ربة دار ـ وكذلك ترسل البندقيات هكذا اذا زفت عروس وقاربت ان تدخل القرية التي تزف اليها؛ والرجال اذ ذاك يغنون اغنياتهم؛ واما اذا كان لعب النساء فقط؛ فان الدعار من الرجال يستديرون بهن او يطلون، والغالب في الغ قبل الاحتلال أن لا يذهب الى أحواش الا زمر المروءة؛ واما بعد الاحتلال فقد صار الرؤساء الذين لا مروءة لهم يستكثرون من احواش النساء تقربا الى المستعمرين؛ وفي هذا اللعب يوجد بين الاغاني اشعار الحب؛ واشعار الحكم؛ يحفظ منها الكثير .

وهناك لعب آخر كنا نعرفه قبل الاحتلال هو الرماية للاهـداف في عشايا الاعياد؛ يخرج كل اهل القرى الى اطراف القرية يتعلمون الرماية ؛ فيتخرج الصغار بالكبار؛ وهذا مما طوى بدخول المستعمر •

وبعد؛ فقد كان اهلنا المرابطون يترفعون عن لعب احواش؛ وكـان لبعض شيوخهم العظام سعي حثيث؛ في قطع ذلك في قريتنا حتى نادت القبائل بتغريم كل من اقامه؛ ولكن نبغ من اهلها من رد ذلك واعـاده جذعـا؛ ولله الامر من قبل ومن بعد.

اما الاغاني الالغيين في وقت الحصاد وفي الدراس فكلها أذكار وحكم

واستغاثة بالاشياخ المتقدين عندهم؛ وهي لديهم معروفة بالتقليد؛ وكذلك ما يتلونه في محافل الشاهد المسماة عندهم بالمعاريف؛ فانها ادعية مالورة يحفظها المسنون؛ وبالاجمال؛ ان عوائد الغ في الالما بهي عوائد كل جزولة بلا تخصيص ولا تنصيص ؛ بل هنالك عند غير الالغيين ازيد مما ذكرنـاه ثم ان ما ذكرناه لم يستوف الا قليلا• مع الاختصار في هذا القليل•

ما قيل في وصف إلغ من الاشعار

وقفت على قواف غير قليلة حول الغ واهله ؛ ولكنني لا اختار الآن الا ما له مساس خاص بارض الغ وبوصفه او التشوق اليه؛ او التشكي منه؛ وقد كنت انا نفسي صدرت مني اشياء من ذلك؛ فلاختر من كل ذلك مـا يقارب الموضوع :

قال شيخنا شاعر الجنوب وعلامة سوس ومفخرة الادب الالـغي ؛ سيدي الطاهر :

نسيم الصبا هبي بنشر ربا الغ	ففي نشرها للعاشق الصب ما يبغي
نعلل شملوا لم تغادر يد النوى	به غير سمع للملامة لا يصغي،
يحن الى تلك المنازل انها ؛	منازل بدر التم لا منزل الفرغ؛(1)
ربوع رباها المسك طيبا ونبتها؛	بوجه الفضا منها عذار على صدغ؛
تخال اذا ما الزهر نور أرضه	سماء حبا انوابها الفجر بالصبغ
اذا اشمست أرجاؤها قلت انها؛	فتاة على أعطافها صفرة الردغ(2)
هي السؤل والمامول لوسمحت بها	يد الدهر لكن شيمة الدهر ان يبغي

وقال ايضا يخاطب شيخ الغ العلامة علي بن عبد الله استاذه الوحيد؛ من قصيدة مطلعها :

بانت فبان جميل الصبر اسماء	وانهل من سحب الاجفان انواء

يقول وهو يصف نفسه بانه كالجسد الملقى يكتنفـه من الجوى والدموع النار والماء :

أرسى باحشائه الشوق المذيب كما	للمجد في أرض (تحت الحصن) ارساء
ارض ثراها عبير؛ والنسيم شذا	والمـاء راح، وكالياقوت حصباء
واربع طلعت فيها شموس هدى	فهي المنازل لا فرغ وعـواء
تاهت بواحدها الـغ فقلت لها	ايـه فقد سلمت مصر وزوراء

(1) الفرغ : من منازل القمر

(2) الردغ: الوحل، هكذا في اصول اللغة القاموس وشرحه: ولا يتم التشبيه الا اذا كان معنى الردغ ما له لون خاص كالزعفران مثلا، ثم وقفت على ان هذا المعنى في الردع بالعين لا في الردغ بالغين، ولا ادري ما وقع لاستاذنا مع انه يتثبت في اللغة .

وقال الاديب سيدى محمد بن الحاج الافرانى :

اياساكنا ارضا هى الارض وحدها　　بها ما يشاء القلب والاذن والبصر
اجل بلاد الله علما ورفعـــة　　ومجدا وسؤددا فحق لها الفخر
بها العلم والهدى بها المجد والعلا　　بها الدين والدنيا؛ بها الوعظ والسمر
فما شئت من عيش هنىء وحكمة　　وعقل رصين لا تحوم بــه الغير
بهم ولهم عيشى يطيب ومرتجى　　فؤادى وجودى معهم او يشا القدر
يذكرنيهم جود سحب السما وان　　تقاصر جودا عنهــم وان انهمر
الا ليت شعرى هل يتاح لناقتى؛　　بروك لديهم كي يزايلها الضجــر
فابصر ايضا عيشة مطمئنــة ؛　　ودهرا لطيفا كان اجمعه السحر
فاستجمع الصفو المــرىء لديهــم　　فتضحى عيونى بالمنى كلها تقر

وقال الاديب العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود المعدرى :

ليهنكــم يا آل الغ مفاخـــر　　فخرتم بها ما بين غرب الى شرق
سموتم بدورا بل شموسا بنوركم　　تفتق زهر الفضل من بعد ما رتق
فابقاكم للعلم والفضل والهدى؛　　الاه حباكم فى العلا قصب السبق

وقال ايضا :

حى ربع الرباب من (تحت حصن)　　منجـــدا زائرا لاوثـــق حصن
وبـوادى العقيـق فيــــه فعرج　　بالمطايا واعمد الى خير ركـــن
واقــرأن تحية مـــن مشوق　　قـــاده لهواهم كـــل حين

وقال العلامة محمد يحيا الصحراوى لما مر بالغ سنة 1313 هـ. فمكث فيه ما شاء الله ودرس فى المدرسة الالغية قليلا :

يا اهل (تحت الحصن) أنتم فوقه　　معنى وحصنكــم بعلم يشرف
ما ضر من بالفوق معنى وصفه　　أن كان فى حس بتحت يوصف
فارقوا بجد واجتهاد للعـــلا　　ترقوا معالى حدها لا يوصف ،

وقد وقفت على قطعة للاديب سيدى محمد بن الحاج يجيبه بهـــا؛ مطلعها :

بالغت فى الارشاد يامن ينصف　　اهل الوفا؛ والنصح دين يعرف

وقال الاديب ماء العينين بن العتيق الصحراوى :

يا آل (تحت الحصن) ان يقع النوى　　فبحفظ ودكم الفـؤاد زعيـم
لا زلتم مأوى الوفود وان دهت　　سنة ونـاب مـن الخطوب عظيم
انا بلوناكـــم فالفيناكـــم　　ما منكم فى النائبات مليـــم
لم تسجروا فطباعكـم محمودة　　والعرض مما يستلم سليـــم
انتم مناخ بنى السبيل وحيكـــم　　ابدا بقارعة الطريق مقيـــم
(ان امرءا جعل الطريق لبابه ؛　　طنبا وادى حقـــه لكريم) (1)
فعليكم اسمى التحايا ما شدت　　ورق عــلى ايــك وهب نسيــم

وحين وقف الاديب سيدى الحسن البونعمانى على قطعة محمد يحيا المذكورة؛ وعلى ما قاله ابن العتيق، قال :

لله ما قـــد هاج ذاك الموقف　　وعيــون الغ من الوداع تكفكف
نظموا دموعهم قصائد وهى فى　　حسن اجل من العقــود واشرف
كم توجوا قبل الرحيل مجالسا　　ولكم بشعرهم المسامع شنفــوا
ذهل المودع والمودع للنـــوى　　فكأنما دارت هناك القرقف (2)
حييت الغ فما أجلـك مجمعا ؛　　لوفود شعر أين مـــن يستنكف
علماء صحراء الفسيحة جددوا　　فيهـــا عكاظا للنهى تستوقف
احيا الولاتى فى الموات حدائقا　　غلبا بفكـــر فى المعارف تقطف
وابن العتيق مطرب بقريضـــه　　وعليه أعــــلام البيان ترفرف
وعليهما نبغاء الغ أغدقـــوا ...　　كرما وآدابا ومـــا يستطرف !
هـم افعموا من كل فن أكـؤسا　　للوافدين وبالنوادر اتحفـــوا ،
صف بالمفاخر الغ فهى جديــرة　　وأنا بالغ فى المفاخــــر اعرف

وقال بعضهم :

ابواب الغ لكل آت تفتــــح　　وصدور من يرجون منه تشرح
يامن يؤم الغ قلوصك واقترح　　ان الحوائج منك طرا تنجـــح
فسيح ما أبصرته بسهولــه ؛　　كم كـــان فيه للتجارة مربـــح
ارسل لطرفك فى البسيط عنانه　　فبسيط الغ كما تشاهد افيـــح
لا امت فيه لا اعوجاج كراحـة　　مبسوطة منهـــا المكارم تطفــح
من ذلك استقت الطباع من اهله　　(ان الاناء بما حـــواه يرشح)

(1) بيت قديم مبدل، وهو هكذا فى الاصل :
ان امرءا جعل الطريق لبابه　　طنبا واكرم ظله للئيم
(2) القرقف : الخمر.

وكتب الاديب محمد بابـه نزيل الـغ الصحراوي الى عميد الـغ سيدي علي بن عبد الله قطعة شطرها بعضهم؛ نصها :

عرج بـ(تحت الحصن) يامن سادا   لترى بعينك في الورى أجوادا؛
وانزل هنا لك ما تشاء وطولـن   واطـل به التطواف والتردادا
واكرع بمعهده ورد اعلامـه الا   قطاب والإجراس والاوتـادا
وامكث هنالك الف الف راتعا؛   بل بله عنك الحصر والتعدادا
قوم تقفوا في صيانة مجـده   ما رد للآداب الغ عمـادا
الغ وما الغ تلافي مجـده   أبناؤه الابـاء والاجـدادا
فاقرأ السلام على الفقيه وقل له   صيرت الغك للعلوم مهـادا
قبل يديه وأبلغن من خلـه ؛   أن التشوق لم يزل مـزدادا

كان قاضي (أقا) ورد على الغ فقابله أدباؤها بقصائد ترحيب ـ على عادتهم ـ فقلت له انا من بينهم قصيدة؛ من اولها :

ما الغ غير شعوره في شعـره   أسعد بمن ظفرت يداه بـدره
بالعلم والادب البليـغ فخاره   ان قام كل في الندى لفخـره
لم يحظ بالارض الخصيبة لا ولا   بالروض يونق من تدفق نهـره
لكن له أدب تدفق نهـره   مدا وهل أحد راى من جـزره
كل البلاد لها كنوز في الغنى   وكنوز الغ جميعها في شعـره
ما الغ الا البحر يزبد علمه ،   والشعر افضل مقتنى من بحره
بل روض مجد خضلت جنباته؛   وشذا القريض تارج من زهره
فبه يرحب بالنزيـل فينثني ؛   بجرا حقائبـه برائع سحره
فاذا افاض الشعر الغي فقـد   أدى بما أسداه غاية شكـره
وبمدح الغ وتركه يدري الورى؛   من كان فذا في العلا من غيره

اصبحنا يوما في الغ في فصل الشتاء سنة 1356 هـ. فاذا بسيط الغ بجباله يميس في حلة بيضاء من الثلج البراق؛ فحفز ذلك الشاب السيد الحسن بن علي الصالحي، وهو ناشيء اذ ذاك في اول عهده بقرض النظم فكتب الي :

اهلا بوفد الخصب وفـد سماء   نالت به الغبراء كل بهـاء
حنت اليه وكابدت بفراقـه   الم الغرام وصرحت بعنـاء
وتولهت حتى آتـاح لها الا لا   ء وصاله فتباشرت بهنـاء
نثر السحاب زمردا فتزينت   بعقوده وتبرجت للقـاء
فترى البسيطة كالعروس تبرجت   وتتوجت بزهورها كسمـاء

وترى الخليفة بعد ما قد كابدوا   جهدا قد احتفلوا بكل ثناء ،
هذا بفضل الله ليس بغيـره   نهج الفقر عبـاده وغنـاء !
لولا النبي المصطفى ورجالـه !   عند الإله لما سقى بالمـاء

بهذه القطعة الحسنية تحركت قريحتي. فقلت هذه القصيدة التي صورت فيها جولتي في صباح ذلك اليوم :

ما ذا راى من لم يكن بالرائي   ثلجا يشع بلونه الوضـاء
لا سيما ان عم حتى لا تـرى؛   من لمعة في سائر الارجـاء
والارض من اثوابـه مياسة ؛   ميس العروس بحلة بيضـاء
فكانما وجه البسيطة فضـة   مصقولة براقـة اللـلاء
وكانمـا كل الثرى حبب الكؤو   س متى يشعشها المدير بماء
او روضة ازهارها مبيضـة   مخضلة من مسة الانـداء
والجو صاف والسماء كأنهـا ؛   مرآة من تعتادها بجـلاء
والشمس قد القت لدى اشراقها،   بشعاعها الوهاج في الانحـاء
فجلا بياض الثلج في برقانـه   حتى ليعشي أعين البصـراء
اني التفت رايت أبيض ناصعا   شرك العيون وفتنة للرائـي
نهوى به لو كنت اجمع أعينـا   كي تحتظي في لمحة بمـراء
لله وقت ضحى خرجت لنزهة   ترتاد في البيضاء لا الغبـراء
والارض تبرز في قشيب ثيابها؛   لماعة الانجاد والبطحـاء
واليوم طلق والحيـاة مسرة   والقلب مجلـو من الاسواء
والنفس تانس بالطبيعة اذ بدت   أسرارها بالطلعة الغـراء
فوضعت فوقي معطفي والعقل لا   يفتـر صاحبه بصحـو شتـاء
فمشيت اخطو والبسيطة نضدت   ساحاتها باللؤلـؤ الوضـاء
في جانبيها شامخـات توجت   منها المفارق باخضرار سمـاء
فكانني في صحن بلـور وقد ؛   غطيته بكرامة خضـراء (1)
فاجيل ابصاري اجالة حائـر   في تينـك الخضراء والبيضاء
متنقـلا بلواحظي مترنحـا   مما أرى من روعة وبهـاء
واللب ماخوذ كان طافت بـه   ايدي السقاة بخمرة عـذراء
فاقول ياعجبا أفي ذا اليوم يبـ   ـقى المرء تحت الشملة الصماء
من ذا يرى النعماء هذي ثم يبـ   ـقى بعد في الجدران تحت كساء؟
من ذا الذي لا يستفز شعـوره   ببسائط مبيضة زهـراء ؟

(1) كرامة المائدة: غطاؤها. وبذلك فسر بعضهم (حبا وكرامـة) اي اناء وغطاءه .

أين القرائح اين ما يعتـــاد ان ... يبهر عجيب اعين الشعـــراء ؟

* * *

قضيته زمنا اجـــول وانـنـــى ... فكه الفؤاد بهذه النعمـــــاء
متمتعا بمناظر ما مثلهـــــا ... من منظر، ما سامع كالرائـــى
وانا اميس ومحجنى فى راحتى ... كيلا تزل الرجـــل فى الارساء
حولى بياض ناصع يقق ومـــن ... فوقى اخضرار طافح بصفـــاء
ما كنت أحسب أننى متهلل ؛ ... يوما هنـــا بملامح السـراء
حتى رايت اليوم الغا كلهـــا ... بسهولها وجبالها الشمــــاء
قد جللت بالثلج يلمـع صافيا ... كالثغر حين تبسم الحسنـــاء
فاهتز عطفى نشوة وأثارنـــى ... ما يستثير خواطر الادبـــاء
فاحس من طيب الحياة وعيشها ... ربا كان قد عدت للحمراء (1)

* * *

العادة فى الغ ان شهر مارس هو مقياس الفلاحة؛ فان أمطر جـــاء الخصب والا فعكسه؛ فتاخر المطر فى سنة الى هذا الشهر فصاب؛ فقيل فى ذلك :

الغيث فـى مـارس بعـ ... ـد ما انقضى الصبر الجميل
كالـوصل جـاء بغتـــة ... من بعد هجران طويـل
بينـا ترى الجفـــاف يسـ ... ـتولى على زرع الحقـول
والورق الرقيـق سيـ ... ـسم باصفرار وذبـــول
ولفحة السموم تـر ... مض البطاح والتلـول
وصرصر الاعصـار يهـ ... ـشم الفروع والاصول
والياس يرسل عـــلى ... اهـل الفلاحـة الذهول
اذا بمـزن هـامـــع ... مسترسل الغيث الهطول
يحيى البـلاد والقلـو ... ب بتمـوج السيـول
فتسترد الارض زهـ ... ـوها من الزهر البليـل
تلـوح كالحسناء فـى ... مطارف وفى حجـول
فاينما التفت ابـ ... ـصرت قشيبا مستطيل
فكـل حقـل غـادة ... ماست تجـرر الذيـول
تبهـر مـن يبصرهـا ... تحت نسيمهـا العليـل
فالحمد للـه الـذى ... روى بفضله الغليـل
ورد للربيـــع بالـ ... ـحيا رواءه الجميـل

---

١) لا ينسين القارىء أن القصيدة قيلت بعد النفى من الحمراء الى الغ .

ما الغ فى غير الربيـ ... ـع غير قفر ذى طلول
تجهـــم ووحشـــة ... فلا مبيت لا مقيـل
جرداء لا روض ولا ... حوض بهـا لمن يجـول
لكنها فصل الربيـــ ... ـع مـا لارضها مثيـــل
بســاط مخضرة ... يحوطها الجو الصقيل
فـاينما التجيت منـ ... ـها تجد الظل الظليل
لا سيما عنـد الضحـــى ... وعند زبـرج الاصيل
حييت يـا الـــغ بهـ ... ـذا الفصل لا كل الفصول
فان يزل عنك الربيـ ... ـع فتحيتـى تـــزول

ومما صدر عنى اذ ذاك وانا فى هذا البسيط اتلون بين فـرح وحزن؛ فاقول كيفما تيسر ؛ فمن ذلك :

يا طيب الغ فى الربيع فـما ... لجـوه فى طيبه من قسيم
ارجاؤه الفيحـــاء مخضـــرة ... تقابـل الطرف بوجـــه قسيـم
فكلما اسمته نظـــــرة ... اسمتها بين بسيط وسيـــم
يموج بالصحة لست تـــرى ... ذا علة هنـاك الا النسيـــم
يفوز فيه رائـد العلـم ان ... فيه يخيـــب حاطب او مسيـــم
لـولا ينابيـع العلـوم بـــه ... والذكر ما زارته ذات رسيم
مدرسـة جــوار زاويـــة ... فجاور العالم فيه الدسيـــم (١)
وان صقعـا مجـده علمـــه ... لفالج القدح بمجد جسيـــم

ومـن ذلك :

لله الـــغ ومرءاها ومحياها ... وما يشم اذا حيت برياهـا
وما تحس به بين الشغاف وقـــد ... قاربت ان تجتلى منها محياهـــا
حتى اذا انكشفت بطحاؤها فـاذا ... الغ السماء التى تدرى ثرياهـــا
سماء افق المعالى من يطل عـــلى ... آفاقها الغر حياهـا وبياهـــا
خصب القرائح لا خصب المزارع ما ... فى الغ فهو على الاماد محياهـــا
ففكر الغ حيـاة للعلـوم ومـــن ... أحيا العلوم على ارض قد احياها

ومما قيل فى وصف الغ وهو وصف حقيقى :

اوصاف الـغ متنافيـــات ... عند القيـاس متناقضـــات
ضـد لقد يتقابـــلان ... كفارسين يتصـــا و لا ن

---

(١) الدسيم : الذاكر

مناخها بجدبه المقبر   مباين لعلمها المفتر
غير ربيعها بسيط يكلح   صقيعه وقت الشتاء يلفح
فلا تمت ارضها لاهلها   الا كمت حزنها لسهلها
فكل من يزورها مـرات   بين فصول متفاوتـات
لا بد ان يصفها فيشهـد   حينا يذمها وحينا يحمـد
ان شرفت ارض بنيها فبنو   الغ همو من شرفوا وزينوا
ومن اتى الغ فما اتاهـا   وانما اتى بنى رباهـا
فانه من علمها سيعجـب   لكنه من فقرها سيكـاب
فانها من جهة لمخصبـة   كما ترى من غير تلك مجدبة
مجدبة كما ترى حقولهـا   لكنهـا مخصبـة عقولهـا
فكم علوم من بنيها فائضة   وكم بئار فى رباها غائضة
وكم بحوث عندهـم مفجـرة   وكم هضاب عندهم محجـرة
روض الفهوم عندهم مزدهر   وما هناك قط روض يزهـر
خزائن العلوم دافقـات   ولا ميـاه متـدفقـات
قلوبهم فى العلم بين العين   والشيح والحلفـاء للعيـون
متعهم فى الادب الاندلسـى   لافى الرياحين ولافى النرجس
فكم قصائد لهـم عصمـاء   بين بسائط لهـم جـرداء
وطيبهم من عرف (نفح الطيب)   فى وسط ذاك الجرز الجديب(١)
فهذه الغ وذى اوصافهـا   وارحمتا لمن همو آلافهـا
سبحان من يجعل فى الاضداد   لحكمـة منفعـة العباد

ومـن ذلك :

نعمـة الالغـى فتـح   لكتـاب وسـط داره
بيـن رشف الكؤس   واصطلاء حول نـاره
يتمـلى قابعا بيـ   ـن التفافـات ازاره
بنعيـم كان فيـه   دفتر قطب مـداره
والاعاصير تـدوى   فوقـه أو فى جـواره
فيكاد البيت ينـد   ك جميعـا بجـداره
جنة الـغ وان حفت   بـأنـواع المكـاره

ومـن ذلك :

الغ بسيط بلقع مقفر   لا روض فيه لا ولا عيـن
تجول فيه ما تجول فـلا   تبصر فيه مونقا عيـن

---

١) الجرز بضمتين : من الارض : التى لا تنبت .

شتاؤه سم زعاف لمن   يقطنه وان لـه كـن
يعصف فيه صرصر صافـر   كأنما يقطنـه جـن
تشقق الاطراف منه وان   حوليك دار الصوف والقطن
وتجمد الصهباء من قـره   اعظم مما يجمد الـدن
حتى مياه المزن فى افقـه   تكاد لا يندى بها المزن
كم قرعت من فم قاصـده   ندامـة وحسرة سـن
لولا علوم من بنى الغ لـم   تصـخ الى اخبـاره اذن
ولا رايت قط من مبصـر   الى تجـاه ارضـه يرنـو
لكن قطرا زانه اهله   يعلـو بهم بين الورى شان
هل البلاد غير سكانهـا ؟   بهم لها الزين او الشيـن

ومن ذلك ما قيل ارتجالا لسبب اقتضى ذلك :

اذا احتفلت اداب من كان فى الغ   تصاغ كما تبغى وفوق الذى تبغى
فاية ارض حول الغ متى شـدا   من الغ بليغ بالقصائد لا تصغـى
فالغ لكف الشعر والناس كلهم   شهود على هذا ؛ بمنزلة الرفـغ
لئن كان قفرا فهو كالخد ليس فى   جوانبه الا طلائع من صـدغ

ومـن ذلك :

الغ المعارف والاداب بلدتهـم   لا الغ مـال ولا الغ الامـارات
من رام علما وآدابا وحـل بهـم   يقـر عينا بآيـات وآيـات
ومن يرد عرض الدنيا فليس لهم   مجد القصور ولا مجد الرياضات
فالعلـم حرفتهم والبحث شيمتهم   والفهم حليتهم بين النديـات
ان تسألن الصبا عن زهر أرضهم   هبت عليـك بآداب ذكيـات

ومـن ذلك :

الغ فردوس لمن منيتـه   صحة الجسم وجورائـق
ونسيـم مستطاب فى المصيـ   ـف وماء مستلذ فـائـق
اى مصطـاف عجيب لوبه   خضرة الروض وماء دافق
انما المصطاف أشجار لها   ضفة النهـر حفيـف شائـق
فـاذا اعـوز هـذان فمـا   بعـد يهفو لهواه عـاشق

كنت مررت فى سفرتى الى (تامانارت) بوادى (ترت) فصدرت منـى قصيدة فى وصفه ؛ ـ مطلعها

وضيق واد بترت طويـل   كما امتد للماء خرطوم فيـل

ثم شفعها الاديب الالغي سيدي الطاهر بن علي بن عبد الله باخرى مطلعهـا :

لك الفضل ترت على ما بـه   يخاطبك اللوذعي الجليل (١)

ثم مضت ايام بعد رجوعي من السفر وشيوع القافيتين ؛ فاذا بهـذه القصيدة الجديدة؛ وقد قالها الاديب الالغي سيدي الحسن بن علي بن عبـد الله ؛ حكاية على لسان الغ تحتج على ذكر ترت ونسيانها؛ هي؛ والقصيدة:

اتتني الـغ بـدمع يسيـل   كجدول مـاء بخد اسيل
تنادي الاديب الاريب الـذي   تحلى بعز ومجد اثيـل
جمال الوجود ومفخـره   وكنز المحاسن لا لامثيـل
رئيس المعارف مختارنا   شفـاء لكـل فؤاد عليل
تقول اليس من الحيف ان   تبجل (ترت) بذكر جميـل
اينشر ذكر لترت ومـا   حظيت لديكم ولـو بقليـل
وما ترت الا ممر يشيـ   ـب وينسيك أهلا وكل خليل
يذكـر ضيفـا ممر الصرا   ط اذا ما مررنا به في مقيـل
على انني للعـلا محتـد   وأنتم سليلي ونعم السليل
ولكن هجرت فاحفظني (٢)   ثناء لغيرى وحـقي جزيـل
اينسى بسيطي ومـا فوقـه   وما يحتوي من سرى نبيـل
وما وسطه من ربا للزهـو   روخير قرى يتلقي النزيـل
وما بين ذلك للزائـر   ين وما مهدوا من سواء السبيل
اتنسى علوم من النحو كـ   تسر مبردهم والخليـل
اينسى نحارير في كل علـ   ـم هنا ما لهم من مثيـل
اشادوا المعالي وما فيهـم   سوى مستحق اعتراف الجميل
الا فانظرن يا ابن الغ الـ   ـى مكانـة الغ المقام الجليـل
ففي كل ناحية يستحـ   ـق الغ احتبالا بكل دليل
وما الغ بين البـلاد سـوى   عزيز وما (ترت) غير الذليل
اينفي العزيز ويبقى الذليـ   ـل اذا كان في الشعر قال وقيل
الا غيرة منـك الغيـة   فتنسف هذا الكثيب المهيـل
لعلك تراب ما قـد صدعـ   ـت لتشكر عن الغ في كل جيل
فالغ سرت تحت ذيل الدجـا   كطيف خليل سرى لخليـل
تراود انصافها بالقريض   منك ومن صنـوك المستطيل

(١) والقصيدتان في (الرحلة الثالثة) من كتاب (خلال جزولة)
(٢) احفظـه : اغضبه

فان القوافي لتنصف مـا   تسارع الت وذاك الزميـل

فتكلفت الجواب تكلفا لا يرضي الادب مطلقا لا الالغي ولا الادب العـام فقلـت :

حنانيك الغ المكان الجميـل   فما لك بين القرى من مثيـل
اما كنـت في بهجـة فـذة   اليك بها كم وفود تسيـل
اما كنت روضا اريضا فمـا   يزورك الا نسيـم الاصيـل
قرائح مـنـك يفجرها الـ   ـبيان المروق بالسلسبيـل
اينكر شانك بين القـرى   لدى وان لم يكن من دليل ؟
اما فيك شعر بليـغ تـرى   لروعته كل طود يميـل
أما فيك علم تفننه الـ   ـفهوم كما جال سيف صقيـل
اما فيك صوفيـة لهـم   عزائم مـا لهم من عديـل
اما فيك رى لكل العطـا   ش فيصدر كل ببرد الغليـل
تراك شفاء لكـل فتـى   يزور مقامك وهو عليـل
صباك تفوح بخلق بنيـ   ـك تشم كزهر بروض بليـل
فيا طالمـا صح من شمهـا   الا اعجب لذي صحة بالعليـل
شرفت شرفت الى ان تشـر   ف حوليك كل قبيل قبيـل
فلله ذاك البسيط فكـم   راى من عليم فصيح نبيل
اذا قال قافيـة فـذة   يرددها مثـلا كـل جيل
او ان حبرت كفه مهرقـا   ترى كعذار بخـد اسيـل
كذلك يا الـغ انـت ومـن   يكذب انك قطر جليـل
فلا عجب . ان يطيـب اليـ   ـك ومنك لاجلك كل سبيـل
فيدرك (ترت) نصيب ومـن   تجاوره فهو ايضا جميـل
فانت تنيل الجمـال لتـر   ت واشباهها ولنعم المنيـل
فكل مديح لهـذي الجهـا   ت وكل قريض ففي الغ قيـل
ايطرق لي بالحصـا وانـا   ابيت بالغ وفيهـا اقيـل
وفي كل وقت انث عن الـ   ـغ مفاخر ما ان لهـا من مثيل
امني عقـوق يظن لالـ   ـغ ؟ فبالك ظنا كبرق يخيـل
وكيف واني أوال الثنـا   ء عن مرقـم لم يكن بالبخيـل
سينكشف الدهر عمن يكـو   ن لالغ المعارف خير سليـل
اذن يعرف الناس مني ومـن   اخي خير نسل وخير زميـل

ولنختم هذه القوافى الالغية باخرى كانت صدرت منى يوما قبل ان آلف الالغيين وامازجهم الى ما نزلت بهم فى منفاى عام : ١٣٥٦ هـ

(يقولون واقـــول)

يقولون صبرا انـــه بك اجدر ... فقلت نعم لكنني كيف أصبر ؟
وقالوا تكلف ما استطعت فربمـــا ... فقلت لقد حاولتـــه ثـم اقهـــر
وقالوا تجلد في النـدى فقلت قـد ... أباغت حينا بالدموع تفجـــر
وقالوا تباعد ما استطعت فقلت قـد ... تباعدت لكنى على الرغم احضـــر
وقالوا اتبكى كل من قد تركتهـم؟ ... فقلت لعيش بينهم ليس يكفـــر
وقالوا الم تقدر تناسي ذكرهـــم ... الى أن يعودوا ؟ قلت لا لست أقدر
وقالوا اهم ايضا وفوا؟ قلت اننـــى ... على كل حال انني لست اغـــدر
وقالوا فداستعبدت بالشوق قلت:هل ... يفى فى النـوى الا فتى متخـير
وقالوا السـت الحر ؟ قلت لهم بلى ... ولكننـــى من ودهم لا أحـرر
وقالوا من أعلى الناس عندك سؤددا ... ومن هو أزكى مخبرا حين يخبر
فقلت بنو الحمراء شيخا ويافعـــا ... وليس كـراء من بـــذلك يخبـــر
وقالوا ومن اولى الورى بجوارهـــم ... ومن مورد منهم حميد ومصـــدر
فقلت بنو الحمراء من كان جارهـــم ... سيورد من شتى البحار ويصـــدر
وقالوا ومن اذكى الانـام اذا سـمـا ... لبحث عويص دونه الفكر يعثر
فقلت بنو الحمراء اصحـاب فكـرة ... كجذوة نار فى يفـاع تسعـــــر
وقالوا سبى المراكشيون عقلـــــه ... فقلت انا مختارهم ما اخيـــر
وقالوا اما فى الغ والاهل غنيـــــة ... فقلت بلى لكن لمن ليس يشعـــر
وقالوا اذن انكرت فضلا مشهـــراء ... فقلت متى فى البدو فضل مشهـــر؟
وقالوا اما فى الغ علم وحكمـــــة ؟ ... فقلت وءاداب بها كان يذكـــــر
فقالوا الم تولد بالـــغ ؟ فقلت هـــل ... تظنون انـــى للولادة منكـر ؟
وقالوا لمـاذا اليوم تعرض جامحا؟ ... فقلت لانى بعدكم متحضـــــــر
وقالوا اهذا كل ما كـان وحـده ؟ ... فقلت وخلق من كلينـــا مغيـــر
وقالوا سيكفيك التخلق امـره ... فقلت وخلف بيننا اذ نفكـــــر
وقالوا وما التفكير ؟ فقلت أبعـد ذا ... يعنفني ان صحت بالشكو معشـــر
فانى يكون الحر بين معاشــــــر ... مداركهم لم تدر كيف التفكر
امن بعد هذا تستطاب بالغكــــــم ... حياة بتنغيص الجمود تمـــــرر ؟
ومن عجب انـى اجيش بفكـــرة ... فاودعها شعرا بليغـــا فتدخـــر
فيحسب من فى الغ انى خائـر ... جزوع عظامى بالاسى تتكســـر
فيعطف بعض كي يسلى وما درى ... بان صفاة الحر لا تتاثـــــر

وما هى الا وثبة من خيالـــــه ... وفورة جاش تستهل فتزفـــر
فتودع فى الاشعار خير ذخيـــرة ... لكل اديب لا فج الفكر يشعـــر
فكم شاعـر فحـل تخيـل نكبـــة ... لكيما يجيد القول فيها فيبهـــر
فكيف انا يا قوم افلتها وقد ... عركت بها عركا يقض ويسهـــر
اكل مصاب فاض بالشكو جـــازع ... خصوصا اذا يشكو خليا ويستر ؟
فما كل ذى رزء اذا ان خائـــر ... ولا كل ذى شعر شكـا متاثـــر
اينظر من اى البراكين ان طـغى ... من احشائـه الاتـون الا التفجر ؟

هذه القوافي هى التى وقفت عليها مما قيل فى الغ التى كنت قلـــت فيها من قديم متشوقـــا :

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلـــة ... بالغ وحولى الشيح يطهى به سكسو؟
وهل اردن يوما مياها بعنصـــر ؟ ... وهل يبدون بردى لطرفى وآمقسو؟

والشيح هو الوقود الوحيد فى الغ وبه طبخهم : وسكسو هكذا ينطقون به لا (كسكسو) والعنصر بفتحتين بير غدبة المـــاء امام دارنا : وبـــردى بفتح الباء وسكون الراء وفتح الدال : من بسيط الغ الشمالى : وامقســو: بفتح الميم وسكون القاف : جبل عـال فى الشمال الشرقى من الـــغ : والبيتان عورض بهما البيتان المشهوران اللذان عورضا كثـيرا من الادبـاء قديمـا وحديثـا

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلـــة ... بواد وحولى أذخر وجليـل ؟
وهل اردن يوما ميـــاه مجنـــة ؟ ... وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟

تقسيم الكتاب

١ - القسم الاول : فى المرابطين ابناء الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد الذين يقطنون فى الغ وفى اكادير ايزدى وامثالها من كل مكان فيه مساكنهم بتلك الناحية . وفيه فصلان :
الفصل الاول : فى المرابطين ابناء الشيخ الذين درجوا قبل عام ١٣٧٥هـ
الفصل الثانى : فى المرابطين أبناء الشيخ الذين لا يزالون أحياء بعد عام ١٣٧٥ هـ

٢ - القسم الثانى فى الالغيين غير المرابطين من المانوزيين والايغشانيين والوفقاويين والاغوديديين ؛ وقد نذكر من هؤلاء من لا يسكنون فى الغ؛ بل فى قبائلهم الداخلية ؛ وفيه خمسة فصول
الفصل الاول : فى الاغوديديين
الفصل الثانى : فى النازلين بالسكنى فى قرية (دوكادير) وليسوا اصالة من الالغيين .
الفصل الثالث فى الوفقاويين
الفصل الرابع : فى الايغشانيين
الفصل الخامس : فى المانوزيين

٣ - القسم الثالث : فى أساتذة الالغيين فى القرآن والعلوم والتصوف .
وفيه فصلان :
الفصل الاول : فى مشايخهم فى التصوف
الفصل الثانى : فى أساتذة الالغيين فى العلوم وبينهم بعض كبار من اساتذتهم فى القرءان

٤ - القسم الرابع : فى تلامذة الالغيين علوما وتصوفا ؛ وفيه فصلان :
الفصل الاول : فى تلامذة مدرستهم الالغية خاصة .
الفصل الثانى : فى مشاهير الاخذين من زاويتهم من العلماء واللامعين من غير العلماء

٥ - القسم الخامس : فى اصدقائهم السوسيين الذين يترددون اليهم . أو كانوا هم الذين يترددون عليهم حتى تكونت بينهم لحمة كالاستاذية والتلميذية . والمقصود بسوس جنوب مراكش

هذه هى اقسام الكتاب . وارجو من الله ان يوفقنى ويسهل لى حتى يتم كما قدرته وحررته فى نفسى . فانه ان تم على ذلك النمط سيؤدى مهمة تحيى غالب الاسر السوسية أو بعضها على الاقل ؛ كما ستنشر من تراجم المتأخرين صحفا ان نشرت كما نريد فستفتح لسوس تاريخا واسعا يمكن لمن بعدنا ان يستتم عليه . وانا منذ الان اقر بعجزى وبقصر باعى . وبكونى بلا ريب اقع فى اغلاط . ولكن حين بذلت جهدى وافرغت ما فى وسعى فلا عتب على والكمال انما هو لله وحده

الفصل الاول

من القسم الاول

ويتضمن تراجم هؤلاء :

عبد الله بن سعيد الجد الاعلى للمرابطين السعيديين
احمد بن عبد الله بن سعيد ولـــده
محمد بن عبد الله بن سعيد ولد له ءاخر
على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
حسين بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد
احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاخفيرى
ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد التاكانزى
بلقاسم بن على بن أحمد بن عبد الله بن سعيد التيبيوتى
احمد بن بلقاسم ولـــده
سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه فى اهله السليمانيين
ابراهيم بن سليمان ولده
أحمد بن صالح بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد أول فقيه فى الصالحيين
صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن سعيد
محمد بن بلقاسم التيبيوتى الفقيه الاول فى القاسميين
الحـاج عـلى التيبيوتى الفقيه
الحاج عبـلا بن صالح ابو الاعلام
العلامة سيدى محمد بن عبد الله ولده مؤسس المدرسة الالغية منبع مجد الغ
الشيخ سيدى الحاج على بن احمد الدرقاوى مؤسس الزاوية المنبع الثانى لمجد الغ

العلامة سيدى على بن عبد الله
الفقيه سيدى الحسن التياسيتى
الفقيه سيدى صالح بن احمد الاوفقيرى
الحاج بلقاسم بن عبد الله
سيـــدى عبـــلا بـاولا
النجيب سيدى احمد بن محمد بن عبد الله الصالحى
الفقيه سيدى البشير بن الطيب
الفقيه سيدى موسى بن الطيب
النجيب الحسين بن احمد بن الحاج صالح
السيدة تاكدا أم الشيخ الالغى
سيدى ابراهيم بن احمد الطالى
سيدى احمد ابو الفــــدام
الفقيه الاديب سيدى على بن صالح الاوفقيرى
النجيب سيدى الحسين بن ابراهيم الصالحى
النجيب سيدى عبد الله بن احمد الصالحى
سيدى صالح بن احمد الصالحى
سيدى احمد بن محمد التاهــالى
سيدى احمد بن الشيخ الالغى
سيدى عبد الرحمن بن محمد الصالحى
النجيب سيدى محمد بن عبد الله بن محمد الصالحى
النجيب المغتبط عبد الحى بن عبد الله الصالحى
العلامة سيدى المدنى بن على بن عبد الله الصالحى

سيدى عبد الله بن سعيد التهالى

نحو : ٩٥٥ هـ — بعد ١٠٥١ هـ

نسبـــــه :

عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك؛ اوحسين بن مسعود على ما في بعض الرسوم اوحسين بن يبورك بن مسعود ان جمعنا بين ذلك وقدرنا ان يبورك انما سقط فى بعض الرسوم .

هذا هو الجد الاعلى الذى تنتسب اليه قبيلتنا السعيدية؛ وهو على شهرته غامض من نواح عديدة؛ حتى ان اصله ومسقط رأسه غير معروف الا رجم ظن ؛ وأقاويل تتداولها الالسنة ؛ والمعروف أيضا من سلسلة نسبه لم يتجاوز اولئك الثلاثة او الاربعة؛ والكلام حوله للباحث قلما يجد ما يستضىء به فى طريق بحثه الوعرة المدلهمة؛ وها نحن اولاء سنبذل جهدنا فى ذلك؛ على حسب ما يتراءى لنا من كلام المؤرخين ومن رسوم وظهائر توصلنا بها؛ ونستعين مع ذلك بسوق ما يقوله اولاده او يشيع عنهم هنا وهناك .

ما شـــاع عنه فى الالسنة

شاع عند أولاده شيوعا متواترا ان أصله من(تامدولت أوقا) وان ولادته هناك ؛ ثم انتقل بعد الى أكادير نتبسيست بين ساموكن وتامانارت؛ ثم من هناك اتصل بشيخه الرجل الصالح سيدى يحيا بن عبد الله التملى (وشيخه هذا فى التاريخ معروف موصوف بانه شيخ يربى المريدين؛ ويرشد السالكين؛ ويصفى القلوب لتتصل بالملا الاعلى؛ وهو من اهل القرن العاشر؛ وقد توفى نحو عام : ٩٩٩ هـ) فلازم خدمته على سلب الارادة؛ فيحكى انه وكله على غرس بستان من الرمان؛ فقام عليه منذ الغرس حتى اثمر؛ وبعد ذلك امره ان ياتيه برمان لاضياف عنده؛ فاتاه به؛ فاذا به مـز؛ فقال له ما هذا؟ او ما تعرف اننا اردناه للاكل؛ فقال له : اننى لاعرف مذاقه؛ فقال له الشيخ : أو لا تعرف الحلو من غيره فى البستان وأنت القيم عليه من أول يوم؟ فقال : انك يا سيدى لم تأذن لى فى الاكل منه؛ فكان ذلك اول ما لاحظه الشيخ ملاحظة خاصة (١)؛ ثم فى يوم ءاخر وقد تكاثر اضياف ءاخرون

---

(١) مثل هذه الحكاية توثر قبل ذلك العصر بين الشيخ التباع وبين تلميذه الغزوانى .

عند الشيخ؛ امره ان يوقد الفران للخبز؛ فصار يتردد الى الشيخ بعد ما حمى وطيسه يعلمه باتقاد الفران حتى اضجره؛ فقال له بغضب : ان الفد فادخله ؛ فبعد لاى قال الشيخ لاضيافه ؛ قوموا بنا الى ذلك الابله ؛ فانه لا يبعد ان يلج الوطيس لما سمعه منى من الكلمة الفارطة ؛ فوجدوه داخل التنور جالسا؛ واللظى فى الاشتعال؛ غير انه لم ينله ادنى ضرر؛ الا ما كان من رؤوس اظافير رجليه فقد نالها بعض احتراق؛ فامره بالخروج ثم ودعه؛ فامره ان يسكن فى وادى (ايمور) حيث قضى عمره كله

ويقال ايضا : انه لما سكن هناك دبت عقارب الحسد فى اهل البلد؛ فراح عنده الشيخ يوما؛ فاشتكى عليه؛ فامره باغماض بصره ثم فتحه؛ فاذا به يرى الوادى كله يسيل خيلا ورجلا؛ فقال له : هذه جنودك؛ تسلطك على كل من تعدى عليك؛ فصار اهل البلد كلما امتدت من احد يد اليه يصاب بسوء فانكفوا عنه بذلك .

النطفيـــات التي اسسها في القفار

ثم يقولون : ان من حكاياته ان له نطفية فى (دراووغ) فمر به هناك بعض الملوك بجيش كثير ؛ فاضر بهم العطش فى ذلك المحل — وهو معطشة الى الان؛ — فقال الملك لمن حضر : من يقدر ان يسقينى انا وجيشى؟ فلم ينتدب احد؛ فكرر ذلك فمثل بين يديه عبد الله بن سعيد؛ وهو مشتمل برداء ؛ فقال له : انا اسقى الجميع ؛ فقال له ؛ او تقدر على ذلك يا صاحب الشملة ؟ فقال له سترى؛ فمال بالجيش الى نطفية له كان قبل بناها هناك؛ فصار الجند يمر بها فيصدر ريا؛ وهو يناول لكل من شرب خبزة يتناولها من تحت ابطه حتى روى الجيش .

ثم يذكرون ان عادة الشيخ ان يدور مع تلاميذه فى القفار؛ فيؤسس النطفيات حتى انه اوصى اولاده فيما اوصاهم به؛ ان يقوموا على نطفياته ؛ فقام بنوه على ذلك الى الآن ؛ وءال اكادير ايزرى هم القائمون بهذه المهمة ؛ لا يفرطون فيها ويعدون تلك النطفيات اثنتى عشرة؛ وكانت تسمى بنات الشيخ عند المتحدثين وهى :

١ — (انبد تنوملبلين) فى الطريق المارة بين (اكرض وايشت) بوادى (تامانارت)

٢ — فى (بو الجير بين تاكجكالت نيت ليكنى) وبين (اوسا)

٣ — فى الطريق بين (اداى) و (افران) فى قفر هناك

٤ — فى ايخف ايفير وينكونا ؛ بين (تيمولاى) و (بوزاكارن)

٥ ـ فوق الرائع في (ﻻازروالت) وسمعت من بعضهم ان هنالك اثنتين اخـريـيــن

٦ ـ في ءايت (بومريم) في مسجد بناه هناك

٧ ـ المذكورة في (دراووغ) التي اصدرت ذلك الجحفل اللجب ريا حتى ضرب بعطن فيما يقال :

٨ ـ في (سمون ايسان) في القفر الذي يوجد في جنوبي الغ

٩ ـ في (تينوضفيوين بيزين) في طريق تامانارت من الغ

١٠ ـ في (فم افيفاغ) في شرق (ءاكجكال) بالغ

١١ ـ في ءاودرى بتهالة

١٢ ـ في (اكرض ايملالن) بـ (ايسي)

هذه هي النطفيات التي تواتر عند المرابطين ان جدهـم هـو الـذى اسسها ثم اوصاهم بتعهد ترميمها؛ ولا يزالون على ذلك الى الان

ويقولون ايضا انه هو الذى بنى مسجد ايت بومريم ولا يزال قائما يضاف الى الشيخ •

تلك هي الترجمة التي يلقيها اليك جميع مرابطينا؛ وهي في الحقيقة لا تتجاوز في بعض ما فيها ماتعج به بعض الكتب التي يهرف بعض اصحابها بما لا يعرف اذ كان يقول ما لا يدرى؛ ونحن لا نستبعد ان يقع كل ذلك لاننا نعتقد ان قدرة الله لا يتعاظمها شيء؛ وان الامانة التي تدل عليهـــا الحكاية الاولى ؛ وخرق العادة في عدم الاحتراق في الحكاية الثانية ؛ واصداره جميع الجيش طعاما وشرابا بتناوله من جنبه كل ذلك ممكن؛ ولكن الاصل بقاء سنة الكون على ما هي عليه؛ ونحن كما امرنا بالانصياع لشريعـــة الكتاب المنزل امرنا ايضا بالانصياع لسنن الكون؛ وهذا هو اصل ديننا؛ ولا ننتقل عن هذا الاصل الا بوقوع غيره وقوعا محققا او مظنونا بمـــا تثبت به المعلومات؛ واين السند الذى يثبت به هذا ؟ على ان امثال هـذا الشيخ رضى الله عنه يمكن ان يقع منه مثل ذلك او اكثر؛ وقـدرة الله لا يتعاظمها شيء؛ ومثل ذلك متواتر عن امثاله قديما وحديثا؛ لا يتوقف فـــى امكان وقوعه الاغبى جاهل ؛ او من يكفر بقدرة الله تعالى ؛ لكـن المحدثيـن يوثمون من اطاع ءامره في مثل دخول القرن؛ لحديث لاطاعة لمخلوق فـــى معصية الخالق؛ الوارد في مثل هذه القضية نفسها حين امر حذيفة من معه في سرية ان يتساقطوا في نار امرهم بايقادها• هـذا رأى المحـدثين بـــل رأى النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه القضايا؛ ثم لا نظن بمسلـم عاقل ان يتخطى ذلك الا اذا غلب على حاله؛ وذلك ما يؤول به ما يقـع لبعض الصوفية في هذا المقام• وبهذا تعلم ان لكل من المحدثين والصوفية وجهة هو موليها استباقا للخيرات؛ وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا في كل قضية على حدة •

قرات معى ترجمة الجد التي يتداولها احفاده؛ وتعال معي لنسلـــك طريقا اخرى بين الوثائق التي بايدينا وبين العبارات التي وجدناها لبعض المؤرخين• فلعلنا نجد في اثناء ذلك ما يثلج الصدر؛ او ينقع الغلة على الاقل املنا نقع فيما بينها على ترجمة الرجل الحقيقية التي يمكن لمن يعرف كيف يؤرخ الرجال باعمالهم ويوزنون بقدر افعالهم التي يمكن الاطمئنان اليهـا ؛ لادراك كنه هذا الشيخ منها ؛ فانا لواجدون هنا بصيصا من النور يعرف بـه من هو الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد؛ ان لم نجد النور الوهاج الـذى يلقى الشعاع التام على حياته

١ ـ نسخة من رسم (بعـد ما يندب تقديمه لافتراق المنافـع بـه ؛ والام بيد سيدى محمد بن ابراهيم الغرموزى الكرسيفي؛ قال فيه بعـــد الثناء على الله والصلاة على نبيه المختار : « تزوج على بركـة اللـــه وسنة نبيه عليه السلام المرابط السيد عبد الله الايمورى زوجه المباركة زينـــب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزى بصداق معلوم غير مجهول سماه لها عنـــه وكيلاه على (بنحسين بن يبورك) بعد ثبوت وكالته اياه بعد دفعه صداقهـا وهو خمس وسبعون دينارا فضة ـ كذا ـ قبضه وكيلها (قبض معاينة) وهو جدها عمنا الطالب محمد بن ابراهيم الغرموزى بوكالتها (بالنطق) اذ هـــى ثيبة (لها طلقة) بائنة من الازواج واعتدت عدتها؛ وعلى امساك بمعـــروف او تسريح باحسان؛ وبه شهد وشهد من ساقته القدرة للحضور محمد بـــن الحسن بن عبد الله بجمادي الاولى سنة واحد وثمانين وتسعمائة؛ ابراهيم ابن ايوب في هذا التاريخ •

الحمد لله تفكير؛ ما في وجهي الاساوير خمس وعشرون دينارا ونصف دينار ودرهم وثلثدرهم؛ واربعة خيوط مفصلين بادز ـ كذا ـ واربعة حروز•

الحمد لله؛ جملة الجهاز للمجهزة المذكورة؛ وصداقها بمقلـــوبه ٦٨ حـ ••• ابراهيم ٨ ••• (١) ::: ٧ دراهم وذلك ::: (١) :•: ر بلقاسم ابراهيم من دين زوجه فاطمة بنت عبد الله ٣٤ درهما انتهى ما ظهر وتبين لنا نسخه من اصله بلاولا وكتبه من شهد في المقابلة والمماثلة من غيـر زيادة ولا نقصان والله اعلم؛ باواخر ربيع الثاني عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بـن على بن احمد بن ابى بكر الغساني وفقه الله تعالى)

هذا ما وجد مع بياضه الاصلي وقد ابقينا من البياض ما لم نهتـــد لفهم الساقط منه؛ واما ما اهتدينا اليه فقد وضعناه بين قوسين؛ واما قولنا

---

١) بياض في الاصل

كذا بين عارضتين فهو ازاء كلمات لم نعرف المقصود بها؛ او لم تتضح لنا غاية الوضوح . وقد رايت في اخر الرسم ما يظهر منه انه بقية كلام سقط من المنسوخ منه اصالة؛ وهو تتمة كلام فيه وصف الجهاز وقد تنبه لذلك من نقل عن الاصل فاعتذر بما رايته.

٢ – فحامله المرابط الخير السيد عبد الله بن سعيد التهالي الساكن بوادي ايمور ابقيناه على ما كتب له مولانا ابو فارس اعزه الله من اسقاط كافة التساخير المخزنية واكرياتها ويبقى على ما عهد له من الاحترام التام والوقار العام وعلى الواقف ان يعمل به ولا بد؛ وكتب بجمادى الاولى عام ٩٩٩ هـ خديم المقام (... (١) ...) ثم في الطرة ما نصه المذكور بعرضه؛ لا تخرق عليه العادة؛ وكتب عبد الله مملوك مولانا نصره الله لطف الله به اهـ . كما نقل من اصله ؛ وقد سقط اسم الموقع للاصل واما ما في الطرة فهو بخط اخر لهذا القائد الذي سمى عبد الله؛ ولا شك ان هذا من قواد السلطان احمد الذهبي؛ وما ذكره في وسط الكتابة وسماه ابا فارس؛ هو الذي اشتهر من بين اولاد الذهبي ومن المتولين بعده؛ وقد كان قائدا لابيه على سوس في اواسط العقد العاشر من هـــذا القرن

٣ – الشيخ احمد بن ابراهيم سلام عليكم؛ وبعد فموجبه ان الفقير المرابط السيد عبد الله بن سعيد من وادي ايمور تجرون امره على ما كتب اليه القائد احمد بن منصور حفظه الله في احترامه من السخر والا (نصافات والضيافات) والسلام عام ١٠٠٧ كتب به عبد الله تعالى .... لطف الله اهـ كما وجد؛ وقد وقع فيه بتر في المحل الذي تركنا فيه البياض

٤ – ابقينا الفقير المرابط السيد عبد الله بن سعيد على ما كتب به القائد احمد بن منصور في احترامه من جميع السخر والضيافات وسائر الانصافات والسلام وكتب به اواخر رجب عام ١٠٠٧ هـ عبد الله تعالى وكتب احمد بن ابراهيم التهالي لطف الله به

وفي الطرة ما نصه : يبقى المرابط المذكور على احترامه من كافة الانصافات والضيافات يبقى على توقيره واحترامه على عادة امثاله المرابطين وقيده عبد الله اوائل شعبان المعظم عام ١٠٠٧ هـ انتهى كما هو؛ ويظهر ان القائد احمد بن منصور قائد عام على هذه النواحي واحمد بن ابراهيم التهالي رئيس آل تهالا؛ ولم نعرف الان القائد احمد بن منصور ولا احمد ابن ابراهيم التهالي؛ وما اضيع تاريخ بلادنا

(١) بياض في الاصل .

٥ – ... وباطنا يفزع اليه من كان ملهوفا فيغيثه؛ ومكسورا فيجبره ومن نزغ الشيطان بينه وبين اخوانه يداويه ؛ ويصلح بين الناس عامة ؛ مع كمال اوصاف دينه ؛ ومن عسرت حاجته قدم في طلب قضائها فقضيت؛ ذو بركة في جميع احواله؛ ويتبعه المريدون ويرشدهم من البلاد واقطارها وجعل له ولاة الامور وقارا وجاها ؛ فابعدوا ساحته من مطالبهم كما حرروه وعظموا حرمته من غير طلب ذلك منهم بل بمجرد علمهم انه اهل لذلك مواظب على حالته كذلك حتى فارق الدنيا بالوفاة ؛ فترك اولاده متمسكين باوصافه سالكين سبيله ؛ على جهد الاستطاعة ؛ وهم ممن يستحقون التوقير وان يدخلوا في جملة المبتعدين عن المطالبة بالوظائف المخزنية لبعدهم عما فيه المستحقون للمطالبة بذلك؛ فترغب من امير المومنين المنصور بالله امام وقته مولانا ابوالعباس احمد الشريف نصره الله تعالى وأيده ؛ أن يلحقهم بامثالهم في التحرير والخروج بهم عن المطالبة على عادته في اهل الخير والصلاح ؛ والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم وبه كتب اعلاما به اصغر عباد الله؛ باوائل رجب عام ١٠٩١ هـ احمد ابن علي بن ابراهيم التويبيني لطف الله به

الحمد لله؛ الامر كما ذكر وان المذكورين تجردوا عن الناس وملابستهم واستقلوا بالله وبانفسهم ؛ عازلين انفسهم عمن سواهم؛ ولم ينسبوا انفسهم لقبيلة بل مستقلون لعبادة ربهم وما فيه صلاح دينهم ودنياهم؛ وتركوا ما لا يعنيهم ؛ اعلمكم به ابراهيم بن ... والحسن بن محمد بن علي بن داود السملالي لطف الله به؛ ومحمد بن محمد بن عيسى لطف الله به.

الحمد لله الامر على الوصف المذكور حسبما ذكر شهد به كاتبه محمد بن محمد بن سعيد السملالي؛ وفقه الله بمنه

الحمد لله اعلم بثبوته وصحته احمد بن علي بن عبد الله السملالي؛ لطف الله به ؛ ومحمد بن علي بن عبد الله بن احمد بن الحاج عمرو السملالي لطف الله به .

المرابطون المذكورون اهل التوقير والاحترام كتبه ... العمل على ما رسم اعلاه ... فيه أعلم ... بن محمد التملي به حيا وميتا ؛ وله الاعتناء بمصالح المسلمين الى ان مات رحمه الله ؛ وقام اولاده بعده باقتفاء اثره ... بسلوك طريقته؛ موثرين طريق المسكنة؛ ومحبيين لاهل الخير والصلاح فيما ظهر ؛ والله يعلم ما تكنه الصدور ؛ وكتب اعلاما العبيد الذليل؛ لربه الجليل ابوبكر بن عبد الله التامانارتي؛ كان اللهله وليا ونصيرا وسمح له بمنه ويمنه؛ ومحمد ابن عبد الله بن عمر التملي لطف الله به؛ وسعيدبن علي بن ابيبكر السملالي

لطف الله به في الدارين آمين ؛ وعبد المومن بن محمد بن علي بن محمد الدياني العصماوي وفقه الله بمنه؛ ومحمد بن احمد بن الحسن الجماري لطف الله به ؛ ومحمد بن عبدالله بن عمر الساموكيني بمنكب ابى القاسم عفا الله عنه عبيد الله تعالى محمد بن احمد بن عمر من (فم الحصن) تاب الله عليه؛ وعبد الله تعالى الحسن بن عبد الله بن محمد من فم (الحصن) لطف الله به آمين؛ وابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكرسيفي وفقه الله بمنه وكرمه آمين

هذه وثيقة جليلة وقعها كما ترى ثمانية عشر عالما من علماء القرن الحادي عشر ؛ وقد عرفنا بضعة منهم كعبد المومن الدياني عالم الغ فيعصره؛ وابراهيم ابن محمد بن ابراهيم الكرسيفي المذكور عنه انه كان من قادة الناس فيعصره وكمحمد بن محمد بن سعيد السملالي احد العلماء العباسيين المشهورين؛ ولا تزال آثار قلمه محفوظة؛ وجلهم نجهل تاريخه ومركزه في قومه؛ وان كنا نعرف حق المعرفة انه لا تعتبر الشهادة في هذا المقام؛ الا ممن كان لايستانف حكمه؛ ويعلم منه انه ليس من المتحيزين في حكمه؛ فلذلك لا نشك انهمكلهم علماء كبار في عصرهم ذلك. وكفى بشهادة ثمانية عشرة من الاكابر المرتضين عند الناس علما وديانة .

ثم ان هـذه الوثيقـة قد وقع فيها بتر قليل في مفتتحها؛ وان كان ذلك لا يضر لان المقصود منها أمكن أن يفلت من ذلك البتر ؛ وقد وجدنا هذه الوثيقة بين وثائق التحريرات والظهائر؛ وقد حوفظ عليها بينها؛ وذلك ما يدلنا علىأن المقصود بها هوالشيخ صاحبالترجمة الذيسقط اسمه فيما سقط منأولالوثيقة وقد كتبت الوثيقة كما ترى في سنة : ١٠٩١ هـ بعد وفاة صاحب الترجمةبكثير ولكن كل هؤلاء أو غالبهم قد أدركوا عصره أو عرفوه معاينة ومصاحبة؛ وهذا السلطان الذي رفعت اليه الوثيقة سمي في وسطها كما قرأته بامير المومنين احمد؛ وفي ذلك اشكال لان سلطان ذلك العصر : اسماعيل. من سنة: ١٠٨٢ هـ الى سنة: ١١٣٩ هـ ولا ندرى كيف وقع؟ فهل هذه الوثيقة رفعت الى احمد ابن محرز صاحب الثورة المشهورة على اسماعيل؛ او الى من اسمه احمد مـن اولاد اسماعيل؟ ويكون قائدا عاما على سوس تحت نظر والده؛ وتكون لفظـة (ابن) ساقطة منقلم الكاتب؛ ذلككله ممكن؛ وان كان يستبعد باعتباراتأخرى ويمكن ان الكاتب غلط في اسم السلطان فسماه احمد؛ وهذا الامكان ابعـد وابعد ؛ على اني الآن لا استحضر كيفحال سوس في سنة ١٠٩١ هـ وتحتاج هذه النقطة الى تامل طويل ؛ ربما نتفرغ له بعد ان شاء الله ؛فنعلمهل احمدبن محرز في سوس في ذلك العهد اولا

ثم انني راجعت فوجدت ان سوس في هذا العهد تحت احمد بن محـرز الذي لم يفتك به الا بعد ذلك؛ فهذه الوثيقة مرفوعة ـ اذن ـ الى احمد بـن

محرز بلا شك واما اولاد اسماعيل محمد العالم فاخوانه؛ فلم يولهم ابوهم عـلى سوس بالتوالي الا بعد هذا الحين؛ على انه ليس فيمن تولى منهم عـلى سوس من اسمه احمد

٦ ـ نقل من ام صحيحة بعد الثناء؛ الحمد لله؛ صير سيدي عبد اللـه ابن سعيد المرابط من وادي (ايمور) لزوجه زينب بنت احمد بن ابراهيـم الفرموزي ؛ من (اكرسيف) جميع الخمس المصحح له من بين اولاده الاربعة والامة والدار المعروفة بوادي ايمور في البلد والبلاد (صح) الناطق والصامت تصييرا تاما قاطعا بالبيع الصحيح القاطع في جميع حقوقها الواجبة لها عليه بل قبله ؛ صداقا وجهازا بحيث لا رجوع أبدا عليها في ذلك بسببه ؛ وعرف قدره من شهد عليه من الشهود به ؛ وبحال كمال الاشهاد ؛ تاريخ اوائـل ربيع النبوي سبعة وأربعين وألف ؛ أحمد بن بلقاسم بن احمد الكرسيفي لطف الله به وهو عدل ورضي لموتـه ؛ بلقاسم ايضا؛ ما في النسخة المنتسخ منها نقله بأول صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بنعلي بن ابراهيم ومعه في النقل عبد الله بن علي ابن أبي القاسم من نسبه تاب الله عليه آمين اهـ كما وجد ؛ وفي قول الاصل بلقاسم أيضا اشكال ؛ ولعله ابن بلقاسم فسقط (ابن)

٧ ـ منقول من ام صحيحة فيها بعد ما يجب تقديمه؛ وافق المرابط سيدي محمد بن عبد الله بن سعيد من ايمور وأخوه سيدي بلقاسم والدهما الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد فيما صيره لزوجه زينب بنت احمد من خمس ماله في ديونها قبله صداقا وجهازا عليه فيما يطلق عليه اسم ماله في الرباع والعقار وحازته باتم الحوز؛ وفقا تاما وابرآه فبرىء؛ واشهد على اشهادهما وعرفهما وفي رجب عام ١٠٥١ هـ ابو القاسم احمد ابن سعيد الكرسيفي ومعهما موسى ابن عبد الله بن سعيد؛ لطف الله به في الدارين؛ بالنبي صلى الله عليه وسلم آمين آمين آمين ؛ آخر شعبان عام ١٠٩٢ هـ موسى متم هـ

ثم يليه : اعلم بثبوت مضمون مقلوبه اعتمادا على شهوده وبه كتب برسم الاعلام له في مهل رجب ١١٠٢ هـ عبد المومن بن محمد بن عـلى وفقه الله .

ثم يليه : اعلم بثبوته وصحته علي بن ابراهيم بن محمد بن احمـد السملالي لطف الله به آمين. انتهى ما في الاصل ونقله مقابلة ومماثلـة بلا ولا . سببه تعدد المنافع بتاريـخ أوائل صفر عـام ١١٣٣ هـ عبد الله بـن علي بن ابي القاسم الساموكني ؛ وقد صح النقل والمنقول منه قال مـن شهده من أصله ابراهيم بن علي بن ابراهيم الساموكني ؛ لطف الله به آمين.

٨ ـ يعرف شهوده المرحوم بالله السيد عبد الله بن سعيد بن حسين

من وادى ايمور معرفة صحيحة تامة ويعلمونه توفى رحمة الله علينا وعليه ؛ فاحاط بميراثه زوجه زينب بنت احمد الغرموزى وبنوه السيد محمد والسيد احمد وسيدى بلقاسم وسيدى موسى وماماس ؛ ثم توفيت زوجه المذكورة فاحاط بميراثها ابنها السيد احمد المذكور؛ لا وارث لمن ذكرت وفاته سوى من ذكر فى علم شهوده؛ محمد بن محمد بن سليمان من (ترسواط) واخوه عبد القادر وعلى بن يحيا بن على من النسب؛ وابن عمه ابراهيم بن محمد ابن على تحقق ذلك فى علمهم؛ وقيدت شهادتهم مسؤولة منهم؛ وقيد عنهم عارفهم باواخر ذى القعدة الحرام عام ١٠٩٠ ﻫ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكرسيفى وفقه الله ؛ وعبدالله بن على بن عبد الله الترسواطى؛ تاب اللهعليه انتهى الاصل بمقابلة مماثلة باوائل صفر عام ١١٣٣ ﻫ ابراهيم بن على ابن ابراهيم الكرسيفى ومعه فى النقل عبد الله بن على بن ابى القاسم من نسبه ؛ تاب الله عليه

٩ – نسخة اصل من ام صحيحة؛ والاصل بيد السيد محمد الغرموزى لافتراق المنافع به؛ مفاصلة الشيخ بلقاسم بن ابراهيم الكرسيفى الغرموزى مع ابنتى اخيه احمد بن ابراهيم زينب بنت احمد ايم المرابط سيدى عبد الله بن سعيد بوادى ايمور التهالى ام السيد احمد بن عبد الله؛ وشقيقتها العامية زهرة بنت احمد فى جميع ما اورثهما الله فى ابويهما المذكورين فى اكرسيف واحوازه ؛ والجرفة وأحوازها ؛ أرضا ومياها راكدا وجاريا ؛ واشجارا؛ نوادر وديارا؛ و (قلاقل) – اى اطلالا – غامرا وعامرا؛ سهلا ووعرا ؛ مايسمى باسم المالية على تنوعه ؛ وسعايتهما بعد ان قبضتا منه خمسة وعشرين مثقالا ذهبا سداسيا جواديا (كذا) ثمانية مثاقيل من ذلك لزينب المذكورة ؛ زادت ذلك على جهازها المجهزة به من بين اخوتها ؛ واخذت فى ذلك الموصوف؛ فدان الارض بـ (اخريك) والحدود من القبلة؛ المرابط السيد الحسين بن عبد الله اليوم؛ وجوفه (اى غربيه) ابو القاسم المذكور؛ ويمينه الوادى وشرقه (اى الشمال) بنو احمد بن عبد الرحمن مع نصف الصنوة (اى نصف معلوم من حظ) الماء امزكز ؛ على العين بأعلى اكرما ومفتاحة الارض بتسمتر ؛ وعزلا لذلك بين السيد أحمد بن عبد الله ؛ وذلك بحساب الناقش (اى المناقش الذى يناقش الحساب ويحرره) حتى عرف كل واحد منهما ما هو ماله وانفصل معهما فى ذلك – انفصالا قاطعا جميع الدعاوى والحجج؛ بحيث لم يبق بينهم الا مودة ورحمة؛ وقتلا فيه الاسترعاء بالاسترعاء؛ المقدمة والموخرة وبه كتب من اشهده بذلك؛ بافتتاح المحرم عام ١٠٣٩ ﻫ (كذا) محمد بن عبد الرحمن الكرسيفى لطف الله به ءامين واحمد بن بوبكر بن ابراهيم من النسب لطف الله به ءامين واحمد بن ابراهيم

ابن محمد من النسب تاب الله عليه ءامين انتهى ما فى الام وقوبل باصله مقابلة ومماثلة حرفا بحرف بلا زيادة ولا نقصان؛ وبه نقل بثامن من ربيع الثانى عام ١١٣٣ عبد ربه سعيد بن على بن يعقوب بن ابراهيم الفشانى لطف الله به ءامين وعبدربه احمد بن على بن محمد بن داود من مشمس جدمائة الفشان لطف الله به ءامين .

الحمد لله؛ اعلم بصحة النقل والمنقول منه وثبوتهما مع عبيد ربه محمد ابن على الفشانى ؛ وفقه الله آمين اﻫ كما وجد

١٠ – ليعلم الواقف عليه ان المرحومتين الاختين الفقيرتين خالتى زينب بنت احمد بن ابراهيم واختها زهرة بنت احمد بن ابراهيم الغرموزى انهما تصدقتا على المرحوم المرابط سيدى عبد الله بن سعيد من زاوية ايمور بجميع ما اورثه الله ورسوله لهما من ابويهما باكرسيف خاصة والله اعلم به ؛ وكتب بعد الطلب ؛ وذلك هو المعتمد عليه المعول عليه بذى قعدة عام ١٠٦١ ﻫ بلقاسم أحمد بن سعيد الكرسيفى لطف الله به آمين .

اقول : لعل لفظة ابن سقطت بين كلمتى بلقاسم واحمد. فيكون الكلام هكذا : بلقاسم بن احمد الخ ..

١١ – اشهدنى سيدى عبد الله بن سعيد التهالى انه حضر لمحمد بن احمد العسرى – به عرف – البعقيلى؛ حين دفع لابن سيدى عبد الله المذكور احمد ستة عشر مثقالا سداسيا من جهاز زوجته مريم بنت عبد الله ؛ واستوفى ذلك منه برضى زوجته المذكورة وابرأته منها ابراء صحيحا حالا ومآلا وشهد به بحال كمال الاشهاد وعرفهم سعيد بن احمد بتاريخ رجب عام ثلاثة وعشرين والف انتهى من أمها بعد المقابلة والمماثلة ؛ قاله ناقله بأوائل ذى قعدة عام أحد وثمانين والف ؛ عبد ربه محمد بن على بن احمد بن يعقوب امرح البعقيلى السطحى غفر الله ذنبه؛ ومحمد بن عبد الواسع المرزوغى البعقيلى؛ لطف الله به اﻫ

١٢ – وكل واستناب الشاب الاكرم احمد بن سيدنا عبد الله بن سعيد ابن حسين التهالى صاحبه فى الله احمد بن عبد الرحمن من نسبه لينوب (عنه) ويعقد له نكاح زوجته المباركة المسعودة بنت (عبد) الله بن عيسى البعقيلى وهى الثيب وفوض له فى (امرها ووكله) توكيلا تاما مطلقا عاما اقامه مقامه (فى كل مايراه وظهر له) فى صحة وجواز انتهى

١٣ – شهد لدى السيد احمد بن بلقاسم بن احمد بن يحيا الكرسيفى انه حضر للمرابط السيد عبد الله بن سعيد من ايمور حين ذكر جهاز مريم بنت عبد الله البعقيلى؛ وهى ام السيد عبد الله بن احمد بن عبدالله بن

سعيد من ايمور نهاية جهازها ستمائة اواق بين الذهب والفضة والحلي وغيرها تحقق ذلك في علم شاهده بغير شك ولا ريب وقبل ذلك شهادته مسؤولة منه عارفهم بتاريخ اواسط جمادى الثانية عام تسعة وسبعين والف احمد بن محمد بن عبد الله الكرسيفي وفقه الله؛ ومحمد بن احمد بن بلقاسم بن محمد من النسب اهـ .

١٤ – المرابط الافضل سيدى عبد الله بن سعيد بن حسين التهالي مسكنا من تيغاهارين ؛ الساموكني وطنا وتوفي بتيغاهارين يوم الاربعاء السابع والعشرين من ربيع الثاني عام اربعين والف ؛ هذا ماقاله الرسموكي في كتابه (الوفيات) وهو قد ادرك بعض عصره.

١٥ – عبد الله بن سعيد بن حسين التهالي مسكنا الساموكني وطنا كان رضي الله عنه رجلا فاضلا متصوفا مربيا للمريدين ذا كرامات وجهادات وعبادات وصالحات وظهرت له الكرامات وشوهدت له الخيرات؛ لقي اكابر العلماء؛ وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين؛ وارشدهم وسعى في مصالحهم جهده وانتفع به خلق كثير توفي بمسكنه بتهالة سنة اربعين والف

هذا ما قاله الحضيكي في (طبقاته) عن صاحب الترجمة؛ وقد كتب عليه شيخنا يقول الكاتب عبد الله بن محمد الالغي من ذرية سيدى عبد الله بن سعيد هذا ما قاله الشيخ الحضيكي رحمه الله في تاريخ وفاة سيدى عبد الله بن سعيد كذب محض لا شك فيه ان صح عنه هذا النقل فقد رأيت بعيني رسم تصيير سيدى عبد الله بن سعيد لزوجته خمس ماله مورخا بسبع واربعين والف؛ ورسم موافقة اولاده في ذلك مورخا بـ ١٠٥١ هـ وكذا نسبته لساموكن كذب ايضا ؛ هذا ماكتبه شيخنا على نسخة للحضيكي نقلته من خطه .

استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك

اقول هذا كل ما توصلت اليه يدى مما يمكن ان تستخرج منه للشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ترجمة صحيحة يمكن الاعتماد عليها ؛ فلقد ألقت هذه المخطوطات الخمس عشرة ضوءا واضحا وضوحا ما على حياته التي نحن اليوم في صدد جلوتها الى أعين القراء ؛ فلنتتبع هذه المآخذ المتقدمة مأخذا – مأخذا؛ لندرك ما تحتوى عليه تصريحا او تضمنا .

١ – في وثيقة الزواج نعرف (اولا) ان الشيخ تزوج سنة ٩٨١ هـ بزوجته زينب الكرسيفية؛ ولكن لنتساءل : اهذه اولى زوجتيه ام ثانيتهما؟ لان ما بايدينا في الوثيقة الاخرى رقم ٨ يدل على ان هذه انما ولدت له من

اولاده احمد بن عبد الله فقط؛ واحمد هذا هو الذي رأيته في وثيقتي ١١–١٢ قد تزوج بمريم بنت عبد الله البعقيلية سنة ١٠٢٣ هـ واما محمد وموسى وبلقاسم المذكورون في الوثيقة رقم ٧ فهم من زوجة اخرى؛ قد ماتت قبل ان يتوفى الشيخ لان الذين احاطوا بميراثه ليس فيهم من زوجته الا زينب كما ترى ذلك في رقم ٨ فان كان تزوجها اولا فيمكن لنا ان نحزر مبتدأ حياته على اقل تقدير في نحو ٩٥٥ هـ لان خمسا وعشرين سنة ونحوها؛ هي اقل مايحتاجه من كان لابد –بعد ان يحتلم– من ان يمر تحت يد شيخ من شيوخ التربية ؛ يخدمه سنوات وقد تواتر انه كان عند شيخه يحيا ابن عبد الله قبل ان يتزوج؛ وانه خدمه ما شاء الله حتى ليحكون انه غرس بستانا قام عليه حتى اثمر ؛ واما اذا كانت هذه هي الثانية من ازواجه فلابد ان نقدر ولادته على اقل تقدير ايضا في سنة ٩٥٠ هـ لان الزمان الذي يحتاجه بعد أن تزوج الاولى في العادة وفي الغالب ؛ لا يقل عن نحو خمس سنوات على ما كنا قدرناه في الزمن الذي يحتاج اليه في الاتصال بشيخه؛ على الاعتبار المتقدم فسيكون له عند الزواج الثاني نحو ٣٠ سنة؛ وايا كان فان ولادته في نحو اوائل العقد السادس من القرن العاشر ولو كنا عرفنا ان احمد بن عبد الله اكبر من اخوته هؤلاء لربما ترجح الشق الاول او لو توصلنا بعقد نكاح الزوجة الاخرى التي نجهل اسمها واهلها كل الجهل لانحلت العقدة من اصلها؛ ولكن عقد نكاحها معدوم من ايدينا؛ ومن يتطاول الى المعدوم فقد يتطاول الى المحال

هذا؛ وقد زعم العم ابراهيم – وقد سمعته بعد ان كتبت ما تقدم – ان ترتيب اولاد الشيخ هكذا : فاكبرهم محمد ثم بلقاسم ثم احمد ثم موسى؛ وهو غير مدفوع عن معرفة ذلك؛ فان ثبت ما قاله فعليه ينبني هذا البحث؛ وقد ذاع عند غير العم ذلك؛ هذا وقد اخبرني الفقيه سيدى علي من (اكرض افقير) من اهلنا ان نساء سيدى عبد الله بن سعيد متعددة ؛ التهالية من اساكا واصان من تهالة ويعد اليوم من تجكالت ؛ وهي ام سيدى محمد بن عبد الله ؛ والافرانية وهي أم سيدى بلقاسم بن عبد الله ؛ وسيدى موسى شقيق لاحد هذين ؛ وكذلك كانت هناك زوجة اخرى ساموكنية لاعقب لها معروف ؛ ولا يدرى من هي أم بنت الشيخ مماس ؛ قال : كنت رايت هذا مخطوطا بين رسوم المرابط سيدى عبد الله بن محمد من ءايت اورخا من اكادير ايزري؛ وهنالك بيان اكثر مما هنا؛ قال الا انني لم استوعب كل ما هنالك .

(رجع) ونعرف (ثانيا) ان السادة الكرسيفيين هم اخوال احمد بن عبد الله بن سعيد؛ واخوال اولاده؛ وان لنا معشر اولاد احمد بن عبد الله

بالاتصال بهذه الاسرة المباركة شرفا نيرا نستمده من ذى النورين جد الكرسيفيين ثالث الخلفاء رضى الله عنه حقق الله فينا ذلك بالعلم والتقوى بفضله

ونعرف (ثالثا) ان هذه السيدة الثيب التى ربما كانت للشيخ عبد الله بن سعيد ــ ان تزوجها اولا ــ مثل ما كانت السيدة خديجة للنبى صلى الله عليه وسلم؛ فلئن كنا نجهل معاملتها معه فى حياته ــ والاسرة قائمة؛ والضرة موجودة بمرأى منها ــ فقد وضحت لنا نفسيتها واخلاصها لزوجها فيما تصدقت به على ورثته؛ كما ترى ذلك فى رقم ١٠ فلئن قيل انما ذلك مجازاة للشيخ بما صيره لها من الخمس الذى حازه بين أولاده الاربعة ؛ حين خمس ماله بينه وبينهم فى أواخر حياته كما فى رقم ٦ نقول لكن هل يجزى بالاحسان عن الاحسان الا المصطفون الاخيار ؟ ثم ان فى وصفها هى واختها زهرة بالفقيرتين لاشارة الى انهما اختارتا مسلك الشيخ الصوفى •

ونعرف (رابعا) أنها تأخرت وفاتها عن وفاة زوجها لما رأيته من عدة الورثة فى رقم ٨ كما نعرف ايضا انها توفيت قبل سنة ١٠٦١ هـ ضرورة ان الرسم الذى فيه الادلاء بهذه الشهادة؛ كتب فى السنة المذكورة وعبر فيه عنها مع اختها بالمرحومتين؛ ولا يطلق هذا الوصف الا على المتوفى فى العادة؛ هذا مانستنتجه فيما يتعلق بالسيدة زينب زوجة الشيخ وجدتنا العليا

٢ ــ فى الوثائق الموضوعة تحت رقم ٢ ورقم ٣ ورقم ٤ ورقم ٥ فوائد شتى؛ منها نستفيدها وحدها وما كنا لنقع عليها لولاها؛ لان الالسنة وان كانت تلوك بعضها ولكن شتان ما بين ما تلمسه باليد؛ وبين ما تتنوره بنظر عال من اذراعات (١)

اولا ــ نتحقق الان تلك المكانة التى كانت للشيخ فى زمنه ؛ وفى ربيع حياته؛ حتى رأيناه قبل سنة ٩٩٩ هـ يتمتع بها بين الاهالى حتى توصل بذلك الى الاستظلال بهذه الاحترامات الحكومية؛ فان سنة ٩٩٩ هـ تطلع على الشيخ قبل ان يطعن فى العقد السادس من عمره بل نشك انه اذ ذاك استتم ٤٥ سنة على ما تقدم وان المجد والشرف والسمعة الطيبة التى يكلل المرء بتيجانها فى هذه السن لتدل دلالة صحيحة على انه فى ريق شبابه؛ كان يجتهد فى الارتقاء الى المعالى كل الاجتهاد؛ ثم ان هذه التحريرات المتعددة فى ايام سلطان واحد ؛ لما يحمل على مجد يتزايد ؛ فتتزايد الاحترامات والاكبارات من أجله •

على ان هناك فى عصر مولاى احمد الذهبى الذى افتتح بسنة ٩٨٦ هـ وانتهى بسنة ١٠١٢هـ لنظرة خاصة الى امثال هوءلاء المتزيين بالصلاح والتصوف فان رجال الحكومة اذ ذاك ينظرون اليهم نظرا شزرا ادى بكثير منهم

(١) تنورتها من اذرعات واهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عال

الى ان يلاقى التنكيل والهوان ؛ فقد قرات فى وثيقة سقطت الى ؛ كتبها احد علماء جزولة يوم الاثنين الاول من ربيع الاول؛ سنة ٩٨٨هـ حين فتح مولانا احمد الذهبى هذه البلاد من جديد ؛ ونظمها تنظيما تاما ؛ ان السلطان امر ان لايتخطى بالوظائف المخزنية احد من ارباب الزوايا؛ الا اولاد الشيخ سيدى يبورك بن الحسين الهشتوكى المتوفى قبل هذه السنة بنحو اربع سنوات ٩٨٣هـ والا اولاد سيدى خالد الكرسيفى؛ والا الشرفاء الكثيريون والركراكيون والفلاليون واولاد سيدى يعقوب والشرفاء المعلومون؛ واما من عداهم فيلحق بغمار الناس فى الوظائف المخزنية؛ وليس صاحب الترجمة واحدا من هوءلاء

هذا ما كان قرره احمد الذهبى سنة ٩٨٨ هـ ولا نشك فى ان هذه الفكرة انما اقتفى فيها والده السلطان محمدا الشيخ الذى نعهد منه سيلا طافحا من التنكيل بشيوخ من الصوفية الكبار فى زمانه ؛ فلهذا نعرف ان صاحب الترجمة ما كان لينال من رجال الحكومة هذا التوقير الجديد وهذا الاحترام الفائق لو لم يكن له حال كبير وسمعة طائرة؛ وشهرة ترغم صفحة ذلك السلطان الصلب الارادة على ان يلتفت اليه باعتبار جديد يستجده له بين ارباب الزوايا الذين ربما لا يزالون مندمجين حينئذ فى غمار الناس ؛ وما يدرينا لعل السلطان الذهبى نفسه هو الذى راى منه تلك الكرامة فى (دراووغ) التى كنا ذكرنا ان اهالينا يرونها عن الشيخ بالتواتر ؛ اذ يقولون انه اصدر جيش سلطان شبعا وريا حين مروره هناك ؛ فلئن كانت هذه الكرامة كما يسميها اهالينا ؛ مما لابد أن تزيد فيها الالسنة ما يصيرها اقصوصة من الاقاصيص فلا نستبعد ان يرى منه هذا السلطان مثل ذلك فيتصل به الناس فيموهونه بما تشاء لهم اخيلتهم والسلطان الذهبى الذى نعرف من هو فى التاريخ؛ لا نظنه ممن يتنازل الى احترام ذى زاوية من جديد؛ واعلان تحريره ومحاشاته من بين ارباب الزوايا الذين سامهم ما سامهم؛ بعد ان سد هذ الباب واحكم اجافته؛ الا بباعث آخر جديد يحفزه فلذلك نرى انه صاحب هذه القصة ؛ او الكرامة ؛ وانه هو الذى مر بمعطشة دراووغ حيث يتعرف به هناك الشيخ بما يحمله على ان يلتفت اليه التفاتا خاصا؛ وقد قرأنا فى الوثيقة التى ذكرناها ان الغ من منازل احمد الذهبى اذ ذاك؛ وقد مانه فيه الوفقاويون والايغشانيون والحربيليون ؛ولايزال محل فى بسيط الغ يضاف الى سلطان ؛ ويقال له (اغرم اكليد) كما لايزال محل مشرف على وادى ساموكن يضاف اليه ايضا ؛ ويقال له (اضار اوكليد) ويقول الساموكنيون الى الان ان هذا المحل الاخر يضاف الى احمد الذهبى ؛ وقد نزل هناك حين نازل حصن القبيلة الووكرضانية : الكبيرة اذ ذاك ؛ وقد وجدنا فى تلك الوثيقة ذكرا لهذه الحرب المشبوبة بين الذهبى والقبيلة الووكرضانية ؛ وقد اجلاها اذ ذاك وشتت شملها والغالب ان هذا المحل المضاف الى سلطان بالغ هو منزل احمد الذهبى ايضا ؛ كما رايت هذا

المحل الاخر هو الذى اضيف اليه ؛ فنعلم من كل ذلك ان احمد الذهبي يمكن ان يمر بدراووغ المجاور لالغ فى مروره الى منزله بالغ من منزله بافران المعدود ايضا من بين منازله فى تلك الوثيقة؛ ويمكن ان يصح بعض تلك القصة المتقدمة؛ وان تكون سبب اتصال صاحب الترجمة بالسلطان الذهبي وبرجال حكومته اذ ذاك ؛ فيتسبب عنه هذا الاحترام الذى رأينا آثاره فى تلك التحريرات •

ثانيا – ندرك ان احترامه فى وسطه كان احتراما كبيرا ؛ وانه مانال ذلك بجاه او عشيرة؛ بل ادركه بتفانيه فى منافع الامة؛ فيسعى فى اصلاح ذات البين بين المتخاصمين ويجرى فى الامور العامة التى لا يابه بها الا من جعل الاخلاص رائده فى كل ما يزاوله؛ والمصلحة؛ ونفع العباد ايا كانوا نصب عينيه فيقبل على المعاطش ؛ فيؤسس فيها نطفيات تنقع غلات ابناء السبيل وقد جعل جل همه فى امثال ذلك حتى ان اثنتي عشرة نطفية اسسها فى محلات معلومة بين الفيافي والقفار ؛ وكان يسميها بناته؛ فكان مما أوصى به بنيه ان يحافظوا على بناته هذه بالترميم والتعهد حينا بعد حين؛ فكان اولاده عند هذه الوصية؛ فهذه ثلاثة قرون مضت ولا تزال هذه البنات موضع عناية هؤلاء الابناء البررة

وزد ايضا على هذه المهمة التى قام بها اذ ذاك ؛ انه كان يطوف بطائفة من مريديه بالبلاد لتعليم الدين؛ وارشاد العباد؛ واعلان كلمة التوحيد والتزهيد فى زهرة هذه الحياة الدنيا الفانية؛ حتى لا يهتبل بها اكثر من الحاجة؛ وحتى لا تفسد العقيدة الدينية بها؛ فيستولى الشر الذى لا تتكون جراثيمه الا من حمأة الالحاد فبهذه الاوصاف وما اليها مما نعهده من الصوفية المرشدين ؛ وصفه اولئك العلماء الذين وقعوا تلك الوثيقة الجليلة الموضوعة تحت رقم ٥ فقد ادركنا بواسطتها ان كل مايقوله بنو الشيخ اليوم ويتخذونه محور الاشادة بجدهم الاعلى ؛صحيح كله؛ وان كانوا يقولون ذلك بلسان الاقاصيص وهؤلاء العلماء الثمانية عشر؛ اتوا بذلك على لسان الشهادة التى يعلم صاحبها ان شهادته ستكتب ثم يسئل عنها غدا

اوليس ان اولاده يعلنون ان جدهم ما ترك لهم الا الدين وارشاد العباد اليه مع الاحتراف بطرق المعاش ؟ وانه نهاهم أن يسلكوا طرق ابناء الزوايا؛ الذين يألفون التكفف وجمع الزيارات ؟ مع نبذهم شارة الدين ؛ وتنكبهم محجات اسلافهم المرشدين؛ فهذا ما يقوله ابناء صاحب الترجمة اليوم؛ وهذا ما وصفه به احد العلماء الثمانية عشر امس؛ وتلك – لعمرى – منقبة افضل من كل المناقب فالاشتغال بالدين ؛ وسلوك سنن المهتدين؛ والتعفف ورفع الهمة عما فى ايدى الناس والاحتراف بالطرق المشروعة فى المعاش؛ والمجاذبة بالتى

هى احسن فى المعترك الحيوى مناقب عظيمة؛فاية منقبة افضل من هذه بالناس؟

كدنا والله لنعدم صفحة ذهبية من حياة الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد لو كنا عدمنا هذه الوثيقة الجليلة؛ فقد ارتنا كيف ينظر الى الشيخ من مختلف القبائل المجاورة لتهالا بلدته والنائية عنها ؛ فالعلماء السملاليون والايفشايون والاكماريون والساموكنيون والتامانارتيون والايسيون؛ كل هؤلاء قالوا مارأوه وشاهدوه فى الشيخ ومن خلفه فى مقامه من اولاده؛ او رووا ذلك عمن رآه وشاهده فى الشيخ؛ وتحرى بعضهم ان لا يزيد على ما يشاهده؛ فقال هذا ما فى الظاهر والله يعلم ما تكن الصدور؛ فالشهادة من امثال هؤلاء المتحرين الذين يظهر انهم ممن يزنون مايقولون ؛ فلايلقون الكلام على عواهنه ؛ ولا يجرون ذيل ظاهر الانسان على باطنه هى – والله – شهادة لها عند ذوى الالباب مكانة مكينة؛ ومقام له من السمو والاعتبار ما له •

كثير من الذين حظوا بالشهرة فى حياتهم؛ وظفروا بالسنة رطبة حول ذكرهم ؛ لايكادون يرمسون ؛ وتنفض الايدى من غبار القبر ؛ حتى تبدأ تلك الشهرة فى الاضمحلال ؛ ورطوبة تلك الالسنة؛ يدب اليها الذبول؛ ولكن الشيخ صاحب الترجمة؛ مضى عن وفاته يوم كتبت هذه الوثيقة عقدان بل اكثر؛ ثم جاءت هذه الوثيقة تعلن ان تلك الشهرة لم تزل فى الانتشار؛ وان تلك الالسنة الرطبة؛ صارت لاجلها الاقلام رطبة بدورها فانت بما تقرا اليوم بعد قرنين ونصف ؛ فنتصور الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من الافذاذ الذين وقفوا حياتهم فى سبيل المنفعة العامة ؛ فلايكاد يرى ثلمة يتسرب منها الى عباد الله ضرر حتى يبتدر اليها بكل ما اوتيه من قوة وعزيمة واخلاص ؛ ثم لا يفارقها حتى لا يكون منها لعباد الله الا برد وسلام

كنا عرفنا الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي معنيا باصلاح الطرق وتسويتها فى الهضاب الصعبة ؛ واقامة الجسور على الاودية ؛ وتاسيس النطفيات فى المعاطش؛ فها نحن نرى ثانيا صاحب الترجمة؛ معنيا بمثل ذلك غاية الاعتناء؛ فهل كان صاحب الترجمة يعرف الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التمنارتي فادرك منه ما لهذه المهمة من الاجل الجزيل؛ والذخر الباقى؟ ان معرفته به لا تبعد؛ فقد كان زوارا للصالحين والعلماء؛ وقد الم الشيخ الحضيكي فى ترجمته التى كتبناها تحت رقم ١٥ بهذا الوصف؛ وقد ادرك عبد الله بن سعيد زمن التمنرتي فان الشيخ التمنرتي توفى سنة ١٠٧١هـ وصاحب الترجمة اذ ذاك ربما اوفى على العقدين او يناهز؛ ولما كان الشيخ التمنرتى عالما جليلا طائر الصيت فى عصره؛ فما الذى يمنع هذا السيد الامى ان يتردد الى زيارته ؟ وان يتخذ عنه هذه الطريقة المحمودة التى هى نفع العباد فى مصالحهم العامة وخصوصا حين يرى ان الكثيرين ممن ينتمون الى الخير والارشاد

لا يهتمون بمثل هذه المصالح العامة فى الفجاج والقفار كما يهتمون بها فــى القرى والمساجد ؟ ولذلك لانستبعد ان هذه الفكرة انما اقتبسهـا صاحـــب الترجمة من الشيخ التمنرتي مصلح طريق (تيسا) فى بعقيلة ؛ ومقيم الجسر على وادى الفاس وناصب النطفيات المتعددة المعلومة الى اليوم فى قفار شتى

ثالثا ـ نعلم هذه التحليات التى يحلى بها صاحب الترجمة فى هذه الوثائــق من الوثيقة الاولى الى الوثيقة الاخيرة انه امى لا يحفظ القرآن فضلا عن ان يلم بالعلوم؛ لان هوءلاء انما يصفونه بالفقير المرابط؛ ولا يوصف بذلك على العادة الا من كان له مقام فى الصلاح ؛ وظهرت عليه سمات خاصة ؛ واتسم بصفات تحمل كل من جالسه على ان يعترف بانــه ليس مــن مطلــق الناس فــى الوجهــة الربانية؛ التى ولى اليها وجهه؛ ثم ليس له من حفظ القرآن ولا من العلــوم شيء والا فيوصف بالطالب ان حفظ القرآن لاغير او بالعالم ان كانــت معــه علوم؛ هذه هى العادة المستمرة؛ قلما تتخطى عند التحليات؛ فكون هوءلاء لا يصفون صاحب الترجمة الا بالفقير المرابط الصوفى ؛ نتحقق به ما عند اولاده الى اليوم من أنه أمى لم يتشرف الا بالصلاح فقط ؛ ويزيد جيرانهم ان الشيخ واولاده الاولين ظهر صلاحهم بالاميــة ؛ وأن الاخيرين ظهر صلاحهم بالعلوم فهكذا عرفنا ان أحفاد الشيخ عندهم من أوصاف جدهم ما ليس بقليل؛ وانهم وان ادخلوا فى ترجمته فى اسمارهم مايشبه الاقاصيص ؛ فان الحقيقة فيهــا لا تزال واضحة وضوح الشمس ؛ ولــذلك نعتمد على حكاية أخذناها عنهم وان لم نجد لها فى هــذه المستندات حلقة نتمسك بها ان تطلبنا النص الصريح

يقولون : ان الشيخ وان كــان أميــا يحب اهل العلم ويتحاشى اليهم ويستشيرهم ؛ ويعنى بما يعنون به وهذا الوصف نجده فى ترجمة الحضيكى

ثم يقولون بعد ذلك فى تدعيم هذا : انه كان من الواقفين على مدرسة (اوجو) حتى اسسها الفقيه سيدى سعيد الاوجويى المعاصر للشيخ (وقــد توفى هذا الفقيه سنة ١٠٤٧ هـ) فجعل الشيخ نصيبا للمدرسة مــن الحبوب يؤديــه كل سنة من صلب مالــه ؛ ثم أوصى اولاده بعده بالمواظبة على ذلك ؛ فواظبوا عليه منذ ذلك اليوم الى الآن •

فهذه الحكاية المدعمة بهذا الفعل المتسلسل الى اليوم ؛ مما يزيد لصاحب الترجمة درة أخرى غالية القيمة فى تاجه ؛ فقد عرفنا بذلك أنــه ليس من بعض الصوفية الــذين يعادون العلم وأهله ؛ ويناصبونهم العداء خوف أن يفضحوهم ويكشفوا الستر عن تمويهاتهم؛ فتراهم عند تشييد الزوايا يهرعون وعند تشييد المدارس يقبعون ؛ فدل ذلك أيضا زيادة على ماتقدم أن صاحب الترجمة واقف عند حده ؛ معترف لكل ذى فضل بفضله ؛ ولايعرف لاهل الفضل الا ذووه •

وما عبر الانسان عن فضل نفسه   بمثل اعتقاد الفضل فى كل فاضل

فهــذا ما امكن لنا ان نعرفــه صراحة او استنتاجا من هــذه الوثائق التى كتبناها تحت هذه الارقام ؛ ٢ـ٣ـ٤ـ٥ والحمد لله الذى يسر لنا ذلك حمدا كثيرا •

٣ ـ فى الوثائق الموضوعــة تحت ارقــام : ٦ـ٧ـ٨ نعلم ان اولاد الشيخ الاربعة محمدا وابا القاسم وموسى واحمد قد بلغوا كلهم اشدهم فى حياة ابيهم؛ فاستحق كل واحد منهم ان يدير أسرته الخاصة بنفسه ؛ فالغالب ان والدهم زوجهم جميعا كما زوج اخاهم أحمد على ما تراه فيما تحت رقمى: ١١ ـ ١٢ فسلك بهم الشيــخ الطريقة التى يسلكهــا اولو الحزم فى الدين والدنيــا ؛ الذين يتقون مشاكسة النساء المختلفات اذ يقسمون اموالهم لاولادهم قسمــة لاتصطــدم وقــانون المــيــراث الشرعى من عدم المساواة يفعــلون ذلــك لاولادهم وهم لايزالــون فــى الحياة خوف ان ينشأ ايضا بيــن اولادهم حول الميراث بعدهم مــا يتسبب عنــه فساد ذات البين ؛ وانقطاع اواصر الرحم ؛ فهذه الطريقة هى التى سلكها الشيخ ؛ فخمس ماله بينه وبين اولاده الاربعة وذلك الخمس الذى صار له ؛ هو الذى صيره لزوجته المباركة فى مقابلة كل ما لها قبله ؛ وقد رأيت رسم ذلك التصيير ثم قرأنا فى رقم ـ ١٢ ـ موافقــة اولاده على هذا التصيير •

فعلى هذه الموافقة تهيؤ لما قد يطرأ بعد بين الورثة ؛ والا فالمال للشيخ وهو لايزال حيا ؛ فليفعل ببعضه بل بكلــه ما شاء ما دام صحيحا ؛ على ما يقوله المالكية رحمهم الله ؛ ثم ان الموافقة انما حصلت من محمد وأبى القاسم وموسى ولم يذكر فيها احمد ؛ لانه ابن المصير اليها ؛ وهو الذى سيؤول اليــه هــذا المال متى هلكت المصير لها لانها أمه ؛ وقد صار الامر كذلك ؛ فصار هذا الملك اليه وحده ولا وارث لها سواه كما ترى ذلك فى الموضوع تحت رقم ٨ ثم انه تبين ايضا من ذلك ان للشيخ اعتناء بتأثيل الاملاك على اختلاف أنواعها ؛ وهذا ما لاشك فيه ؛ لانها مادة القوت الوحدة (١) فى هذه البلاد ؛ فكما ان له فى ايمور املاكا كانت له أيضا املاك أخرى فى مختلف النواحي ؛ رأينا رسوم بعضها واستمرارات تتعلق ببعض آخر ؛ ولخوف التطويل لم نضمها الى هذه الوثائق المتقدمة ؛ ولان كون الانسان ذا املاك ليس بعجيب حتى نحتاج الى الاستدلال على وجوده بوثائق تساق ؛ وان كان غالب العامة وبعض الخاصــة من المتفقرين يحسبون ان الرجــال الصالحين المشار اليهم بالاصابع ؛ الذين يوصفون بالزهد والخير والاقبال عــلى مــا فيه منفعــة العباد وارشادهم ؛ ويتصدرون فى منصة التربية للمريدين ؛ كصاحب الترجمة ؛ لايتأتى منهم

(١) وحدة بلا ياء ؛ وهذا وحيد كما يقال ايضا وحيدة •

الاشتغال ولو بما يحتاجون اليه ؛ مما اذن لهم فيه شرعا وطبعا ؛ ولا يخفى ان هـذا قـول مافـون لايصدر الامـن لايعرف ماهو مدلول الزهد في دين الاسلام ؛ ولا ما ينفع من المال ولا ما يضر ؛ ومثل هذا ينبغي أن تصك آذانه بقول أبي الدرداء ؛ وربما روى حديثا ضعيفا : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ؛ واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وبقوله ايضا : من فقه الرجل استصلاحه لمعاشه . وأن يصرخ عليه بقولـه صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاصي : نعم المال الصالح ؛ للرجل الصالح وبقوله ايضا على مايروى عنه (ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته او آخرتـه لدنياه ؛ وانما خيركم من أخذ من هذه وهذه) أو كما قال في أحـاديث كثيرة في الموضوع ؛ ويتلى عليه من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ؛ مـا عسى أن يقتنع به ان أراد الله به خيرا ؛ وقد ادى هذا الظن السيء غالب الناس حتى حسبوا ان كل الذين يشار اليهم بخير من المتقدمين ماوصلوا ذلك المقام الا برهبانية وانزواء ونفض لليد ؛ حتى لايضعون لبنة على لبنة ؛ ولا يوكئون على صرة ؛ ولا يفتحون عينا على عقار متأثل ؛ فضلوا بهذا الضلال ضلالا بعيدا حتى أنهم متى رأوا في أحد معاصريهم ممن ينتمون الى صلاح أو علم استصلاحا لمعاشه ؛ واشتغالا بما لابد منه من دنياه ؛ لاكوه بألسنتهم ؛ ورشقوا عرضه بسهامهم؛ ويتمضمضون في أنديتهم بالتكلم فيه ؛ فصاروا يحملونه على المقياس الذي توهموه لمن سلك ذلك المسلك من الاخيار ؛ ومتى فسد المقياس ؛ فسد المقيس والمقيس عليه ؛ ورحم الله صاحب الابريز الذي انحى على من يكتبون على ذلك تراجم الصالحين المرشدين ؛ اذ يتركون التكلم حول هذه النقطة ؛ حين يترجمون واحدا منهم ؛ فجروا القراء الى أن يخالوا ما ليس في الواقع .

اذن تأثل صاحب الترجمة املاكا لاباس بها ؛ تقوم بأوده ؛ وتكفي أسرته فكان من ذلك أمران : احدهما أنه لم يذر ورثته عالة يتكففون الناس ؛ بـل ورثهم مانموه فأدر عليهم خيرات حسانا ؛ وثانيهما انه غادر في اولاده هـذه العادة المحمودة المتركبة من التعفف والاحتراف بطرق المعاش المشروعة ؛ ومن الاعتماد على النفس اعتماد الاباة الذين يريدون ان تكون يدهم دائما هي العليا واليد العليا خير من اليد السفلى ؛ فرحم الله ذلك السلف ؛ وبارك في هـذا الخلف .

هذه نظرات في الـذى وضعناه تحت أرقام ٦ـ٧ـ٨ وقد بقي منها مـا يتعلق بتعيين زمان وفاة الشيخ ؛ وسنعود الى ذلك فيما ياتي :

٤ ـ في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقم ٩ـ١٠ نعلم بعض ما يتعلـق بزوجه زينب الكرسيفية ؛ وقد المنا بذلك فيما تقدم ؛ وذكرنا انهـا توفيت قبل ١٠٦١ هـ ونعلم ايضا ان اسرتها الفرموزية ؛ اسرة مجيدة مذكورة في

قومها ؛ فقد عبر من احد افراد عائلتها بالشيخ بلقاسم ؛ والشيخ في عرفنا هو المقام الذي يراس اخوانه ؛ ولا يمكن ان يراس الانسان في هذه البلاد الا اذا تأهل للرياسة تأهلا طبيعيا ؛ من ماله وعقلـه ومركزه الاجتماعي ؛ وقـد رأينا اثر هذا الشرف في كثرة الاملاك التي تذكر في رقم ٩ـ الذي فيه المفاصلة ونعلم ايضا ان هذه الاملاك الكرسيفية ؛ هي التي تصدقت بها زينب مـع اخيها على ورثة زوجها ؛ ان كانت الصدقة بعد وفاته ؛ أو على الشيخ نفسه ؛ ان كانت الصدقة في حياته ؛ لان الرسم على كل حال لم يكتب في حياتها ؛ انما هو استرعاء املاه من علمه على من حرر الرسم ؛ ثم ان الذي يشكل هو التاريخ الموجود في رقم ٩ الذي فيه ١٠٣٩ هـ فان هذا التاريخ غلط ؛ اما من كـاتب الاصل ؛ او من الناقل عنه وهو الاقرب لانه بينما هو يعبر عن السيدة زينب بالهالكة ايم ؛ اذا به ياتي بهذا التاريخ الذي يدل على انه كتب في عصر زوجها الذي لا يزال حيا سنة ١٠٣٩ هـ وسيتجلى ذلك للقارىء حين يرى الكلام فيما ياتي على زمن وفاة الشيخ .

هذا ما يتعلق برقمي ٩ ـ ١٠ وهذه هي النظرات المتيسرة حولهما .

٥ـ في الوثائق الموضوعة تحت أرقام ١١ـ١٢ـ١٣ نجد مايتعلق بزواج صاحب الترجمة : فقد اختار له والده كما هو العادة في الشرق اجمـع في اختيار الآباء للابناء ؛ كريمة من بعض الاسر الاماسينية البعقيلية الشريفة ؛ وعروسه كما يتجلى لك ذلك في الفضة والذهب والحلي التي جهزت بها السيدة وساوى جهـازها ستمائة اواق ؛ وهـذا من مظاهر الثروة في بلادنا هذه ؛ والاوقية في ذلك العصر؛ قيمة تساوي من نقد اليوم كثيرا؛ ولكل ناحية مقياس خاص في الثراء يعرفونه ؛ وهـذا الاختيار مما يـدل عـلى سمو نظر صاحب الترجمة وعلو همته ؛ فانه لايسف الى غير الشرفاء الاعلين الامن ليس له شرف ولا علو همة ؛ فهل ينجب الابناء الا الاخوال ؟ اوليس انـنـا كثيرا ما ننشد هذا البيت :

والمرء لا يشبـه الا اخليس وكل ماقد كان فيهم الكيس؟(١)

او ليس اننا نروي فيما بيننا هذا الكلام المأثور: خولوا اولادكـــم فقد خول صاحب الترجمة احفاده ؛ فانجبت هذه السيدة الاماسينية السيد عبد الله بن احمد؛ الذي ستعرفه فيما بعد ان شاء الله ؛ فجاء نموذجا من ابيه احمد؛ ومن جده صاحب الترجمة ؛ كما ستشاهد ذلك ؛ وقـد توفيت مريم هذه قبـل سنة ١٠٦٣ هـ كما رأينا ذلك في رسم منادة لعبد الله بن احمد على مالها الذي ورثه عنها ؛ ولا يورث الا الموتى .

(١) والمرء لايشبه الا اخواله وكل ما قد كان فيهم فاله فيه

هكذا عرفنا ناحية اخرى من نفسية الشيخ باختياره الكرائم لاولاده كما اختار لنفسه قبل تلك الكريمة الكرسيفية ؛ وهل يعرف المرء الا باختياره

قد عرفناك باختيارك اذ كـــــان دليلا على اللبيب اختياره

ثم ان في استنابة احمد بن عبد الله بن سعيـد ؛ لاحمـد بن عبـد الرحمن من نسبه لدليلا لما سنستنتجه منه حين نبحث عن اصل صاحب الترجمة؛فيما يأتي قريبا فانتظر فانا معك من المنتظرين •

هذا ما استفدناه تصريحا او تضمنا من هذه الارقام الثلاثة ١١ـ١٢ـ١٣ زيادة على ماكنا استفدناه قبل منها في تلك النظرات السابقة •

٦ـ ثم في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقمي ١٤ـ١٥ـ المذكور فيهمـا ما في ترجمتي الرسموكي والحضيكي مع ما كتبه شيخنا سيـدي عبـد الله بن محمد فوائد جليلة ؛ منها ما استوفينا حوله الكلام فيما تقدم ؛ ومنها ما لابـد ان نقف ازاءه مليا ؛ حتى نتوفر عليه •

أولا ـ نجـد في ترجمة الحضيكي زيـادات في الاوصاف على مـا عنـد الرسموكي؛ فبينما هذا لايزيد على قوله ـ المرابط الافضل ـ اذا بالآخر يصفه بكونه ـ رجلا فاضلا متصرفا مربيا للمريديـن ذاكرامـات وجهادات وعبادات وسالمات ؛ ظهرت له الكرامة ؛ وشوهدت له الخيرات ؛ لقي أكـابر العلمـاء ؛ وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين وأرشدهم وسعى في مصالحهم جهده ؛ وانتفع به خلق كثير ؛ فهذه الاوصاف الجليلة التي زادها هذا المؤرخ المتأخر عن صاحب الترجمة بنحو قرن على ما قاله المؤرخ الذي ادرك عصره ؛ مما نكاد نقف ازاءها ؛ ونحن نرسم علامة الاستفهام ؛ لو لم نجد مايؤيدها من الاوصاف التي وصفتها به الوثيقة رقم ـ٥ـ التي وقعها ذلك اللفيف من العلماء ؛ ومن الاوصاف أيضا التي لا تزال تتردد بين الالسنـة الى الآن ؛ فان كانت تلك الوثيقة تقف عند وصفه بالارشاد والصلاح والسعي في ذات البين وما اليها من الفضائل التي يستحق بها المرء العامل ؛الذكر الخالد بين الناس والثناء العطر من الاقلام ؛ فان في السنة المحدثين نسبة كرامات اليه أيضا ؛ فجاءت ترجمة الحضيكي جامعة بين الامرين ؛ وضاربة بكـلا السهمين ؛ وهذا المزج نفسه بين آثار العلم وآثار التصوف؛ منه تكونت شخصية الحضيكي والتحمت به نفسيته ؛ فان لم يكن عبد الله بن سعيد عالمـا فيكفيه شرفـا أنه يزور اكابر العلماء ويدور عليهم ويحبهم ومن أحب قوما حشر معهم على أسلات اليراع اولا ثم في مقامات المحشر ثانيا ؛ فهذه الاوصاف ـاذنـ التي زادهـا الحضيكي على ما قاله الرسموكي ؛ ليس منفردا بها ؛ فقد وصفته تلك الوثيقـة أيضا بمثل ذلك او اكثر في بعض النواحي •

ثانيا ـ ان صاحب الترجمة موصوف كما نرى بالتصوف وانه يخدم اكابر

الصلحاء ويزورهم ؛ والمقصود بالصلحاء هم الصوفية ؛ فاما كـونه يخـدم الصوفية ؛ فلم نعلم ممن اتصل منهم الا شيخه يحيا بن عبد الله التمـلي ؛ ولم نعلم انه اتصل بغيره ؛ وان كنا لانكاد نشك انه يزور اكابر الصوفية الذين ادرك اعصارهم كالشيخ احمد بن موسى والشيخ محمد بن ابراهيم التامانارتي من الاكابر ؛ فضلا عن اقرانهما واصحابهما الذين يعدون اذ ذاك بالعشرات ؛ وكذلك لانعرف ايضا انه اتصل باحد من أكابر العلماء ؛ وهم كثيرون جدا في ذلك العصر ـ الا ماكان من الفقيه سيدي سعيد الاوجويي الصوابي وقد تقدم ذكر ذلك ؛ ولكن الحضيكي حين قال انه لقي اكابر العلماء وصحب افاضل الصلحاء ؛ ودار عليهم زائرا وخدمهم ؛ لانظن الا انه تلقى ذلك عن الجيل الذي ادركه ؛ ولا شك انه يدرك من يروون عمن ادركوا الشيخ صاحب الترجمة بكثرة ومثل الحضيكي لانظن منه الا التثبت فيما يقوله أو يكتبه حسب علمه •

ثم ان التصوف الذي اتصف به صاحب الترجمة يظهر انه تصوف عملي؛ متسم باقامة مصالح العباد؛ وبنصح المسلمين وارشادهم ؛ والسعي في مصالحهم جهده ـ كما وصفه بذلك الحضيكي ـ وانه ليس بذلك التصوف الجامـد الذي يحمل صاحبه على الانزواء في قنن الجبال ؛ أو في مغارات الاودية ؛ فحصل له بذلك نفع نفسه اولا ؛ بزجه نفسه في جماعة المسلمين ؛ ويد الله مع الجماعة ؛ وبمشاركتهم في كل ما يحسون به من خير أو شر ؛ وخصب أو جدب ؛ فيتجه اوجههم ؛ ويضع همه بين همومهم ؛ ولا خير فيمن لايهتم بامور المسلمين •

ويظهر ـايضاـ ان التربية للمريدين الشائعة عنه حتـى انتفع به خلق كثير كما قال الحضيكي ليست بالتربية الاصطلاحية عند القوم ؛ كما فصلتها رائية الشريشي بل هي تربية ارشاد لكل من لقيه من العباد من غير ان يتخذ لنفسها خاصة يتسم بها اتباعه ؛ وينحاشون الى حظيرتها وحدهم ؛ كما هـو الغالب على من ينتهجون طريقة التربية الاصطلاحية • وادل دليل على ذلك اننا لم نر من ينتسب اليه من اشياخ الجيل الذي درج وراءه ؛ وماكان الرسموكي الذي ادرك عصره ليسكت غالبا عن ذلك لوكان ؛ مع اننا راينا انه وصف بذلك الشيخ سيدي محمد بن احمد الحربيلي المتوفى سنة ١٠٢٠هـ والشيخ سيدي احمد بن محمد السكرادي المتوفى سنة ١٠٦٧هـ ولعمري ان هذا الارشاد العام من غير تقييد بسيما خاصة ؛ لهو الذي يوافق صاحبه محجة السنة البيضاء التي ليلها كنهارها لايزيغ عنها الا هالك •

وقد دخل سيدنا عمر بن الخطـاب رضي الله عنه الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوجده مملوءا بحلق وكل طائفة حلقت على كبير من الصحابـة فلامهم عمر بالدرة ؛فامرهم بالاجتماع حلقة واحدة ؛ فقال لهم ؛ اتريدون ان يقال هذا اصحاب فلان واصحاب فلان ؟ هذا ماقراناه في مختصر تاريخ ابن عساكر

ولم نسقه بلفظه لطول العهد به ؛ وكأنه رضي الله عنه يتوجس خيفة مما وقع بعده في المسلمين ؛ وكأنهم لايتلون قوله تعالى «ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا» وقوله ايضا «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء»

فهذا الذى كان عليه الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من اقوم طرق الصوفية على ان طرقهم كما يقولون : كالازهار ؛ تختلف الوانها وان كان الماء الذي تسقى به واحدا .

وقد اخبرت ان الشيخ الوالد رحمه الله كان مرة في مشهد صاحب الترجمة مع الفقراء فقال ان هذا السيد كان شغله في عصره كشغلنا هذا ؛ وكانت نظراته صوفية ؛ كما كانت نظراتنا بفضل الله كذلك او كما قال :

ثالثا — ان كلا من الرسموكي والحضيكي وصف الشيخ بأنه ساموكني وطنا؛ تهالي مسكنا ؛ سبق بذلك الرسموكي فاخذه عنه الحضيكي على عادته في غالب التراجم التي اخذها منه بعزو او بغير عزو ؛ فبقي ذلك مشكلا عند كل من يراه من اولاده لامورشتي ؛ منها مايزعم من ان قبيلة ساموكن قبيلة منحطة في انظار الناس فينسبون اليها حكايات واقاصيص جعلتها في المجتمع كباهلة بين قبائل العرب حتى ان بعض من لايستحيي جاء باكذوبة عن الشيخ الحضيكي ؛ فحواها انه سال مرة انسانا عمن هو امام مسجدهم ؛ فذكر له انه طالب ساموكني فزعم ان الشيخ قال له : أوصيكم بعد اليوم ؛ فان وجدتم طالبا (ولتيتيا) فذاك ؛ والا فتبلغوا بطالب (ازغارى) فان لم تجدوا الا اماما ساموكنيا ؛ فاريحوا مسجدكم تلك السنة ؛ الى ان يتيسر لكم امام آخر فهذه الاكذوبة وعشرات من أمثالها يتعاطاها سفلة الناس ورعاعهم وجهالهم فترسب بها هذه القبيلة في انظارهم ؛ فاما ذوو العقول الراجحة فانهم يعلمون ان الناس سواسية ؛ وان بني آدم كلهم كاسنان المشط لايتفاضلون الا بالتقوى ؛ بل يزيدون اننا اذا نظرنا الى اقامة الدين ؛ والاقبال على استظهار كتاب الله ؛ ونبوغ بعض العلماء فينة بعد فينة ؛ وعلمنا ان هذا وامثاله مما تتسامى به القبائل وترفع به راسا عاليا يناطح الجوزاء فان لقبيلة ساموكن حظا غير قليل في ذلك؛ فبماذا تفضلها القبائل الاخرى ياترى ؟ وهل يميل الى هذه الشعوبية المقوتة الا ذوو الراى الفائل ولكن مع مدافعة ذوى العقول هذا الدفاع المجيد عن هذه القبيلة ؛ فان آذان الرعاع صم دونه حتى أنهم ليزعمون فيما يزعمون أن الفضلاء الساموكنيين انفسهم سرعان ما يتملصون من هذه النسبة؛ كلما وجدوا الى ذلك سبيلا فقلما يتغرب احدهم ويبقى على هذه النسبة ؛ هذا ما يتفوه به من لايرعون الا ولاذمة وهذه بلاشك فرية افتروها من سخافة عقولهم؛ والا فمن ذا الذي يتبرأ من نسبه وبلده وان كان ماكان .

لهذا يتبرأ اهلنا من ان تكون بينهم وبين آل ساموكن اواصر؛ وينظرون الى كل من الزهم بذلك نظرا شزرا ؛ حتى ان من اراد ان يبتزهم او اراد ان يداعبهم فانه يضرب على هذا الوتر الحساس؛ فاذا باحدهم يثور بشعور او بغير شعور .

لاازال اتذكر انني كنت مرة — وانا في طور البلوغ — في دار الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم القشاني ؛ فضاحكني وداعبني فلم ينشب ان لمس هذه النسبة فناورته في ذلك ؛ وانا كنت اجهل ماوراء الاكمة ؛ فقام رحمه الله الى الحضيكي فاراني هذه الترجمة ؛ فاطرقت حياء فلم اجد ما اقول ؛ فصرت ادافع — اذن — عن الساموكنية ؛ ولكن مضضا في نفسي احس به يخزني وخزا ؛ وغرارة الشبيبة لاتزال تنشب في التعصب المقوت ؛ ثم انني بعد ذلك بكثير قرات في تاليف الاستاذ مورخ رجال هذا الجيل الماضي بسوس سيدى محمد بن احمد الرفاكي فسح الله في اجله ؛ انه بات ليلة عند الرئيس الحاج ابراهيم القشاني ؛ فكان هذا اراد ان يستفز ضيفه ؛ فصار يعلي امامه شان مرابطينا السعيديين ويعرض في اثناء ذلك بالسادات شرفاء (تيمكيدشت) ويغمز نسبتهم الى الشرف ؛ فلم يصبر الاستاذ ان قال من هم مرابطوك هؤلاء ؟ وهل هم الاساموكنيون ؟ فجاذبه رب مثواه في ذلك ماشاء الله ؛ فاحتج عليه الاستاذ بالحضيكي ؛ فالفى به فوجد الامر على ما قال .

هذا ماقراناه في كتاب الاستاذ حفظه الله ونحن نعلم ان ذلك منه انما هو حكاية عما وقع في ذلك المجلس ودفاع عن اشياخه ؛ والبادى اظلم .

هذا بعض ما يروج حول هذه الساموكنية ؛ ولا يعتمد ذلك كما نرى الا على الشعوبية المقوتة ؛ التي ينبغي ان تنطوى بين المسلمين .

ومما يحول ايضا بين اهالينا وبين قبول هذه النسبة ان ذلك لم يعرف قط ولا كانت عليه اثارة من علم ؛ فيما رووه عن آبائهم واجدادهم؛ فما عرف عندهم ان الشيخ صاحب الترجمة استوطن وادى ساموكن ؛ ولا كان ما يدل عليه ولو توهما ؛ قالوا ان الجد لم يزل ساكنا بايمور طوال حياته حتى اقبر فيه ؛ وليس هناك في وادى ساموكن ما يدل على أنه كان نازلا فيه ولو حقبة من الزمان فلا دار له هناك ؛ ولا املاك ؛ ولا ماينسب اليه والعادة تقضي في البادية ان من الم بمحل وسكن فيه زمنا لابد ان يدع فيه اثرا من الاثار ؛ وليكن على الاقل دارا نزلها وحيث لايوجد شيء من ذلك هناك ؛ فلاشك ان هذا غلط من قائله اياكان سواء قاله الحضيكي من عند نفسه اونقله عن غيره ؛ وهذا الذى يقال للحضيكي يقال لغيره ممن سبقه الى ذلك؛ فقلما ينتقل الانسان من بلد الى بلد الا لاحد امور ثلاثة :

— اما جلاؤه عن ظلمة لايحترمونه الى محل يجد فيه امانا على نفسه .
— واما ان ينتقل الى املاك نالها في مسكنه الجديد ؛ فيجب ان يجاورها؛ وان يكون استغلالها تحت نظره .

ـ واما ان يكون المنقول اليه بلدا فسيحا طيبا ينتقل اليه من بلد وخيم الهواء ضيق الرقعة يصعب فيه المرعى والمورد ؛ قالوا فبهذه البواعث الثلاثة ينتقل الانسان من بلد الى بلد ؛ وهي كلها منتفية ؛ فليس هناك في ايمور من يضايق الشيخ حتى يحتاج الى النقلة منه الى ساموكن ؛ بل كان من الاحترام هناك في المكانة التي يغبطه عليها كثيرون؛ ولاكانت له في ساموكن املاك تاثلها فاحب ان يجاورها فلو كانت له هذه الاملاك هناك لذكرت بين الاماكن التي فيها عقاراته وقد راينا رسوم تبريحات احفاده بعضهم على بعض تتعدد فيها الاملاك المتنوعة في امكنة مختلفة ؛ ولم يجر فيها ذكر لساموكن ؛ وكذلك أنت رأيت في هذه الوثائق ما ذكر فيه بعض أمكنة فيها عقارات للشيخ ولا ذكر فيها لساموكن افنقدر ان الشيخ باع ما تأثله هناك بعد أن ملكه؛ وهو من عرفنا منه التوسع حتى لايحتاج الى بيع مثل العقارات التي تكون في ذلك الوادي والعادة جارية ان عقارات الاودية آخر ما يباع من المتاع ؛ فبهذا كله يعرف انه لااصل له هناك ولاعقار يمكن ان يحفزه الى النقلة اليه ؛ وكذلك لايمكن ان يحمله ايضا على مغادرة (تاهالا) الى ساموكن فسحة أرجاء ذلك الوادي وصحة هوائه ؛ واتساع مراعيه مع ان الواقع ان ذلك الوادي عميق واضيق من سم الخياط ؛ واعمق من لهاة الاسد ؛ فلايتلقى اهاليه الشمس على اعالي ابنيتهم الا بعد متوع النهار بكثير ؛ ثم يودعونها قبل الطفل ؛ في حين ان تهالا بلد متسع الارجاء منفسح المرعى ؛ لايمكن ان يغادره ذولب باختياره ليزج نفسه في ذلك القبر العميق قالوا فبهذا يدرك معنا كل متامل انه حين انتفت هذه الاسباب التي بها ـ غالبا ـ ينتقل من بلد الى بلد ؛ ينتفي كذلك المسبب ضرورة ان المسببات تنتفي بانتفاء جميع اسبابها •

قالوا قد راينا انه حين تزوج عام ٩٨١هـ وصف في عقد النكاح بنسبته الى ايمور ؛ ثم عاش بعد ذلك ستين سنة او اكثر ؛ على مانعلمه فيما سياتي ففي اي وقت توطن في واد ساموكن ؟ أقبل هذا الوقت ؟ فيستحق حينئذ النسبة في رسم النكاح الى ساموكن ؛ مع انه لم ينسب فيه كما رأيت الا الى ايمور خاصة ؛ ام بعد ذلك وقد تزوج وولد الاولاد ؟ فما الذي يحمله ـ اذن على السكنى هنالك ـ والانتقال باولاده اليه ؟ الاتلك الاسباب التي ذكرنا انها هي التي بها ينتقل الانسان ـ غالبا ـ عن بلده ؛ فقد راينا انها كلها انتفت افلا ينتفي كذلك المسبب ؟

قالوا عجبا ! ايعرف غيرنا عن جدنا مالانعرفه عنه ؟ مع ان اهل مكة ادرى بشعابها ؛ ايستحضر كل واحد من اهالينا الذين يعدون بالمآت ابا عن اب ؛ الامكنة التي اسس فيها ماأسسه في حياته حتى اننا لنعرف مابين المهامه الفيح والقفار المترامية ؛ آثاره الرا الرا ؛ لم ننس شيئا مما وراء ذلك ؟ افليس

الاصوليون المحدثون يقولون انما ورد من طريق الاحاد ؛ وان كان مرويا عن عدول ضابطين او كان بمثابة ان يروى بالتواتر لو كان موجودا في الواقع لان ذلك مخدوش فيه ؛ بل ان بعض الاصوليين لايقبله البتة ؛ افيعرف واحد من بالماتين او من بعض قرى قبيلة رسموكة ؛ ان جدنا توطن وادي ساموكن ثم يخفى عنا ذلك جميعا ؟ ان هذا لعجب عجاب •

قالوا لايسبقن الى ذهن القارىء اننا ممن يرمي تلك القبيلة بما يرميها به رعاعنا او نابى ان ننتظم نحن واياهم في سلك واحد ؛ فلسنا والحمد لله من ذوي الشعوبية الممقوتة ولا ممن يتنصلون مما ثبت ؛ ولا ممن يتطاولون الى مالم يكن ؛ فان آل ساموكن اناس فضلاء فيهم ما في الناس جميعا؛ ذهب وخزف ولوصح اننا واياهم يجمعنا جذم واحد اوصح ان جدنا سكن بين ظهرانيهم لتلقينا ذلك بكلتا اليدين ولابديناه للناس اجمعين ؛ فاننا في شرف نفسي يكفينا عن كل شرف وراء ذلك ؛ ولكن الواقع ان هؤلاء الفضلاء في واد ونحن في واد فان ثبت ذلك بعد بماتثبت به المعلومات من الادلة والحجج والبراهين وتبين ان جدنا كان من ذلك الوادي فاننا ممن يتشرف بهم اهل ذلك الوادي كما تشرفت برسول الله صلى الله عليه وسلم عدنان •

قالوا اننا نرى الرسموكي وتابعه الحضيكي يقولان في الشيخ التهالي مسكنا الساموكني وطنا ؛ فهذه العبارة لانكاد ندرك لها معنى ؛ فلاندري هل المقصود ان وطنه الاعلى هو ساموكن ؛ ثم اتخذ تهالا بعد ذلك مسكنا ؛ فان كان هذا هو المقصود وهو الاقرب ؛ فاننا نحتاج اولا ان نعرف اين ولد الشيخ واين مسكن والده لندرك مقدار ما لذلك من صحة ؛ ولكننا لانعرف على مايقوله الناس الا ان الشيخ بنفسه هو الذي قدم من (تامدولت) ولايمكن ان يقدم بنفسه ؛ مع اضافة ذلك له ؛ الا اذا بلغ مبلغ من يقدر على النقلة وجوب البلاد ؛ فحيث تواتر عند الناس انه كان في اكادير تنبسيست ؛ ثم بعد ذلك كان عند شيخه يحيا بن عبد الله سنوات ؛ ثم تزوج سنة ٩٨١هـ في ايمور حيث عاش ستين سنة او اكثر ؛ ففي اي وقت يكون ساموكن وطنه ؟ كما قاله الرسموكي ؛ في حين اننا نرى نقلته من تامدولت فسكناه في اكادير تنبسيست ؛ فانقطاعه الى شيخه سنوات ؛ فتزوجه سنة ٩٨١ هـ هذه الامور كلها لابد ان تتتابع كما نرى وقد قدرنا لهذا الوقت كله نحو ٢٥ سنة ثم نلقي من ذلك اعوام الصبا فما الذي يبقى بعد ذلك ؟ حتى يستوطن فيه ساموكن استيطانا يستحق ان ينسب له ؛ حتى يكون في مقابلة سكناه في تهالا الذي كان ستين سنة فاكثر وان لم يكن هذا مقصود الرسموكي بتلك العبارة ؛ فليت شعرنا ماذا يقصد بها؟

قالوا فتبين لنا من كل هذا ان هذه العبارة لابد ان تكون غلطا من قائلها والحاصل ان اهالينا يابون بكل مافي امكانهم ان ينسب الشيخ الى ساموكن مطلق نسبة وان يكون به ولو مرور ما ؛ ويرد ذلك علماؤنا كما نرى في رقم ١٥ مما

كتبه شيخنا على هذه الجملة من كلام الحضيكي : ان ذلك كذب محض ؛ فهذه الاجوبة التي ذكرناها تفصيلا ومددنا فيها القول ؛ واتينا فيها بالحجج والبراهين المنطقية تارة ؛ والخطابية تارة هي كل مايمكن ان يتمسك به من ينفي ذلك ؛ وقد سمعت غالب ذلك من اهالينا فنظمته كما ترى .

اما انا فقد وقفت ازاء هذه المسالة ؛ موقف من لايريد ان يسير الا بمصباح ينير ماامامه ؛ فقد فتشت واكثرت التساءل عن مولد الشيخ ومكان منشئه ؛ ومقبر والديه ؛ علني ان اعرف ما استند اليه في هذا المبحث ولكنني لم ارجع بعد كثرة السؤال الا بخفي حنين؛ فعولت على ان ارجع الى هذه الوثائق نفسها لعلني اجد فيما بينها ما يفتح لي هذا الباب .

كنا قرأنا في الوثيقة الموضوعة تحت رقم -١- ان عليا عم الشيخ هوالذي كان وكيله عند عقد النكاح ؛ وقرأنا ايضا في رقم -١٢- ان احمد بن عبد الرحمن توكل في عقد نكاح احمد بن عبد الله عنه ؛ وقد ذكر كاتب الرسم أنه من نسبه ؛ فأدركنا بذلك أن لاسرة الشيخ فروعا موجودة ؛ وأدركنا ان الشيخ ليس وحده ؛ ولكن اين يسكن هؤلاء الفروع ؟ فهل كانوا يساكنون الشيخ بايمور ؟ او كانوا في اكادير نتبسيست وانما يزورونه هناك عند امثال هذه الافراح كما تجري به عادة ذوي الارحام ؟ لانـدري ؛ ولا طارق الحصى يدري اى هذين كان كما لم نخرج ايضا بعد مراجعتنا لهذه الوثائق كلها من جديد ؛ الا بجهل مطبق عن هذه النقطة ولا يسترعي نظرنا الا ما عند الرسموكي الذي يدفعه اهالينا بما رايت .

اكثرت التامل فخطر لي انه يمكن ان يجمع بين مايقوله اهالينا ومايقوله الرسموكي بتاويل كلامه .

ان اهالينا يقولون ان الشيخ كان في اكادير نتبسيست قبل ايمور ولم يكن في وادي ساموكن فقط ؛ وقال الرسموكي أن وطنه هو ساموكن ؛ او ليس أنه يمكن أن ساموكن اذ ذاك كان يطلق على ما يعم أكادير نتبسيست؟ وهو في جواره ؛ فلئن كان الامر هكذا فان الرسموكي اذن صادق ؛ ولا اقرب من هذا التاويل والجمع متى امكن لايصار الى الترجيح كما هي القاعدة الاصولية ؛ وايضا اننا نستبعد ان يلقي الرسموكي الكلام جزافا فيما هو بصدده في كتابه ؛ وقول المورخين لايطرح بسهولة خصوصا من عاصر وشاهد اوشاهد من شاهد ؛ ومتى تاولنا كلامه هذا التاويل القريب فانه يمكن لنا ان نجمع بينه بكل سهولة مع ماعند اهالينا كما ترى ؛ اوليس هذا مما يترجح ؟فندرك اذن ان الشيخ ماانتقل الى ايمور الاقبل تزوجه بحقبة ؛ وكون عاقد رسم النكاح لم يضفه الا الى ايمور ؛ ولم يضفه الى مكانه الاصلي ؛ لايدفع هذا لان الانسان بمثواه الان ؛ لابما درج منه على أن العقود لايستدل بها الا فيما

سيقت له لاغير ؛ واما ماسوى ذلك فلايستدل عليه بها ؛ وذلك معلوم عند كل فقيه .

بهذا عرفنا وغلب على ظننا ان اصل الشيخ من اكادير نتبسيست كما يقوله اهالينا وتواتر عندهم ؛ ويدل عليه قول الرسموكي ان فهمناه ذلك الفهم الماضي ؛ واما نسب الشيخ ؛ فسترى امامك الكلام حوله .

ثم هانحن اولاء ترجح عندنا ان الشيخ كان في اكادير نتبسيست ؛ قبل ان ينتقل الى ايمور؛ ولكن هل ولادته ومنشاه هنالك ام كان في تمدولت؛ كما يقوله اهالينا ؟ انني ارجح في هذه النقطة ان ولادة الشيخ ومنشاه في اكادير نتبسيست ؛ وان الذي انتقل من تمدلت احد اجداد الشيخ؛ والذي رجح هذا عندي أن وقت جلاء تامدولت الشهير كان في اوائل القرن التاسع اوقبله بدليل انهم يقولون ان الشيخ علي بن يونس الاغشاني هو الذي كان سبب هذا الجلاء في حكاية تحكى ؛ وعلى هذا كان حيا في القرن التاسع ؛ وترجمته واخباره ينسبها النقلة الى الشيخ احمد بن عبد الرحمن المسجدادي المتوفى حوالي مولد الشيخ صاحب الترجمة ؛ ثم يظهر من ترجمته لعلي بن يونس انه لم يدركه ؛ وحياة المسجدادي في النصف الاول من القرن العاشر ؛ وقد توفي سنة ٩٤٨ هـ فبهذا ندرك ان الجلاء التمدلتي كان قبل الشيخ صاحب الترجمة ولايمكن ان يكون هو بل ولاابوه من بين الجالين ؛ فربما كان الجالي هو جده الادنى او الاعلى ؛ ويترجح عندنا ان الشيخ ليس هو الجالي بنفسه ؛ ان السنوات التي حزرناها له قبل زواجه وقبل اتصاله بشيخه يحيا بن عبدالله ؛ اقصر من ذلك واضيق ؛ ثم اذا اضفنا الى ذلك المقدار المحزور من عمره ماعاشه بعد فان ذلك يناهز نحو ١٠٠ سنة ولانعلم ان الشيخ عاش اكثر من ذلك حتى نزيد في ذلك القدر المحزور سنوات اخرى يتاتى له فيها ان ينتقل من بلد الى بلد انتقالا يضاف له كما يقوله اهالينا .

هذا ما ترجح عندنا في هذه النقطة والله اعلم ؛ واما ان نقول ان اصله الاصيل من ايمور ؛ بدليل وجوده هو فيه فهو ضعيف ؛ لاننا لم نجد لذلك دليلا مسموعا ولامعقولا ؛ الا ماكان من الاستصحاب المعكوس الذي هو ان نقول ان وجوده هو في ايمور ؛ دليل على وجوداصوله هناك فهذا هو الاستصحاب المعكوس وهو ضعيف في الاستدلال ؛ وكون المتواتر عند اهالينا هو ان اصله من اكادير نتبسيست ؛ يكفي في رد هذا المتوهم وخصوصا حين يتايد هذا الخبر المتواتر بما قاله الرسموكي " من ان وطنه من ساموكن وقد عرفت ما مقصوده بساموكن فيما تقدم على ما اولنا اليه كلامه ؛ وهذا منتهى ما امكن لنا في الموضوع ؛ والحمد لله . وقد كان اكادير نتبسيست من قرى ساموكن قبل ان يستلحقه ايت علي الربيضيون .

رابعا - انك قرات في ترجمتي الرسموكي والحضيكي الموضوعتين تحت

رقمي -١٤-١٥- ان الشيخ توفي يوم الاربعاء ٢٧ من ربيع الثاني سنة ١٠٤٠هـ ثم قرأت بعد ذلك انتقاد ذلك لشيخنا الالغي حفظه الله مستدلا بما في رقمي -٦- و -٧- من رسم التصيير المورخ باوائل ربيع النبوي سنة ١٠٤٧هـ ومن رسم الموافقة من اولاد الشيخ على هذا التصيير المورخ برجب سنة ١٠٥١هـ وماخذ ماذهب اليه شيخنا في ذلك ان الرسم الاول يظهر من لوائح عبارته ؛ انه كتب حين الاشهاد كما يظهرايضا من الثاني ان ذلك الابراء من اولاد الشيخ لابيهم كتب في حياته وان تاريخ الابراء هورجب سنة ١٠٥١هـ وان كان الرسم لم يكتب الا في سنة ١٠٩٢ هـ حين طلب ذلك من الشهود فاملوه استرعاء ؛ وعينوا وقت وقوع ذلك ؛ فبهذا استدل شيخنا وبهذا انتقد ان يكون الشيخ توفي سنة ١٠٤٠ وتكون وفاته على هذا بعد ١٠٥١هـ وقد كنا حزرنا ولادته في ٩٥٥هـ فيكون عمره يناهز المائة كما ترى .

ثم اننا ان تتبعنا هذه الوثائق الماضية ؛ نجد ايضا في التي وضعناها تحت رقم -٩- في رسم المفاصلة بين السيدة زينب زوجة الشيخ وبين آلها فيما ورثوه عن آبائهم انه وصف هذه السيدة بايم الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد ثم ارخ ذلك الرسم سنة ١٠٣٩هـ فكان في ذلك غرابة ؛ لاننا نتيقن ان صاحب الترجمة في هذه السنة لايزال حيا ؛ وكيف توصف قرينته بايم وهذا غلط بلاشك ؛ ولا يعتورنا ريب في ذلك ونظن ان هذا الغلط ممن نسخ من الاصل ؛ وكانه اراد ان ينقل ١٠٥٩هـ فسبقه القلم فاستبدل -٥- بـ٣ اومثل ذلك

اذن فلم يبق بين ايدينا الا ما للرسموكي وما في رقمي -٦-٧ فالمتبادر هو ما ذهب اليه شيخنا الذي دل عليه ما في هذين الرقمين ؛ لان من يبعد عن الانسان ؛ ولايخالطه - كما كان ذلك من الرسموكي مع صاحب الترجمة اقرب الى الغلط من الموثق الذي يجعل بين عينيه تاريخ الوثيقة التي يكتبها وان كنا نستبعد ايضا باعتبارات اخرى عدم تثبت الرسموكي فيما تصدى له من تحرير وفيات معاصريه : ويتايد هذا الاستبعاد بالمعاصرة ؛ وبان غلطه المستند الى مافوق احدى عشرة ؛ كثيرقلما يقع للمتصدى لمثل ذلك ؛ ويتايد ايضا بانه عين يوم الوفاة وعين الشهر وذلك كله مما يدل على التثبت ؛ولكن مع كل هذه الاعتبارات ؛ وهذه المؤيدات لقول الرسموكي ؛ لانزال مع شيخنا فيما يرجح عنده ؛ لان عبارات مافي وثيقة التصيير وما في اختها اقوى اعتبارا من هذه الاعتبارات الاخرى ولنقتصر اذن على انه توفي بعد ١٠٥١ ولنبق على ذلك الى ان يظهر لنا ماينقلنا عنه ؛ واما الحضيكي فانما هو تبع للرسموكي فيما ذهب اليه ؛ نقول ذلك وان كنا نميل احيانا الى التردد حين يتجلى تثبت الرسموكي من جهة اخرى فنتحير ؛ والله اعلم .

هذا ماامكن لنا ان نقوله في وقت وفاة صاحب الترجمة ؛ وبذلك ندرلانه معمر حتى ناهز نحو ١٠٠ سنة رحمه الله .

هذه نظرات حول هذه الوثائق الخمس عشرة ؛ وقد بينا فيها كل ما وصلت اليه بحوثنا ؛ وابدينا ماتدل عليه تصريحا او تضمنا ؛ ولم يبق لنا الا كلمة اخيرة حول كلمة قراناها في الوثيقة الموضوعة تحت رقم -٥- وهي قول احمد بن على بن ابراهيم التوبيتي فيما خاطب به السلطان «فترغب من امير المومنين المنصور بالله امام وقته ابي العباس احمد الشريف نصره الله تعالى وايده ؛ ان يلحقهم بامثالهم في التحرير والخروج بهم عن الطالبة على عادته في اهل الخير والصلاح والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم» فقد رايت انه قال بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم فما معنى ذلك ؟ امقصوده انهم شرفاء ؟ هذا ما لم يدعه قط مرابطونا ؛ ولاسمعنا من ادعاه لهم اوانما هي كلمة ارسلها التوبيتي على عواهنها ؛ وذلك ايضا بعيد ؛ ولهذا يحتاج المقام الى تان وتبصر حتى ندرك ما يرمي اليه هذا الكلام الذى وقعه ثمانية عشر عالما؛ ولكي نعرف ذلك ينبغي لنا ان نجول بابصارنا من هنا وهناك .

قرات معي فيما تقدم ؛ البحث عن منشأ الشيخ واصله ؛ وقد استقررايينا اخيرا على ترجيح مايقوله اهالينا من ان الاصل الاصيل من تامدولت ثم لايعرفون ما وراء ذلك ولم اجد انا ولم اسمع شيئا آخر يمتد منه نسبهم ؛ الا ما كان الاستاذ سيدي محمد بن احمد الاولوى الامنوزى اخبرني به منذ سنوات انه راى رسما كتبه بعض آل الشيخ قبله ؛ ذكر فيه النسبة الى الجعفرية يعني الى جعفر بن ابى طالب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ؛ قال العراء في بعض السلات من جهتهم ؛ هذا ماسمعته لاغير ولكن هل لهذا من صحة ؟ فان اهالينا بقوا جاهلين هذه النسبة الى الان ؛ ولم اعرف لها روجانا بينهم قط ؛ الا ماكان من رسالة رايت فيها هذه النسبة وهي مخطوطة بيد الاستاذ العلامة سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله كتبها الى تلاميذه بابي مروان ؛ولا ادرى من اين تسرب اليه ذلك ؛بل ولاسمعت بعد عنه ذكرا يروج حول ذلك هذا كل ماخطر حول هذه النسبة ثم لم يتصل بذلك رواج بل ولاعرف له مستند ؛ حتى جاء الاستاذ سيدي محمد بن مسعود المعدرى فصار يخاطب بهذه النسبة شيخه الشيخ الالغي في قصائد ورسائل ؛ بل وسم بذلك قصيدة نونية ستقراها ان شاء الله في ترجمة الشيخ (هز الراية الجعفرية ونشر النفحات العنبرية في المنافحة عن الطريقة الالغية بذكر بعض مالها من المآثر السنية في كتاب الترياق المداوى)

وقد سالت شيخي سيدي سعيد ا التنانى عمن استقى من عنده هذا الاستاذ

هذه النسبة ؛ ومن اين توصل بها ؟ فذكر عنه ان الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ذكر له انه راىذلك فيطرةكتاب؛ هذا هومستقى ما يقوله الاستاذ ابن مسعود ؛ ثم عنه انتشرت اخيرا هذه النسبة فوصلت الى مسامع اهالينا فاما الذين عقولهم فى اصمختهم فانهم تلقوا ذلك كانه ثابت بما تثبت بـــه المعلومات ؛ واما ذوو الالباب فلايزالون فى ريب لان الانساب لاتثبت بمثـل مافى الطرة ؛ ولو كان الرسم الذى ذكره الاستاذ الامنوزى موجودا ؛ وتحققنا منه هذه النسبة لكان ذلك مثارا لمن اراد ان يظن هذا الظن ـومثل هذايكتفى فيه بالظن ـ ولكننا لم نتوصل بهذا الرسم لنعلم ماهنالك ؛لان هذه النسبـة لو كانت صحيحة لما فرط فيها الاولون ولحافظوا عليها ؛ فنقول اذن فيحقهم الناس مصدقون فى انسابهم ؛ واما حيث لايذكرون ذلك ولايرفعون به راسا فلا مصير اليه الا بما تثبت به المعلومات ؛ لابما وجد فى الطرر ثم اننى كنت سمعت ان هذه النسبة كانت مكتوبة فى جدار مشهد الجد صاحب الترجمة ثم محيت ؛ ثم لاادرى اكانت مكتوبة قبل تجديده فى اول هذا القرن : ام لم تكتب فيه الا بعد تجديده ؟ ولهذا يضعف ايضا الاستدلال بها •

هذا كل ماعرفه رائجا عن هذه النسبة الجديدة وانا الى الان لم‌تبلغ عندى حتى درجة الوهم ؛ لاننى استبعد ان يكون ذلك ثم ينساه الاباء ؛ولم يملاوا به مسامع الابناء مع ان‌كثيرين ممن انتقلوا من (تامدولت) عضوا على‌هذه‌النسبة بالنواجذ وحافظوا عليها بالمحافظة على سلسلة أنسابهم الى الامـام جعفر ؛ وبتعهد ذلك بظهائر الملوك ؛ كابناء على بن يونس الايغشانيين فلهم سلسلة نسب متصل الى جعفر ستراه عند ذكرهم ؛ واستبعد ايضا ان تكون هـــذه النسبة موجودة لعبد الله بن سعيد ؛ ثم تتخطاها تلك الوثيقة التى حشرفيها اولئك العلماء ماعرفوه •

ثم لقائل ان يقول ان هذه الوثيقة هاهى ذى تنادى بان جدهم هوالمصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ فيكونون حينئذ شرفاء ابناء فاطمـة مـن الحسن او الحسين ؛ فاذا علقت صحة هذه النسبة بمثل هذه الوثيقة مع انها هكذا ؛ فلم لايحكم بان الشيخ صاحب الترجمة شريف وان ذريته شرفاء ؟ اقول‌هذا لعمرى ايراد له حظ من النظر • ولكن الذى يمنعنا من قبول ذلك ان مثل‌هذه النسبة لوكانت لما فرط فيها الاولون ؛ ولاعلنوا بها فى كل‌مناسبة ولرايـنا ظهائر الملوك التى بين ايدينا عدة منها ؛ وقد ذكرنا منها اثنين فيما تـقـدم وسنذكر فى آخر هذه الترجمة سائرها تصرح بذلك وتعلنه على عادةالظهائر الملوكية فى ذلك ؛ وهذا كله جدير ان لايقبل به ذلك القول الذى صدر مـن الفقيه سيدى احمد بن على التوبيتى فى تلك الوثيقة •

ثم لقائل آخر ان يقول اولم يمكن ان تفسر هذه النسبة الشرفـيـة التـى

ذكرت فى الوثيقة هذه بانها هى النسبة الجعفرية ؛ لانها ممتـدة الى زينـب بنت فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فكـمـا انـهـا ولدت الحسن والحسين ابنى على بن ابى طالب كذلك ولدت زينب بنت على‌بن‌ابى طالب التى اولدها جعفر بن ابى طالب سلالته الزينبية وهى مشهورة ؛ فما المانـع ان يطلق على هولاء الزينبيين ايضا ان جدهم هو المصطفى صلى اللهعـلـيـهوسلم؟ كما يقال ذلك فى اولاد الحسن والحسين اقول ان لهذا القائل مغـزى ساميا وقولا فيه مايلفت نظر المتامل •

حقا ان قوله اقرب ما تؤول به قولة تلك الوثيقة وهذا القول على الاقـل نجد فيما يروج اخيرا من‌يلوكه بلسانه ؛ وان لم نعتمد عليـه ؛ ولا كانـت عليه لوائح البرهنة ؛ على ان ابناء المصطفى اختصوا ـعرفاـ بابناء الحسن والحسين منذ القرن الثامن الى الان وهذا مما يستبعد به ان نمد ايديـنا الى تقبل ما يقوله هذا القائل برمته •

يطرق اذانى فينة ان هناك نحو وادى ايسي شجرة نسب للشيخ صاحـب الترجمةصارت‌الى بعض الناس هناك احتجنها ؛ ولم أدر؛ اهذا الذى‌يطرق‌اذانى صحيح او هو من بنيات الالسنة ؛ وطالما حثثت بعض الناس اليه لعلهـــم يجهدون فى التوصل بنسخة منه على الاقل ؛ لعلنا نجد فيه مانخرج‌به مـما يدور عليه هذا المبحث ؛ ولكننى بكل اسف لااجد الا كسلا واعراضا‌ولاحول ولاقوة الا بالله •

نخرج من هذا المبحث ؛ ونحن كما دخلناه ؛ شكا على شك فى هذه‌النسبة واذا بما لم نجد هذه الشجرة وذلك الرسم الذى يذكره الاستاذ الامنوزى فاننا لانجد الابابا موصدا امام نتيجة يتطاول اليها بعض من لم يكفهم شرف الاسلام العام ؛ وأبى الا أن يزج نفسه فى الطالبيين ؛ ولا ندرى ؛ فلعـل الايام تصدق ظنهم ؛ فيقع لنا فى هذا مثل ماوقع للاستاذ احمد بن خـالـد الناصرى الذى اعلن‌الشك‌فى نسبة الناصريين فى الجعفرية‌فى كتاب‌الاستقصا ثم لم يلبث ان ظفر بما تقوى به عنده ماحداه الى ان يرجح هذه النسبة فـى كتابه (طلعة المشترى) •

هذا آخر ماتيسر تحريره فيما يتعلق بالشيخ سيدى عبد الله بن سعيد رحمه الله فقد بذلنا فى ذلك جهدنا؛ واسهبنا بعض الاسهاب؛ علنا نتعـرف منه نواحى غامضة ونحن نسلك طرق البحث التحليلى‌بقدر الامكان ؛ونتمسك بما رايناه صحيحا بالبرهان ؛ ونلقى ظهريا ما لاتدعمه حجة •

وله من الاولاد من رايتهم فيما تقدم فاما احمد فستری ترجمته ؛ وامــا محمد فدفن فى (كاور) بمجاط ؛ واما بلقاسم فدفن فى قرية (ايدل) بقبيلة ايغشان واما موسى الذى مات بعد والده بلاعقب كما قاله العم ابراهيم ؛ ولم

يعقب كما اعقب اخوته ؛ فانه قال ان الغالب انه دفن في ايمور ؛ لان قبره لم يعرف كما عرفت قبور اخوته في اماكنها ؛ وقد اخبرنا شيخنا سيدي عبدالله انه راى رسما مورخا بنحو ١٠٩٨هـ يتضمن وقف بعض ماله على ضريح والده قال وقد توفي موسى اذ ذاك في تلك السنة كما نبه عليه كاتب الرسم ؛ ثم ذكر انه راى مثل ذلك الوقت من زوج موسى ؛ وانه مورخ بسنة ١١٠١ هـ فدل هذا على ان موسى تاخرت وفاته كثيرا ؛ وانه لاعقب له مع انه متزوج لانه عزب كما هو متوهم ٠

اخبرني الفقيه سيدي علي بن صالح من اكرض افقير انه راى في سلة سيدي بلا ارخا وهو عبد الله بن محمد من اكادير ايزرى بين رسومه مايدل على ان ازواج سيدي عبد الله بن سعيد متعددات ؛ فالتهالية هي ام محمد ؛ والافرانية هي ام بلقاسم والكرسيفية ام احمد والساموكنية لاعقب لها يعرف ؛ وذكر ان اولاد الشيخ خمسة فزاد اثنين منهما موسى ؛ والخامس مات في حياة ابيه ؛ ولم يسم ؛ ثم قال ان التهالية من تاجكالت انتهى ماكتبه عنه

ثم انا كنا سقنا فيما تقدم ثلاث تحريرات من السلاطين ؛ فلنتبعها الان بكل ما تابعها وراء ذلك من الملوك الى الآن ؛ لتجتمع الفائدة في محل لمن ارادها

(٤)

ظهير السلطان علي ابودميعة التازروالتي :

حملته اولاد المرابط الصالح سيدي عبد الله بن سعيد التهالي من تظهرين يبقون على عادتهم من التوقير والاحترام والتحرير التام ولايطالبون بسائر الوظائف المخزنية باسرها؛ وبه نوكد الابر بباعلي (١) بن الحسن وغيره وكتب برمضان سنة ١٠٦٣هـ

عبد الله سبحانه

علـــي

(٥)

ظهير في ايام السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل

كتابنا هـذا اسماه الله ؛ واعز امره ؛ واطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره بيد حامليه المرابطين سيدي صالح بن عبد الله ؛ وسيدي احمد بن علي ؛ وسيدي عبدالله بن موسى احفاد الولي الصالح سيدي عبدالله بن

---

(١) احسبه علي بن الحسن بن أحمد بن موسى ؛ ولعله كان قائدا على جهة ايجور والغ ؛ فاستحق ان ينبه على ذلك ٠

سعيد رحمه الله وقدس روحه يتعرفون منه بحول الله وقوته اننا جددنا لهم على مابايديهم ؛ من ظهائر سيدنا ومولانا اسماعيل قدس الله روحه ؛ وظهائر الملوك السابقين من قبله من التوقير والاحترام لهم ؛ ولجميع من تعلق بهم والواقف عليه يعمل به ولايتعداه والسلام ٠ في مهل رجب الفرد عام ١١٥٢هـ وعليه طابع ليس بجميل؛ لم نهتد لقراءة مافيه وقد ذكر فيه كما ترى ظهائر اسماعيلية ولعلها هي التي تمزقت بين تلك الظهائر ولم يبق من بعضها الا طابع كتب فيه؛

(وصيف المقام العالي منصور بن الرامي وفقه الله) وفي دائرته ماياتي (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت) ولاندري من منصور هذا ؛ ولا من كان وصيفه من الملوك (ثم عرفت انه قائد من القواد الكبار في الجند الاسماعيلي وقد كان ولاه على سوس حينا) ٠

(٦)

ظهير حسني :

يعلم من كتابنا هذا اسمى الله مقداره واطلع في سماء الاسعاد شموسه واقماره اننا بحول الله وقوته ؛ اسدلنا على المرابطين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس ؛ اردية التوقير والاحترام ؛ وحملناهم على كامل المبرة والاكرام ؛ وحاشيناهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ فالواقف عليه من خدامنا وولاة امرنا يعمل به ولايحيد عن كريم مذهبه والسلام ؛ صدر به امرنا المعتز بالله في ٢٤ جمادى الثاني ١٣٠٠هـ وفوقه طابع صغير فيه الحسن بن محمد الله وليه ٠

(٧)

ظهير عزيزي ٠

يعلم من كتابنا هذا اسماه الله واعز امره ؛ واطلع في سماء الاسعاد شموسه واقماره ؛ اننا بحمد الله وقوته وشامل يمنه ومنته جددنا للمرابطين اولاد سيدي عبدالله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس حكم ماتضمنه ظهير سيدنا الوالد المقدس بالله من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كامل المبرة والاكرام ؛ ومحاشاتهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ تجديدا تاما لسائر

الواقف عليه ان يعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه والسلام

اصدرنا به امرنا الشريف فى ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣١٦هـ وفوقه طابع فيه عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه •

تحرير للقائد سعيد الكلولى الحاحى الذى كان قائدا عاما على تزنيت وما اليها سنة ١٣١٥هـ •

مضمن كتابنا هذا اسعده الله يستقر بايدى حامليه المرابطين الاخيار ؛ معادن جواهر الاسرار السيد الكامل ؛ والمربى الواصل يتيمة عقد الاولياء وخلاصة القوم الاصفياء سيدى عبد الله بن سعيد السوسى دفين زاويته بأيمور ؛ عمرها الله بذكره على ممر الدهور يعاملون بمقتضى حقهم من مزيد التعظيم والاكرام وزائد التوقير والاحترام ؛ تمييزا لهم عن غيرهم من العوام وتنزيها لساحتهم المطهرة عمن سامها بقصد ذلك او رام وامتثالا لامر الله بتعظيم حرماته التى هتكها من كبائر الاجترام وتنفيذا لحكم ما تضمنه ما بايديهم من ظهير سيدنا المقدس من انهم لايسأمون بادنى تكليف ولايضامون باقل توظيف وغير ذلك مما هو المعتاد من القيام بالخدمة المخزنية ؛ وأداء الوظائف الامامية من الهدايا والمواصلات ؛ سوى ما اوجبه الله عليهم من اداء الاعشار لزاويتهم التى للعلم والتى للفقراء قياما بواجب التعاون على البر والتقوى ؛ ونبذا لمنهى الاثم والعدوان ؛ فلامحيد لهم عن ذلك ولاسبيل لاحد من العمال اليهم بوجه ولابحال ؛ هذا ونامرهم بالوقوف عند حدود الله سرا وعلانية واقتفاء سنن سلفهم ؛ وان لاياتوا ماينافى الانخراط فى سلكهم ونعهد اليهم ايضا بتوفيرهم ـظاهرا وباطناـ جزيل حقوق القائمين بامر الدين وحماية حوزته ؛ الوارثين للجد الاكبر فى طريقته ارباب الزاويتين العلمية والفقرائية ؛ السيد البركة سيدى الحاج عبلا بن صالح بزاوية تحت الحصن وولده الشيخ صالح العلماء وعالم الصلحاء ؛ الفقيه سيدى على بن عبدالله ؛ وحاشيته القريبة وكذلك قدوة السالكين ومربى المريدين الشيخ سيدى على بن احمد الدرقاوى وحاشيته كذلك ؛ فان هؤلاء ممن وجب عليهم القيام على ساق الجد فى خدمتهم بحسب الاقتداء ؛ لما خصوا به من حلية العلم وزينة الوقار ونشرهم فى الناس بضاعتهم من النصح والعلم والاسرار فبهذا استوجبوا من ولاة امور المسلمين ومن غيرهم السعى فى خدمتهم ؛ والاجتهاد فى قضاء اوطارهم وان لايواخذوا بما يواخذ به عامة المرابطين من مصالحهم المخزنية اوغيرها رعيا لمنصب العلم ؛ وذبا عن جناب حزب الهدى وفريقه ؛ امن الله سيرنا من مخاوف طريقه وامدنا بنور توفيقه : واعلم بهذا من سيقف عليه من ائمة المسلمين بعد ان شاء الله ؛ فى ٢٤ ذى الحجة عام ١٣١٥هـ ووقعه احمد بن محمد الكلولى الذى هو خليفة القائد سعيد ؛وعقده

الايمن اذ ذاك ؛ والذى حرر هذا بقلمه الاستاذ محمد بن عبد الرحمن العامرى الشهير بالدرقاوى ؛ وقد توفى سنة ١٣٤٠هـ

(٩)

ظهير محمدى لجلالة سلطان العصر محمد بن يوسف حفظه الله :

يعلم من كتابنا هذا اسماه الله واعز امره ؛ اننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته جددنا للمرابطين اولاد سيدى عبدالله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس حكم ماتضمنته ظهائر اسلافنا الكرام ؛ قدس الله ارواحهم فى دار السلام ؛ من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل المبرة والاكرام ؛ وحاشيتهم وعائلتهم من خدمة الطرق التى يكلف بها العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل تجديدا تاما ؛ نامر الواقف عليه من عمالنا وولاة امرنا ان يعمل بمقتضاه ؛ ولايحيد عن كريم مذهبه ولايتعداه والسلام

صدر به امرنا المعتز بالله تعالى فى ٦ صفر الخير عام ١٣٥٣هـ وقد سجل هذا الظهير الشريف فى الوزارة الكبرى بتاريخ ١٣ صفر عامه الموافق ٢٦ ماى سنة ١٩٣٤م محمد المقرى وفقه الله ؛ وفوقه طابع صغير فيه محمد بن يوسف الله وليه •

هذه هى الظهائر والتحريرات التى وجدناها فى الموضوع ؛ وهنالك رسائل ايضا فى تاييد التحرير من القائد سعيد الكلولى يكتبها هو او خليفته احمد بن محمد ؛ تركناها هنا اختصارا ؛ للاستغناء عنها بذلك المرسوم ؛ واما ظهائر الملوك الاخرين فانها تمزقت حتى لم نهتد منها الا الى كلمات لاتسمن ولاتغنى من جوع ؛ ولاثبت هنا ابياتا كنت قلتها صبيحة ٢٠-١-١٣٦٢هـ وقد بت هنالك بايمور قصد زيارة تربة الجد :

لله رحلتنا الى ايمور … كيما نزور هنالك خير مزور
عقدت يد الاسعاد منها رحلة … جمعت شتيت مسرة وحبور
طويت جبال لم اوداء بها … طى ابتهاج فى اللذ مسير
يحدو بنا الشوق المبرح للذى … فيه الجدود ثووا طوال دهور
حيث استفاض الدين منهم مشرقا … كالشمس تشرق فى طلاوة نور
حيث المنابع صافيات للهدى … والرشد صين من الهوى بالسور
حيث استتب اساس اصلاح الكـ … ـل المكرمات مشهر مأثور
عمل له الاخلاص صفاه وما … اسماه من عمل لهم مشكور
شهدت لهم طرق اشادوا حولها … ماكان خير مشيد مذكور

كانت معاطش ليس تسلم غيرها   فاذا بها ضمنت صدور العير
لله منك الهمة القعساء يـــــا   من كان مثل التاج في ايمور
علما لعصرك كنت ثمت خلفت   ايديك ما يبقى طوال عصور
فكذا يكون الصالحون وهكذا   تشذى مناقبهم مـن المسطور
زدت الكرامـة والتشرف والرضا   ممن يديـر دوالـب المقدور
وتقفت الابناء ما رسمت لهـم   ايديك من عمل رضي مبرور

هذا آخر مايتعلق بجدنا الاعلى عبدالله بن سعيدرحمه الله ورضي عنه .

سيدى احمد بن عبد الله الالغى

نحو ١٠٠٠هـ نحو ١٠٨٠هـ

نسبـــــه

احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

هذا ولد من اولاد جدنا الاكبر الذي قرات ترجمته ؛ وقد رايت ان لداريمة يلين هذا منهم ؛ وهذا هوجدنا آل الغ ؛ ومن نسله انتشر صلاح كثير ؛ وعلم غزير ؛ ولكننا لم نعلم ايضا من اخباره على الحقيقة الا بعض نتف نلقفنـــا بعضها من السنة المحدثين والا بعض امور توصلنا بها من النار تلك الوثائـق التي قرانها معنا ؛ ومن رسوم اخرى لانطيل بسوقها .

رايت فيما تقدم ان والدته هي زينب الكرسيفية ؛ وان والده زوجه نحو سنة ١٠٢٢هـ بمريم بنت عبد الله بن عيسى البعقيلي التي ساقت اليه ذلـك الصداق الذي ذكرنا انه ستمائة مثقال ؛ وهي ام ولده عبد الله بن احمد الذي ستقرا ايضا ترجمته فيما بعد ان شاء الله ؛ ثم انه تـزوج ايضا بامـراة اخرى من آل (افرابو) كما رايناه بخط الفقيه سيدى ابراهيم بن سليمان؛ وهذه الاخيرة هي ام اولاده كلهم ماعدا عبدالله الذى ولدته الاولى .

وكان صاحب الترجمة ساكنا في مسكن والده بايمور حتى انتقل الى الغ بسبب لانعرفه كما لاندري ايضا كيف اختار هذه القـريـة الـتـي هـي الى الصحراء المقفرة اقرب منها الى العمران ؛ ولم يقع الينا في ذلـك الا هـذه الحكاية التي اخذناها جزافا كما نلقيها اليك جزافا .

يقولون ان سيدى احمد بن عبدالله جاء يوما على حمارة له ؛ وقد جلا عن ايمور فنزل في سفح الجبل الشاهق في شمال الغ ؛ فاجتمع عليه هـنـاك الوفقاويون والايفشائيون والتاكاتزيون والحربيليون الالغيون ؛ فصارت كل قبيلة تقترح عليه ان يشرفها بالنزول بين ظهرانيها وانها قائمة به احسن قيام فاتسد الشيخ عنهم فصار رؤساء القبائـل يتجاذبـون الحديث حول ذلك ؛ وكل يريد ان يستبد بالشيخ ؛ ولكنهم حين لم يتفقوا بمجاذبة الكلام ؛ شاور بعضهم بعضا؛ وكادوا يميلون الى امتشاق الحسام لولا ان اسرع اليهم ذلك السيد المتيد عنهم فهداهم ؛ وربط على قلوبهم بهيبته ؛ فامر باقامـة صلاة العصر ؛ وكان وقتها حائنا ؛ فاصطفوا وراءه ؛ وقد نبذوا ماهم فيه ؛ فماكادت

الصلاة تنقضي حتى علت في جنوبي مصلاهم ذاك ؛ طلقتان من البارود تترى مثنى فالتفت اليهم -وقد سلم من الصلاة- فقال لهم ماذاك ؟ فقيل له ان هنالك في قرية دو كادير رجلا صالحا كان مريضا • ولعله توفي الآن - والعادة ان الطلقتين لاتتابعان كذلك الا اذا حدث امر غير عادي فقال لهم ان الاولى بنا الآن ان نغتنم اجر الصلاة على هذا الرجل الصالح اولا ؛ ثم بعد ذلك ننظر فيما اختلفتم فيه ؛ فقام يقدم ذلك الجماء الغفير ؛ فواروا الرجل الصالح سيدى احمد الفقير -وهو اسم ذلك السيد المتوفي اذ ذاك ثم لما نفضت الايدى من القبر ؛ وتمت سنة التعزية ؛ التفت الشيخ الى الحاضرين فقال لهم: انني نازل في هذه القرية المتوسطة بينكم جميعا ؛ فاكون كانني نازل بين ظهراني كل قبيل منكم ؛ فرضي من حضر بذلك ؛ وتفرقوا على احسن حال ؛ ثم ان ذلك المصلى الذى صليت فيه العصر ؛ لايزال يسمى الى الان (اكن تناكزين) ويقولون انه سمي بذلك اضافة لتلك الصلاة العصرية التى صلت فيه اذ ذاك (شعب العصر) •

ويقولون ايضا ان ذلك الصالح المتوفي سيدى احمد الفقير كان اهل القرية الحربيليون الذين آووه للتبرك به ؛ وللتيمن بوجوده بين ظهرانيهم ؛ قالوا له وهو محتضر وهم حوله يبكون لمن تتركنا وراءك ياسيدنا ؟ فاننا سنصبح بعدك في مضيعة اذ نعدم منك مرشدا بارشاده نهتدى في السبل ؛ فقال لهم لاهالله لاتضيعون ؛ فلاتدفنون احمد الفقير حتى ياتى اليكم الله باحمد آخر •

هذه هي الحكاية المتداولة المتواترة التي تذكر سببا لسكنى صاحب الترجمة في هذه القرية ؛ ونحن لانرى في كل هذه الحكاية مايعد مستغربا بل كلها في دائرة الامكان ؛ وان كنا نرى في بعض حواشيها ذيولا مما نعهد مثله في الاساطير ولكن التاريخ فلما يسلم من امثال هذه الاهداب المذهبة الملماعة •

هكذا استقبلت قرية دوكدير هذا الرجل المبارك الذى يقود اليها بحمارته من الصلاح والعلم والدين والعمران ؛ مالايقوده كثيرون ممن يقبلون الى مكان بجياد جرد عتاق •

تلقى الحربيليون اصحاب القرية ضيفهم بكلتا اليدين ؛ واستهلوا فرحا باختياره قريتهم الضئيلة دون تلك القبائل التى كادت تتناحر دونه ؛ فقاموا بقضهم وقضيضهم فبنوا داره ؛ وافسحوا له في مزارعهم وحقولهم •فعينوا له مواضع منها ؛ فاستقر باولاده في القرية ؛ وطاب له المقام ؛ ولاشك انه بابتعاده عن ذوي رحمه بايغور يجد سعة وفسحة مما لا يمكن ان يجدهما بين ذوي رحمه ؛ ورحم الله عمر الذى كتب الى ابى موسى : قل لذوى القربى يتزاورون ولايتجاورون •

ثم ان هنالك حكاية اخرى تؤثر بعد ان استقر صاحب الترجمة بداره

الجديدة ؛ وبعد ان راى من جيرانه الجدد اكبارا واحتراما ؛ لايراهما لو كان لايزال بايغور ؛ او ليس انهم اسسوا له منزلا بين منازلهم ؛ وجعلوا له حقولا ومزارع بين حقولهم ومزارعهم غير انهم بعد شهور كثيرة ؛ صاروا -كما يحكي الحاكون- يشاهدون منه مصائب تصيب بهائمهم وماشيتهم ؛ فكل بهيمة اوشاة افلتت الى حقوله او مزارعه لاتفلتها مصيبة عاجلة ؛ فتكرر ذلك مرات ؛ حتى انتدى اهل القرية يوما ؛ فاجالوا القداح بينهم لعلهم يقعون على دواء ؛ فقال ذو راى منهم : ان هذا السيد مادام يصاب ولايصيب ؛ وتفلت ماشية الناس الى حقوله ؛ ولاماشية له هو تفلت الى حقول الناس لايزال الامر كما ترونه ؛ والدواء الوحيد ان تجعلوا له ماشية كما لكم ماشية ؛ فلابد ان تقع ايضا ماشيته في حقولكم ومزارعكم غلطا ؛ فتتساوى الكفتان ؛ فيزول ما ترونه لامحالة ؛ فاتبع اهل القرية راى هذا الرجل الخبير ؛ فجمعوا مابينهم صرمة من غنم ساقوها الى الشيخ ؛ فانقطعت تلك المصائب ؛ وعادت المواشي الى عادتها ؛ فلم يسمع بعد بضرر الم بها ؛ هذا ما يحكى نسمعه لك ايها القارىء الكريم ؛ كما اسمعناه من هم اكبر منى ومنك ؛ ولك الخيار في القبول والرد وما على انا كمورخ الا ان ابلغه اياك •

اخبرني العم ابراهيم بن احمد ان الجد سيدى احمد بن عبدالله ؛ كان في عمره كله لايهتم بتاثيل الاملاك من جديد بعد ماورثه عن ابيه ؛ قال ولم ارله رسما واحدا في ذلك ؛ بل ماكان يهتم باقامة الزاوية بالغ ؛ يحمل الناس الى الانحياش اليها ؛ ولم يتاثل كل هذه الاملاك التى بايدى احفاده ؛ ولا اقام الزاوية وشانها كما ينبغي ؛ الا ولده على بن احمد ؛ واما والده احمد فقد ليلغ بها ليسر ؛ مكتفيا بذلك ؛ منحاشا الى المسكنة والانقباض ؛ هذا معنى ماقاله العم ؛ وكان هو وحده من صار اليه خبر من مضى من اهلنا ؛ وحين كان بهذه المثابة ؛ وكانت هذه شهادته في صاحب الترجمة فلنكتف بها •

رايت انه تزوج نحو سنة ١٠٢٣هـ والغالب ان يكون في ذلك الوقت ابن عشرين اوفوقها بقليل او تحتها بقليل ؛ ولذلك حزرنا ولادته بسنة ١٠٠٠ وهذا هو الغالب ان يتزوج فيه الناس ؛ وان امكن ان يكون اكبر من هذا ؛ وان تكون ولادته قبل الالف ؛ وان كان الغالب ماحزرناه لانه اصغر من اخويه عبد والقاسم كما قيل ؛ وقد عرفنا انه امي لا يشتغل بالقراءة التي يتاخر بها الزواج في الغالب بهذه البلاد ؛ واما وفاته فلانكاد نهتدى الى وقتها ؛ ولم نجد على ذلك الا مايفيدنا الوهم فقط ؛ فقد راينا ولده عبد الله في رسم كتب سنة ١٠٩٣هـ ينادي فيه على من كان تحت ايديهم متخلف امه مريم بنت عبد الله بن عيسى البعقيلي وقد توفيت اذ ذاك كما دل عليه ذلك الرسم تضمنا ثم لم يذكر في ذلك الرقم مايشعر بان والده توفي اذذاك ؛ وكذلك راينا اخيه

"محمد بن عبدالله بن سعيد ايضا رسما آخر كتب سنة ١٠٧٨هـ يشهد فيه اخوه محمد انه البض اخاه احمد بن عبد الله صاحب الترجمة ـ بعض ما كان لزوجه مريم في ايام والده ؛ ولم يتعرض فيه لوفاة سيدى احمد؛ بـل الذى يتوهمه منه القارئ انه لايزال حيا اذ ذاك ؛ وان هذا الرسم كتب في مقابلته

ولكن هذا انما هو وهم فقط؛واياكان فلم نهتد الى وقت وفاته تحقيقا اوظنا الا ماكان من العم ابراهيم ؛ فانه ذكر انوفاته في آخر العشرة الثامنة؛ولذلك رايتنا وضعنا رقم الوفاة نحو ١٠٨٠هـ

ثم ان هناك حكاية اخرى ان ثبتت فان وفاته تتاخر ايضا عن سنة ١٠٨٠هـ

وهى ان بعض المسنين ممن يجولون في الاخبار حكىلى ان السلطان مولانا الرشيد مر بالغ بعد ماقوض دولة ايليغ وشتت شملها ؛ فطاف بجانب صاحب الترجمة بنيء ـ ولم يستحضر ذلك كما هو ـ فآنس منه مصيبة حملته على تحسين ظنه به ؛ واكبار مقامه .

هذا ماحكاه لى هذا المسن ؛ فانصح هذا فان وفاته وراءرجب من سنة ١٠٨١هـ لان الرشيد القى كلكله على ايليغ في ربيع النبوى ـ كماوجدته مقيدا ربض فيها اربعة اشهر حتى خرب دار بودميعة ؛ ولم يدع فيها حجرا على حجر ؛ ولاسقفا قائما ؛ ولابابا في محله ؛ فيكون رحيله في شهر رجب من هذه السنة ان حسبنا الاربعة اشهر ؛ فيكونمروره بالغ في طريقهالى تارودانت في اثناء هذا الشهر . هذا ماامكن لنا قوله في حين وفاته ؛ وذلك كما ترى وهم فى وهم ؛ ولم نخرج بعد كل هذا البحث الا بمثل مادخلنا به من الشك فلو شاعت هذه الحكاية الاخيرة شيوعا يستثير الظن لاتكانا عليها فيطريقنا الى هذا الحزر ؛ ولكن كفى بها ضعفا أننى لم اسمعها الا من واحد من غيراهلنا

ولصاحب الترجمة من الاولاد (١) عبد الله المذكور (٢) محمد (٣)على (٤)ابراهيم (٥) مسعود (٦) الحسن (٧) موسى . فاماموسى ومسعود فلاعقب لهما ؛ واما الحسن فقد عدا عليه اخوه ابراهيم وقتله في ايام والده ؛ فخلف الحسن عقبا يسكن اليوم بايمور ؛ ولكونهم لم يرثوا جدهم صاحب الترجمة بسبب اعمامهم الذين حجبوهم ؛ لايذكرون في اولاد الشيخ ؛ ولايتناولونمن نذور مشهده حتى نسى انهم من اعقاب صاحب الترجمة .

ومن العجب ان العم الذى هو ماهو في انسابنا ؛ ومن املائه كتبت في غيرهذا الكتاب (١) جميع اعقاب صاحب الترجمة الى اليوم؛ لم يعرف عنهؤلاء انهم من اولاد الحسن بن احمد ؛ حتى نبهه الى ذلك ولده الاستاذ عبد الله بن ابراهيم ؛ استاذ مدرسة ايمور اليوم .

واما الباقى من اولاد الشيخ ؛ فهم (١) عبد الله (٢) محمد (٣) على (٤) ابراهيم فاعقبوا كلهم خيرا كثيرا .

---

١) (من أفواه الرجال)

سيدى محمد بن عبد الله

نحو ٩٨٠هـ نحو ١٠٦٠هـ

هو اكبر اولاد الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ؛ ويذكرايضا بالصلاح وقد استقر في جهة (كاور) وله دار في كاور وفى (تالات غزيفن) وفى (اكادير ازرى) ولايزال الناس يرون من ضريحه حيث مشهده في (كاور) مايدل على ان له روحانية عجيبة ؛ ولها احوال غريبة ؛ وتقام عليه حفلات سنوية الىاليوم وله اولاد كثيرون ؛ عقبهم اليوم في (اكادير ازرى) وفى (تركا الخضير) وفى ايت (بوصحيب) ب (ادبنران) وبعض اهل (اكرض افقير) وفى (تاكانزا) وفى (انويدير) وفى (تاحواوات) وفى (دوتمنروت) بـ (ايتوفقا) وفى (ايمور) وهم انمى من ابناء عميهم احمد وبلقاسم

سيدى على بن احمد الالغى

نحو ١٠٥٠هـ بعد ١١٣٠هـ

نسبـــــــــه

على بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك ٠

كنت رايت فى ترجمة والده انه لم يزد على ان انتقل الى الغ ؛ ولم يتاثل فيه مزرعة جديدة بالشراء ؛ وانما اكتفى بما يدره عليه ماتصدق به آل القرية ولايزال حقل كبير حول هضبة (اوساياك) ينسب له الى الان ويسمى اوددى ولعله هو الذى تصدق عليه به من الحربيليين ؛ كما لاتزال داره التى اسسها له من تلقوا نزوله بينهم بكلتا اليدين ؛ مشهورة الى الان ٠

خلف صاحب الترجمة والده ؛ فوجد لاهله امامه ذيلا ممدودا من الاحترام من جيرانه ؛ فاتم الله عليه نعمته ؛ فـزاده شرفا الى شرف ؛ وقـد كـان آل (تاكانزا) جلوا عن وطنهم بسبب ما ؛ فاستردهم اليه بوجاهته ؛ وكان مقامه عند الحربيليين مقاما كبيرا؛ وسترى فى بطاقة كتبهااليه عبدالرحمن الساموكنى فى شان آل سيدى احمد الفقير ـ وقد نشرناها فى ترجمة هذا الاتيةـ ذلـك الخطاب العظيم الذى يخاطبه به امغار قبيلة ساموكن ؛ وقد وافقت ايامـه العصر الاسماعيلى الممتد مابين ١٠٨٢ هـ الى ١١٣٩هـ فقد مربنا فى ترجمـة الجد مايدل على ان هناك ظهائر اسماعيلية لهذه الاسرة ؛ ولاشك فى ان عليا هذا هو الذى تلقاها ؛ لانه رئيس الاسرة السعيدية ؛ التى كان لها فى زمنـه مقام سام بين جيرانها ؛ وقد وقفت على رسوم صدقات كثيرة؛ من الحربيليين الساموكنيين وغيرهم لزاوية صاحب الترجمة ؛ وان كان جل ذلك كله منسوبا لوالده ؛ ليتأتى لاخوانه أجمعين أن يتوصلوا منه بحظ ؛ وهذا مما يدل على سمو نفس ؛ وعلو همة ، وسلامة سريرة ؛ قال العم ابراهيم : ان هذه المعاريف (١) التى تقام على مشهد سيدى احمد بن عبد الله من آل (اداى) و (تاجارمونت) وامتضى و(تاكانزا) وغيرهم انما تنافس هؤلاء بها طلبا لعلو الشان ؛ كمـا طابت ايضا نفوسهم بحبوب وثمار بكيل معلوم على كل اسرة ؛ يعينون بـه سنويا الزاوية الالغية ؛ قال: وهو الذى حمى اكادير نيت على لآل مريبض؛ وعين

(١) حفلات الطعام العامة على مشاهد المعتقدين ؛ والمفرد معروف ٠

لهم صلحة يزلونها ومكيالا يكتالون به ؛ ودعا لهم فيه بالبركة ؛ ثم لم يزل ذلك معمولا به الى سنوات الاحتلال حين حدث الكيلو والعبرة الفرنسيتان منذ عام ١٣٥١ هـ وهو الذى حمى بسببه زاويـة والـده سيدى احمد الالغية هذه ؛ والمساكن التى يسكنها صاحب الترجمة ازاءها ؛ وهاك رسما مصححا من تصحيف فى عبارته ؛

اتفقت جماعة اهل الجرفة الحربليون ـ وهم آل (تاكانزا) وجماعة بنى وفقا وجماعة آل ايفشان ؛ على المصالح فى زاوية الشيخ الولى الصالح المرحوم بالله السيد احمد بن عبد الله بن سعيد المرابط بتظاهرين اصلا ووجارا ؛ وفى دار ابنه السيد على بن احمد بن عبد الله على امر السراق وغيرهم مما لايليق بين المسلمين ؛ فجميع من سرق شيئا فى حرى الشيخ وفى دار ابنه المذكور يعطى اضمان قبيلته اثنى عشر مثقالا ؛ كما يعطى السارقون من الحصون ؛ ومـن سرق شيئا ايضا فى حوزة حرم الشيخ وساحته وفى حرم الدار يعطى ايضا مثقالا واحدا ؛ اتفقوا كلهم على ذلك اتفاقا كليا برضاهم رضا تاما ؛ فكل من حام حول ذلك الحمى فلايلومن الانفسه ؛ فى رجب ١١٣٠ هـ محمد بن محمد ابن عبد الله بن يوسف بن حسين الميمونى الايسى ومحمد بن احمد بن ابى القاسم بن عبد الله من النسب اهـ بعد ما اصلحت فيه كلمات وهذبت عبارات

وهكذا تعينت الزاوية العليا وصارت لها حرمة رسمية بين جيرانها؛ فيا ويح من حدثته نفسه ان تمتد يده الى شىء منها ؛ ثم لايزال الحال على ذلك الى زمن الاحتلال ١٣٥٢

كانت دار سيدى احمد بن عبد الله مبنية فى القرية السليمانـيـة ؛ وهى لاتـزال الى الان شاخصة ؛ ثم لمادفـن سيدى احمد فى دار البرج كما كـان الا ذاك يسمى ؛ وبنى عليه مشهد ازاءه مسجد ؛ بنى صاحب الترجمة داره ازاء المشهد ؛ واتخذها دار سكناه ؛ واختار تلك السعة لئلا يضيق على اخوته فـى مساكنهم فى القرية السليمانية ؛ ولايضيقوا عليه ؛ وهذا المشهد وتلك الدار هما اللذان رايت من الوثيقة المتقدمة ماجعلته لهما القبائل الالغيةمن الحرمة

الكنت لاتزال تتذكر تلك الوثيقة الكبرى المتقدمة فى ترجمة سيدى عبـد الله بن سعيد التى وقعها ثمانية عشر عالما ؛ انها كتبت فى ايام صاحـــب الترجمة ؛ ويغلب على الظن انه هو الذى طلبها منهم ؛ وانهم ما وصفوا من ذرية الشيخ عبد الله بن سعيد الا ما راوه من هذا السيد صاحب الترجمة؛ وبذلك يستدل على ان له فى مصالح المسلمين سعيا حثيثا متواصلا حتى يصح لــه الاتصاف بتلك الاوصاف العلية التى وصف بها خلف الشيخ ابـن سعيد فـى تلك الوثيقة ٠

ثم ان لصاحب الترجمة اربعة اولاد (١) بلقاسم (٢) محمد (٣) احمد (٤)

عبد الله ؛ وكلهم اعقبوا بعده كما سيمر بك فيمن يصلح ان يذكر منهم ان شاء الله .

ثم اننا رمزنا لوفاة صاحب الترجمة بانها وقعت بعد سنة ١١٣٠هـ والذى حملنا على ذلك ماتبيناه من التاريخ الذى فى تلك الوثيقة المتقدمة ؛ ثم انه فى سنة ١١٥٢ هـ لم يكن والله اعلم حيا ؛ لانك رايت فيما كتبناه تحت رقم ـ٥ـ من الظهائر الملحقة بترجمة الجد ان الذىحضر هناك ولده احمد بن على مع بنى عمه ؛ والغالب انه اذ ذاك لم يعش بعد ؛ او كان شيخا كبيرا لايقدر على السفر ؛ والله اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١٠٥٠ هـ فيشمل ذلك العقد الخامس والسادس من القرن الحادى ؛ توهمنا ذلك لمارايناه من تصدره على اخوته ؛ وتوليه الزاوية بينهم ؛ وشفوفه عليهم مع وجودهم ؛ والغالب ان لايكون كذلك الا اذا كان من كبارهم ؛ ولانستحضر الان ترتيب اولاد سيدى احمد بن عبد الله فى السن ؛ لنعلم منزلته بينهم ؛ وان كنا نستشف وراء مايمر بين ايدينا ان اخاه عبدالله بن احمد اكبرمن على هذا ؛ ثم على ؛ ثم باقى اخوته وكيفما كان ؛ فالذى يظهر لنا ان ولادته فى نحو ١٠٥٠هـ انلم تكن قبل ذلك بكثير .

هذا ما امكن لنا فيما يتعلق بسيدى على بن احمد رحمه الله ورضى عنه .

سيدى عبد الله بن احمد الالغى

نحو ١٠٤٠هـ بعد ١١٠٢هـ

نسبه

عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كنت يوما اطالع الطبقات للحضيكي ؛ فوجدت فيها فى ترجمة سيدىمحمد ابن محمد الحضيكي صنو جد المولف ما ياتى .

واخبرني الفاضل الولى الصالح عمنا الشيخ السيد محمد القشانى ؛ انه قصد مرة هو والرجل الصالح عبد الله بن احمد حفيد الولى سيدى عبد الله بن سعيد الظهرينى ؛ قال فعقدنا النية على زيارة صالحى (اسا) من ناحية الصحراء فلما كنا بالطريق اشتهينا الطعام والفاكهة فقلت لهما ؛ اما انا فما معى شيء ولكن تركت المزود فى دارى معلقا على الوتد ؛ فمن قدر ان ياتينا به الينا فليفعل ؛ قال فقام الفقير محمد الحضيكي ؛ فقال باسم الله فاخذه بداري فاتاه وهو لايبرح من مكانه ؛ ونحن جلوس فاكلنا ؛ فلما رجعنا من زيارتنا وقع لنا مثل ذلك .

الا ان كان سيدى عبد الله بن احمد ممن اشتهر فى عصره بما يشتهر به العباد والصالحون فى العادة من اصحاب الكرامات ؛ فقد افادتنا هذهالحكاية انه ممن يظن به انه قد تخرق له العادة ؛ فاردت ان اشفع ذلك بما لعلهيعرف عنه بين اهالينا ؛ فسالت جهينة اخبارنا : العم ابراهيم ؛ فذكرانه كانمشهورا بالصلاح والعبادة والتنسك والقناعة بما تيسر فى عصره ؛ ولم يوثر عنه الاشتغال بتاثيل الاملاك كما اثر عن اخوته ؛ وقد اشتغل بخويصة نفسه ؛ وباستغلال ما ورثه عن ابيه وامه ؛ قلت انني وقفت على رسوم تبريحات متعددة له حول ماصار اليه من ارث ابيه وامه ينادى فيها على من اعتمرها من اله ؛ والاختصار لم نجلبها الى القارىء وقد وقفت ايضا بين الرسوم على بطاقة بخط الاستاذ القاضى سيدى عبد المومن بن محمد الايشانى ؛ وهى هذه كتبت فيها شهادة لبعضهم ؛

(اعترفت زوجة ولدى عبد الله وهى حواء بنت على بن الحسن الحريبلية ؛ واقرت على ان ما وضعته بوجه الامانة بيد المرابط سيدى عبد الله بن احمد ابن عبد الله بن سعيد النهال من ايمور ؛ من ثوبين قبضت جميعها ؛ والعالم

لمنع غيرهما عنده ؛ وبه كتب برسم الاشهاد عنها بذلك في تاريخ ١١٠٢ ه
عبد المومن بن محمد بن علي بن محمد وفقه الله بمنه .

تتامل هذه البطاقة فنفهم منها ان صاحب الترجمة كان مقصودا بالودائع؛ وان امانته اهلته لذلك ؛ ثم نفهم ايضا انه كان لايزال حيا في هذا التاريخ ؛ لان الغالب ان هذا الابراء لوكتب بعد وفاته ؛ لترحم عليه كاتبه ؛ كما هي العادة ؛ ولذلك رمزنا لزمان وفاته بعد هذه السنة كما رمزنا لولادته بنحو ١٠٤٠ ه لان هناك في رسوم تبريحاته ما هو مورخ برجب سنة ١٠٦٣ ه والغالب انه لايتولى ذلك بنفسه الا من له ما فوق عقدين ؛ ولايتم رشده في العادة الا بذلك ؛ وامه مريم بنت عبد الله توفيت قبل ١٠٦٣ ه لاننا رايناه قام يتطلب اذ ذاك بمتخلفها وحظها بين اخوتها .

ويظهر من حاله انه وان كان في سمة الصالحين ؛ كان مشتغلا باقامة اسباب معاشه ؛ ذائدا عن حظه يدكل من يمتد اليه ؛ وكونه لم يشتر هو بنفسه شيئا كما قال العم ؛ لاينافي هذا وهذه الحكاية بنفسها هي حالةحياة مرابطينا ؛ دين وصلاح في ضمنه الكد وراء الحلال؛ لئلا تمتد يدهم في فاقة الى استجداء ؛

واسنف ترب الارض كيلايرى له   على من الطول امرؤ متطول

حكى العم انه لما اظل اجله ؛ اقترح على اهله ان يزيروه قبر جده بايمور فحملوه وهو مريض ؛ فباتوا به في قرية (سلات) فاجتمع اليه اهل القرية ؛ فطلب منهم في آخر المجلس ان يتفضلوا بحمل قنطرة من قريتهم الى ايمور ؛ فما اصبح الصباح ؛ حتى فاظت نفسه ؛ فكان هو القنطرة المحمولة على ايدي اهل (سلات) الى ايمور ؛ فدفن ازاء قبر الجد ؛ رحم الله الجميع .

ولصاحب الترجمة من الاولاد ثلاثة : سليمان ؛ وصالح ؛ وحسين؛ وكلهم اعقبوا غير حسين الذي مات عزبا ؛ وسترى بحول الله ترجمته فيما بعد

سيدي حسين بن عبد الله الالغى

من اهل القرن الثاني عشر

اسمه :

حسين بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .
هذا من اولاد المتقدم ؛ وتوثر عنه بركة ؛ وكان سيدي الحاج عبلا بن صالح [illegible] من شماله ؛ والناس كذلك يقصدون ضريحه بالزيارات والنذور ؛ خصوصا من [illegible] ارب في النسل ؛ فانهم يرون انه مجرب لذلك ؛ وذكر العم انه [illegible] عزبا من غير عقب ؛ ولذلك يستاثر عصبته بنو صالح بما ذبح على قبره وهو من اهل القرن الثاني عشر ؛ ولم نعرف عنه غير ذلك الآن .

سيدي احمد بن على الالغى

قبل ١١٠٠ ﻫ بعد ١١٥٢

نسبـــــه :

احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كان والده على بن احمد رئيس الزاوية الالغية ؛ كما قرات ذلك فى ترجمته ثم بعده تولاها احمد هذا ؛ ولكنه كما يظهر ليس له من خصال جدوده الا انه يجول فى مسلاخهم ؛ ولم يوثر عنه اى شيء ؛ كانه لم ينحدر من تلك الاصلاب التى تركت افعال اصحابها دويا لايزال يدوى الى الآن ؛ واظنه كان ككثير من ابناء الصالحين من ارباب الزوايا ؛ ورث جاها وحرمة واعتقـادا ؛ فـاراد ان يستغلها من غير عمل جديد يضع به لبنة فى الجدار ؛ وكفى من خموله اننى لم اسمع به يذكر الا فى الوثيقة التى وضعناها تحت رقم ـ٥ـ فى ترجمة الجد وهو احد الثلاثة الذين ذكروا فيها ؛ والا فى خبر سقط الى ايضا اخيرا ؛ وذلك ان بعضهم ذكر فى معرض حروب بعقيلة ومجاط ؛ ان بعقيلة علا كعبها مـرة على مجاط ؛ وصاروا يتوصلون منهم بالاتاوة على راس كل سنة فسافر امغار على بن باها بمجاط الى (تامانارت) ليمتار لاهله تمرا ؛ ولكنه طرق اذنه من ملعب التامانارتيين اشعار شلحية من النظامين ؛ يخزون مجاط باسفاف الهمم وموت النفوس حين جعلهم البعقيليون مطايا ذللا يمتطونهم كيـف يشاءون فلم يطق امغار على ان يصبر بعد ؛ وقد استثيرت منه النخوة ؛ وجرح مـنـه الشعور جرحا يتدفق دماء حارة ؛ ففارق (تامانارت) من غير ان يتذكر الحاجة التى ورد بسببها فمر برئيس زاوية الغ ـ وهو صاحب الترجمة ـ فكشف لـه عن عجره وبجره ؛ وقال له ادع لى ؛ فاننى انوى مغامرة ؛ فاما القبروااما الصدر فدله سيدى احمد على ان ياتى الامر من بابه ؛ فامره ان لايستبد بذلك عـن رئيس ايليغ ـ ولعله احمد بن محمد بن بودميعة الايليغى اوولده سيدى يحيا وهو آنذاك كما استرد شان ايليغ وجالت يده من جديد بين القبائل ؛ وكان مثواه ملتقى عاما ؛ وندوة للرؤساء مـتـى ارادوا ان يتراءوا فـى امـورهـم ما يريدونه من المصالح ؛ وقد تقلصت ايضا ذيول الحكومة منذ تـوفى مـولاى اسماعيل ؛ وكانت يد السلطان سيدى محمد بن عبد الله ؛ لما تطل ايضـا عـلى هذه القبائل .

ذهب امغار على بن باها ؛ ففاوض الرئيس الايليغى ؛ وقال له الـنا لانصبر بعد لاداء هذه الاتاوات ؛ باى وجه ؛ واننا لناجزون بعقيلة حتى نردهم عـنا ومن حرماننا صاغرين ؛ فقال له الرئيس ماهكذا يا سعد تورد الابل ؟ وماهكذا تساس الامور ؟

ان الحيلة فى مثل هذا ـ وقد استشرتنى ووضعت فى ثقتك ـ افضل لما نرمى اليه ؛ والتدرج اسهل واقرب الى السلامة ؛ اذهبوا الى اصحابكم واطلبوا منهم ان يتجاوزوا لكم عن هذه الاتاوة فى هذه السنة ؛ وتطلبوا عذرا تقولونه لهم ؛ ثم عدوهم ان توفوهم السنة القادمة اتاوة سنتين فى واحدة ؛ فسيطلبون اذ ذاك مشاورتى ؛ فسارمى بحجرى معكم ؛ واستحسن ذلك ؛ فهكذا فعلت مجاط فقالت لها بعقيلة سننظر فى ذلك ؛ ثم نرد اليكم راينا الاخير ؛ فقالوا فيما بينهم ليس عندنا ماابرم حتى نراجع الايليغى ؛ فالقوا اليه الحديث ؛ فقال لاباس بالنظرة ان استعسر اصحابكم ؛ فهى اولى من مغالبة لاتدرون فيها لمن الانتصار ؛ فقال ذو راى من بعقيلة ان هذا امر تدبر بليل ؛ وما طلب تاخير هذه الاتاوة فى هذه السنة الا علامة ان القوم بدا لهم راى آخر ؛ وعزمة جديـدة ابرموا بها هاماتهم من تحت ايدينا ؛ قال الحاكى فكان ذلك اول ما انفكت مجاط فى ذلك العهد من بعقيلة ؛ بمعاونة الرئيس الايليغى ؛ وببركة مشاورة سيدى احمد بن على اوسيدى يحيا ثم كان ذلك ايضا اول افتراق بين ايليغ وبين بعقيلة الى آخر الدهر ؛ ثم ان بعقيلة آنست من اصحابها تنمرا ؛ ورفع الجباه مما دل على ان رفع الاتاوة فى تلك السنة معناه قد انتهى ذلنا منذ هذه السنة ؛ قال فصارت بعقيلة تفتل لمجاط فى الذروة والغارب ؛ وتتربص بها يوما يمكن ان تصبحها فيه بغارة ملحاح لاتبقى ولاتذر .

كان فى (وانكيضا) رجل يلقب (بزم) وكان من روساء بعقيلة ؛ فصار يختلف الى (ازغار) كانه يخطب هنالك امراة ؛ وهو فى السر يهيء سرية كبرى يجتاح بها (تبزلى) ففى مرة ذهب مع روساء امثاله كانهم ياتون بالعروس ؛ فامـر بطحن زرع كثير وخبزه ؛ ففى وسط ليلة جاء ومن معه يقدمون الى ازغار؛ ثم يجرون كل من مروا به من البعقيليين ؛ وقد تعرضت بغال موقرة خبزا فى ثنية هنالك ؛ فتناول من الاخباز التى فيها ما"ت من المغاوير الاشداء خبزة خبـزة وعند انبثاق الفجر ؛ كان الجيش يتجاوز التخوم؛ ويخوض فـى بحبوحـة (تبزلى) وقد طاف النهب والقتل بالاموال والنفوس ؛ فما متع النهار حتـى تجاوزت الطلائع تازمورت ومجاط فى دهش المبغـوت يتطايرون فرارا امام هذه الغارة الشعواء ؛ حتى تلاحقت جماعات من مجاط فى (كراما) فتوافقت هنالك ؛ ثم صمدت للبعقيليين الذين اكتسحوا كل ما امامهم ؛ فواقفوهم ساعة ثم هبت نسمة من النصر لمجاط ؛ فمالوا على الاخرين ؛ وهم مغترون بما نالوه

صباحا ؛ فاقبلوا عليهم قتلا واسرا ؛ حتى ان فارسا قتل بالسلاح الابيض من (كراما) الى بسيط وانكيفا ٢٧ رجلا ؛ وقد انجلت الوقعة بتشتت شمل المغيرين ؛ وقد سقط منهم ٢٨٠ قتيلا ؛ ثم انضافت وانكيفا كلها الى مجاط وصارت تخوم بلادها فى اكادير تنزكتن ؛ وقد وضعوا فيه حرسا كثيرا ثم لم يزل الامر كذلك حتى كاد لهم البعقيليون بعد سنة بوقعة اخرى خر من المجاطيين فيها ٢٠٠ من حرس ذلك الحصن ؛ فاستردت بعقيلة وانكيفا هذه هي الحكاية برمتها ؛ وقد ذكر من حكى لى - وهو ممن يعرفون مايقولون - انها مكتوبة هكذا عند بعض رجالات وانكيفا .

ثم ان سيدى احمد ان ثبت انله في هذاالعهد هذا الذكر؛ فذلك يدل على انه طال عمره بعد اوائل القرن الثانى عشر ؛ لان هذه الحكاية - ان صح انها وقعت فى ايام الرئيس احمد بن محمد الايليغى ؛ ولم تقع فى زمن سيدى يحيا ولده او فى زمن سيدى على حفيده - يظهر انها تاخرت عن سنة ١١٥٢هـ والله اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١١٠٠ هـ لاننا راينا انه هو الاكبر من اخوته لتوليه امر الزاوية بينهم ؛ وتلك هى العادة المتبعة ؛ وقولنا نحو كذا فى امثال هذه المواضع نقصد به العشرة التى قبل والتى بعد او اكثر من ذلك .
وقد خلف صاحب الترجمة رحمه الله ثلاثة اولاد : (١) الحسن (٢) محمد (٣) بلقاسم

سيدي عبد الله بن موسى الاوخضيري

نحو ١١٠٠هـ بعد ١١٠٢هـ

نسبه

عبد الله بن موسى بن "محمد بن عبد الله بن سعيد .

هذا هو جد بعض ال اكادير ايزرى ؛ وجده "محمد بن عبد الله بن سعيد كان له ملك فى قرية (كاور) بمجاط ؛ فانحاز اليه عن ايمور ؛ فوافاه هنالك اجله وقبره هنالك مزارة مقصودة الى اليوم ؛ وهو جد آل اكادير ايزرى ؛ وقد اعقب اولادا منهم موسى والد صاحب الترجمة .

كنت رايت فى الوثيقة الخامسة من ملحقات ترجمة الجد ذكره مع سيدى احمد بن على ؛ ومع سيدى صالح بن عبد الله بن احمد فظهر بذلك انه من رجال الاسرة السعيدية اذ ذاك ومن وجهائها المذكورين ؛ لانه لايقف فى امثال تلك المواقف الا الرجال المتفوقون فى الاسر .

سالت عنه العم ؛ فقال لى انه من افذاذ رجالاتنا ؛ وممن عضوا بالنواجذ على الزاوية السعيدى ؛ وماهو الا الاقبال على ارشاد العباد ونصحهم والتفانى فى مصالحهم ؛ مع اقبال فى نفسه على ربه ؛ مجتنبا للاسفاف الذى يبتلى به ابناء الزوايا ؛ وقد كانت له سمعة وصيت فى عصره ؛واعتقاد من الناس يسوقهم الى اعتاب حضرته ويوثر عنه من الاحوال ماتشنف به المسامع فبهذه الحلاه العم حفظه الله .

ثم ان له دارا اتخذها فى قرية تاركا اوخضير التى نسبناه اليها ؛ فحبب له سكناها فهنالك قضى ما شاء الله من عمره حتى توفى ؛ وقبره مزارة عند اهل تلك الجهة ؛ ويقيمون عليه حفلة طعام فى راس كل سنة ؛ وهو من لدات سيدى احمد بن على المتقدم ؛ ولذلك رقمنا له فى الولادة والوفاة بما رقمنا به لذاك .

وله عقب كثير كما ذكرناه من آل اكادير ايزرى رحمه الله .

سيدى

ابراهيم بن بلقاسم التاكانزى

قبل ١٠٩٠ هـ ـ ٣ ـ ١١٥٨ هـ

نسبـــــه :

ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد •

ابن عم المتقدم ؛ وكان بلقاسم من اولاد سيدى "محمدبنعبداللهبنسعيد وله هو خمسة اولاد (١) ابراهيم صاحب الترجمة (٢) عبد اللـه ؛ وهـــو جـد المرابطين السعيديين الساكنين بقرية (دوتمنروت) بايت وفقا (٣) محمد بن بلقاسم ؛ جد مرابطى قرية انويدير (٤) الحسن جد مرابطى قرية تاحواوات (٥) على انقطع عقبه بعدما انتشر فى قرية انويدير •

ابراهيم هذا رجل صالح مذكور فى عصره وبعده ؛ وان كانت شهرته لـم تصل شهرةابناء اعمامه الاخرين ؛ كان متوطناأولا فىقرية انويدير فبقىهناك ماشاء الله ؛ وقد نشأ له اولاد ؛ من بينهم ولده على ؛ وكان يرعى غنم اهلـــه فثاور مرة رجلا امنوزيا تعدى عليه ؛ فاذا بالمرابط استاسد على ذلك المعتدى فكان الله فى عونه ؛ فمزق احشاءه بطعنة ؛ فاجفل والده باسرته عن تـلـك القرية التى تبيت فى نحر امانوز وقد خاف على ولده الامانوزيين الـذيـن لا يعرفون المعتدى من المعتدى عليه ؛ ولايعرفون الا ان ولدهم قتل ؛ فلا بـد ان يقتلوا قاتله ؛ فمر بقرية تاكانزا ؛ فطلب منه اهلها ان يحط رحـلـه بـيـن ظهرانيهم ؛ ثم لايمس جانبه ماس باصبع ؛ فنزل هناك وقد تحول بكلمايملكه ثم ان ولده عليا الذى اسكرته خمرة الغرارة ؛ لايزال ينتاب الغ ؛ ولايحسب حسابا للامانوزيين ؛ فذهب به والده الى قرية اخواله آل قرية اكرض افقير فزوجه هناك ؛ قصد ابعاده عن بسيط الغ ؛ وقد كانت زوجة صاحبالترجمة بنتا من بنات داود بن الفقير احمد بن داود بن يوسف الحربيل الذىستقرا ترجمته ان شاء الله فيما ياتى •

ثم ان سيدى ابراهيم بقى بين ظهرانى التاكانزيين الكرام مبجلا محترما موقرا ؛ الى ان التحق بربه فى ذلك التاريخ ؛ وتؤثر عنه احوال سنية مما تعرف امثالها من ابناء عمه الابرار ؛ وقد اعقب ستة ذكور •

(١) على (٢) بلقاسم (٣) محمد (٤) "محمد (٥) صالح (٦) الحسن •

فاما محمد «ضما» فمات عن غير عقب ؛ واما محمد «فتحا» وصالح والحسن فبعد ان انتشر لهم عقب انقرض ؛ فلاديار منهم اليوم ؛ واما على وبلقاسم فنسلهما انتشر ماانتشر ؛ ومن آل على كان الاستاذ سيدى على بن صالحالافقيرى الذى سنذكر ترجمته ان شاء الله فيما ياتى ؛ وهو الذى افادنا ترجمة جدههذا واوقفنا على تاريخه جزاه الله خيرا •

ثم انه دفن فى تاكانزا فى مقبرة (تافراوت اوكادير) ؛ وتقام له حفلتان عظيمتان على راس كل سنة حفلة من اولاده ؛ وحفلة من الذين اكرموا مثواه فى حياته ؛ ثم لم ينسوه بعد وفاته رحمه الله •

سيدى بلقاسم بن علي التيبيوتي الالغـي

من اواسط القرن الثاني عشر الى اواخره

...ooo...

نسبـــــه

بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كان لسيدى على بن احمد المتقدم اربعة اولاد تقدم منهم احمد وهذا اخوهم بلقاسم واما محمد وعبد الله فلم يوثر عنهما ما يذكران به .

بلقاسم هذا صنو عمه عبد الله مبدءا ؛ فكلاهما يوثر عنه الصلاح والانزواء الى التصوف ؛ والذى يظهر لى من حال صاحب الترجمة ان له مقاما ربما اوفى على مقام عمه وقد ادركت ذلك من اخبار تنهال على من اهالينا ؛ وقد اختـــار ان ينتبذ عن قرية اهله ؛ فنزل فى (تيبيوت) وهو اول من اختط ديارهم هناك ثم اورثها اولاده ؛ والغالب انه كان اشترى هناك اولا من اهل اكجكال الذين لهم اوساط بسيط الغ ؛ قبل ان يبيعوها لمرابطينا هؤلاء ولمن بعدهم ؛ ثم تحقق عندى انهم وهبوا له تلك البقعة ؛ فيكون ملكه هناك سبب نقلته عن قريـة اهله ؛ وهناك حكاية مهلهلة مما يلهج بامثالها فى امثال صاحب الترجمة ؛ وفى سبب نقلته تقول :

انه طاف به امر امر وكرب شديد من قرية اهـلـه ؛ فصار ينادى الاولياء لينظروا فى حاله ؛ وليختاروا له مسكنا ملائما ينتقل اليه ؛ فـاكـثـر مـن الاستغاثة بهم اكثارا ؛ ثم انه طلع لجبل ايفشان الشاهق وهو ملتقى الاولياء فيما يقال – ثم صار ينادى باعلى صوته ؛ اين انتم يارجال الاغاثة فاننى فى ضيق وكرب شديدين ؛ ثم اهوى براسه مضطجعا ؛ فوقف عليه بعضهم مناما او يقظة فيما يزعمه بعض من حكى لى ؛ فقال له اهذا انت ؟ اهكذا يرقد من كان محزونا ويرفع صوته بالاستغاثة بنا ؟ قم لاريك مسكنك الجديد ؛ فاراه موضع قرية تيبيوت ؛ كانه نقطة متلالئة فى وسط هذا البسيط ؛ قال فكان ذلك هو اول ماتنبه الى سكناها ؛ فبنى داره ومسجده فى بقـعـة وهبها لـه الاكجكاليون ؛ ولايزال هؤلاء يتداولون ذكر هذه الهبة الى الان . ثم استقر به القرار ؛ وطابت له السكنى ؛ ووجد هنالك فسحة فى قلبه وداره ؛ ماكان ليجد

مثلها فى قرية دوكادير ؛ حيث بنو ابيه مقيمون ؛ يتزاحمون على ماخلفه ابوهم سيدى على ؛ وهنالك حجر معلوم فى جدار داره الاصلية يتبرك به الناس ويقولون ان احد الاولياء ؛ هو الذى اعطاه له ليجعله فى داره ؛ وهو ظاهر فى وجه الجدار المقابل لمسجده الذى اسسه ازاء داره ؛ وقد فتح اليها بابا من المسجد

ذكر العم ان صاحب الترجمة كان ساكنا فى هذه الدار التى بالقريـــة السليمانية وهى دار كان والده على بناها قبل ان ينتقل الى مستقره الاخير بالزاوية العليا ازاء والده سيدى احمد بن عبد الله ؛ وهى بنفسها مسكـن سيدى محمد بن ابراهيم السلامى – وستاتى ترجمته – ولاتزال فـى ملـك اولاد صاحب الترجمة الى الان ؛ وقد ابوا ان يبيعوها بعدما خوطبوا بذلك مرارا حافظوا عليها اثرا خالدا من آثار جدهم هذا ؛ وذكر ايضا من احواله انه صاحب خمول وديانة ؛ وافناء الاوقات كلها فى الاذكار فكان ذلك مما شهره حتـى صارت الوجوه تلتفت اليه ؛ لانهم يعرفون منه ما يعرفون من آبائه السالفين .

اقول يجول فى ظنى ان صاحب الترجمة ؛ مامال الى الانزواء فى ذلك المسكن الجديد ؛ الا انه راى من ابناء ابيه مشيا آخر غير مايعتاد من اسرتهم الكريمة من عهد الجد الاعلى ؛ فيحفزه ذلك الى ان ينتبذ عنهم كل الانتباذ والله اعلم .

ثم اننا لم نتيقن بل لم نصل ولو بوهم الى وقت ولادته ولاوفاته ؛ وانما يعرف انه ممن عاش فى اواسط القرن الثانى عشر ؛ وانه توفى فى اواخره .

وقد ظن العم ان وفاته تكون قبل ١١٧٠ هـ وعند الله علم ذلك .

وقد اعقب اربعة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) عبد الله (٤) ابراهيـم . وكلهم اعقبوا الا الاخير ؛ فقد انقطع عقبه بعدما انتشر ؛ رحم الله الجميع .

وقد وقفت على ان محمد بن بلقاسم المذكور ؛ توفى يوم الجمعة ١١–١١ عام ١٢٤٧ هـ وعلى وفيات بعض اولاده ؛ وهم مريم بنت محمد توفيت ليـلـة الاثنين ١١–٦–١٢٣٢ هـ واحمد بن محمد بن بلقاسم عند الظهر فى يوم الثلاثاء ١٨–١١–١٢٤٠ هـ ومحمد بن محمد بن بلقاسم فى السبت ١٣–١٢– عـام ١٢٦٠ هـ وولد هذا عبد الله بن محمد بن محمد بن بلقاسم فى الاربعاء ٢–١ عام ١٢٠٤هـ وامراة محمد بن بلقاسم المذكور فاطمة بنت ابراهيم فى الثلاثاء ١٨–٢–١٢٦١ هـ .

وقفت على هذه الوفيات فى طرة دليل الخيرات لهذه الاسرة ؛ فجمعتها هنا لفائدتها .

سيدي احمد بن بلقاسم التيبيوتي

نحو ١١٥٠ هـ ـ بعد ١٢٤٥ هـ

نسبـــه

احمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن بيورك

هذا ولد سيدى بلقاسم المتقدم ؛ وهو من رجالات الغ في اوائل القرن الثالث عشر ومن رجال الصلاح الذين تقرب اليهم اكباد الابل من مرابطينا في ذلك العهد ؛ ورث من ابيه تالدا من الشهرة والاحترام ؛ فزاد هو مجدا طارفا اشتهرت به قرية تيبيوت الحديثة اشتهارا ؛ وكان ابوه يرتفع شانه بمقدار مايهوي هو من الخمول ؛ ويتطاير صيته كلما امعن تحت ذيل الانزواء ؛ فجاء ولده فتلقى مكانة والده هذه بحالة حسنة ؛ وسريرة طيبة ؛ فكان من التابعين له باحسان ؛ فارتفعت منزلته وعلا مقامه وكان له من المظهر الصالح الهادي للدين الذي يجول فيه مايستحق به ان تتخذ عتبة بابه متعلق الانظار ؛ وله مع ذلك غرائب صدرت منه في عصره ؛ وراى برهانها منه الناس عيانا ؛ فسلموا حاله ؛ وعلموا له منزلته .

هناك خوارق متعددة تتداولها الالسن ؛ ولماكنا في هذا الكتاب نتنكب الاكثار منها ما امكن ؛ لعدم تثبت الرواة ؛ اضربنا عن ذكرها صفحا ؛ الا ان هناك واحدة اشتهرت كل الاشتهار ؛ حتى صارت تحت كل لسان ؛ وفي ضمن كل اذن ؛ وقد تلقيت بالتواتر ؛ فرأينا ان نسوقها :

كان لصاحب الترجمة غنم في مرتبع ازاء (تاركانتزلماط) وكان لاهل ذلك الموطن تعال وقوة ؛ لاينظرون بهما الى الضعفة كمرابطينا ؛ الا كما ينظر المختال القوى الى خنفساء تعرضت امام قدمه في الطريق ؛ فعمد بعض رعاعهم الى غنم هذا السيد ؛ وقد أقبلت للمورد فذادها عنه ظلما وعدوانا ؛ والماء موجود ؛ والعين ثرارة ؛ وقد اصدر كل الرعاء ؛ فرجع الغنم بعطشه فبلغ ذلك صاحب الترجمة فثار منه مايثور من كل مظلوم ففزع الى الباب الذي لا يغلق دون دعوات المظلومين ؛ فنفذ السهم واستجيبت الدعوة ؛ فاصبحت عين اولائك الطاغين غائضة ؛ لاتبض بعد بقطرة وقد بذلوا كل الجهود في حفرها بعد ؛ فاصبح الماء واقفا لايجري ؛ فدامت تلك العين اثرا خالدا من آثار دعوات المستضعفين .

هذه حكاية صحيحة رويت بالتواتر ؛ ولاتزال العين ماثلة شاهدة لصاحب الترجمة بتلك الدعوة التي لم توصد ابواب السماء دونها .

ثم انتشر بسيدي احمد بن بلقاسم مال واولاد شبوا في ظل ذلك المجد الوريف فصار الشيطان ينزغ بينهم وبين بني سليمان معاصريهم في قرية (دوكادير) فعدا عبد لصاحب الترجمة على ولد لآل سليمان فارداه ؛ وكان ذلك لشنا بين الاسرتين لما بينهما من المعاشرة والقربى والغنى ـ والاقارب دائما كالعقارب ولاينبئك مثل خبير ـ وقد وقفت على وثيقة فيها فصل هذه القضية بخط الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله ابن الشيخ سيدى محمد بن احمد الحضيكي اوهي هذه

(وبعد فقد حضرنا وتوسطنا بين اخوالنا سيدى احمد بن بلقاسم من ذرية الولي سيدى عبد الله بن سعيد التيغاهاريني من تيبيوت ؛ وبين ابناء سيدى سليمان المرابطين من (تحت الحصن) ؛ منهم سيدى ابراهيم بن سليمان واخوانه وخال احمد بن محمد بن سعيد وغيرهم في شان المقتول من ابناء سيدي سليمان فاتفق رايهم على ان يقتلوا عبد سيدى احمد بن بلقاسم ؛ الذى قالوا انه هو القاتل له ؛ فاذا قتلوه انقطع نزاعهم وانفصل امر الثار المذكور ؛ وانجبر رايهم ولم يبق بينهم شيء من دعوى مال ولاغيره الا تهمتهم لاولاد سيدى احمد بن بلقاسم بانهم هو الامرون لعبدهم بالقتل فمتى طلبوا منهم الحلف على نفي دعواهم ؛ استحلفوهم ؛ طال الزمن او قصر ؛ وعلى هذا اتفق رايهم ؛ وتفاصلوا في ذلك القتل بذلك تفاصلا صحيحا قاطعا ابدا مؤبدا واما ماكتبوه بينهم من العرف الفاسد بحضور بعض اولاد سيدى احمد بن موسى ؛ فلم يبق عليه الحال بينهم لكونه مخالفا طريق الشريعة المحمدية ؛ وكتبنا هذا بينهم فصلا قاطعا للنزاع بينهم بتاريخ اواخر ذي الحجة عام ١٢٤٥ هـ عبد ربه محمد بن عبد الله بن محمد الحضيكي بزاوية الفلالي ؛ كان الله له)

اقول ان خؤولة مرابطينا آل سليمان لآل الحضيكي نشات من ان مريم بنت محمد بن سليمان تزوجها آل الشيخ الحضيكي .

امتحن صاحب الترجمة في اواخر ايامه بهذه المحنة ؛ وكثيرا ما يمتحن الاصفياء بامثالها الا من عصمه الله ؛ فلاندري كيف تلقاها ؛ وكيف تجلد ازاءها وان كنا نتيقن انه مغلوب في آخر عمره باولاده ؛ فهم الموردون المصدرون ؛ التقم الشيطان عقولهم فقادهم الى ماايس من «الهم ان ينقادوا اليه ؛ ولكن الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الحضيكي اغاث الله به الاسرتين السليمانية والقاسمية ؛ وهم يمتون اليه بخؤولة ؛ فجبر الصدع ؛ وانى بحكمة القصاص وفي القصاص حياة عند اولى الالباب

ثم انك رايته لايزال حيا سنة ١٢٤٥ هـ ثم لم تطل به الحياة بعد ذلك ؛ وقد قال العم انه توفي حوالى ١٢٦٠ هـ وكيفما كان ؛ انه لم يعش بعد ١٢٦٠ هـ رحمه الله من رجل صالح لايزال صيته يرن الى الآن ؛ وله من الاولاد المعقبين علي ؛ ومحمد .

الفقيه سيدى سليمان بن محمد الالغي

نحو ١١٣٠ ه – ٤–٩–١١٩٩ ه

نسبــــه

سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا اول فقيه اعرفه من قبيلتنا السعيدية ؛ واول من بـدا لـه ان يولي وجهته مع قرينه الاتي ذكره سيدى احمد بن صالح شطر المـعـارف ؛ فانفتح بهما باب جديد لاهالينا لم يلبثوا بعد ان ازدحموا في عتبته ازدحاما ياخذ فيه البعض بعنق البعض – في لجة امسك فلانا عن فل –

كانت القبائل السملالية والايسية والتملية بل والايغشانية ؛يتلالامنها العلماء من ازمان ؛ واهلنا في الغ في نسك وعبادة وامية قد تجرف باللسان مابناه بالسبحة البنان ؛ واخيرا وفقت الاسرتان الصالحية والمحمدية الى ان يرسلوا اولادهم في هذا الميدان ؛ فجاء سليمان بن محمد بن احمد ؛ واحمد بن صالح بن عبد الله بن احمد ؛ يحملان الى قومهما قبسا من العلوم ؛ فادركا به من الشاو ماظهر به للسعيديين الذين لايعرفون الا الامية المتدينة ان للعلم شرفا خالدا ؛ ومجدا مؤثلا اكثر من شرف ما ورثوه عن آبائهم ؛ ومن المـجـد الذى عرفوه من قبل .

على ان صاحب الترجمة لم نقف من اوليته على شيء ؛ حين كان يتلـقـى القرآن ؛ وكدنا نجهل ايضا استاذه في العلوم ؛ لو لم تهـدنا الصدف الى مخطوط قال فيه (ذكر شيخنا سيدى مسعود بن محمد المرزكوني كذا)وكنت قبل ذلك وقفت على عقد نكاحه فوجدته مكتوبا بخط هذا الاستاذ سنة ١١٥٦ه ثم عرفنا ان هذا الاستاذ من اصحاب سيدى احمد بن ناصر ؛ وانه كان يدرس في سملالة ؛ وقد تخرج به الاستاذ سيدى محمد بن الحسن التوغزيفتـي الشهير ؛ فوضح الصبح حينئذ لذى عينين ؛ فعرفنا المنبع الذى استقى منـه سليمان ؛ ومن اين تلقى تلك القبسة العلمية التي يتنورها جيران الغ بنظر عال

اذا كانت سنة الكون تتمشى على نظام واحد ؛ وعلمنا انه من المستحيل العادى وجود نبات بلا بذرة ؛ ووجود دخان بلا نار ؛ فلابد كذلك ان ننظر ما هو الحامل لهذه الاسرة المحمدية –آل صاحب الترجمة– حتى مالوا بولدهم الى

المدرسة من بعد ان كانوا لايعرفون عن اهاليهم الا السرح لسوائمهم والحرب لعداواتهم فلنفتش –اذن– عن المرأة –كمايقول نابليون– لعلنا نجد من ام سيدى سليمان مايدعم لنا هذه السنة الكونية التي يذكر عنها انهالاتنخرم فيما نزعم

راجعنا ذلك العقد الذى ذكرنا اولا انه محرر بقلم الاستاذ مسعود بن محمد المرزكوني السملالي فوجدنا اثناءه ان ام صاحب الترجمة –وهي عائشة بنت الطالب الحسن بن علي التوبيتي– وهبت لابنيها سليمان هـذا وصنوه سعيد كل ماكان لها مما يسمى مالا من املاك وحبوب وعقار وخرثي الدار اما كان لها حينئذ وما سيكون ؛ وكذلك جهازها وحظها من ابيها ؛ وهبت لهما ذلك هبة تامة .

اذن ام سليمان هي عائشة التوبيتية ؛ وابوها هو الطالب الحسن بن علي ؛ وقد كنا راينا في الوثيقة الكبرى التي نشرناها في اول ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ؛ فقيها يسمى احمد بن علي بن ابراهيم التوبيتي ؛ فيكون اذن احمد هذا خال صاحب الترجمة ؛ ولذلك رايناه في تلك الوثيقة اول من عدد فصولها ؛ ثم اتبعه العلماء الاخرون فهو حينئذ انما يشيد بذكر اصهاره ثم جاء عطف اولائك العلماء ينفي من التهم ما لعله يتوجس في مـثـل هـذه الشهادة التي صدرت من هذا الفقيه لاصهاره فعائشة والدة سيدى سليمان هي التي ضرب عرقها في ولدها ؛ فبزته الى اسرته لعلها ترى منه خلال خالـه احمد بن علي ؛ وشرفه العلمي ؛ اذن اتضح السبب ؛ وجاءت سنة الكون مدعمة بهذه النتيجة : فسليمان العالم انما ورث العلم عن اخواله ولـعـل الطالـب الحسن بن علي عالم ايضا ؛ والطالب اذ ذاك يطلق على العالم ؛ وقد عرفنا ذلك من قصة سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ حين قال ان اهل بلادنا لايسمون العالم الا الطالب فلان ؛ لكن بعد اقرارنا له بالعلم ؛ مامقدار غور علمه ؟ وما هي المكانة التي تبوأها من بين علماء عصره ؟ اما آثار قلمه التي رايتها فـي الرسوم ومخطوطات القسمات ؛ وفي اثناء سؤال رايته رفعه الى عالم ذلـك العصر سيدى احمد بن بلقاسم الكرسيفي المفتي المتوفى ١١٨٠ه فانها تدل على رقة في العربية ؛ يتبين ذلك من ثنايا عباراته المهلهلة التي يتعثر فـيـها اليراع عثرة بعد عثرة ؛ واما منزلته في عصره ؛ فهي منزلة متوسطة؛ لانه لايدل بينهم لابالافتاء ولا بالتدريس ؛ وكيف يظهر ؟ والاستاذ الحضيكي معاصره واقرانه الافذاذ قد ازدحموا في هذا الميدان فلايجاريهم الا كل بازل قنعاس(١)

وابن اللبون اذا ما لز في قـرن ‌ ‌ ‌ لم يستطع صولة البزل القناعيس

وانما الذى عرف به ان يتعاطى قسمة التركات؛ ويفصل ما بين الخصوم في النوازل غير العويصة ؛ فقد اخبرت ان في ايغشان ومجاط وكل القبائـل التي تحاذي الغ مخطوطات بيده في ذلك ؛ كما اخبرني به العم حفظه اللـه ؛

١) البازل الذى له تسع سنين ؛ والقنعاس بكسر القاف : العظيم من الابل

وأما رسوم القرية وما اليها في ذلك العصر ؛ فتكاد تكون مقصورة عليه وعلى
قرينه سيدي احمد بن صالح الاتي ذكره فقد عجت سلات اهالينا بمخطوطاتهما
وقد مرت بين يدي مرة سلة رسوم لاسرة فقيرة ؛ فرايت مخطوطات رسومه
بين مافيها كثيرا جدا ؛ وعلى ذلك فليقس ؛ وكان رحمه الله عدلا ثبتا دينا
مشهورا ببركة وصلاح ممزوجين بهذه القبصة (١) من المعارف فتكونت له بذلك
حلة ضافية ؛ وله مع ذلك ثروة لاتماثل بين اخوته ؛ وكانه بسببها انتشر له
من الذكر ماانتشر ؛ فهو اول من أثل الاملاك بين المتاخرين في مختلف البلدان
بالغ وبتامانارت وغيرها ؛ ولايزال اولاده الى الان يتوسعون فيها ؛ اثلها لهم
مما اشتراه من الوفقاويين ومن الحربيليين ؛ وبوادي تامانارت ؛ وقد صارفي
زمنه بهذا العلم والمال والدين رجل الغ المقصود في آخر القرن الثاني عشر ؛
بعد ان تناسي بعض ابناء عمه سيدي علي بن احمد ماكان لابيهم ولجدهم ؛
فاقبلوا على الدنيا وحدها ؛ وكانت له زوجتان : احداهما عائشة بنت عبد
الرحمن بن محمد البعقيلية التي عقد عليها سنة ١١٥٦ ﻫ فكان له منها فاطمة
بنت سليمان المولودة في رمضان ١١٥٧ ﻫ ومحمد بن سليمان المولود وسط
ربيع النبوي ١١٦٠ﻫ واحمد بن سليمان -٣- من ربيع الاول ١١٦٣ﻫ والزوجة
الثانية ؛ فاطمة بنت احمد بن ابراهيم بن محمد الاسدرمي ؛ تزوج بها قبل
١١٦٧ﻫ وكان الاولى ماتت اذ ذاك فولدت له عائشة في رجب ١١٦٧ ﻫ ومحمد
بن سليمان -١٠-١٢-١١٦٩ ﻫ ومحمد الاول مات اذ ذاك ؛ ثم ولده الفقيه
ابراهيم -١٦-٨-١١٧٨ ﻫ وسعيد بن سليمان وسط رجب ١١٨١ﻫ واحمد
ابن سليمان -٤-١٢-١١٨٣ ﻫ وكان احمد الاول مات اذ ذاك ثم سمي الثاني
باسمه ؛ والله اعلم .

نقلنا ولادات هؤلاء من خط صاحب الترجمة ؛ لندرك منها ان اعتناقه
للمبدا العلمي قد اماله الى الافادة بالقلم ؛ بعد ان كان اهلوه الاولون لايعرفون
كيف يقبضون القلم ؛ وقد توفي رحمه الله عن سن عالية ربما اوفت على ٨٠
سنة بكثير وانما رقمنا لولادته بنحو ١١٣٠ ﻫ لاننا حين رايناه تزوج سنة
١١٥٦ ﻫ قدرنا انه اذ ذاك بعد ان مضى له دهر في تلقي القرآن ؛ والتقلب في
المدارس لايقل عمره على نحو ٢٤ سنة على ماهي عليه العادة المالوفة التي
استمرت الى عصرنا في تلك الجهة واما زمن وفاته فقد افادناه ولده سيدي
ابراهيم رحمه الله ؛ وكدنا نجهلها كما جهلنا كل وفيات من تقدم ؛ ولكن من
ادخل الى داره اليراع ؛وورثه بنيه فاول فائدة يستفيدها منه هذه الفائدة
التي ليست بقليلة ؛ وان جهلها كثيرون .

وممن اخذ عنهم المترجم الشيخ سيدي محمد بن يحيا الازاريفي المشهور
هذا وباسم المترجم سميت القرية ايت سليمان؛ وان كان فيهاغير اولاده
كابناء سعيد اخيه .

١) القبصة بالفتح : ماتاخذه برؤوس الاصابع

الفقيه ابراهيم بن سليمان

١٦-٨-١١٧٨ ﻫ = نحو ١٢٦٣ ﻫ

نسبه

ابراهيم بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد .

لم نلقبه بالفقيه الا متابعة لصاحبه محمد بن ابراهيم السلامي ؛ فاني رايته في رسم وصفه بذلك وهو رفيقه الدائم ؛ ومجاوره المكاسر (١) ؛ ويدل ذلك بعض الدلالة على انه كان معروفا بذلك الوصف في عصره ؛ والوصف بالفقيه في بلادنا هذه يضن به الناس ولايكادون يضيفونه الا لمن يستحقه حقيقة او ظنا ؛ وليست عادتنا كعادة احواز الحمراء وما وراءها حين يتدفق هذا الوصف على كل من دب ودرج ؛ وعلى من مر بالمسجد ؛ وان لم يتقن حتى حفظ الفاتحة ؛ مادام يجر الجبة والسلهام وعلى راسه عمامة كالمنسف (٢) .

لم نعرف من اولية صاحب الترجمة شيئا بل حتى من اخرياته ؛ وكل ما عرفناه انه من حفظة القرآن ولكن لم ندرك كيف تلقاه ؛ وهل سافر وراءه كما هي عادة بعض الناس ؛ او انما جوده في القرية فقط ؛ وكذلك ندري ان عنده قبصة من المعارف يستطيع بها قلمه ان تقل عثراته قلة ما ؛ ويعترف بها لاصحابه كابن ابراهيم السلامي ان يصفه بالفقيه ؛ ولكن لاندري من اين تعلم ؛ امن عند ابيه ؛ ام من عند الاستاذ سيدي محمد بن الحسن التوغزيفتي خليفة استاذ والده سيدي مسعود المرزكوني بسملالة في التدريس ؟ وقد امتد عمر التوغزيفتي الى مابعد ١٢١٢ ﻫ ام من عند تلاميذ الحضيكي واولاده الذين يخوضون بحار العلوم في المدرسة الفلالية بين سحر الغ ونحره في هذا الحين ؛ ام من عند عبد الله الجشتمي التمل الذي مافارق المدرسة الجشتمية سنة ١١٩٦ ﻫ حتى خلف فيها استاذا يسير على خطته في التدريس فهؤلاء وكثيرون من امثالهم من الاساتذة الكرسيفيين وغيرهم ممن رفعوا راية التدريس في ذلك العصر ؛ فلاندري بمن منهم اتصل صاحب الترجمة ؛ فاقتبس علم التركات ؛ وفصل بعض النوازل والقيام بتحرير كل رسم في القرية مع صاحبه سيدي صالح بن عبد الله الاتي ذكره ان شاء الله ومع جاره السلامي الذي ستعرفه ايضا .

١) الجار المكاسر : الذي يسكن في كسر دارك بكسر الكاف اي جانبها
٢) المنسف بكسر الميم وفتح السين : الغربال الكبير

واما رسوم القرية وما اليها في ذلك العصر ؛ فتكاد تكون مقصورة عليه وعلى قرينه سيدى احمد بن صالح الاتي ذكره فقد عجت سلات اهالينا بمخطوطاتهما وقد مرت بين يدى مرة سلة رسوم لاسرة فقيرة ؛ فرايت مخطوطات رسومه بين مافيها كثيرا جدا ؛ وعلى ذلك فليقس ؛ وكان رحمه الله عدلا ثبتا دينا مشهورا ببركة وصلاح ممزوجين بهذه القبصة (١) من المعارف فتكونت له بذلك حلة ضافية ؛ وله مع ذلك ثروة لاتماثل بين اخوته ؛ وكانه بسببها انتشر له من الذكر ماانتشر ؛ فهو اول من أثل الاملاك بين المتاخرين في مختلف البلدان بالغ وبتامانارت وغيرها ؛ ولايزال اولاده الى الان يتوسعون فيها ؛ اثلها لهم مما اشتراه من الوفقاويين ومن الحربيليين ؛ وبوادى تامانارت ؛ وقد صارفي زمنه بهذا العلم والمال والدين رجل الغ المقصود في آخر القرن الثاني عشر ؛ بعد ان تناسي بعض ابناء عمه سيدى على بن احمد ماكان لابيهم ولجدهم ؛ فاقبلوا على الدنيا وحدها ؛ وكانت له زوجتان : احداهما عائشة بنت عبد الرحمن بن محمد البعقيلية التي عقد عليها سنة ١١٥٦ ﻫ فكان له منها فاطمة بنت سليمان المولودة في رمضان ١١٥٧ ﻫ ومحمد بن سليمان المولود وسط ربيع النبوى ١١٦٠ﻫ واحمد بن سليمان -٣- من ربيع الاول ١١٦٣ﻫ والزوجة الثانية : فاطمة بنت احمد بن ابراهيم بن محمد الاسدرمي ؛ تزوج بها قبل ١١٦٧ﻫ وكان الاول مات اذ ذاك فولدت له عائشة في رجب ١١٦٧ ﻫ ومحمد بن سليمان -١٠-١٢-١١٦٩ ﻫ ومحمد الاول مات اذ ذاك ؛ ثم ولده الفقيه ابراهيم -١٦-٨-١١٧٨ ﻫ وسعيد بن سليمان وسط رجب ١١٨١ﻫ واحمد ابن سليمان -٤-١٢-١١٨٣ ﻫ وكان احمد الاول مات اذ ذاك ثم سمي الثاني باسمه ؛ والله اعلم .

نقلنا ولادات هؤلاء من خط صاحب الترجمة ؛ لتدرك منها ان اعتناقه المبدأ العلمي قد أماله الى الافادة بالقلم ؛ بعد ان كان اهلوه الاولون لايعرفون كيف يقبضون القلم ؛ وقد توفي رحمه الله عن سن عالية ربما اوفت على ٨٠ سنة بكثير وانما رقمنا لولادته بنحو ١١٣٠ ﻫ لاننا حين رايناه تزوج سنة ١١٥٦ ﻫ قدرنا انه اذ ذاك بعد ان مضى له دهر في تلقي القرآن ؛ والتقلب في المدارس لايقل عمره على نحو ٢٤ سنة على ماهي عليه العادة المالوفة التي استمرت الى عصرنا في تلك الجهة واما زمن وفاته فقد افادناه ولده سيدي ابراهيم رحمه الله ؛ وكدنا نجهلها كما جهلنا كل وفيات من تقدم ؛ ولكن من ادخل الى داره اليراع ؛ وورثه بنيه فاول فائدة يستفيدها منه هذه الفائدة التي ليست بقليلة ؛ وان جهلها كثيرون .

وممن اخذ عنهم المترجم الشيخ سيدى محمد بن يحيا الازاريفي المشهور هذا وباسم المترجم سميت القرية ايتسليمان؛ وان كان فيهاغير اولاده كابناء سعيد اخيه .

---

١) القبصة بالفتح : ماتاخذه برؤوس الاصابع

الفقيه ابراهيم بن سليمان

١٦-٨-١١٧٨ ﻫ = نحو ١٢٦٣ ﻫ

نسبه

ابراهيم بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد *

لم ننعته بالفقيه الا متابعة لصاحبه محمد بن ابراهيم السلامي ؛ فانني رايته في رسم وصفه بذلك وهو رفيقه الدائم ؛ ومجاوره المكاسر (١) ؛ ويدل ذلك بعض الدلالة على انه كان معروفا بذلك الوصف في عصره ؛ والوصف بالفقيه في بلادنا هذه يضن به الناس ولايكادون يضيفونه الا لمن يستحقه حقيقة او ظنا ؛ وليست عادتنا كعادة احواز الحمراء وما وراءها حين يندفق هذا الوصف على كل من دب ودرج ؛ وعلى من مر بالمسجد ؛ وان لم يتقن حتى حفظ الفاتحة ؛ مادام يجر الجبة والسلهام وعلى راسه عمامة كالمنسف (٢) *

لم نعرف من اولية صاحب الترجمة شيئا بل حتى من اخرياته ؛ وكل ما عرفناه انه من حفظة القرآن ولكن لم ندرك كيف تلقاه ؛ وهل سافر وراء تجويده كما هي عادة بعض الناس ؛ او انما جوده في القرية فقط ؛ وكذلك عرفنا ان عنده قبصة من المعارف يستطيع بها قلمه ان تقل عثراته قلة ما ؛ ويمكن بها لاصحابه كابن ابراهيم السلامي ان يصفه بالفقيه ؛ ولكن لاندري من اين تعلم ؛ امن عند ابيه ؛ ام من عند الاستاذ سيدي محمد بن الحسن التوغزيفتي خليفة استاذ والده سيدى مسعود المرزكوني بسملالة في التدريس ؟ وقد امتد عمر التوغزيفتي الى مابعد ١٢١٢ ﻫ ام من عند للاسيد الحضيكي واولاده الذين يخوضون بحار العلوم في المدرسة الفلالية بين سهي الغ ونحره في هذا الحين ؛ ام من عند عبد الله الجشتمي التمل الذى مافارق المدرسة الجشتمية سنة ١١٩٦ ﻫ حتى خلف فيها استاذا يسير على خطته في التدريس فهؤلاء وكثيرون من امثالهم من الاساتذة الكرسيفيين وغيرهم ممن رفعوا راية التدريس في ذلك العصر ؛ فلاندرى بمن منهم اتصل صاحب الترجمة ؛ فاقتبس علم التركات ؛ وفصل بعض النوازل والقيام بتحرير كل رسم في القرية مع صاحبه سيدى صالح بن عبد الله الاتي ذكره ان شاء الله ومع جاره السلامي الذى ستعرفه ايضا .

---

١) الجار المكاسر : الذي يسكن في كسر دارك بكسر الكاف اى جانبها

٢) المنسف بكسر الميم وفتح السين : الغربال الكبير

اخبرني العم ان يده في معلوماته القصر من يد والده ؛ ادرك عنه ذلك من محررات يده التي راى منها مائت ؛ واما انا فلم يمكن لي ان ارى الا بضع عشرات من تلك السلة التي ذكرتها في ترجمة والده .

ثم انه يشاع عنه وراء هذه المنزلة صلاح كثير وكشف وخوارق ؛ وكرم لكل من قصده ؛ فكانت هذه الخصال التي تجمعت فيه يدعم بعضها بعضا ؛ والكرم يحليها برواء براق من الثروة التي صارت اليه من بين ما خلفه والده ومما استجده هو ايضا فتحوطه تلك الخلال بسياج متين سميك .

اخبرني بعض الناس ان بعض المسنين الذين ادركهم ؛ قال عهدي به في مسغبة والناس يتضورون جوعا ؛ والاملياء –وماأقلهم– اوصدوا ابوابهم دون رغبات المدقعين الراغبين؛ وهو يظل وعليه سراويل سوداء يدور على قدور منصوبة عند باب داره تفور بالجزر اليابس والحفنات من الطعام ؛ وهو يناول كل من وقف عليه من ابناء السبيل حتى يفرغ ما في القدور ؛ دام على ذلك طوال تلك المسغبة ؛وهذا ما امكن من الكرم في بلادنا الفقيرة .

واخبرني آخر من مجاط انه كان مرة عندهم وهم يعتقدون فيه خيرا كثيرا ودعوة مستجابة ؛ فرأته امراة منهم وشاهدت له بركة ؛ فبقيت بعد ذلك تذكره ؛ وهي التي اخبرت من حكى لي .

واخبرت ايضا انه كان صاحب مرة معاصره سيدي صالح بن عبد الله الزاوي – الاتي – فزارا المقبرة العليا التي هي من آثار سيدي بلقاسم التيبيوتي وهو الذي استحدثها ودفن فيها زوجته اولا ؛ ثم دفن ازاءها ثم تتابع الدفن فيها حتى اتسعت زارا من هناك ؛ ثم مشيا في غربيها حتى وصلا محل المدرسة اليوم ؛ فقال احدهما لصاحبه ماتسمع ؟ فقال اسمع قراءة ؛ ثم انحدرا حتى وصلا بير العنصر شمالي القرية السليمانية فقال ايضا احدهما لصاحبه ما تسمع ؟ فقال له اسمع اذكارا يجهر بها ؛ قال المخبر فهذا منهما كشف بالمدرسة والزاوية قبل ان تخرجا الى الوجود باكثر من نصف قرن اقول ان هذا المخبر الذي اخبرني عدل ثقة ؛ ولكن اشك فيمن اخبره وهو لم يدرك الحادثة ؛ وقد انقطع سندها ؛ ثم انني لم اسمعها الا منه ؛ وهذا كله ماتندق به هذه الحكاية حتى تكون ارق من شعرة ؛ فلا تواتر ولاسند متصل ؛ فماذا يبقى بعد ؟ على ان امثال هذه الاخبارات كثيرة ؛ تسيل بها السنة المحدثين ؛ وقد راينا وسمعنا من مثل ذلك كثيرا ؛ فلو كان لهذه ما يثبت به امثالها لتلقيناها بكلتا اليدين فان الكشف طبيعة روحية تكون في بعض الناس متجلية اتم التجلي ؛ وربما كان ذلك في المسلمين وفي غيرهم ؛ ولذلك لايقبله اساطين ارباب هذا الفن الا بشاهدي كتاب وسنة ؛ وذلك لايستبعد حصوله الا من كان اغلف العقل وان كان يتظاهر بانه احذق الناس ؛ ولكن لماكان الكذب والتقول في ذلك

كثيرا ؛ ينبغي ان لايقبل ان لم يصدم الكتاب والسنة الا بعد الوقوع وقوعا صحيحا ؛ تحقيقا او ظنا قويا (لم يعد كتبي هذا وقفت على مايؤيد تلك الحكاية من اقوال الناس آخرين مما يدل على شيوعها)

اتصل صاحب الترجمة بالقلم فيحرر رسوم القرية قبل وفاة والده سنة ١١٩٩ هـ كما رايت ذلك في رسم كتبه قبل هذه السنة بقليل ؛ ثم دام على ذلك الى نيف وستين من القرن الماضي ؛ فوافاه اجله ؛ وقد فتشنا لعلنا نجد مقيدا لبعض اولاده ينبه على وقت وفاته ؛ ولكننا لم نجده ؛ والعم يقول انه توفي نحو ١٢٦٣ هـ لان والدته (تكدا) بنت عدي (التي ستاتي ترجمتها) ادركته حيا حين تزوجت الى الغ سنة ١٢٦٠ هـ ثم عاش بعد ذلك؛ والله اعلم فلنا له بما نرى .

وصاحب الترجمة ثلاثة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) والطيب ؛ وكلهم اعقبوا اولادا كثيرين بارك الله فيهم .

هذا فالمترجم هو الحافر للبير في (تاغيا) سنة ١٢١٤ هـ وهي ملك المرابطين لاللحربيليين ؛ وقد وقع فيها خصام بينهم حوالي ١٣٦٢ هـ فادلى الاولون برسم شهد فيه الحربيليون انفسهم اذ ذاك بان الحافر هو سيدي ابراهيم في سنة ١٢١٤ هـ وذكروا القدر الذي انفقه في الحفر ؛ وقد حكم في القضية شيخنا سيدي الطاهر بن محمد ولكنه حين راى ماراى نبذ عنه الفصل في القضية وهو يقول بلسان الحال : ربي وصلاتي

سيدي احمد بن صالح الالغى

قبل ١١٣٨ هـ ـ بعـد ١١٨٥ هـ

نسبـــه :

احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا قرين الفقيه سيدى سليمان بن محمد المتـقدم وما اولاه ان يدعـى بالفقيه ؛ ويوصف به مادام قرينه هذا يوصف به وصفتهما واحدة؛ ومجالاتهما واحدة ؛ وقد طلعا على ابناء عبد الله بن سعيد بفجر جديد من انوار المعارف هى ابقى وادوم

عاشا معا يتقلبان فى قسم التركات وفض بعض النوازل؛ يكتب احدهما فيعطف عليه الاخر ؛ وكان سيدى سليمان هو الذى له الصدارة ثم يليه احمد هذا ؛ فلا يزالان دائما كالفرقدين •

ذكرنا فى ترجمة سيدى سليمان ان شيخه فى العلوم التى عنده ؛ هو سيدى مسعود بن محمد المرزكونى ؛ فهل صاحبه هذا ايضا كذلك ؟ فاننا لم نقع الى الآن على مانستدل به فى هذه النقطة ؛ ولم اتصل بشىء من كتبه لعلنى اقع على كلمة نفهم منها ما فهمناه من الكلمة التى وقفنا عليها لسيدى سليمان حتى اخباره لم اعرف منها الا ماذكره لى العم من انه رديف سيدى سليمان فى كل مايزاوله ؛ وقد سالت شيخنا سيدى عبد الله بن محمد عنه لعله يفيدنى فما زاد على ان قال انه راى فى مخلفاته مايدل على ان له يـدا فـى الفرائض والحساب والهيأة ؛ ومشاركة قليلة من العربية والفقه ؛ فهذا كل ما نفض الى عنه ؛ ثم لم يتيسر لى ان ارى من رسومه ومخطوطاته ما ادرك انا به بدورى ما لعله يخفى عن اولئك ؛ حتى مبتدأ حياته ومنتهاها لم ندر كيف هو ؛ وكل ما نعرفه انه معاصر لسيدى سليمان الذى كان حيا من نحو ١١٣٠هـ الى ١١٩٩هـ فلتلك المعاصرة رايت رقم الولادة مرقوما بما قبل ١١٣٨ هـ والوفاة بما بعد ١١٨٥ هـ فاحتطنا فى زمن الولادة والوفاة •

ولم يعقب الا من ولده عبد الله وحده رحم الله الجميع •

سيدى صالح بن عبد الله الزاوى

قبل ١٢١٠ هـ ـ نـحـو ١٢٦٠ هـ

نسبـــه

صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

سيدى صالح كاسمه ؛ صلح هو ومن امتد منهم ؛ومن امتدوا منه ؛ فقد رايت ترجمة والد جده عبد الله بن احمد ؛ وما وصف به ؛ ويذكر مثل ذلك الصلاح فى جده صالح بن عبد الله وفى ابيه عبد الله بن صالح ؛ ولكن منعنا ان نفردهما بترجمة اننا لانعرف عنهما الا هذا الوصف فقط ؛ وهذا الوصف فى الحقيقة كثير مـــن اتصف به مـن اهالينا الى الان ؛ وشرطنا ان نعـرف للرجل مايستحق ان يذكر له وراء صلاحه ؛ الا اذا كانت له شهرة بصلاحه تلفت الانظار فاننا نعتنى به بدورنا ؛ ونلتفت اليه ببصرنا ؛ وهل يـراعى الورع الا ما يراه بصره ؟

حفظ صاحب الترجمة القرآن ؛ واتقن رواية المكى ؛ واستبصر شيئـا مما وراء ذلك فكان ممن يحرر بقلمه كل ماعن من الرسوم وما اليها من اول القرن الماضى الى وسطه وقد جرى ذكره فى كلامنا على سيدى ابراهيم بـن سليمان وقد حكى عن سيدى صالح اخبات كثير وديانة ومسكنـة ودعـوة مستجابة ؛ وكشف لايزال يذكر به تواتر عنه الى الان ؛ وكان قليل ذات اليد فلايملك الا حمارة وبقرة يحرث بهما فيجمع البركة التى تيسرت فيزكيـهـا فتنزل البركة ؛ فتكفيه ماتكفى مائت المكثرين ؛ حكى لى مجاطى عن مجاطة ان فلانا من كبار مجاطة سماه ؛ كان من رؤساء قومه ؛ فصادف مرة صاحب الترجمة قد جمع من محصول فلاحته مقدار عشر غرائر ؛ فقال لـه ان هـــذا لايكفيك مؤنة السنة فلماذا لاتكثر الفلاحة ؟ فقال له صاحب التـرجمة وكـم تدخل انت من محصولك؟ فقال ادخل المائة فاكثر فقال له: ومايدريك ان يتوقف صاحب المائة على صاحب العشر ؟ فلما توسطت السنة ؛ ووصل وقت الحرث احتاج المجاطى الى البذر ؛ فجاء اليه فسلفه اياه ؛ وكثر ايضا تحدث الناس بانه كان سنة ١٢٥٥ هـ صباحا فى متوضا مسجد الزاوية ؛ فاخبر من حضر

يغرق كثير في وادى تامانارت ؛ وبعد يوم جاء الخبر بان سيلا جارفا حمل سقى تامانارت واجتث اشجارها ؛ وهذه الحكاية يتحدث بها الناس تحدثا كثيرا وقد كان تزوج امراة من تاكفيشت بسملالة ؛ فولدت له ولده الحاج عبد الله وحده ؛ ثم لم يرزق سواه ؛ فبقى كذلك سنوات كثيرة ؛ فوفد عليه اصهاره يوما وقد عرفوا له مكانته من الصلاح ؛ وراوا ان يجبروا خاطره ـ فقالوا ان كان لك غرض فى زوجة اخرى ؛ فلا تمنعنك اختنا ؛ ولا الحياء منا ؛ فقد طبنا نفسا بذلك ؛ فلا احب الينا من ان تعمر هذه الدار ؛ فقال لهم ان جعل الله البركة في عبد الله فانه يكفى ؛ فالعبرة بالبركة لا بالكثرة وان لم يجعل الله فيه البركة فماذا يجدى مائة من الاولاد ؟ فسرعان مايطوف الوباء الجارف فاذا هم لاعين ولااثر فأعقب عبد الله وحده ؛ فكان منه الخير الطيب ؛ والنسل المنتشر المبارك .

كان سيدى صالح مقصودا فى عصره بالرقى والتمائم والدعوات ؛ معروفا بذلك فلايخلو مكانه من الواردين ؛ وكان اذا راى من اطال المكث عنده يقول ان اردت دعوة او تميمة اورقية فهاهي ذىعندى؛ وان اردت مائدة ممدودة وفراشا مبسوطا فعليك بسيدى ابراهيم بن سليمان ؛ يقول ذلك لان هذا فتى كريم ؛ موطوء العتبة بكرة وعشيا بالوارد والصادر .

سيدي

محمد بن احمد السعيدى

نحو ١٢١٥ هـ ـ ١٢١٦ هـ

نسبه

محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا جد والدى ومربيه ومعينه على حفظ القرآن ؛ كما سترى ذلك فى ترجمته ان شاء الله ؛ وقد كان لوالده احمد وجاهة وذكر ومال ؛ ولكنه لا يذكر الا بهذه الوجاهة وهي مالانعتبره فى اهالينا بالترجمة الخاصة؛ مالم يكن معها صلاح مشهور اوعلم لان امثال هذه الوجاهات فى قبيلتنا وجاهات شخصية لاتعم الاسرة ؛ ولاتجد القبيلة منها ظلا وريفا ولاتسمع منها كلمة نافذة ولذلك اسقطنا شرطها فى اهالينا خاصة .

كان صاحب الترجمة ممن اتقن كتاب الله الكريم ؛ وممن اشتهر بصلاح وبركة وشهرة وسطى لم تدرك شهرة معاصره سيدى صالح المتقدم الذكر ؛ وكان الناس ينتابونه للرقى والتمائم والتطبب خصوصا فى المرض الذى يسمونه قطع اللحم ؛ فانه ممن اشتهر عنه مداواته ؛ وقد طال عمره كثيراحتى استوفى تسعين ؛ وله من الاولاد جدنا احمد الذى هو والدنا آل الشيخ ؛ وامامنا ؛ ثم بعد سنتين لحق ايضا سيدى احمد بابيه ؛ وذلك سنة ١٢٩٨ هـ وولادته نحو ١٢٣٠ هـ وقد خلف عمنا محمدا المتوفى ١٣٢٩ هـ وعمنا الحاج عبد الله المتوفى فى الحجاز فى ذى الحجة سنة ١٣٠٥ هـ والشيخ الوالد الذى سترى ترجمته ان شاء الله ؛ والعم ابراهيم الذى افادنا جل مافى هذا الكتاب وسترى ترجمته ؛ والعم بلقاسم المتوفى ٦ ذى القعدة ١٣٦٦ هـ

هؤلاء اولاد احمد بن محمد رحم الله الجميع والحقنا بهم مسلمين .

سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتى

نحو ١٢٥٠ هـ – نحو ١٢٨٩ هـ

نسبه

محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبدالله بن سعيد

هذا اول فقيه علامة متمكن شهير نشا بالغ من اهالينا بعد الفقيه سيدى سليمان المتقدم فرفع راية الافتاء رفع من يخلق ويفرى ؛ ويقبل ويدبر ويزاحم معاصريه باكتاد العماليق الذين يكون لهم الخصل فى كل مسابقة ؛ والاستحواذ فى كل مزدحم ؛ لولا انه سقط بقصر العمر دون المدى .

جاء الفقهاء المتقدمون سليمان بن محمد وابنه ابراهيم واحمد بن صالح بعلالة يتبلغ بها ؛ ويفجر له نور ضئيل ؛ لم ينشب ان ذهب بلا آثار باقية ولا اخبار تؤثر فظهر انه الفجر الكاذب الذى يتعرض تعرض ذنب السرحان ؛ ثم لم يلبث ان تجيش عليه الدياجير فتغمره ؛ ثم جاء الفجر الصادق البين الذى يتبين به الخيط الابيض من الخيط الاسود بصاحب الترجمة العلامة الفهامة الفقيه المتمكن فى تفهم النوازل وفقهها غاية التمكن ؛ فلم يلبث اصحاب القضايا وارباب الخصومات ؛ ان سالت اليه بهم الا باطح ؛ وهو يقضى ويحكم بما اراه الله ؛ وقد طار صيته بين فقهاء عصره فكاتبهم وكاتبوه ؛ وعرفوا له مكانته التى اطل منها مابين الاقران؛ ثم بينما هو يتاهب فلكه للارساء ويستعد للتزوج ؛ اذا به اعتبط اوفر ماكان نشاطا واعلى ماكان شهرة فذهب مبكيا على شبابه النضر ؛ وابقى ثلمة واسعة فى الغ اذ ابكت قلوب الاصدقاء واشمتت افئدة الحساد ؛ وما اكثرهم فى كل عصر ولكن اذ ذهب سيدى محمد ابن بلقاسم ؛ فان الغ يتمخض عن علامة آخر سينزع نزعا يشى نزع ابن بلقاسم ويرد البشر الى الذين سالت اعينهم دما بالرزء بصاحبهم هذا ؛ حتى تعود الثغور كلها به بواسم؛ وايام الغ به وبآثاره وبآثار معاصريه اعيادا ومواسم هكذا جاء صاحب الترجمة كبرق اومض ؛ ثم لم يلبث ان تبعه خصب كثير ؛ او كفجر صادق لم تنشب بعده الشمس ان طلعت فاستوت فى رابعة النهار .

فلئن كان هو امضى حياته هذه القصيرة بين النوازل واربابها فقط ؛ فسياتى من يضيف الى ذلك مجدا موثلا ؛ فيؤسس مدرسة يتدفق اليها الطلبة من كل

او عمل .

بداية صاحب الترجمة غامضة ؛ فلم ندر متقلبه فى حين اخذه للقرآن؛ اين هم اساتذته فيه ؛ وهل اعمل الرحلة وراءه اولا ؛ وكذلك لاندرى عن تفقهه بالاستاذين محمد بن محمد الافامانى ومحمد بن محمد بووازى الساموكنى وقد خاطب كل واحد منهما بشيخه ؛ اين اخذ عنهما ؛ والاستاذ الافامانى كان فى المدرسة الايغشانية حوال ١٢٧٠ هـ ماشاء الله سنوات كثيرة اوالاخر كان ايضا فى مسجد (ايشوكال) فى اكادير ايزرى ؛ فهل اخذ عنهما فى هذين المحلين او فى غيرهما ؟ الجواب عن ذلك درج فى غفلة التاريخ ؛ ولكن شيوخه الذين نعلمهم حقا ؛ ونراه لازمهم كل الملازمة هم آل اكشتيم الحاج عبد الله بن عبد الرحمن واخواه محمد والحاج احمد وربما اخذ ايضا عن والدهم شيخ الاسلام عبد الرحمن بن عبد الله الذى لايزال حيا يوم التحق بتلك المدرسة قبل ١٢٩٩ هـ فهؤلاء اشياخه حقا المعروفون ؛ فلولا انه انتسب بالتلميذية للاستاذين الافامانى والساموكنى لما توهمنا انه عدا هؤلاء الجشتيميين الى غيرهم .

ثم اننا راجعنا كتبه التى خلفها ولايزال اهله يحافظون على هذه الخزانة الى الآن ؛ محافظة الضنين على درهمه الوحيد ؛ فرايناه نسخ البهجة للسيوطى وانهاها بعد العصر بالسبت الثانى من شعبان ١٢٦٨هـ والتاودى على الزقاقية فى الاثنين الثانى عشر من رمضان ١٢٦٨ هـ والاجوبة الروضية عن مسائل مرفوعة فى البيع بالثنيا والوصية ؛ والمقنع ؛ وشرح الزواوى والفقهيات للهوزالى والتاودى على التحفة ومتن الزواوى؛ وكنز العربية شرح الاجرومية للعبادى وبعض شرح السلم ؛ والدردير على المختصر ؛ والازهرى على الاجرومية ؛ وابن كثيران (كذا) على ابن عاشر ؛ وابو الحسن على الرسالة ؛ هذه كلها نسخها بيده وربما نسخ غيرها ؛ لان من ارسلته وراى ذلك قال انه لم يتتبع كتبه كل التتبع حتى يعرف ابقى وراء هذه من مخطوطاته شيء ام لا قال انه لم يؤرخ من منسوخاته الا التى ذكر تاريخها لاغير ؛ فمن هذا النسخ والصبر عليه ندرك همة الرجل واكبابه بكل ما فى جهده على التحصيل ؛ فحين كانت كتب الدراسة تعوزه والمطبوعات اذ ذاك لما توجد فى الاسواق للبيع ؛ ولاهنالك خزائن يستعار منها اقبل على الانتساخ ؛ ولاتكون هذه الهمة الا فى الافذاذ الذين يجعلون نصب اعينهم التحصيل .

كثيرا ما اسمع بعد رجوعى هذه المرة الى الغ بصاحب الترجمة وانا خلو من علمه ومعرفة شانه قبل ؛ فصرت ابحث عنه علنى اصادف من ادركه ؛ او من عنده حقيقة خبره ؛ فلم اجد الا العم فنفض لى بعض مايتعلق به؛ والاما كان من شيخ كبير السن من آله ؛ هو ابن اخيه فقال لى استحضر وانا صغير ارعى بهم(١) اسرتنا فى سفح ربوة مشرفة على قريتنا ؛ والفصل فصل الربيع وقد

١) البهم بفتح فسكون : صغار الغنم

اتشحت الربا بالازهار وبرزت الارض في برد موشى قشيب ؛ فشاهدنا ونحن صبية صغار جنازة مضى بها اهل القرية فسمعنا من يقول انها للفقيه سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وقد ادركت من مباحثته ان تلك السنة ربما كانت ١٢٨٩هـ ثم حكى لي ايضا – وقد سالته عما يسمعه من عند اهله عنه – قيل لهذاالفقيه لماذا نرى المتخاصمين يتناطحون ويتشاكسون ويترامى بعضهم على بعض ؛فاذا جلسوا اليك لايلبثون انيرجعوا في هدوء وسكون ؟ ماذا تصنع بهم حتى تفثا شرتهم ؛ وتسكن من حدتهم ؟ فقال اذا جلس المتخاصمان الى فلا يخلوان معا من احد امرين اما ان ينقادا معا لحكم الشريعة ؛ ويتبعان الحكم الذى احكم به عليهما ؛ فيقومان حامدين شاكرين ؛ وقد ادرك صاحب الغلط منهما غلطه واما أن يلد أحدهما والآخر ممن يتحمل الصبر ؛ فيستحيي مني ؛ فانني أكلفه أن يتنازل عن بعض حقه فيخرجان راضيين معا ؛ فقيل له وأما اذا كانا معا من ذوى الالداد ؛ وذوى الصمم عما تقول وممن لايستحيي منك ولايهتبل بمقامك؛ فقال اذا كانا كذلك فاني اعالجهما بالتى هى احسن حتى اصرفهما عني ؛ وكل ما أتطلبه منهما أن يهدءا حتى يبتعدا عن مجلسي ؛ قلت هذه السياسة التى اوتيها هى لاريب التى رفعت من شانه ؛ واعلت من مقامه ؛وأسالت اليه البطاح باعناق المطايا ؛ فان الاخلاق الحسنة ملاك العلم ونخاعه الذى به يقوم صلبه وكان من عادته انه يأخذ ممن له الحق حظا يتفاوضان عليه وقد ادرك من العلماء من يقولون ان قضاة البادية الذين لايتوصلون بحقهم من بيت المال وقد انتصبوا للقضاء ويمضون فيه جل اوقاتهم فى مراجعةالمسالة ومحاسبة وكتابة وتتبع الرسوم لابد لهم من اجرة ؛ واولى من يعطيها من صحت له القضية ؛ وفاز فيها ؛ هذا قول بعضهم (١) وللبعض الاخر كلام آخر ؛ وعلى تلكالطريقة يسير غالب علماء سوس ؛ وعلماء الغ قديما وحديثا ؛ ومن بينهم صاحب الترجمة ؛ فكان يفاوض في ذلك صاحب الحق حتى يتراضيا على اجرة تطيب بها نفس المعطى ؛ وقد اخبرني المسن ابن اخيه المذكور انه سمع ان بعض الوفقاويين كان حكمه وصاحبا له في قضية فحكم له وتوصل منه بما تراضيا عليه ثم ان الوفقاوى راجع الفقيه فقال لهانا غلطنا فى الحساب حين ادفعلك اجرتك ؛ فقال الفقيه انني تحققت ماتوصلت به منك ؛ ولم يجتز الى درهم واحد يزيد على ماتراضينا عليه ؛ فكان الوفقاوى تناوله بكلمة مست شعوره فثار عليه فقال لتؤاخذني بين يدى الله ان خنتك فى درهم واحد ؛ ولتقف فى باب الجنة ان قدرت حتى تصدني بدانقك ان مر الى ؛ فطوى الوفقاوى البساط ؛ وقد جد الجد وراى من الاستاذ انه لم يبق ذلك المرابط الضعيف

---

(١) لعبد الرحمن الجشتمي :

لنا اسوة بالاقدمين شيوخنا ... فكم اخذوا اجر الفتاوى وقد اغلوا

المستكين – بعد ما اهل العلم شانه ؛ وارهف حده؛ وازال الغشاوة عن بصيرته

اخال ان سيدى محمد بن بلقاسم فارق المدرسة الجشتيمية نحو ١٢٧٥هـ قبل السنة التي سافر فيها استاذه سيدى الحاج احمد الى الحج ؛ ثم انه منذان لازم داره وانقطع عن الاخذ اقبل على فض النوازل ؛ وقسم التركات ؛ واجالة

قلم الفتوى وما اكثر مخطوطات يده في ذلك ببلاد الوفقاويين والمجاطيين والحربيليين ؛ وكان الذى يصاحبه غالبا سيدى الحاج عبد الله بن صالح واقد اخبرت انه هوالذى قسم املاك ايت اورعى ببعلاش؛ اخبرني بعض البعلاشيين المسنين بذلك ؛ وقال انه يستحضر ذلك الوقت وهو صبي صغير

ان اعجب مارايته لصاحب الترجمة اعتناؤه بتحرير المسائل ؛ فما تنزل بين يديه نازلة الا امعن فيها بل يشاور علماء عصره ليدلوا فيها بآرائهم فقد وقفت له على اسئلة يوجهها الى الاستاذ محمد بن محمد المافامانى ؛ والى الاستاذ محمد بن محمد بووازى الساموكني ؛ ومعاصره الاستاذ الحاج ياسين والفقيه محمد بن صالح الساموكني ؛ والى الاستاذ احمد بن عدى العركوبي ؛ والاستاذ محمد بن محمد الايسى الملقب هموش ؛ والاستاذ علي بن محمد التوزونتي المجاطي التمكيدشتي ؛ والاستاذ أحمد بن محمد الايغيرى التامانارتي والاستاذ سعيد الاساكي الافراني وأشياخه الجشتيميين ؛ وربما كتب سوالا واحدافى قضية واحدة ؛ ففرقه عليهم جميعا ليرى جواب كل ؛ وهذه همة الافذاذ الذين يودون ان يقفوا على الحقيقة ؛ وشيمة المنصفين الذين لايتكبرون من ظهور جهلهم ولايتعالون على معاصريهم حتى لايتنازلوا الى مساءلتهم فى مسالة ؛ وكذلك رايت له ايضا مكاتبات بينه وبين الفقيه سعيد بن علي البريمي التازروالتي ؛ والاستاذ الحاج الحسين الافرانى ؛ وهذه بطاقة كتبها اليه هذا الاستاذ ؛

« ٥ وبعد فقد أذنت للفقيه سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتي سلالة سيدى عبد الله بن سعيد فى تنفيذ الحكم الذى ابرمه سيدى احمد بن محمد المتكبي –الايغيري– على محمد بن بلقاسم مطوس ؛ به علم الالغى بعد أن الفى السلاح ولم يات بما ينفعه كتبه باذنه فى ٢٣ من ذى الحجة عام ١٢٨٥ هـ عبد ربه الحسين ابن الحاج احمد بن الحاج بلقاسم الافرانى كان الله له وليا ونصيرا »

وهذا مايدلك على شهرة صاحب الترجمة بين معاصريه ؛ على قرب بروزه بينهم فقد رايت في مخاطبات بعضهم اليه اجلالا واحتراما ؛ ثم مازال صيته يدوى حتى وصل الخبر مسامع يعسوب هذه الجهة فى ذلك العصر ؛ الشريف الحسين بن هاشم الايليغي فاستحضره على بغلة مسرجة اتى بها عبيده ؛ فركبها وهو لابس خنيفا غليظا مما اعتيد لباسه فى الشتاء فى ذلك العهد ؛ وفى مدخل راسه المنديل وراءه كتاب فقهي صاحبه معه هكذا تحكى حياته تعجبا لان المفتاه من العلماء لتحسين الهيأة ؛ فتوى بايليغ فبعد ان رحب

به رب المثوى ساله عن مسالة فقهية تتعلق بملك جرى فيه خلاف بينه وبين رئيس الجراريين ؛ امغار محمد بن علي ؛ وقد كان علماء ايليغ وهـم كثيرون اذ ذاك افتوا بأن الحق لسيدى الحسين ؛ ولكن اراد هذا ان يتثبت خوف أن يكون هؤلاء انما هبوا بالريح التى توافق خاطر صاحبهم فذكر له صاحـب الترجمة ؛ وانه قوال للحق ؛ لايبالي باحد فلذلك استحضره فقال له ماظهـر لك فيمسالة صفتها كذا وكذا ؟ فاستمهله هذا الى الغد ؛ فراجع حتى عرف ماهنالك ؛ وفي اليوم الثاني قال له الرئيس الق مسالتك عـلى هـؤلاء العلماء فانهم قالوا فيها قولهم ؛ ثم انفتل الرئيس عن المجلس ليترك الفراغ لمن اراد أن يبدى ما ظهر له بكل حرية ؛ فالتفت سيدى محمد بن بلقاسم الى العلماء فقال لهم انكم افتيتم في هذه المسالة بخلاف الحق ؛ اين انتم مما قال فلان ونص عليه فلان ؛ وقال فلان انه هو المشهور ؟ ثم ناقشهم فيما ذهبـوا اليه فاطرقوا كلهم بعد ان قطعت جهيزة قول كل خطيب .

حضر الشريف فاعلن له ضيفه الحق فى المسالة ؛ وان الملك انما هـو للجرارى ؛ وليس له ؛ فالقى سيدى الحسين على اذنابه من اولئك العلـمـاء نظرة طويلة من النظرات التى يلقيها الانسان على من يعسف عن طريق الحق تزلفا اليه ؛ فكان ذلك لصاحب الترجمة كمذياع اذاع شهرته ثانيا الى عنـان السماء ؛ ثم صار صاحب ايليغ يرسل اليه في الرمضانات لدرس الحديـث المعهود ؛ الى ان انقضى اجله بسرعة .

هذه الحكاية سمعتها من اناس كثيرين ؛ فكانت لنا كالمجهـر الـذى نستقرب به ماتباعد عنا مما يتعلق به (ثم بعد هذا اتصلت باوراق كثيرة من مساءلاته للعلماء ومن فتاويه ؛ فبعد ان عزمت على سوق بعضها هنا ؛ رايتان احيل القارئ اليها فى كتابنا ـآثار فقهية للمتاخرين بالغ وغيـره ـ فـقـد حشرنا فيها كل آثاره التى لاتعدو الفقهيات ؛ لان الادباء الذين كتب لهم هذا الكتاب ـ لايسامحوننا ان سقنا بين ايديهم مسائل فقهية التى يعدونها ـ فيما يزعمون ـ من المستثقلات)

كان الاستاذ التيبيوتى اتصل بالجشتيميين كما رايت فى تواريخ نسخه لتلك الكتب قبل سنة ١٢٦٨ هـ اوفى تلك السنة بنفسها ؛ واخال انه اخذ عن المافامانى والساموكنى قبل ان يتصل بالمدرسة الجشتيمية ؛ أخذ عنهمـا المبادئ والله اعلم. ثم قبل ١٢٨٠هـ رجع موفورا مودعا من اساتذته الجشتيميين الى داره ؛ وقد وقفت على مقيد لاسرته بينوا فيه مالكل من الاخوة ؛ وهو بينهم بينوا ذلك ليلتحق كل واحد بحظه متى شاء ؛ ثم بقي الشمل منهم بعد ذلـك مجتمعا ؛ وكانت اسرة غنية تحدرت اليها الثروة ممن قبلها ؛ وقد رايت فـى ترجمة عمه الرجل الصالح سيدى احمد بن بلقاسم انه كان ثريا ؛ ولـكـن

الاخبار تحدث عن هذه الاسرة بغنى وافر اكثر مما يظن ؛ حتى انهم ذكروالها عبيدا ومدخرات ومواشي كثيرة ؛ حتى ليقال انقوان ولدت ـ١٠٠ـ شاة فى يوم واحد ؛ ولايخلو هذا من اغراق ؛ ولكن ذلك على كل حال يدل على ثروة خطيرة بحسب مقياس هذه البلاد الفقيرة التى يعد فيها من يملك اذ ذاك مائة ريال كرتشارد الاسرائيلي المشهور فى بلاد اوربا ؛ على ان ماناله الاستاذ من المكانة والشهرة بسرعة مما يشهد لذلك ؛ لان الناس عبيد المال فى كل عصر ؛ وكلمة من ملكه هي العليا دائما ؛ وقد اسس الفقيه من بين اسرته دارا خاصة به ؛ واثل املاكا جديدة من وراء ما يتوصل به فى قضائه ؛ فعزم على التزوج وقد اعد كل شيء اذا بمرض غير طويل الم به ؛ فلم يفارقه حتى اراحه القبر ؛

وبعضنا قائـل ما اغتاله احد وبعضنا ساكت لم يوت من حصر

ووفاته فى نحو ١٢٨٩ هـ كما ذكره العم ابراهيم ؛ وكما تبين ايضا من حديث ابن اخيه المسن المتقدم ؛ وهو على كل حال لم يدرك جمادى الثانية من سنة ١٢٩٠ لانني رايت بطاقة فيها تحرير امة من اخوانه احـمد وعبد اللـه ومحمد ـفتحاـ بخط الاستاذ افكان ـ وقد نشرناها فى ترجمته ـ فلم يذكر بينهم ؛ وقد اطلعت له على مورخ بسنة ١٢٨٦ هـ وقد تاخر عنه الفقيه الحاج على ابن عمه بسنوات ؛ كما اخبرني به المسن المذكور ؛ فلذلك نرجح ان وفاته فى نحو تلك السنة ولو كان يورخ دائما مايكتبه لربما استدللنا لذلك بالتقريب مما رايناه له ؛ولكن عمت البلوى منه ومن غيره من فقهاء هذه البلاد بعدم الاعتناء بالتاريخ الا فى الرسوم ولو كان ايضا يمكن لنا ان نتتبع الرسوم المحررة بيده لربما امكنت مقاربة معرفة وقت وفاته ؛ ولكن اين من يعتني بذلك ؟ فياضيعة الاعتناء ومدفنه فى قرية تيبيوت فى المقبرة هناك ؛ وعليه بيت ؛ واما وقت ولادته فقد قرناها بنحو ١٢٥٠ هـ احتياطا والا فالغالب ان ولادته قبل بقليل ؛ وقد رايته حين اتصل بالجشتيمية سنة ١٢٦٨هـ او قبلها كان حصل على بعض المبادئ حتى امكن له ان يعتني وينسخ ويكتب مايكتب فى آخـر منسوخه ؛ والغالب انه اذ ذاك كان ابن نحو ـ١٩ـ سنة او اكثر ؛ وقلما يكون أقل فى نظر من اعتبر ما يتقلب به ابناء هذه البلاد قبل ان يشدوا ويدركـوا هذا المدرك .

هذا ما امكن لنا ان نقوله عن الفقيه الاول بالغ سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتي الذى ابتهجت به الغ حينا قصيرا ؛ ثم رزئته سريعا ولم يخلف لـهـا الا تلك الآثار الفقهية لاغير ارحمه الله ؛ وجعله فى اعلى عليين

الحاج على التيبيوتى

نحو ١٢٤٥ هـ - ٢٥-٤-١٢٩٨

نسبـــــه :

على بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا فقيه آخر من قرية تيبيوت ؛ وان كان لم يحظ بما حظى به ابن عمه سيدى محمد بن بلقاسم ؛ لتفوق ذلك عليه فى المعلومات ولمفارقتـه المـدرسة ؛ ولتصدره فى ميدان الشهرة ؛ ولاشك فى ان آل بلقاسم ارادوا أن يزاحم اولادهم آل سليمان الذين كانوا اذ ذاك علماء الغ ؛ فمالوا باولادهم هؤلاء الى المـدارس فحظى سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وكبا الحاج على ابن عمه دون المدى

التحق بعد حفظه للقرآن بالمدرسة المولودية ؛ عند الاستاذ الحاج ياسين فبقى هناك ماشاء الله ؛ حتى حج مع استاذه ؛ ثم لم يزل رابضا بتلك المدرسة يتمصص من بعض معلومات الى ان زار اهله سنة ١٢٩٨هـ فمرض فلحق بربـه فى وقت الصبح يوم الجمعة من غير ان ينزع بقوسه نزعا نعرف به متانة عضلاته ولا اخاله الا انه كان خديم استاذه الحاج ياسين ؛ لانه من المقربين اليه .

حكى لى ذلك المسن التيبيوتى السالف فى الترجمة المتقدمة ؛ ان صاحب الترجمة كان كث اللحية ؛ وقد ابيض نصف شعرات لحيته شيبا حين توفى ؛ قال وهو اكبر من ابن عمه المتقدم؛ وقد حكى كيف احتضر؛ وان الغرغرة وسكرة الموت اشتدتا عليه حتى اشمته بعض نسائه طيبا فهدأ حتى خرجت روحه ؛ وكان تراثه من بين اخوته من متخلف والدهم مصونا فى بيت ؛ قال وبه استعان ورثته فى المسغبة التى دهمت الناس ١٢٩٩هـ بعد موته قال وكان متقشفا لايبالى بنفسه وكتبه لم تزل بالمدرسة المولودية حتى توفى ؛ فجاء استاذه الحاج ياسين تيبيوت فعزى اهله .

وقد ذكره لى العم ابراهيم وقال انه ضعيف المعلومات ؛ كانه بليد ؛ ولكنه اجتهد غير ان القدر حرمه من مناه ؛ فبهذه الشهادة من عمنا الذى يعتمد قوله فى مثل هذا المقام ؛ ندرك ان اضاءة صاحب الترجمة اصغر من عين بقة ؛ وان ساحة مجال فهومه كصفحة وجنة الذبابة ؛ ولولا اننا شرطنا ان نذكر كل من له مسكة من العلم او الصلاح من اهالينا كيفما كان ؛ لكان الاولى ان لايذكر من لم يفد لافى حياته ولا فى مماته شيئا فقد حيى بلا آثار ؛ وتوفى بلا آثار ؛ فقد حيى فى تلك

المدرسة حياة كثيرين من بلداء الطلبة ؛ حتى شاب ثم ذهب كان لم يكن حيا ؛ ومن لم يحى فى التاريخ باثاره ؛ فلاحياة له

ولبعض الالغيين :

الفجر بالنور وزهر الربـا ... بنفـحاتـه الـذكـيـات
لولا فرند ذى الفقار ومـا ... يـوثـر عنه فـى المجالات
لمـا رايـت اليوم مـن ذاكر ... له فقط فى المشرفيات

الحاج عبد الله بن صالح الالغي

١٢٤٥ هـ - ٣٦ - ١٢ - ١٣٢٢ هـ

نسبـــــه :

عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد .

كثيرا ماتجد بين الاسر اسرة واطئة تقتحمها الانظار ؛ وليس حولها ما يلفت اليها العيون . حتى لكانها لاتزال بعد في مكنون العدم ؛ ولكنها لاتلبث ان تتمخض عن بعض افراد ينبتون بينها مثل ما تنبت نبتة تنشق عنها النواة فتراها بين صغار النبات ؛ ؛ ومفرش النجم ؛ كان ورقتها الضئيلة من فصيلة اوراق تلك النباتات التى حولها ؛ ثم لايمضي الا حقبة حتى تراها تعلـو مـا حولها شيئا فشيئا والايام تمضي ؛ والليالى تمر كما تمر جنبات الدولاب ؛ ثم لايشعر بها حتى تعلو متناول اليد ؛ وهى تسرع الى كبد السماء ؛ ثم لاتنشب ان تراها سحيقة فارعة كأنها عماد من عمد السماء ؛ لو كانـت السمـاء مما يحتاج تدعيمها الى عمد ؛ ثم تتفرع عنها عراجين وعثاكيل ؛ ثم تدر على اهلها اكلها كل حين باذن ربها .

مثل تلك النخلة مثل هذه الاسرة الصالحية ؛ فقد عهدناها منذ عهدجدها عبد الله بن احمد ؛ممعنة في الانزواء والمسكنة ؛ ولايزيدها صلاح اهلها وميلهم الى الخير ؛ وانحياشهم الى زاوية لايزاحمهم فـيها احـد من المثرين من ابنـاء أعمامهم الذين يتهالكون على كسب الدينار والدرهم ؛ الا ربوضا عـلى الارض واطراقا عادة الرجال الذين قيل فيهم :

ان لله عبادا فطنـــــا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيهـا فلما علمـوا انها ليست لحي وطنـا
تخذوها لـجـة واتخذوا صالح الاعمال فيهـا سفنا

جاء صاحب الترجمة اميا وحيد والده ؛ فجعل الله فيه البركة التى قال والده فيها انها هى المعتبرة لا الكثرة ؛ فتزوج رقية بنت الحسين الاغوديدية فنشر الله منهما خيراكثيرا ؛ واخرج من صلبهما من يرفرف بهم على الغ لــواء خفاق يشاهده الاقارب والاباعد الى الان .

ورث الحاج عبد الله من والده ذا المدالصلاح المتقدم عنه؛ والبركة الموضوعة في بنائه ؛ فماست يده مريضا ولابهيمة ولادواء الا جاء الشفاء سريعا ؛ حتـى ان ذلك ليلفت الابصار ؛ فقد ساله والدى مرة من اين يستقى تلك الادويـة التى يصفها للناس ؛ فقال له انما ذلك شيء ينقدح في ذهني عند سؤال سائل ويصحح ماقاله انه ربما وصف في وقتين مختلفين شيئين متضادين ؛ لـداء واحد للسائلين ؛ فيشفي كلاهما بما وصفه له ورث ذلك التطبب عن والده سيدى صالح ؛ ولكنه لم يرث عنه ذلك الانزواء الذى ازجى به حياته ؛ بـل تملص هومن الخمول الذى صاحب آباءه منذ الجد الاعلى سيدى عبد الله بن احمد ؛ فجاء بهمة عالية فى كل النواحي ففلح وكسب واثل وتاجر ؛ فلـم تتوسط العشرة الثامنة -٧٥- من القرن الماضي حتى كانت لـه ماشية كثيرة في ايسافن مرتبع اهالينا الالغيين ؛ فقد كان نوى من ولده البكر سيدىمحمد الذى ولد سنة ١٢٦٥ هـ ان يقوم له بماشيته ؛ ولكن هذا يهرب من ذلك الى المسجد ؛ فمازال اهله يردونه الى الرعي حتى هرب ست مرات ؛ فحينئذ فهم والده عن الله ؛ فاعتنى بتعليم ولده القرآن فشارط له في داره استاذا خاصا كما سترى ذلك في ترجمة ولده ؛ ثم لما اطل سيدى محمد بن بلقاسم على الغ بروعة العلم التى اظلته انحاش اليه صاحب الترجمة ؛ فصارا يتصاحبان كما رايته فى ترجمة المذكور ؛ ولاشك ان ذلك هو الحامل له على انفاد الجهد فـى تثقيف ولده ؛ ومن هنالك جاءته هذه الفكرة التى طلعت على الغ بحظوة لـم تطلع بمثلها اية فكرة اخرى .

وكان ايضا يصاحب امغار محمد المجاطي ؛ لما لهذا فيه مـن حسن نيـة ؛ واخبرت انه صاحبه مرارا الى افران ؛ كما اخبرت ايضاان لهبآل(اساكاوبلاغ) اتصالا ؛ وان الشيخ احمد ابلاغ الاساكي ؛ قال لمولاى الحسن حين زارسوس ١٣٠٣هـ وقد كان هناك احد اولاد صاحب الترجمة : ان والد هذا سيدى الحاج عبد الله شيخنا .

هكذا خرج من انزواء اهله ؛ فصار يعمل لكل جانب حركة ؛ ولـكـل حركة بركة ؛ فاتصل بالناس وتعرف باهل عصره ؛ واشاد بذلك من جديـد ذكر آل عبد الله بن سعيد ؛ مع امعان فيما يعود عليه بفائدة دينية اودنيوية وقد اخبرت انه قارض مرة بعد ١٢٩٥ هـ الفقيه سيدى مـحـمـد بن احمد التيمولاى فى دراهم اشترى بها زرعا كثيرا نحو مائة غرارة في تيمولاى فقيل له ان الزرع رخيص جدا لاربح فيه ؛ فقال يكفينا فلس واحد للصاع ان ربحناه وقد ولد له ايضا بعد ابنه محمد المتقدم اولاد آخرون رباهم كما شاء ؛ فمنهم من رباه للدين والعلم والارشاد ؛ ومنهم من رباه للجانب الاخر الذى لابد منه والطائر لايطير بغير الجناحين ؛ فقد ولد له ولده الحازم اللازم للصف سيدى

احمد سنة ١٢٧٥ هـ والاستاذ علي سنة ١٢٧٦هـ وابراهيم ١٢٨٢هـ وكلهم اعقبوا خيرا كثيرا ؛ اطال الله عمر ابيهم حتى شاهد ابناء ابنائه بكثرة .

ثم ايده الله فادى فريضة الحج سنة ١٢٩٣ هـ في رفقة الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي ولذلك افضل الله عليه .

غرس من اولاده ما غرس ؛ واعتنى بتعليمهم اعتناء كثيرا ؛ فبعد ان كانوا يتعلمون في المسجد القرآن راى ان يخصص لهم استاذا على حدة ؛ فعل ذلك بولده الاستاذ الكبير ؛ وكان احب اولاده اليه ؛ ثم الحقه بالمدرسة التانكرتية ؛ فرجع منها سنة ١٢٩١ هـ فقرت عين الوالد بما توجهت اليه همة ولده ؛ فكان له خيرمعين ؛ ثم تأسست المدرسة ؛ وقد طبقت شهرة ولده الآفاق ثم توج شرفه بالمثول بين يدى مولاى الحسن سلطان عصره فاقبلت اليه الرفاق من كل جهة ؛ ولكن الزمن الذى اقر عين الوالد بما حظى به الولد ؛ لم يلبث ان ارمض كبده باعتياطه شابا كما سترى ذلك ؛ فاحتسب عبد الله مصيبته به ؛ ثم جاء على ولده الاخر بمارد الحياة الى الوالد وعرف به ان في الباقي خلفا . فطال عمره عقدين آخرين ؛ وولده هذا في شفوفه على الاقران شفوفا كبيرا ؛ وامتعه الله بطول العمر حتى راى من جميع اولاده تفوقا في العلم والدنيا والدين ؛ وكان لعلو همته لايحب الا معالي الامور ؛ حتى في البناء فلايحب الا العالي المتين ؛ وكثيرا مايقول اذا راى من بناء الفقراء في زاوية الوالد ؛ انما هذا جمع احجار لمن سيبني بعد ؛ وليس ببناء وماصدقه في ذلك رحمه الله ؛ ولكن الشيخ الوالد يقول اننا سنمضي فيه اعمارنا والامر اسرع من ذلك ؛ ولمن جاء بعدنا ان يفعل به ماشاء على كيفية تروقه ؛ وقد رزىءايضا صاحب الترجمة بموت حفيده احمد بن محمد انجب مايكون فكان رزؤه به كرزئه بوالده قبله .

اما اخلاقه فانها هينة لينة لايبالغ في العتاب ولا يستقصي في التانيب ؛ وقد ذكر الاستاذ على ولده ان والده ماكان يتكلم معه في اى شئ حتى يبلغ فيه الحزم الطبيبين ؛ ثم لايتجاوز كلمة او كلمتين ؛ ولكن ولده يفهم منها ما يريده والده ؛ ومبلغ تاثره في ذلك الامر .

واما دينه وملازمته للصف الاول في المسجد فاشهر من نار على علم ؛ لايحول بينه وبين ذلك اى حائل ؛ ومواظبته على ذلك في ايام اقلال اسرته اولا كمواظبته عليه اذ اسرته تدرك الف غرارة فاكثر من محصول الفلاحة ؛ والحظائر تعج بالمواشي والمدخرات تكتظ بها المخازن ؛ لايطبيه عن ذلك اى شئ من هذا كله ؛ ولسان حاله ينشد قول بعض الالغيين .

ومن عرف الدنيا كمعرفتي بها   فليس بمغتر بقل ولا كثر
ومن عرف الرب الذى خلق الغنى   نظيرى فاني يطبى عنه بالوفر[1]

[1] اطباه بتشديد الطاء : استماله

واما نظراته في مختلف الامور فهي صائبة ؛ ويؤثر عنه كشف كثير ؛ وآراء سديدة ؛ وحكم مأثورة ؛ حكى لي استاذى سيدى عبد الله بن محمد انه التقى يوما من صدره مقدار بيضة من دم متجمد ؛ قال فحصل لي دهش كثير ؛ فذهبت بها اليه ؛ فقال لاباس عليك ان هذا من اثر الشفاء ؛ فكان الامر كذلك

وقد توفيت رقية ام اولاده المتقدمة سنة ١٣١٤ هـ كما اخبرني به العم ثم الخرن ايضا بعائشة اليعقوبية ؛ ورقية تلك توصف بالخير بين نسائنا ؛ وكفاها شرفا انها تكشفت عن هذين العلامتين اللذين هما ماهما

وفي اواسط سنة ١٣٢٢ هـ كانمرض يعترى صاحب الترجمة ولكنه يبل منه فشاع مرة انه توفي مع انه ابل من ذلك المرض ؛ فوفد بعض الوفقاويين للتعزية قال حفيده استاذنا عبد الله فوجدنا امام الدار ؛ فقلنا انه الان ميل من ذلك المرض ولاباس عنده ؛ فاستحيا الوفقاوى فرجع ؛ فاخبر الجد بذلك فقال اوتقول الناس ذلك ؟ انى اذن لميت قريبا ؛ قال ثم لم تمض ايام حتى سقط ؛ فالتحق بربه في ليلة جمعة ؛ فغسله ولده الاستاذ علي بن عبد الله والشيخ الوالد ؛ ثم صلى عليه هذا ؛ فوورى في القبة ازاء ولده الاستاذ محمد ابن عبدالله ؛ وفي بقية من كفنه كفن الفقيه الصالح سيدى عبد الله بن محمد ابن القاضي الايديكلي الذى توفي بعد هذا بشهور

وقد رثاه شاعر العصر في القطر السوسي ؛ الاستاذ الطاهر بن محمد بقوله ؛ يعزى ولده الاستاذ علي بن عبد الله :

على مثل هذا الحادث الفادح الوقع   تذال نفوس لامصون من الدمع
ايعد مصاب المسلمين بفقد من   يقوم مقام العين للمجد والسمع
وبعد مصاب الدين بالواحد الذى   ينوب اذا عد الكرام عن الجمع
وبعد ابى الاشياخ الفضل والد   يساء بضر او يسر بما نفع
لقد زلزلت ارض السيادة بعده   ودكت جبال المجد من نفخة الروع
وغيب منه اللحد بدرا تكشفت   عن الدين والدنيا به ظلمة النقع
وفل منه الموت لادر دره   شبا صارم ان سل فل شبا النبع
واوحش ربع الدين منه وطالما   نأى جنبه جنح الظلام عن المضجع
فأى امرئ يفرى العويص فريه   ويكشف وجه الراى في الجلب والدفع
لقد كان للمجد المؤثل ساعدا   فمات فكف المجد مني بالقطع
هو الله ما قام النعي بموته   فاخرس الا والكمال هو المنعي
فصبرا امام الدين فالصبر صارم   يسل فيرمي مارن الرزء بالجدع
فهاك لتشييد الكمال كفاية   اذامالمنه الركن تجذب بالضبع
فلا تخضع الصم الصلاب لزعزع   يهب وانت في العلا علم الرفع
فلا رزء الا دون رزئك فليكن   تلقيك امر الله بالسمع والطوع
فدونكها مولاى من فكرة ذوت   نضارتها اذ خانها مسعد الطبع
تسر وفاء لولمد بمنجد   من القول لاستقصت منى الواجب المرعى

الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغي

١٢٦٥ هـ – ٢٢ – ٤ – ١٣٠٣ هـ

نسبـــــه

محمد بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمـد ابن عبد الله بن سعيد .

الغ عبارة عن هذا البسيط الافيح المتسع الذى زويت عنه زهـرة الحياة الدنيا ؛ ولم يحظ بالرياض الاريضة والجنان الخضراء ؛ والحـدائـق الغناء والمزارع المخصبة والالفاف الغلب ومتنوع الاشجار ؛ والجداول المطردة والانهار الفياضة والمراتع التى تفيض حينا بالعشب النضر ؛ وحينا بالغثاء الاحوى ؛ كل ذلك منعته منه يد الطبيعة ؛ وحرمت اهله من الاستمتاع به؛ فما هناك الا اعاصير شمالية او قبولية او دبورية ؛ تصرصر فى هذا البسيط الاجرد فتثير زوابع لنوافع متتابعة ؛ وهى قائمة ممتدة من الغبراء الى القبة الزرقاء ؛ كانها صفوف لخيل متدافع ؛ وصرير الجواء يصك الاذان ؛ وتلاطم مختلف الرياح كانه صفير الجنة فى اوديتها .

فاية حياة ياترى تستطاب فى بلد هذه بعض صفاته ؟ او اى عمر يظن مـن امضوا اعمارهم فى وسط تلك المهامه القفار ؛ انهم امضوه تحـت قبة السماء – كما يمضي الناس اعمارهم فى هذه الحياة الاولى تحت قبة السماء – ولكن رب العباد الشفيق الرفيق الذى شملت رحمته كل شىء ؛ لايزوى عن بلدة متعة من هذه المتع ؛ الا عوضها متعة اخرى من ناحية اخرى ؛ فباى متعة ياترى عـوضت الغ بعد ماحرمت مما ذكرناه

متعة الغ التى فاز بها فى هذه الحياة الاولى ؛ هى متعة الدين والعلم والادب وكان الذين نبعت هذه النعمة العظيمة من ايديهم رجالا نبغوا اخيرا فى الغ؛ فى مقدمتهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله صاحب الترجمة

فهو اول من وضع الحجر الاساسى فى العلم والادب الالغيين ؛ واول من علم لبنيه حق التعليم كيف السيادة بالمعارف ؛ وكيف تستخرج دفائن الافكار بعلم الادب ؛ ثم باشارته وبمعونته اسس الشيخ الوالد زاويته بالغ بعدما عزم ان يسكن فى موضع آخر ؛ هو اليق بالحياة وامكن ان يتيسر له فيه ماجعلـه نصب عينيه كما سترى ذلك فى ترجمته ؛ فنالت الغ ببركة الاستاذ ابـن عبد الله مكانة وعظمة املت على لسان شاعر سوس ؛ وربيب الغ شيخنا الافرانى ان يقول من قصيدة فى الاستاذ على صنو صاحب الترجمة الذى كان ثانى اثنين

تاهت بواحدها السبع فقلت لها ... ايه فقد سلمت مصر وزوراء
ارض اراها نعيم والنسيم شذا ... والماء راح وكالياقوت حصباء

الاستاذ محمد بن عبد الله هو اول من ذاق العلم من اهالينا ذوق مـن ادرك منه انه اساس السيادة الدينية والدنيوية ؛ ومغناطيس جميع المقامات العليا التى تشرئب اليها نفوس الاحياء الاباة ؛ فاقبل عليه وعلى تعليمه اقبالا غريبا حتى لايحول بينه وبين تعليمه منصب القضاء الذى انتصب فيه بين هذه القبائل ؛ فلم يكن كالاستاذ التيبيوتى المتقدم الذى استراح فـى الدرجة الاولى واكتفى من وراء علمه بمنصب القضاء

الاستاذ محمد بن عبد الله هو المنبع الاول لجميع العلوم التى اشتهرت بها الغ ؛ ووسمت بها من اواخر القرن الماضى بين البلدان السوسية ؛ حتـى صارت مثلا مضروبا فى الاندية العلمية ؛ فكل من زاول العلم بعده من الالغيين وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم ؛ وهم عشرات انما هم كلهم حسنة من حسنات هذا الاستاذ

الاستاذ محمد بن عبد الله هو الذى وضع بفكرته البذرة الاولى لـعـلم الادب بين ما يلقيه من المقطعات والقصائد لتلاميذه ؛ ثم مازال نبغاء اصحابه ونبغاء تلاميذهم ينتهجون منهجه ؛ حتى صاغوا لالغ خاصة ؛ ولسوس عامة وللجنوب المغربى اجمع تاجا من الادب مرصعا ؛ يتلالأ فوق هامات هذا العلم العال الذى لاينال اليه الا المصطفون الاخيار ؛ فلئن كان شعر الاستاذ ليس مما بلغ به المدى ؛ فان من بعده ممن سار فى طريقه ؛ حازوا به خصل السبق وتلك سنة النمو والتدرج والترقى ؛ ولايمكن فى العادة ان تنخرم سنة الله فى كل شىء ؛ ولن تجد لسنة الله تبديلا .

فليعلم العالم اجمع هذا الاستاذ ؛ ولتخلده آثاره فى الخالدين ؛ ولـيـبق ذكره معسولا فى افواه ذاكريه فى ندوات التاريخ التى لاتزداد بتقادم الازمنة الا جدة وطلاوة .

فليحى الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ وليحى ذكره امد الدهر ؛ وليحـى كل من بذل جهده فى اعلاء شان العلم والادب ؛ وليحـى هـذا الادب الاندلسى النضير الذى ما ازهر فى الغ بل فى الجنوب المغربى الا بسببه

مبتـــــدأ أ لا

كان بكر والديه وكانا يطعمان منه مايطعمه كل والدين من مرابطينا

اصحاب المواشي من ابنهما البكر ان يكون ساعدا لهما ؛ ومعيناعلى مشاق الحياة وكانا يميلان به في الصغر الى رعاية الغنم ؛ ولكنه كان يهرب الى المسجد ؛وقع منه ذلك ست مرات ؛ فانعكست به القضية المعتادة ؛ لاننا لانشاهد الا من يهرب من المسجد لامن يهرب اليه فكان ذلك كارهاص لما سيؤول اليه امره

كان مسجد الزاوية كانه موقوف على طلبة دويملالن التمليين احفاد الشيخ سيدى يحيا بن عبد الله شيخ جدنا عبد الله بن سعيد ؛ فكان اولاده محترمين عند اهالينا يتيمنون بهم فتداولوا هذاالمسجد ؛ وكان في تعليمهم نقص فاستحيا منهم اهل قرية الزاوية ان يستبدلوهم بغيرهم فمن عنداحدهم افتتح صاحب الترجمة ؛ ثم لما راى والده ان القراءة بالمسجد عرجاء ؛ شارط له في داره الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم افكان ـوقد افردنا له ترجمة ـ فبه تخرج فى القرآن وذلك نحو ١٢٨٠ هـ

في مدرسة تانكرت

كان من اول ما لاحظت عيون السعادة صاحب الترجمة ان وفق والده فالحقه بهذه المدرسة ؛ حيث كان الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي الافراني والد استاذنا سيدى الطاهر ؛ فهناك رابط كل سنوات اخذه ؛ ولم يتجاوز ذلك الاستاذ في كل ما اخذه ؛ حتى افعوعم اناؤه ؛ وعتقت رحيقه فرجع يختال في رضا استاذه ؛ وقد حمل بين يديه مهمة عظيمة ؛ جعلها كل مناه في الحياة ؛ فعزم على ان يمضى فيها عمره كله ؛ وماتلك المهمة التي جعلها نصب عينيه الابث العلم ونشره ؛ فلا حياة الابعلم ؛ ولاعلم الا بهمة ؛ ولا همة الا ممن نفخت فيه روح تستمد من الملا الاعلى ؛ وكانت سنة ايابه من تانكرت ١٢٩١ هـ

في مسجد قريته

قف بنا الان قليلا لنلقى نظرةعجلى على هذا الطالب النحيف الذى لايحرك جسده الضئيل الا بعض دماء تجرى في شرايينه ؛ والا همة عالية تتناول الثريا من القعود ؛ فعهدنا به وقد هاجر منذ عشر سنين ؛ من قرية ساذجة منتهى سمو اهلها فى التعلم ان يحفظوا القرآن ؛ ومنتهى سمو جيرانها الذين تعلموا بعض علوم ؛ ان ينصبوها حبائل لفصل الدعاوى وفض الخصومات لينتثر عليهم من ورائها بضعة دراهم ؛ فهذا الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتي هاجر ماهاجر وكد وتعب حتى حصل؛ ثم رجع فوجد اهله يتنعمون بمال وافر ؛ وثروة كثيرة ؛ وانعام يضيع فيها العد ؛ ثم ماجال في ذهنه ولا مثل بين عينيه الا ان يجعل عمره كله فى فض النوازل ومزاولة الخصوم ؛ ليزيد تلك

الثروة ضخامة الى ضخامة ؛ ولم يدر في خلده ان يبث ماحصله في صدور النشء ولا خال في صدره ان مثله من يؤسسون المدارس وان نظيره يبنى له بمثل هذه الاعمال مستقبلا كفيلا بدوام المجد وخلود الذكر ؛ ووفر الاجر عند الله فكان منتهى عمله ومجراه ان يظل يدور من ابت وفقا الى امتضى الى مجاط الى ايليغ ؛ ليحتقب مستجدا يزيده الى ماعنده فكان جزاؤه بعد ان امضى في ذلك نحو عشر سنين انه لما مات مات ذكره ؛ وكادت آثاره تنمحى من الوجود لو لم نصل بعضها ؛ فاستخرجنا منها بعض ما يتعلق به ؛ واما صاحبنا هذا الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ فقد رجع بهذه الهمة العليا ؛ وبهذه النظرة التي لاترى الا السماوات العليا ؛ فجعل امام عينيه ماجعل مع ان دار والده انفس دار الى الاستاذ التيبيوتي فقراء لولا بعض ما استجده فيها والده الحاج عبد الله بسعيه الحثيث الجديد ؛ ثم ليس هناك شيء آخر يعتمد عليه في اداء مهمته هذه ؛ ولكن همم الرجال اذا توجهت الى شيء كونت الاسس اولا ؛ ثم رفعت عليها بناء مشمخرا يناطح اجواز السماء ثم لم يطل العمر بالاستاذ محمد بن عبد الله منذ توجه الى مهمته هذه الا بمقدار ماطال بالاستاذ التيبيوتي منذ اداء الدرسة ؛ والشمس في القضاء ؛ ولكن ان وازنا بين العملين ؛ ندرك ما بين الرجلين ؛ فهؤلاء تلاميذ الاستاذ محمدبن عبد الله قد ملاوا هذه الارجاء بها ؛ فاين من ابهاهم الاستاذ التيبيوتي من عمله ؟ واين مايذكر به اليوم بعد ان صار في الرموسين ؟

هذا الاستاذ محمد بن عبد الله قد رجع بهذه الهمة ؛ وها هوذا قدانتصب في مسجد قرية الزاوية بالغ ؛ وهاهوذا يحول المسجد الى مدرسة فيزيد بعض البناء ليتسع بها المكان ؛ وهولاء الطلبة يجتمعون عليه ؛ وهاهوذا يموِّلهم من عنده وهاهى ذى دروس علمية منتظمة تتوالى فى المجلس الجديد الذى اسسه هناك وهاهى ذى سنوات ٩١ـ٩٢ـ٩٣ـ قد مضت وهو لايزداد الا نشاطا ؛ والطلبة المنقطعون اليه قد بدات هالات النجابة والتفوق تستدير بهم ؛ فماهذه الاعمال ؟ وما هذه العزائم ؟ افليس الرجل غريبا بهمته النادرة ان قيس باهله وامثالهم ؟

في المدرسة البومروانية

اذا اراد الله بانسان خيرا هياه من حيث لايحتسب اعانات ؛ واركانا يبنى عليها بنيانه ؛ حتى لاتزعزعه العواصف ؛ ولاتنسفه القواصف فهذا بعينه ماجرى لاستاذنا صاحب الترجمة ؛ فان سنة ١٢٩٤ هـ كانت على ابواب المسغبة العظيمة التي الت بسوس ١٢٩٥ هـ فاجتاحته فاهلكت النفوس ؛ واتلفت الاموال ؛ واتت على اسر كثيرة وعلى قرى عامرة فاجتثت اصولها ؛ ولا يدرى الا الله كيف تكون حالة الاستاذ لو بقى فى ذلك المسجد في تلك المسغبة

وقد تطوق بمؤونة طلبته الفقراء الغرباء ؛ ولكن رعاية الله فوق كل رعاية؛ فقد حدته العناية الربانية التي لايعدمها العاملون المخلصون الى المدرسة البومروانية فشارط فيها ؛ والمدارس لاتخلو من زرع مدخر ؛ ينفع في امثال هذه المساغب وقد كان الاستاذ يفضل شيئا مما يتوصل به من شرط مسجد الزاوية فتجمد له في السنوات الثلاث ما اضافه الى ما يتوصل به من شرط المدرسة البومروانية من سنة ـ٩٤ـ٩٥ـ فكان زرعا كثيرا فصار يشتري الاملاك في تلك المسغبة والاملاك من ارخص مايكون ؛ والمدخرون للحبوب قليلون ؛ والجهد يحمل الناس على بيع نفائس ما يملكون برخص ؛ فحاز بذلك املاكا كثيرة في قريته وما اليها ؛ ففي سنة ١٢٩٦ هـ وهو لايزال مشارطا في المدرسة تلك ؛ عزم على تنفيذ فكرة جعلها نصب عينيه فبادر الى تاسيس مدرسته الخاصة وقد شجعه ما بيده ؛ وما صار اليه ببركة شرطه الذي باعه ؛ ومن الاملاك المغلة فرأى ان يستشير من هم اكبر منه ؛ فان المشورة لاتاتي الا بخير؛ فاعمل رحلة الى شيخ العصر وبركة تلك الجهة سيدي الحسن بن احمد بن محمد التمكدشتي فاستشاره فاذن له بعد ما اشار عليه ايضا العالم المدرس مسعود بن محمد البونعماني بتاسيس مدرسة كما حدثني بذلك تلميذه الفقيه سيدي عبدالرحمن الموفي عن ابي الحسن صنو المترجم وخليفته في مدرسته الالغية صانها الله وكان سيدي الحسن يشك في مقدرة الاستاذ لما رآه من ضؤولة جسده ؛ ونحافة قوامه فظن انه رجل اقوال لارجل افعال ؛ ولم يدر ما قال الشاعر :

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي اثوابه اسد هصور

وكان سيدي الحسن اسر الى بعض جلسائه مايدل على ذلك في صورة مباسطة يسائله هل يقدر هذا على تنفيذ مايقول ؟ فتكفل الزمان بجواب سيدي الحسن حين توسطت سنة ١٢٩٧ هـ فشاهد المدرسة تشيد ؛ وما كان مظنونا صار محققا

المدرسة الالغية تؤسس

كان الاستاذ لايزال بالمدرسة البومروانية ؛ وهو يوالي الدروس لتلاميذه بهمته المعروفة ؛ فما كان يحب ان يبطل درسا في وقته مااستطاع الى ذلك سبيلا ؛ فحين كان لابد له من القيام على بناء مدرسته بنفسه؛ استدعى الشيخ الوالد ؛ وكان اذ ذاك مشارطا في المدرسة الفوكرضية ليقوم مقامه في موالاة الدروس لتلاميذه فاسعفه الوالد ؛ فودع فوكرض ؛ فجاء مع من معه من التلاميذ فحل محل صاحب الترجمة في بومروان سبعة اشهر حتى تمت الدورة السنوية التي شارط عليها الاستاذ اصحاب المدرسة ؛ وقد تممت المدرسة الالغية ؛ وفصلت بيوتها الكثيرة ؛ ولكنها بعد ذلك ضاقت بالطلبة ؛ فصار من له منهم طاقة يبني من جديد لنفسه .

المعهود في كل المدارس السوسية المنبثة بين القبائل انها تؤسس على ايدي اهل القبيلة الذين يجمعون من عندهم اجرة اساتذتها ؛ ومن اعشارهم الطلبة الغرباء ؛ المنقطعين فيها ؛ ولم يعهد بسوس فيما نعلم من قام بنفسه بتاسيس مدرسة وحده كما يفعله اساتذة السباعيين ومن اليهم حيث تتوفر لهم الاموال ؛ ويوجد معينون مقتدرون ؛ الا ما كان من صاحبنا الاستاذ "محمد ابن عبد الله العصامي الذي اتكل على ربه اولا؛ ثم على جهوده ثانيا؛ فالماشاد مدرسته الالغية وحده ؛ جمع عليها العملة ؛ فقام بهم من داره مؤونة واجرة ولم نعلم ان احدا اعانه سوى الحاج ابراهيم الايفشاني ؛ فقد سمعنا انه امده ببعض اعانات ثم عزم الاستاذ على ان يقوم باود من ينقطع اليها ـ يبلغوا مابلغوا ـ وحده مما تدره عليه املاكه المستجدة كما ذكرنا ؛ ثم طابت نفوس بعض جيران الغ باعانات من اعشارهم ؛ التاكانزيون والتاجلرموتيون والايموريون اخوال الاستاذ . واما آل (اسيف مقورن) فقد انعموا بان يمونوها بالحطب دائما ؛ واما مرابطونا الذين يجب عليهم ان يكونوا خير معين لابن اخيهم الذي قاد اليهم المجد المؤثل بارسانه ؛ فجعله في متناول ابنائهم ؛ وشرع لهم بفتح هذا الباب بابا خالدا لايوصد أمام قاصديه ؛ ثم لما لم يوجهوا اليه ابناءهم لعلهم يدركون من الشفوف مالم يخطر على بال اولئك الذين يجب ان يتبادروا كلهم اجمعون اكتعون ابتعون ابصعون قد انقسموا فرقتين ؛ فاما من شرح الله صدورهم للتقوى ؛ ونور الله بصائرهم بانوار حب الخير ؛ ومسحت صدورهم من الاحن والاضغان والحسد ؛ فقد انضموا الى جانب الاستاذ ؛ وأبلغوه ان اعشارهم سيكون منها للمدرسة نصيب ؛ فهم أولى بذلك من التاكانزيين ومن معهم باعانة هذه المدرسة ؛ ثم صاروا ياتون بذلك في بعض السنوات بصفة غير منتظمة ؛ واما الفريق الآخر فقد اصبحوا ممن يتخبطهم الشيطان من المس تتاكل قلوبهم مما يحسدونه على اخيهم فيما آتاه الله من فضله ؛ فاوحى اليهم حسدهم ما اوحى فاقبلوا يؤسسون بزعمهم مدرسة اخرى بايمور ؛ ازاء مشهد الجد سيدي عبد الله بن سعيد ؛ فصاروا يدفعون اليها بقبضة من اعشارهم؛ فكانت مدرستهم كمسجد الضرار ـ كما سماها بذلك والدنا الشيخ رحمه الله ـ ولكن مضت ايام فايام ومدرسة الاستاذ في ترق واشتهار ؛ ومدرستهم كانما بنيت في قمر بير ؛ لان المدارس باساتذتها لاباسمائها ؛ كما ان الصمصامة بساعدعمرو ابن معد يكرب لابنصلها ؛ فما مضت سنوات حتى راينا وراى العالم من خرجتهم المدرسة الالغية ؛ فارونا ايها الايموريون واحدا تخرج من مدرستكم ؛ الاحين شارط فيها الاساتذة سيدي احمد بن صالح الافراني ؛ ويليه سيدي

"محمد بن الحاج ؛ وسيدى المكى اليزيدى وهؤلاء ومن تابعهم انما علمهم من الاساتذة الالفيين الاخرين وما هم الانفحة من نفحات المدرسة الالفية ؛ لان هؤلاء خريجوها واولادها والمربون فى حجرها

الاستاذ في مدرسته الجديدة

طارت الاخبار بارتكاز المدرسة الالفية على الجد والاجتهاد ؛ فانهال اليها الطلبة من كل حدب ينسلون فصار من يرد يجد من تلك الثلة التى كانت صاحبت الاستاذ من اول يوم اذ كان فى مسجد القرية ؛ وفى المدرسة البومروانية كالاستاذ العربى الساموكنى واقرانه من قدماء تلاميذ الاستاذ قد تفوقوا ؛ ونالوا فى تعلمهم المقام الذى يتمكن به صاحبه فيقبل ويرد ؛ ويزن بالقسطاس وزن الناقد البصير ؛ فاتخذوهم قدوة فى الاجتهاد ؛ واملوا ان يصبحوا امثالهم غدا ؛ ان ساروا على الدرب الذى سار عليه هؤلاء قبل ؛ فمن بين من التحق بالمدرسة ؛ فى تلك الحقبة الاستاذان الكبيران شيخنا الطاهر الافرانى وابو القاسم التاجارمونتى وامثالهما الذين سترى لهم بعد ما ترى ؛ فيتقبل الاستاذ كل من ورد عليه ويركزه فى الطبقة التى تليق به ؛ فيقبل عليهم تهذيبا وتربية ؛ وكان طلبتها فى ذلك العهد لايتجاوزون خمسين ؛ ولم تدرك شاو المدارس القديمة العهد التى تزخر اذ ذاك بما فوق المائة لكل واحدة ؛ كالمدارس الادوزية والبونعمانية والبوعبدلية والتمكدشتية والارازانية الراسلوادية والمحمدية الهشتوكية ؛ فان لم تدرك الالفية الحديثة العهد هذه القديمات المكتظة بالتلاميذ ؛ فان العبرة بالفائدة الحاصلة ؛ وبعدد الخريجين لابكثرة المجتمعين

بغاث الطير أكثرها فراخا   وأم الصقر مقلات نزور

كيف دراسة الاستاذ

كما ان مهرة البنائين يرون ان منتهى الفكرة هو مبدأ العمل ؛ وان وضع أسس بناء فكرت فى ان تجعله عاليا ؛ لابد لها من ارض صلبة ثابتة ؛ حتى تطيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم مراسية لئلا تتزعزع اركانه
تطيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركانه
واختلاف تقلبات الجو ؛ كذلك مهرة المعلمين الذين يربون النشء ؛ يرون ان البدايات مجلى النهايات ؛ وان الخطط تبنى على ما رسمت عليه من اول يوم فتراهم يسلكون بالمبتدىء مسلك الحفظ وتنبيه ذاكرته شيئا فشيئا بمعاودة مايدرس ؛ ليتمرن على الاستحضار ؛ وعلى تفهم مايتلقى فيستكثر له من تكرير القواعد وممارستها فى كل فرصة ؛ مع اجالتها باسلات لسانه ؛ فذلك

[illegible] الرسوخ ؛ ولان تكون له ملكة ثابتة مع الزمان حتى لاينساها ولاتلتبس [illegible]ها ان امعن بعد فى طرق العلم الشتى التى يدفع اليها متى شدا فعلى هذه الطريقة سار الاستاذ فى تعليمه ؛ فبثها لكل من درج بين يديه فعادت [illegible] لكل من يعلم من الالفيين بعد؛ فلئن كان بعض المبتدئين يجدون فى ذلك بعض صعوبة ؛ فانهم يحمدون مغبتها بعد حين ؛ ثم بعد ان يشدو تلميذه وقد [illegible] الاجرومية التى يقرأها لابد مرتين فى اللوحة بشرط ان يحفظ كل الحدود [illegible] لم يدرك معناها كله الان فانه يجدها فى حافظته لماسيأتى ؛ وقد قرأ [illegible] المتون الصغرى الجمل والزواوى واللامية والمبنيات ؛ وهذه هى متون المبتدىء فى النحو ؛ واما فى الفقه فابن عاشر ؛ فان استتم هذه واتقنها [illegible]ها مرات ؛ يستقبل الالفية والرسالة ؛ والمقامات ؛ وهو ماخوذ بحفظ كل الشواهد وما يكتبه فى لوحته ؛ لان الدرس فى هذا الطور الثانى لا يكون ايضا الا بها ؛ وهو وظيفته يطالع النجباء لهم الدروس التى سيقراونها ثم [illegible]ها هم بانفسهم مرات بعد ان درسها لهم الاستاذ ؛ واعراب الحزب بين [illegible] للمبتدئين امر لابد منه ؛ فهكذا لايمضى للتلميذ سنتان فثلاث حتى [illegible] الالفية والرسالة فيقبل به الى المختصر والتحفة والزقاقية [illegible] والالفية بالاشمونى ؛ وقد كان فى المرة الاولى يقتصر له على [illegible] ؛ ثم فى هذا الدور الثالث يدفع به الى خوض كل شىء من حديث [illegible] وحساب بعد ما الم من هذين بشىء قليل فى الدور الثانى [illegible] الاربعاء وفى يوم الخميس يتلو فى كتب الادب التى كان [illegible] من المقامات الحريرية التى يدرسها يوميا ؛ بل ويحفظها وفى [illegible] قصائد ادبية اخرى كلامية العجم ؛ وبانت سعاد ؛ والمعلقات [illegible] والدريدية والدالية لليوسى والهمزية والبردة ؛ فيدرك الطالب [illegible] كبيرا ؛ ثم يطالب فى مناسبات مختلفة ان يترامى على [illegible] الرسائل والقصائد ؛ ثم ان ظهرت فيه اهلية وظهر بقريحة جيدة فانه يعتنى به فى الادب والانشاء ؛ والا فيكتفى منه بان يدرك القضة من القضة ؛ والتمرة من التمرة ؛ وفى الدور الثالث يدرس ايضا علم البيان فى متون التلخيص والاستعارات بمنظومة ابن كيران ؛ والاصول فى جمع الجوامع ؛ هذه خطة المدرسة الالفية ؛ وعلى هذه الوتيرة يتمشى اهلها ؛ ولايتخطون هذا النظام والاستاذ يستعين بحذاق تلاميذه فى مختلف الطبقات ليتدربوا ايضا على التعليم ؛ فجاءت هذه الطريقة بنتيجة عظيمة لايمكن ان يهتدى اليها الا من سار بنظام ؛ والنظام والتؤدة والرفق والتدرج شيئا فشيئا ؛ ما دخلت فى شىء الا سار هو بنفسه بالطبع حتى يكون من المثل العليا يشاهده كل احد .

هذا ما اسسه الاستاذ محمد بن عبد الله فى مدرسته الجديدة التى سار فيها سيرا منظما متوازنا ؛ وقد حفظه الله من العثرات التى توالت عليه بعد ان كاد يلطخ فى بعضها ؛ وما اولع العثرات بالساعين فى انجاز الاعمال .

العشرة الاولى

ماكاد الناس يفلتون من مسغبة ١٢٩٥ ه حتى جاءتهم سنة ١٢٩٩ ه بمسغبة اخرى اشد واعظم ؛ والاستاذ قد امكن له ان يتملص من الاولى بانحيائه الى المدرسة البومروانية التى كفته مؤنة تلاميذه ؛ وابقت على ماقتصده فى مسجد الزاوية قبلها وامدته بشرط آخر تأتى له به وبما فى يده ان يخرج فائزا من تلك السنة الشهباء باملاك وافرة هى معتمده يوم اسس المدرسة ولكن هذه الاملاك بورية ؛ وقد افلت سنة ١٢٩٨ ه من غير ان تريح الى خزانته حبة واحدة؛ ثم طلعت السنة التى بعدها فاذا الناس يتضورون سغبا؛ ويسقطون بالجوع فى الطرقات ؛ فماذا يفعل الاستاذ الان ؟ والمدرسة قد اجتمع فيها عشرات من المنقطعين ؛ والسنة الماضية ممحلة ؛ وهذه الحاضرة ادهى وامر ؛ طعن الاستاذ هذه الطعنة ؛ فلم يجدلها دواء الا ان يجيل على تلاميذه نظرة فيستبقى منهم من تقدم فى التعلم وظهرت نجابته ؛ ثم يودع سواهم ويواعدهم يوم يعود الدهر بخيره ؛ وهل يجود عمر الا اذا جاد الله ؟ فذهبوا وفؤاد الاستاذ وراءهم ممزق شعاع ؛ ودموعه على وجناته تساقط سمطين سمطين كما يقول الزمخشرى

زار الشيخ سيدى المدنى الناصرى تلك السنة الغ ؛ فنزل بالاستاذ واذ كان لابد من شكوى الى ذى مروءة يواسي اويسلى او يتوجع ؛ نفض الاستاذ شكواه الى ضيفه فقال له وعيناه مغرورقتان بالدموع — كما حكى من حضر — انني ياسيدى كنت شيدت هذه المدرسة لتعمر ؛ وأهاب السعد اولا بالطلبة اليها ؛ حتى اذا توافروا والفناهم وألفونا اضطرتنا هذه السنة العجفاء ان نأمر بعضهم بمغادرتها وصدورنا تتأجج أسفا ؛ فكأن السعد الذى كان ازاءنا اولا ؛ قد طلقنا اليوم وكأن الله لم يرد عمارة مدرستنا هذه ؛ لنرى باعيننا كيف خاب فى ايدينا رجاؤنا فهدأه الشيخ بكلمات مسح بها بعض ماالم به ؛ ثم قال له قم بنا الى هرى المدرسة؛ فمد الشيخ يده الى حفنة فبارك فيها فقال له لاتخف منذ اليوم ان يخلو هذا الهرى من الشعير ؛ فان كل الاولياء يباركون فيه بعد مابارك ه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومثلك لايخيب له رجاء ؛ مادام قصدك حسنا — فشجعه الشيخ بكلام آخر كثير

ثم ما دارت الدورة السنوية ؛ حتى انجابت الغمة ؛ وانكشفت الغمام والقى الخصب بجرانه فى الغ ؛ وقد كان الناس تكلفوا ما اطاقوه من حرث والاستاذ بينهم بالغ فى ذلك جهده ؛ فافاء عليه محصوله تلك السنة ما يناهز الف غرارة فيما يقال ؛ فافعوعمت مخازنه ومخازن المدرسة بالخيرات التى فاضت اليها من ربها ومن اعشار الناس ؛ فراجع الطلبة المودعون مدرستهم واتبعهم آخرون فسارت المدرسة فى طريقها ؛ وانطوت تلك المسغبة الشديدة

من الناس ؛ فاقال الله عثرة الاستاذ بصدق نيته وحسن طويته ؛ ومن كان لله كان الله له

العشرة الثانية

اشتهر الاستاذ بعلمه وفقهه كل الشهرة ؛ وصار بينه وبين اقرانه مسابقة فى ميدان الافتاء ؛ فصار ارباب النوازل وذوو الخصومات ؛ والمتطلبون لفصل المشكلات يردون عليه ويحكمونه فيما بينهم ؛ ثم لم تزل شهرته تتسع وهؤلاء يتكاثرون حتى ليكادون يحولون بينه وبين ان يودى حق المدرسة ؛ وربما تعرض له ايضا اشغال يسافر اليها فيبقى الطلبة بلا دراسة كسفره الى مراكش فى اواسط سنة ١٣٠٠ ه فحين اطلت سنة ١٣٠١ ه راى ان يستعين بالاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم البزيدى فشارطه فى مدرسته ليمكن الدروس ان تتمشى بنظام ؛ ان حال بينه هو وبين موالاتها اشغال طارئة او اصحاب النوازل الذين يصيرون امام داره كانه سوق ؛ فكان هذا الاستاذ البزيدى مما وفى به صاحب الترجمة من العشرة الثانية لان الطلبة الغرباء لا اثقل عليهم من ابطال الدروس ؛ وتخلل الفترات بينها ؛ ولاينبئك مثل خبير

الاستاذ وطلبته فى وادي إفران

بدا للاستاذ ان يزور هو وكل من فى مدرسته وادى افران ؛ فقصدوا الشيخ سيدى المدنى ومعهم الاستاذ البزيدى ؛ والدراسة سائرة فى طريقها ولم يقطعها السفر وقد وجدت للاستاذ هذه الابيات يخاطب بها سيدى المدنى هذا ؛ واظن ذلك فى سفرته هذه

ايابن القطب احيا الدين جهرا … وجدد ما وهى وازاح جهلا
اتينا كي نزوركم وكنتم … لذلك فى اعتقاد العبد اهلا
فمنوا بالقبول فذاك قصدى … وسعدى قولكم اهلا وسهلا
ومد للضراعة نحو ربى … ليقبل جمعنا شيبا وكهلا
ودم عليك من ربى سلام … به يرويكم نهلا وعلا

فحين حلوا دار الشيخ تطلب منهم رؤساء قبيلة تانكرت ان يتشبعوا فراهم بياتا فاسعفوهم ؛ وكان الزيت مخصبا جدا فى تلك السنة ؛ حتى كاد يكون بلاثمن ؛ فصار اهل القرى يجمعون للاستاذ والطلبة قبضة — نحوكيلو — من الزيت لكل دار ثم اتبعوا سيرهم يتقرون ايضا قرى قبيلة اداوشقرا ؛ الى ان حلوا بتيمولاى اسفل افران وذلك كله محبة لاهل العلم ؛ والمنقطعين اليه ثم رجع الاستاذ ومن معه الى الغ يحتقبون خيرا كثيرا واجرا حافلا ؛ ولا جناح على المومنين ان يبتغوا فضلا من ربهم من الباب المشروع

رايت ان الاستاذ اليزيدى هو الذى قام بادارة الدراسة سنة ١٣٠١هـ والاستاذ مشغول بارباب النوازل المتكاثرين ؛ ثم كان نفسه لم تطب الا بمزاولة ذلك فلازم بنفسه ؛ فودع الاستاذ اليزيدى ومكنه شرطه ؛ وجزاه خيرا ؛ ثم انتصب لما هو بصدده ؛ ثم لايجد منه المتداعون الا مافضل عن اوقات الدراسة ؛ وقد سمعت انهم اذ ذاك يتجمعون امام باب المدرسة ينتظرون فراغه من الدروس؛ هذا مع ان الاستاذ ضعيف البنية جدا ؛ هزيل نحيف من امراض لازمته منذ زمان ؛ لايجد متعة للحياة ؛ وقد حكى لى العم انه كان يقول الامن يعطيني صحة كاملة وجسما قويا فاناوله كل هذا المجد ؛ ولكن مع هذا الحال لم يطق ان يتخلف عن درس واحد فقضى بهذا كل هذه السنة ١٣٠٢هـ

الاستاذ مع رؤساء إيليغ

كان يعسوب جزولة ذلك العصر سيدى الحسين بن هاشم مولعا بكل مايزيده فى المعالى لبنة ؛ فيزيد الى ارباب الصوارم والعوالى ؛ ارباب الدفاتر والاقلام ؛ فكان حوله منهم هالة كبيرة ؛ من بينهم الاستاذ المترجم الذى يفد اليه منذ كان بمدرسة تانكرت تلميذا فى الرمضانات لدرس البخارى وفى ١٢٩٣ هـ حين ودع والده الحاج عبد الله واستاذه ابن ابراهيم الى الحج اعتذر الى الرئيس بانه يتخلف فى رمضان تلك السنة ؛ فأبى أن يقيله فقال له الاستاذ ابن ابراهيم انه سياتى فى رمضان فكان ذلك باذن استاذه اكيدا عليه ؛ ثم قال له استاذه بعد : كان يمكن ان تنفتل قبل ان يالفك الرئيس واما الان فلا ثم كان ذلك ديدن الاستاذ الالغى فى كل الرمضانات حتى لحق بالملا الاعلى .

الاستاذ يتصل بالسلطان

جاء السلطان مولانا الحسن سنة ١٢٩٩ هـ الى سوس فنزل ازاء تزنيت فاهرع اليه كل من له اعتبار من الرؤساء والعلماء ؛ فكان صاحب الترجمة ممن ادى الحق الذى عليه لصاحب العرش المغربى ؛ فزاره مع طلبته ؛ ثم فى سنة ١٣٠٠ هـ سافر هو والقائدان سعيد المجاطى ؛ والحسن البنيرانى الى الحمراء فادوا التحية هناك فى ٢٤ - جمادى الثانية ؛ فوصل الجميع بصلات حسنة خصوصا الاستاذ فانه اعتنى به اعتناء زائدا ؛ ومن بين ما اتحفه به كسى كل من يتعلق به من اهل داره ذكورا واناثا ؛ طلب منه - كما سمعت - ان يقيد ذلك فنفذ له الجميع ؛ واذ ذاك كتب له ولجميع المرابطين ذلك الظهير الشريف الذى نشرناه تحت رقم -٦- فى الملحقات بترجمة الجد سيدى عبد الله بن سعيد فكانت هذه الحفاوة التى لاقاها من السلطان هذه السنة هى التى حدته الى ان يعود الى زيارته ثانيا سنة ١٣٠٣ هـ والانسان اسير الاحسان

ماشينا الاستاذ منذ ولدته الاول ؛ فصاحبناه فى كل تقلباته المختلفة ؛ وفى جميع مقاماته التى يترقى فيها ولاشك ان القارىء يدرك سمو هذه الهمة الفذة التى هى كلها تطلع الى المرتبة العليا التى لا يعلى عليها ؛ ويبرهن على هذه العبقرية كل برهنة ماحكاه العم ان الاستاذ على بن عبد الله صنو صاحب الترجمة كان يقول للاستاذ حين اقبل على تشييد المدرسة كل القبائل ما نصنع نحن بمدرسة جديدة ؛ والمدارس المبنية فى القبائل كثيرة جدا ؛ وما يعمرها الا امثالنا ؛ ولا توصد ابوابها دوننا ؟ فباى شيء تقوم هذه المدرسة اليوم او بعد اليوم ؟ مع أن المدارس لا تقوم الا بمعاونة قبيلة من القبائل ؛ فقال له الاستاذ مابنيت هذه المدرسة الا لاجرب هممنا لاعرف انحن رجال مقتدرون املا ؛ ولكي يعرف الناس بعد من انت ؟ هل انت رجل مقتدر نهاض بالعظائم ؛ اوانت خائر العزيمة ممن يردهم خيال ويرهبهم ظل ؛ ويتطايرون بنفخة واحدة ادراج الرياح ؟

هذه هى همة الاستاذ ؛ وهذه مقدرته التى برهن عليها بفعله وقوله ؛ ولكن ربما يحسب بعض القراء ان التجارب التى اكتسبها من عمل طويل ؛ وان الدروس التى تلقاها من عقود كثيرة مرت به ؛ هى التى شحذت همته ؛ واراته انه لايفوز فى الحياة الا المقدمون المغامرون ؛ فتكون تجارب شبيبته وكهولته هى التى اوحت اليه الفكرة العليا التى ينفذها فى شيخوخته ؛ ولكن كم يطول عجبه ان عرف ان هذه الهمة النافذة ؛ وان هذه الاعمال الخالدة ؛ وان هذا الاقدام الذى لايلتوى انما ذلك من شاب نشيط مغامر تواق الى المعالى ؛ والـه ودع هذه الحياة قبل ان يتسلق قمة العقد الرابع ؛ فلئن كان الاستاذ يحيا النووى ؛ والفاتح الشهير اسكندر المقدونى ؛ قاما بما قامابه ؛ فيما يقارب هذه السن ؛ فان لهذا الاستاذ من الاعمال التى يتاتى لمن كان فى وسعه ان يقوم بها مايزاحمهما به فى شرفهما هذا بمنكب عريض مع مراعاة الازمنة والامكنة ؛ وما يمكن فى كل عصر ؛ وما صاحبنا الاصنو سيدى يبورك بن عبدالله بن يعقوب السملالى فى همته وفى علمه وفى قصر عمره .

كنا غادرنا الاستاذ بين تلاميذه فى مدرسته يوالى الدروس سنة ١٣٠٢هـ ثم فى - ١٣ - من ربيع الاول من سنة ١٣٠٣ هـ غادر المدرسة ؛ وقد استناب والدى فى موالاة الدروس مع الاشراف على صنوه على بن عبد الله الذى هو خليفته الرسمى فسافر مع القائدين المذكورين ليجددوا التحية لصاحب العرش ؛ وقد لازمه ذلك الهزال ؛ ولكن ذا الهمة النافذة والنفس الكبيرة ؛ لايبالى بجسده ؛ فى قضاء مهمته .

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام

فرجع القائدان بعد ان تم المرام ؛ وتشرفا بالمثول بين يدى صاحب الجلالة مولانا الحسن فبقى الاستاذ وراءهم هناك مع ثلة من اصحابه ؛ وداؤه يلح عليه وربما عالجه بمرهم لم ينجع فيه ؛ ثم ازداد عليه مضضه فاحس بدنو الاجل فطلب ممن معه ان يخرجوا به من الحمراء ؛ فنزلوا به فى قرية صغيرة في احواز تامصلوحت ؛ وهناك جاءت الدقيقة الاخيرة ؛ فلفظ الاستاذ محمد بن عبد الله النفس الاخير •

قضى الامر ؛ ونزل ماليس لبنى آدم طاقة ترده ؛ فافاق رفقاؤه ؛ فمالوا بالاستاذ الى مقبرة صغيرة ازاء تلك القرية فواروه فيها ؛ ثم جمعوا متاعهم فرجعوا ادراجهم الى الغ ؛ وهم يندبون سعدهم ؛ ويبكون جدهم ؛ ولايدرون باى وجه يردون على اهاليهم ؛ وباى طلعة يطلعون على الغ وقد غادروا بدره الوضاء بتامصلوحت ؛ وحفروا همله بايديهم هناك ؛ ثم افردوه فى رمس تسفى عليه الريح والمور •

دهم نعى الاستاذ المدرسة ومن حواليها ؛ فقامت القيامة ؛ واسود وجه النهار وهم فى صحو يكاد يقطر غضارة ؛ فاقبل والده الحاج عبد الله مطرق الراس عليه غبرة ترهقه قترة ؛ يفصح جبينه بما لم يقدر لسانه ان ينطق به استسلاما للقضاء فادى حق التعزية وقوبلت وفود المعزين الذين تواردوا من كل جهة من الالغيين وغيرهم ؛ بنفوس تعرف ماهو التجلد ؛ وكيف يكون الاحرار الاباة ؛ فى امثال هذه المواقف الجلى ؛ وكان من بين الواردين الشيخ سيدى المدنى الناصرى ؛ فسمعت انه قال لسيدى الحاج عبدالله ؛ وقد شاهد منه نزوة ؛ حق على من رزىء بمثل هذا النابغة مثلك ؛ ان تطير عليه شعفات قلبه ؛ فنطق لسان بما يكنه ؛ وان كان لسان المعزى ينطق عادة بغير ذلك وكانه ينشده بلسان الحال ماقاله بعض الالغيين بعد ذلك العصر •

نعزيك لا انا جهلنا مقام من ... نعزيك فيه بين من عانقوا الموتا
ولكننا نمشى على سنة مضى ... عليها جميع الناس ان دفنوا ميتا
فنامر بالصبر الجميل واننـــــا ... جميعا لفى حزن عظيم كما انتـــا
والسنتنا تتلو العزاء واننـــــا ... على جزع كنا عليه كما كنتـــا
أسلوى وقد فات الذى كان عـدة ... عليها مدى اعمارنا نحذر الفوتا ؟
وكيف التسلى والذى منـه نشاة ... لاحيائنا قد صار فى عالم الموتى؟
فورى والاشخاص منا شواخص ... فمن ذا الذى من بعده يرفع الصوتا؟
فاى لبيب ليس يعذران راى ... صراخ الالى يرزون ذلكم الميتا ؟
فما كل مرموس كاستاذنا الذى ... له همة لم تدر فى عزمها حتى ؟

تجاليد الاستاذ تنقل إلى الغ

كان الشيخ الوالد رحمه الله من الاستاذ بمنزلة اليد لاختها ؛ فهما لدتان سنا وهمة وتطلعا الى المعالى ؛ فالتحم مابينهما التحاما ؛ فقد رايت كيف ناب الوالد عن الاستاذ فى المدرسة البومروانية ؛ ثم ناب عنه فى المدرسة الالغية فى رحلته هذه التى التحق فيها بربه فقام الوالد وصنو الاستاذ على بن عبد الله فالتحقا بالحمراء فباتا فيها ليلة واحدة ريثما تم لهما تابوت ؛ فمرا برمس الاستاذ فوضعا تجاليده فى التابوت فاقبلا يغذان السير ؛ فدفناه عند اهله فى وسط المقبرة القاسمية ؛ ثم جمع اهله همتهم على تاسيس قبة عليه ؛ فتولى الشيخ الوالد كبر ذلك ؛ ولكن لم يلبث قبو القبة ان سقط ؛ فكان القدر يملى فى ذلك موعظتين

اولاهما ان ماأسسه الاستاذ بيده فى ايامه ؛ واشاده فى صدور تلاميذه وخلفه من بعده خالدا مخلدا ؛ هو قبته الخالدة الدائمة التى لاتمسها الاعاصير الالهية ؛ ولاقواصف (تيفرميت) العاتية ؛ ولاتمتد اليها يد الدهر وان تطاول فمن كانت له هذه القبة من المجد المؤثل ؛ فكيف يتوقف بعد على ما لابد ان ينهار اما اليوم واما فى الغد ؟

والاخرى مانهت عنه الشريعة باحاديث صحاح لامغمز فيها لغامز ؛ ولايمكن ان ترد باعمال المتاخرين الادنين ؛ وحين يابى الاحياء ان يقفوا عند نهيها فان ارواح الموتى تجار الى الله فى عليها ان لاتبقى متصلة ببدعة من البدع فجاءت الاعاصير الالهية ؛ والقواصف التفرميتية تؤمن على دعواتها فمالت على الجدران تسفيها هباء منثورا ؛ وما لااسس له فلابد ان ينهار • والمعدوم شرعا كالمعدوم حسا

اخلاق الاستاذ

كان الاستاذ كما رايت محظوظا فى كل ماتمسه يده ؛ وقد جعل اللـــه البركة فى عمره ؛ وانزل اليمن على عمله فبنى واثل وولد وعلم ؛ وكل ذلـك فى اثنتى عشرة سنة منذ فارق المدرسة التانكرتية سنة ١٢٩١ ﻫ الى منتهى ١٣٠٢ ﻫ وقد كان الشيخ الوالد كثيرا ما يذكر ذلك ويجعله مضرب الامثال فى المحظوظين الذين اخذ الله بايديهم ؛ ووفقهم حتى فعلوا ثم بقيت افعالهم خالدة فاسمع ما قاله الوالد فى رحلته الحجازية حين ذكره للاستاذ على بن عبدالله خليفته فى المدرسة

منيما شقيقه محمدا ... من كان فى الهمة فردا اوحدا
من يفعل الخير الذى قد فعله ؟ ... يعمل فى العمر القصير عمله

قد خلف الذى عليه يجرى … فى حال موته بغير ذخـــر
لانه اكرم من كريم … باى عزم مقعد مقيم
قد فاق بالجد والاجتهـــاد … اقرانه من زمن المهاد
ففاتهم وسلموا فـى السبق … من مثله فى الغرب اوفى الشرق؟
وهو الذى قد شاد فـى بلدتنا … مدرسة شادت له كل ثنـــا
وغرس العلم له تلامذة … عديدة لهم فـهوم نـافـــذة
وحبس الاحباس ثم خلفا … اولاده ينتجعون الشرفـــا
فهذه الثلاثة التى ذكر … لفاعل اجـر بـهـا وان قبـر

وسمعت من الاخ المرحوم سيدى احمد ؛ وكان مـمـن ينصف الـرجال ولايبخسهم حقوقهم ؛ ان سيدى محمد بن عبد الله هو الذى اسس لآل سيدى صالح ماتفرعوا فيه الى الان ؛ وهمالان ديار متعددة ؛ واسر شتى ؛ قال وكـل مافى ايدى هذه الاسر استحدثه الاستاذ فى ايامه القصيرة ؛ ثم لم يستحـدث من الاملاك بعده عشر العشرات ثم يفيض سجلا من الثناء على الاستاذ ؛ فصاحب الترجمة محظوظ من هذه الجهات افلا ترى ان ملاك ذلك كله اخلاقه ؟ افـــلا يكون ايضا محظوظا من جهتين ؟

فقد سمعت ان قضية كانت فى يده لبعض اناس من آل دوكدير ؛ فادلى بعضهم برسم زور ؛ فرده الاستاذ ؛ فاجتهد الاخر بكل مافى امكانه ان يقبله الاستاذ ؛ والاستاذ يرده عليه ثم قلب له ظهر المجن ؛ فصار يتوعده لعل ذلـك يؤثر فيه فيقبل رسمه ؛ فكان الاستاذ ازاء ذلك كحائط من فولاذ ؛ لايتاثـر باى شئ ؛ وهذه ناحية اخرى نعرفها من خلقه بهذه القضية •

وكذلك جرت له هو بنفسه نازلة مع سملالى ؛ اشتهرت فى ذلك الحين كل الاشتهار ؛ فاظهرت أنه صلب الارادة ثبت حاذق لاتتمشى عليه الحيـل؛ وذلك انه داين سملاليا فى بعض المساغب بحبوب بثمن اكثر مما فى السوق ثم اجله وللاجل حظ من الثمن ثم لما اخصب الناس راغ السملالى ؛ فقال انما ارد الحبوب بوجهها ؛ فصار يدلى ببعض فتاو من فقهاء يفتونه بما ذكر فيهاانه باع بالغلاء لمن كان مضطرا ؛ فى حين ان هذه ليست اخت تلك ؛ فاستفتـى هو بدوره علماء آخرين ؛ وبين لهم ان هذا الانسان ذو املاك تداين عـليها ؛ فافتوه بلزوم الثمن ؛ ثم قام الرؤساء السملاليون وهم يعرفون للاستاذمكانته فالزموا ذلك الانسان ان يغرم ؛ فالتجأ هذا الى رئيس ايليغ سيدى الحسين فارسل الى صاحب الترجمة ان ياتيه برسومه ؛ لينظر اهى صحيحة ام لا ؛ فارسلها اليه الاستاذ ؛ فاعرض سيدى الحسين عن القضية ؛ ومكن السملالى من الرسوم فاحرقها ؛ ثم دالت الايام على سيدى الحسين ؛ وقد حاصرته القبائل

اواخر ١٣٠٢ هـ او اواسط هذه السنة ؛ فاتصل بامغار محمد الجاطى ؛ فكان اول ما اشترطه عليه امغار محمد بن شروطان ينصف الاستاذ ابن عبدالله فى قضيته ؛ فارسل اليه فى الحين ؛ فقال له الاستاذ اعطنى رسومى اولا ؛ فقال له سيدى الحسين ان الرسوم قد احرقها المدين ؛ ولكنى سانفك معـك بغرمها ؛ فقال له الاستاذ ؛ مادمت تريد ان تنصفنى فانى ايضا اقول لك ان ماوصلك من الرسوم انما هى نسخ منقولة من الاصول ؛ واما الاصول مـــن الرسوم فهاهى ذى عندى • فعلت ذلكاحتياطا فجعل سيدى الحسين دعوا هما فى يد الاستاذ سيدى احمد بنابراهيم السملالى العلامة الشهير ؛ قال سيدى الحاج احمد البزيدى فعربى الاستاذ بن عبد الله وانا اذ ذاك بـالاخصاص ؛ فصاحبنا فيتنا عند الاستاذ السملالى ؛ فحكم بصحة دعوى الاستاذ والـزم السملالى بالغرم ؛ وكتب له بذلك فقال الاستاذ ابن عبد الله لسيدى الحاجاحمد البزيدى الذى كان واسطة بينهما ؛ سل الاستاذ السملالى كم اجرته فىالقضية فقال له الاخر ؛ مثلى لاياخذ من مثله اجرة ؛ انما اجرة امثالنا فيما بيننا هـو التعاون على النوازل ؛ والتناصر على احقاق الحق فيها وابطال الباطل •

هذه الحكاية تريبنا نواحى شتى من اخلاق الاستاذ ؛ فنرى منها انه لايغلب ولايحابى عامه ولو لرئيس ايليغ الذى كانت له سطوة هائلة اذ ذاك ونـرى ايضا احتياطه فى الرسوم فادركنا انه ممن لايخدع ولايقعـقـع لـــه بالشنان فهذه انواع اخرى نعرفها زيادة على ماتقدم

وللاستاذ نظرات صائبة ؛ وقد راى من ولده استاذنا عبد الله وهو ابن اربع سنوات ماحمله على ان قال ان ابنى هذا لجرىء ؛ فكان كذلك ؛ فكانمـا كشف له ستر الغيب ومن اوتى العقل فقداوتى الفراسة التامة ؛ والتوسم فى كل مايعلن امامه (واتقوا فراسة المومن)

وكان رحمه الله فى الدروس جهورى الصوت فصيحا ؛ حكى بعض سامعيه انه لم يعهد له ثانيا بعده ؛ على ان لصنوه الاستاذ عـلىفصاحة كذلـك تضرب بها الامثال •

آثــارة

لاادرى اى آثار اخرى ينتظرها القارىء عن الاستاذ ؛ بعد ان راى فـى كل ماتقدم اعمالا خالدة ؛ لاتصدر الا عن رجال عبقريين ؛ فمثل الاستاذ الذى افرغ ايامه القصيرة فى التعليم ينبغى ان تتطلب آثاره فـى صدور اصحابـه ؛ فما يعدهم له من اثر ؛ واما آثار قلمه فقلما يتفرغ لها من كان مطوقا بمثـل ماطوق به ؛ فقد اخبرنى ولده استاذنا عبد الله حفظه الله انه كان افتتـح

حاشية على البهجة واسعة ؛ ولكن اعجل عنها ولم يتمش فيها كثيرا ؛ على انه مع ذلك ابياتا كثيرة فى القواعد مشهورة عند اصحابه ؛ منبثة فـى الابواب والعلوم ما بين فقهية ونحوية ولغوية وغيرها ؛ وله كذلك بعض مقطعات ادبية يكتبها الى تلاميذه ؛ حشرنا منها كل ماتوصلت اليه ايدينا فى كتابنا الـذى سميناه (جوف الفرا) كما ذكرنا له ايضا فتاوى فقهية ؛ فى كتابنا (المجموعـة الفقهية) لعلماء الغ وغيرهم من المتاخرين ؛ فليرجع اليها هناك من ارادها ولكننا نسوق هنا ماحلا فى الذوق وحلى فى العين ؛ فمن ذلك ماكتبه الى تلاميـذه بالمدرسة فى ربيع الثانى ١٣٠٢ هـ من داره وقد تخلف عـن الدراسة ذلـك النهار للمطر ؛ قصيدة مطلعها :

بدت لى احبتنا عبـرة   وخير الخلائـق من يعتبـر
رايت السماء بتلك السنيـ   ـن من الارض ضاحكة تكتشر

الى ان قال :

فكل الحـوادث اوعـيـة   لدر الفوائد ان تختبر
ولكن قليل من الناس مـن   بآيات خالقه معـتـبـر

الى آخرها .

ثم كتب بعدها : حفظ الله الاخوان المذاكرين ؛ وجعلنا واياهم لانعمه من الشاكرين ؛ ووقى الجميع كيد سائر الاعداء الماكرين ؛ ومتعنا اجمعين بالحظ الاوفى والمنهل الاصفى ؛ بين جنده القائمين بالاسحار والمباكرين ؛ وسلام الله تعالى عليهم وعلى من بهم واليهم

وبعد ؛ فقد كثر المطر واشتد الوحل ؛ وتتابع السيل بامـر الله لابنوء المشترى ولا زحل ؛ وحبسنا بالغيوث فى البيوت ؛ وانشانا والحالة تلك ماتقراون من البيوت ؛ فتاملوها معتبرين واستغنوا بها عن نصاب اليوم مضـطـريـن واقبلوا عذر هذا المسكين ؛ فانكم عنده فى الحب والله بمـكان مكين ؛ وقـد قدمكم بشهادة الله على الوارد والسكين ؛ واعتقد كلا منكم خير خديـن بالصدق زكين ؛ فالله يحقق ذلك فيما عنده ويكثر بنا وبكم من عباده الصالحين جنده ويجعل اتباع السنة الاحمدية لكل منا دعده وهنده وصلى الله وسلم على الاتى بها وصحبه ؛ وعلى آله وكل من قفى على ملته البيضاء محمود نحبه ؛ ومتعنـا بالحياة الطيبة من طاعته واياكم وصرف للذيذ خدمته محيانا ومحياكم ؛ وحصر فى ذلك وحده محيانا ومحياكم

ومن ذلك ماكتبه اليهم ايضا وقد عزم على السفر الى الحمراء ولعل ذلك فى سفرته الاخيرة :

(من محمد بن عبد الله بن صالح ؛ السلام والرحمة والبركة على جميع

الاخوان المذاكرين معنا وجميع من تعلق بنا ؛ وقصد الانخراط بسمطنا وعلى

وبعد ؛ فان الله تبارك وتعالى ؛ قد شرع الاستخلاف لمصلحة الائتلاف وجعل انتظام الامر مقصورا على الاتحاد ؛ ووعد على الاجتماع وتوعد على الاتحاد فقال ؛ (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

ولذلك استخلفنا عليكم اخانا عليا ؛ سدده الله فيما كان لـه وليـا ؛ فاتخذوه ابا ؛ وتوقروه ديدنا وادبا واوصيه بجميع الاخوان ان يحلم عن جاهلهم ويشكر سعي وافيهم ؛ وينصح جهده ويوطئ لجميعهم مهده ؛ وان لايميل بينهم الا بمقتضاه وان يرضى لجميعهم مايحبه لنفسه ويرضاه ؛ واوصي الجميع الامر والمامور ؛ ان يلاحظوا الله تبارك وتعالى فى جميع الامور ؛ وان يعلموا ان اعظم الصدقة فى عصرنا هو الصبر والكظم ؛ واحق به الاقارب بالدم والعظم ؛ ثم بالمجاورين والمحاورين ؛ مع مراعاة خدمة الله تعالى فى ذلك كله؛ واعلموا قطعا ان حقيقة العلم هو العمل بالمعلوم ؛ ومن تعلم ولم يعمل فهو مـذمـوم ملـوم وانا استودعكم الله الذى لاتضيع ودائعه ؛ وابضع تعليمكم فى سفر الارجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه لاتكسد بضائعه ؛ ولما حان اعمال ذى الظفر والحافر ؛ انشات لكم مودعا فى بحر الوافر

اودع جمعكم ونظام امر

(الى اخر ابيات ثلاثة) ومن ذلك ايضا رسالة كتبها الى تلميذه الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى نصها ؛

امد الله بالعلم اللدني ولد شيخنا المحفوف من الله بالرحمة والرضا ؛ سيدي الطاهر ؛ وامتعنا واياه فضلا منه سبحانه بصفاء الباطن واستقامـة الظاهر ؛ وجعلنا من الطائفة الظاهرين على الحق حتى نكون لاسرار الكتاب والسنة من اجل المظاهر وسلام الله تعالى عليه يصحبه دائما حتى يكون بكمال الفضل من جملة المشاهر .

وبعد ؛ فاعلم ياولدي ارشدك الله وسددك ؛ واعانـك علـى الاستقامة والصفاء ابدك ؛ ان النهايات على قدر البدايات ؛ وحمد البداية انما هو بكمال الادب مع الله تبارك وتعالى سرا وجهرا بامتثال امره واجتناب نهيه ؛ ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وخدمة ملته ؛ وكمال التواضع لسائر امته ؛ بحيث يرى العبد سائر المسلمين اشفاه من هذا الاب الديني صلى الله الله عليه وسلم ويقصد بذلك اقرار عين النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وطاعة من هم من خير عبيده سبحانه ؛ ولاسيما الاخوان المذاكرين الذين ينتفـع المرء بمجالستهم ويزداد علما بمدارستهم ؛ فحقهم آكد واكد ؛ وقد كنت احببت القيام على هذه القدم لسائر الاخوان ؛ وادعو الله لهم بذلك فى كل وقت واوان

ولكن كمال بنوتي لوالدك ادرجه الله في مدارج العرفان ؛ وجعله في عالم البرزخ مغبوطا لكل فان؛ يظهر لي اني قصرت في حقك ؛ ويستقل لي ما ادخرت من طيب العلوم في حقك ؛ فتفكرت في وجه يتحقق به كمالك ؛ وتحصل عما قريب ان شاء الله آمالك ؛ فرايت السبيل الى ذلك هو كمال الادب والجد في الطلب فهما شاهدان عدلان على استحقاق المدعي ؛ مايمد اليه يده ويدعي ؛ ولذلك اوجبت عليك القيام بها ازيد من غيرك ؛ غير ملتفت الى سير غيرك في سيرك؛ واذا علمت ـ اصلحك الله من انا ومن انت ـ تستقل كل ماجدت به بعد واجب الادب ومننت ؛ واذا علمت ان جدك الصديق رضي الله عنه انما فاق سائر المسلمين بالصدق الذي وقر في صدره ؛ من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وقدره حق قدره ؛ تبلج لك صباح الفلاح ؛ وتيسر لك في هذا الامر اعمال المفتاح؛ فتح الله منا ومنك البصائر وطهر بفضله العميم الظواهر والسرائر وهو حسبي ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم ؛ والسلام عليكم

من هذه الرسائل ومن نفسها ؛ تفهم ايها القارىء نفسية الاستاذ وكيف اربيته ! وكيف احترامه لاشياخه ؛ وكيف نظرته الى جميع المسلمين ؛ وكيف يحب من تلاميذه ان تكون نظرتهم الى مابينهم والى سواهم ؛ واموروا كثيرة ربما تفهمها مما تقدم ! فرحم الله الاستاذ الذي وان كان تيجاني المشرب على يد الشيخ سيدي الحاج الحسين الافراني ؛ لايعرف للتعصب لذلك معنى ؛ وقد رايت في ورقات افتتح فيها والدي كتابا في شيخه سيدي سعيد ابن همو؛ ذكر فيها ان صاحب الترجمة هو الذي حثه على تاليفه ؛ وسماه له (المبدىء المعيد في ذكر الشيخ سيدي سعيد) فمن ذلك ترى اولئك الرجال يعرف كل منهم لاخيه فضله ولايعرف الفضل لاهل الفضل الا ذووه

واما آثاره الشعرية ؛ فكثير منها شعر الفقهاء كما قاله استاذنا سيدي الطاهر الافراني فلنسق منها ماتاتى لنا ؛ وامكن ان يقبله الادباء .

فمن ذلك قطعة حائية وقفت عليها بين اوراق للفقيه سيدي الحسن التياسيتني يخاطب بها استاذه سيدي محمد بن ابراهيم ؛ ويتشوق الى افران (وفيها بعض اصلاح لبعض الالغيين) :

اذا ماهب من افران ريح ... هفا بالقلب من صدري جنوح
يشم بها اريجا من حماهم ... فيبدو منه نحوهم جموح
فاصبر ما اطيق فيرتمي بي ... تفكرهم فازفر او اصيح
ابيت على التململ في فراشي ... كان الجسم عمته جروح
وذلك كله من اجل شوقي ... الى من وجهه الاسنى صبيح
ابي الثاني وشيخي من حباني ... فاغدو في جداه كما اروح
محمد نجل ابراهيم مجد ... عظيم من ابي بكر صريح

تازر بالسيادة وارتداها ... كما يغدو المربي والنصيح
فذانا بالعلوم وليس يغدو ... برسل العلم مكسال شحيح
جزاه الله مايجزي عليما ... له عمل بمعلمه صحيح

وقال ايضا يخاطب صنوه الاستاذ علي بن عبد الله وهو اذ ذاك صغير؛ بعد ماكتب اليه اخوه هذا مانصه :

الحمد لله فان ظهر لسيدي ان يتصدق علي بربع رطل من السكر فحبذا فقد جاءني سيدي محمد اليزيدي ؛ ولم يجده عندي

علي بن عبد الله

فاجابه : الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه؛سلام الله على كاتب الحروف اعلاه ؛ وقرب بها زعمه وطره وادناه
وبعد ! فماهذا الجفاء مع الواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم وعلى آله بعدم الصلاة عليه ! فسبحان من خلق اقواما للفظاظة والجفاء ؛ وخيلتهم ظنونهم ذلك الصلح من عدم المداهنة واظهار الوفاء ؛ كلا ان الادب مفتاح كل وزمامه ؛ والنبي صلى الله عليه وسلم اعظم العالم الآدمي وامامه ؛ (لقد كان لك في رسول الله اسوة حسنة) والسلام عليكم

مداعبة

فتارة ذو سرقة ... وتارة ذو درقة
وحيث خيف طرقه ... بعث نحوي ورقة
وقصده بكل ذ ... اك ان يصون ورقه

وكتب اليه ايضا :

سلام عليك باهل الشقيق والنسـ ... ـبني وزهر الروض من مفرق الغصن
فدونك ان العلم حصن وساوس ... وانت بتحت الحصن فاصعد الى الحصن
ومفتاح هذا الحصن فيما علمته ... وحققه الرحمن عند الاخ الحصني

ومن شعره ايضا :

اذا الله اودع الانامل حكمة ... بوضع السطور فالعطية جلت
بعد حروف من قصور جزاؤها ... بجنة عدن سلها حيث ملت

وبعث الى تلاميذه وهم سبعة وقد سمعهم افتتحوا الدرس بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كماهي عادة الشيخ ابن ناصر ومن اقتفى اثره ؛

ياسبعة من سعد سبعة جمعهم ... ظفروا بامر نعم ما الامر
فتحو الندى بذكر من لو جال في ... صخر الجنادل دكت الصخر
تلك الصلاة على النبي فيالها ... من لذة لم تحكها الخمر

وقال يحض تلاميذه على الاعتناء بالمقامات الحريرية ؛ ويصفها لهم ؛ ويذكر ان من فاز بفهمها يسهل عليه قول الشعر :

اذا رمتم نظما مقفى محبرا	فزوروا مقامات الحريري على الوسع
فان الذى قد فاز من فهم ما بها	سيتزع في اشعاره اسهل النزع

وقال يخاطب نداماه على الشراب :

انشئوا يا خير قوم	ملحا اذ ما حضرتم
ادب المجلس شعر	طبق معنى ما نشرتم
عجبا كيف حصرتم	ولشرب الكاس صرتم
ان كاسا دون شعر	حنظل لو قد سبرتم
ولكم ارجو من اللـ	ـه مناكم ان صبرتم

وكتب على نسخة التصريح في آخرها :

اتعبت في تملك التصريح	نفسى وما اجمعه وروحى
بالله فاحفظه امن تملكه	من بعد ربه ولازم مسلكه
واجعل الاهى من الاولاد	مالكه او اخوتى في النادى

وقال ايضا :

تكلف الاسفار للاوطار	فى شدة الحر وفى الامطار
من عادة الاكياس فى الرجال	بشرط ان تكون فى الحلال

وكتب الى الشيخ الوالد ؛ وهو اذ ذاك على قدم التجريد فساح مرة ؛ فاذ رجع الى البلد كتب اليه ما نصه :

سلام كما المسك والعنبر	على من بأدران وصم بر
على من له فى ابتدا سيره	مهابة عال على المنبر
أبى حسن من بغربته انـ	ـكسار بقلبى لم يجبر
ارانى الزمان بشاشته	بوصلكم الابرك الاكبر
والبسني حلة طرزها	سلاما سلاما على المخبر

الى آخرها

هذه نماذج من اشعار الاستاذ ؛ وقد اعتنى بجمع غالبها تلميذه سيدى العربى الساموكنى فى كراسة صغيرة مع مقطعات مما قاله لاخيه الاستاذ على في بدايته

الآخذون عنه

١) الاستاذ الطاهرى بن محمد الافرانى

٢) سيدى ابراهيم بن محمد ابن عم المتقدم
٣) الاستاذ العربى الساموكنى
٤) الاستاذ ابو القاسم التاجارمونتى
٥) الاستاذ محمد بن الحاج الافرانى
٦) صنوه الحسن ابن الحاج
٧) الاستاذ الحسين التاطاروستى
٨) الاستاذ المكى اليزيدى
٩) ابن عمه الاستاذ محمد بن عبد الله اليزيدى الكبير
١٠) سيدى الطيب الركيبى
١١) الفقيه سيدى احمد الصمامى
١٢) سيدى الحسن بن عبد الله السملالى
١٣) سيدى محمد بن ابراهيم الاخصاصى خديمه
١٤) سيدى محمد بن الحسين البعمرانى
١٥) سيدى على الامرخسينى
١٦) سيدى الحسن بن ابى بكر الاغوديدى
١٧) الفقيه سيدى الحسن التياسنتى
١٨) سيدى مبارك التاكفيشتى
١٩) سيدى الحاج بلقاسم الزاوى
٢٠) سيدى محمد بن اليزيد السملالى
٢١) سيدى محمد بن الحسن الكسالى
٢٢) اخوه الاستاذ سيدى على بن عبد الله
٢٣) سيدى سعيد الاعضبانى
٢٤) العم ابراهيم بن احمد
٢٥) الاستاذ سعيد بن عبد المومن
٢٦) سيدى ابوبكر الاكيوازى
٢٧) الاستاذ المدنى الماسى
٢٨) الاستاذ عبد الله باولا

فهؤلاء من استحضرهم العم ابراهيم ؛ وهناك من ربما نسيناه وغالب هؤلاء اخذوا عنه فى منقلبانه ؛ ثم انتهوا الى المدرسة الالغية التى تولاها بعد هذا الاستاذ اخوه على فلازموه ايضا حتى تخرجوا مع عشرات آخرين تراهم فى ترجمة الاستاذ على بن عبد الله ان شاء الله ؛ ولانستثنى الا اثنين منهم هما اللذان لم يأخذا عنه الا فى المدرسة البومروانية سيدى محمد بن اليزيد السملالى ؛ وسيدى محمد بن الحسن الكسالى ؛ وهؤلاء كلهم فقهاء وان كانوا متفاوتين فى درجات التحصيل ؛ وسترى ان شاء الله فى ترجمة كل مقدار

غوره ؛ وفي الآره ان وجدناها كيف نزعه ؛ والله ييسر ولايعسر

ثم اننا لم نسرد هنا الا اكابر اصحابه الذين يستحقون ان ينسبوا لـه والنقابة المختارة ؛ الا ماكان من محمد بن ابراهيم الاخصاصي وسيدى عبدالله باولا ؛ والحاج بلقاسم فانهم ليسوا من النقاية ؛ وانما ذكرناهم لانهم الغيون واما نخالة المدرسة وذلك الطغام البليد الذى لاتخلو منه اية مدرسة؛فلاتتعرض لهم بذكر ؛ ولانشغل انفسنا حتى بالتفكير فيهم ؛ لان من فتح له باب المجـــد على مصراعيه ؛ ثم لم يلج فيه ؛ او اتيحت له اجنحة يحلق بها في مناط النجوم ثم قصر بنفسه فاحر به ان ينسى اليوم كما نسي نفسه بالامس (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) وهل التاريخ الا يوم العرض الاول الذى يسبق يوم العرض الاكبر ؟

اذا مـا اهـان امـرء نفسه   فلااكــرم الله من يكرمه

ثم ان الاستاذ صاحب الترجمة اعقب من الذكور ثلاثة احمد وعبد الله وعبد الرحمن وكلهم ممن حمل تراثه وسترى تراجمهم امامك ان شاء الله •

مراثيه

لم اقف له على مرثية من تلاميذه ؛ الا مرثية رفيقه الشيخ الوالد الذى القاها من خطه مع ماصدرها به ؛ ونص ذلك باختصار :

وبعد • فهذا رثاء لعلامة زمانه • ورافع راية الدراية في اوانه • الفقيه النبيه • الاغر النزيه الابر ابى عبد الله سيدى محمد بن عبد الله بن صالح بزاوية (تحت الحصن) بالغ • قد قلته حين اصبنا برزية فقده وذهب ربنا بعبده

فمن للملا وللمحاسن والوفـــا   وللحسن والاحسان والسر والصفا
وللرفد والارشاد والقصد والندى   وللحلم والسخاء والصبر للجفـــا
وللخوض في بحر العلوم بفلكـها   وتجرى ويجنى من فرائد مااصطفا
وللسقي في النادى الندامى بديهة   كؤوس نظام الشعر تنسيك قرقفا
يمل الندامى ما هداه وانــه   بكل الذى يهوى نديمه قدوفى (١)
فنفس عصام سودته وعلمـت   له الكر والاقدام ليس الذى قفا (٢)
لتبك عيوننا الفقيــه محمـــدا   بالغ بزفرات تذاب بها الصفا
وكيف وقد بدا بمحياه للورى   شريعة احـمـد وراثـة مصطـفـى
ومن بعده بدت غياهب ظلمة   تراكمت الامواج منها على شفـــا
فلولا على صنوه وشقيقـــه   تسلت به الاحلام حين له اقتفـى

(١) مأخوذ من قول الشاعر •

تمل الندامى ماعدانى فانني   بكل الذى يهوى نديمي مولع
(٢) نفس عصام سودت عصاما   وعلمته الكر والاقدامـــا

الت بنا الاحزان من كل وجهة   ايارب نوره ضياء بلا خفـــا
وابرزه للانـام شمسـا وقدوة   وسرا وترياقا غليلا لهم شفى (١)
فيشفى صدور المومنين بنوره   لما فيه من اسرار ربه والشفا
فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر   فذا القول قول الحق حقا من الشفا

قولة المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

ومنهم الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله الالغي امام عارف معترف له بالبلاغة والبراعة مع نفس عصابة وفكرة اياسية • حافظ للترتبة • ادبا ومروءة • الى رواية كثيرة • مشارك في فنون • من فقه وعربية وادب • انتفع به خلق كثير في وجهته وهو اول من اختط المدرسة العلمية ببلده • فعمرهـا بانواع التدريس الى ان اشتهرت واشتهر تلاميذها • مستفتي في المشكلات تصطفيه الرتب العالية ؛ فاعترف بارشاده الخاص والعام • (ومـن يساجل صوب العارض الهطل) علما وحلما •

(١) الانام كالاسباب • لغة في الانام ؛ كالسحاب

الشيخ الحاج علي الدرقاوي

نحو ١٢٦٨ = ٢٨-١٢-١٣٢٨ هـ

نسبـــــــــه

علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد ابن عبدالله بن سعيد .

هذا هو والدي الذي بسببه خرجت من العدم الى الوجود ؛ وله علي -كوالد- واجبات تحتم علي ان اؤدي حقها ؛ وما هو اوكد الواجبات على الانسان ان لم يكن حقوق الآباء على الابناء ولكنه يصعب مع ذلك علي من اراد ان يتحرى الحق في مثل هذا المقام ؛ ان يذكر لابيه كل مايعرفه كل معاصر له قبل ان يعرفه هو من شموخ مجد ؛ ونباهة ذكر ؛ ان يجد بين يديه - امام من حبب اليهم انفاذ كل شيء - مسلكا يخرج منه سالما ؛ لانه اما ان يطنب واما ان يوجز وكلاهما شطط عند بعض الناس ؛ فالمطنبون يتهمون بالتحيز ؛ والاشادة بمعال يؤول اليهم فخرها ؛ ويبصرون كانما يجرون النار الى قرصهم - كما يقولون - بل يقال لهم مادح نفسه يقرئك السلام ؛ والموجزون يتهمون عند قوم آخرين بالعقوق وغمط والديهم واسلافهم ماكانوا هم اعرف الناس به ؛ ولذلك يسلك من يسلك هذه الطريقة عقبة كأداء صعودا قلما ينفذ فيها نافذ الا ارضى قوما واسخط آخرين ؛ خصوصا في هذا العصر الذي افتضحت فيه طرق التصوف بكثرة الكذابين الافاكين ؛ الذين اطالوا الاكمام وأرسلوا العذبات ؛ وادعوا مالم يكن لا للخليل ولا للكليم .

كيف يمكن اليوم لمثلي ان يجلو على أنظار هذا العصر صفحة نقية من التصوف الخالي من الرياء والشعوذة والافك والبهتان ؛ كما يعرف به كل الناس الشيخ الوالد رحمه الله ؛ ثم يجد من ينصف ويزن بالقسطاس المستقيم ويتاني حتى يدرك معي ما ادركته ؛ قبل ان يخزني بحمة عذله ؛ او يصل الى والى من ارسل في ترجمته يراعي بنبله ؛ فان هذا العصر وأهله خلقوا من العجلة ومن السير السريع ؛ واقتبست عقولهم من سرعة السيارة والطيارة ؛ فصاروا يحكمون لاول نظرة ؛ ثم لايتهمون أنفسهم في احكامهم ؛ وان اتيتهم بعد ذلك بالف دليل وبرهان .

لكني رغم كل هذا اقدم على ترجمة هذا الصوفي الكبير ؛ فاتمشى رويدا رويدا ؛ واستقرى حياته من عهده بالمهد ؛ الى ان ووري في اللحد وساؤيد ما

اسوقه باستقصائه واستقرائه من اصفى موارده ؛ وساجعل نفسي حرا فيما اقول ؛ واجهر بالحقيقة التي اعرفها رضي من رضي وسخط من سخط ؛ جهر من يقول ما عرفه كما عرفه من غير مجمجة ولاتورية .

انني الآن كمؤرخ يجب علي ان اصدع بالذي اعلمه ؛ واشيد به للتاريخ فاوجز ان اقتضى المقام الايجاز ؛ واطنب ان استدعى الحال الاطناب ؛ واجعل في ذلك رائدي ضميرا ابيا حرا لايغمط الحقائق خوف ان يتهم بالتحيز ؛ ولايقبل كل مايحشره من يهرف بما لايعرف الا بتثبت وتبصر وتان ؛ ووزن بميزان العقل الذي فضل الله به ابن آدم ؛ ثم ماقصر عنه عقلي ؛ واعترفت فيما بيني وبين نفسي ان يدي تقصر دونه ؛ فاني اسوقه ان ثبت عندي وقوعه فادعه بين يدي القارئ، فله ان يقبله وله ان يرده ؛ ورضى الناس غاية لاتدرك .

ثم انه يجب على كل مؤرخ ان لايهتبل بآراء بعض ابناء هذا العصر من شذاذ الافكار الذين يابى لهم حولهم الا ان يجعلوا تخيلا كل ما راوه شيئين اثنين ثم لايزالون يترددون بينهما حتى تضيع الحقائق ؛ وتشتبه السبل فان هؤلاء من انصاف العقلاء الذين لاينبغي اعتبارهم ؛ وان كانوا يتوهمون عند انفسهم انهم وحدهم عقلاء العالم .

هاانذا اقدم اقدام من يقول مايعلم ؛ ويصيح به على اسلات اليراع التي هي ابلغ ايصالا من الواحي ؛ لانها توصل ما اودعته في كل زمان وان تطاول على حين ان الواحي لايتجاوز آنه ؛ وانا معتصم بحول الله وقوته ؛ ومتوكل عليهما في توفيقي فيما انا قائله ؛ ومتحرى الحق فيه جهدي ؛ والله هو المطلع والآلاف من الناس الذين يعرفون ما اعرف بكل ما اقوله شاهدون ؛ ومن قال ماعلم فما عليه من ملام .

ثم اعلن بكل صراحة انني ممن يومنون بالروحيات وبوجود ما وراء المادة واومن بتطور الروح حتى لتتجسم ؛ وأومن بان الكرامات والكشف المشهورات امس عند صوفيتنا اخوات ما يثبته العلم الحديث اليوم من استحضار الارواح وتشخصها ؛ حتى انها لتوزن وتصور ؛ وتاتي باشياء من بعيد في لمحة الطرف ومن لايومن بما عند صوفيتنا امس ولا بما اثبته العلم الحديث اليوم ؛ فليول منا وجهه بسلام ؛ فما بعد الحق الا الضلال ؛ فليس في مسلاخنا ولسنا في مسلاخه فقد ضرب بيننا وبينه حجاب مستور ؛ وانما قلت هذا لاعلن مذهبي كي استريح من ناس ضيقي الحواصل يريدون انيجعلوا الاسلام ماديا متحجرا سامحهم الله .

موضع الولادة

عجبا ان من الناس من تكون الخطوة الاول من خطواتهم في هذه الحياة

فلتة من الفلتات ؛ فتبدو كرمز الى ان هذه الخطوة صدرت عن انسان غريب وان حياته ستكون كلها غريبة ؛ فان كانت لاتدرك غرابة تلك الخطوة الاولى بادىء ذي بدء كشيء يلفت الانظار ؛ ويطيل العجب ؛ فانصاحبها لايلبث ان يعيش بعد بسيل مائج من العجائب فتتبع العيون كل مايتصل به قبل ؛ حتى تنتهي الى تلك الخطوة وما يحيط بها ؛ فتتجسم تحت نظره المبهور ؛ بآثار صاحبها فينالها حظها من العجب •

كان في الغ في عصر واحد ؛ عظيمان كلاهما اسمه علي وكلاهما يقوم بعمل عظيم لايقوم به الاخر؛ فاحدهما الاستاذ علي بن عبدالله الذي ستقرأ في ترجمته ما تقرأ ؛ فتوقن انه من اعاظم الرجال ؛ قلما تسمح البوادي بمثله وثانيهما صاحب هذه الترجمة ؛ وسترى امامك ماستقف ازاءه مشدوها ؛ وقد ذهب بك الاعجاب كل مذهب فكان من اغرب الصدف ان كليهما ولدته امه في مهمه قفر في جنوبي الغ ؛ يتخذ منتجعا للغنم في فصل الربيع ؛ فتتبع نساء الاسر غنمهن يمخضن ويقمن بما يحتاج اليه الرعاء ؛ فالاستاذ علي بن عبد الله نفست به والدته في محل هناك يسمى تارين ؛ وصاحب الترجمة ادرك امه الطلق في جانب آخر يسمى وينكزماضن هكذا تمخضت كل واحدة من (رقية) والدة الاستاذ ؛ وتاكدا والدة صاحب الترجمة بما تحسبهما الحواضر ولدين عاديين ؛ قد يعيشان وقد تميل بهما شعوب وهما بعد في المهاد ؛ ومن ذايعرف الا الله اذ ذاك ان ابن تارين سيكون من اعظم العلماء الادباء الذين سيفجرون من بحور العلم والادب ماتزخر به الغ وما اليها ؛ وان ابن وينكزماضن سيتكشف عن عن اعظم رجل مرشد ترفرف على هامته الوية الشهرة الخفاقة ويهتدي به آلاف مؤلفة من الناس ؛ ويتدفق به الى الغ من المريدين وطلاب الوصل الى معرفة الله طوائف اثر طوائف ؛ تموج بهم الطرقات ؛ مابين وادي نون الى درعة الى الحمراء الى الصويرة فهكذا تسقط حبة من يد انسان ؛ فتدوسها رجله ؛فيجتمع عليها الثرى ثم تمسها بلة من ندى ؛ فترسل من جذورها الرقيقة ما لاتزال تسمو به حتى تستحيل سرحة فينانة ملتفة الافنان ؛ متسعة الظلال يتفيأها في الهواجر اللوافح كل من احرقته (صكة عمي)

في الكتاب

كان والد صاحب الترجمة سيدي احمد بن محمد اميا ؛ ولكن جده محمد ابن احمد كان من حفظة كتاب الله ؛ فكان هو القيم على حفيده فكان اذا رجع من المسجد وفيه اذ ذاك الاستاذ سيدي بلقاسم الكان الذي تخرج به قبل ذلك الاستاذ محمد بن عبد لله في دارهم يكرر له سوره وقلما يذره كما يذكر العم ابراهيم يكثر اللعب ؛ فبهذين تخرج في القرآن ؛ وعليهما جوده فمما روى عن صاحب الترجمة اذ ذاك ما حكاه احد رجال قريتنا ؛ قال كنا نجلس في الممر

الصغير الذي هو مدخل مسجدنا فيمر بنا التلاميذ ؛ فكنا نتضاحك عليهم ونقول لهم اعطونا من خبزكم لندعو لكم بما اردتم ؛ فقال لنا سيدي علي بن احمد يوما ادعوا لي انا ان اكون شيخا كبير المقام ؛ قال فتعجبنا مما قال ؛ ولم كنا ندرك مدلولا لما اقترحه لاننا لم نعرف في بلادنا مثل مايقول ثم ما انقضى كر الغداة ومر العشي ؛ حتى شاهدناه شيخا كبير المقام ؛ فكانت آمال الصبا واحلام الفجر صادقة في دور الرجولة عند متوع النهار •

في مدرسة تانالت

كان الاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم اليزيدي يمت الى آلنا برحم ؛ لانهم اخواله ؛ فكان اذ ذاك مشهورا بالتدريس في مختلف المدارس ؛ فحين استتم صاحب الترجمة حفظ القرآن رات اسرته ان تسير بابنها في الطريق التي تسير فيها الاسرة الصالحية بابنها محمد بن عبد الله ؛ فانها ارسلته لتعلم الدين -كما يطلقه عوامنا على العلم- في المدرسة ؛ فلترسل هذه كذلك ابنها الى المدرسة وقد اختارت المدرسة التي فيها ذلك الاستاذ الذي يعلمون منه انه سيقوم بابنهم احسن قيام ؛ فكانت لهذه المنافسة المحمودة نتيجة عظيمة ؛ وعقبى يالها من عقبى واذا اراد الله ببلد خيرا تنافس اهله في العمل الصالح ؛ وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون •

في مدرسة المولود

كانت السنة التي التحق فيها صاحب الترجمة بتلك المدرسة هي ١٢٨٢هـ وفي السنة التي بعدها انتقل الاستاذ بطلبته الى هذه المدرسة الاخرى ؛ وهو مقبل اقباله المعروف على تلميذه الجديد ؛ يتدرج به في مدارج المبتدئين ؛ وهو اذ ذاك دون بلوغ ؛ ولكنه حببت اليه العبادة منذ ذلك الطور فقد حدث عن نفسه انه كان وهو في تلك المدرسة ؛ ينتقل احيانا الى مشهد سيدي الحاج يعزى الصالح الشهير المتوفى عام ٨٨٨هـ وببعد قليلا عن المدرسة ؛ فيتهجد فيه؛ فغلبته عينه يوما فوقف عليه رجل مهيب مستنير ؛ تشع منه الانوار ؛ فقال له اتعرفني؟ فقال له لا فقال انا محمد بن عبد الله رسول الله؛ فقال له بماذا اعرفك ياسيدي؟ فقال له تعرفني بان الظل لا يتراءى لجسدي ؛ قال فكانت هذه اول مرة رايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم •

في مدرسة تازروالت

مكث يوما الاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم في المدرسة المولودية ؛ اذا باعوان الرئيس الايليغي سيدي الحسين بن هاشم اوصلوا اليه استدعاءه الى الشارطة في مدرسة تازروالت؛ وكان هذا الرئيس اذ ذاك ذاشوكة وهيبة لايمكن

معهما الخروج عن رايه ؛ فانتقل الاستاذ ومعه تلاميذه كلهم ؛ ومن بينهم تلميذه الجديد ؛ ومن بينهم ايضا سيدى عمر الاكضيبيى ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح اللذان صارا بعد ذلك من اصحاب صاحب الترجمة حدثني الاخير منهما فاه لاذني ان من عادة صاحب الترجمة في المدرسة التازروالتية ؛ ان يصاحبه كل عشية بعد العشاء ونوم الناس الى مشهد الشيخ سيدى احمد بن موسى ؛ قال فانام أنا ويبيت هو في التهجد ؛ قال وكان اذ ذاك مراهقا وحدث سيدى عمر الاكضيبيى ان سيدى ابراهيم بن صالح كان له تقدم اذ ذاك فى المعلومات ؛ لانه كان سبق الى الاخذ بسنوات ؛ وسترى ذلك فى ترجمته في (القسم الرابع) ان شاء الله فكان يعيد الانصبة (اى الدروس) لسيدى على ابن احمد ؛ يعنى صاحب الترجمة •

هذا كل مانعرفه عنه هناك فى تازروالت ؛ وكفى بذلك دليلا على ما يبحث عنه فيه وهو بتلك السن ؛ حيث تمضى عنه الحلقة الاولى فى التعلم •

في مدرسة تانكرت

لامرما فارق الاستاذ اليزيدى تلك المدرسة ؛ ورجع الى داره فتفرق تلاميذه فالتحق سيدي الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح ؛ وسيدى عمر الاكضيبيى بالمدرسة الادوزية ؛ واما صاحب الترجمة فقد راى اهله ان يلتحق بابنى عميه سيدى محمد بن عبد الله وسيدى الحسن التاياسينتى في تانكرت ليستعين بعضهم ببعض ؛ فنزل في تلك المدرسة فى بيت مع شرفاء من أولاد سيدى احمد بن موسى ؛ كانوا ثمانية اخوة دفع بهم جميعا والدهم الى المدرسة ؛ واحدهم هو الاستاذ سيدى عمر الشهير ؛ وسيذكر ان شاء الله مع علماء اهله في (القسم الرابع) فثوى هناك صاحب الترجمة من عام ١٢٨٦هـ الى عام ١٢٨٩هـ فلاشك انه الان شاد فيما ياخذه ؛ قد تفتحت قريحته فاقبل اقبال النهم الجشع على مختلف الفنون يلتهمها ؛ ولكن انزواءه عن الناس وانقباضه عن المجتمعات في زيادة ؛ وميله الى ماتتشوق اليه روحه مما خلق له لم يزل فى نمو وقد تلقن اذ ذاك الطريقة الناصرية من بعض المقدمين فيها ؛ ولاادرى من هو وانما ذكر ذلك في بعض رسائله استطرادا ؛ وكثيرا ما اتوهم انه الشيخ سيدى المدني الناصرى الذى يجاور تلك المدرسة وقد كان المترجم ممن يحضر مجالسه فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم •

فى يوم من الايام اجتمع الطلبة بالمدرسة ؛ فقالوا الامن يقيم لنا حفلة فندعو له بما اراد ؟ فاقامها لهم صاحب الترجمة ؛ وابن عمه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله والقائد سعيد المجاطي وقد كان هناك اذ ذاك يتلقى القرآن فسأل الطلبة كل واحد عن منيته ليدعوا له بها ؛ فاما صاحب الترجمة فذكر لهم مايدل على مقام عال فى معرفة الله ؛ وقد انسيت العبارة التى تلفظ بها ؛ ولكنها تنحو هذا المنحى؛ واما الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فقد ذكر مقام

الشفوف بالعلم والتفوق على الاقران به ؛ واما سعيد بن امغار محمد المجاطي فقال انى اطلب ان اكون قائدا على مجاط ؛ فسبق في القدر ان لقد السهم فاستجيبت الدعوة ؛ فنال كل واحد منهم مافى ضميره ؛ هذه حكاية مشهورة متداولة الى الان •

ملاقاته بالشيخ سيدي سعيد المعدري الدرقاوي

كان منبع الطريقة الدرقاوية من شيخها مولاى العربى الدرقاوى الشهير المتوفى عام ١٢٣٩هـ ؛ فتخرج به كثيرون ممن لهم شهرة طائرة كالحراق والبوزيدى والمدنى والدباغ والبدوى ؛ وممن لاشهرة لهم مع انهم من كبار اصحابه ؛ ومن بين هؤلاء الاخيرين الشيخ سيدى احمد بن عبد الله المراكشى صاحب الزاويه الشهيرة بازبزض بمراكش ؛ وقد توفى فى نحو عام ١٢٧٠ هـ فبهذا تخرج مشايخ سوسيون ؛ وفى مقدمتهم الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدرى الامى الذى تفجرت منه اسرار جلبت اليه كثيرا من علماء وقته؛ كسيدى الحاج الحسن التاموديزتى ؛ وسيدى الحسن التيملى دفين قرية ارازان براس الوادى وسيدى خالد من افلاوكنس ؛ وسيدى الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى الحاج صالح الاكمارى وسيدى الطيب بن خالد الاكمارى ومحمد بن احمد بن عبد الله الكرسيفى ومحمد بن احمد بن الحسين الكرسيفي والعلامة ابى فارس الادوزى والحاج محمد البوزاكارنى ؛ وسيدى محمد بن المحفوظ الزمامسي وسيدى محمد بن ابراهيم الافرانى مدرس مدرسة تانكرت التى فيها الان صاحب الترجمة ؛ وغيرهم ممن سنذكرهم انشاء الله فى تراجمهم او نستطردهم فى تراجم غيرهم ؛ وكان من عادته ان يتتبع البلاد بالسياحة فيرشد العباد وينبه الغافلين ؛ وكان من بين البلاد التى يطرقها بلد تانكرت ؛ فقد رايت ان عالمها الافرانى من اجل اصحابه المتنقين لطريقته •

حدث صاحب الترجمة عن نفسه قال مررت انا وصاحب لى بالشيخ سيدى سعيد ونحن فارغوا البال ؛ ولم نعرج اليه ؛ وهو جالس في مكان منتبذ من الطريق فرايناه يحد الينا بصره ؛ فذهبنا لحال سبيلنا ؛ ثم في العشى ساقنا اليه سائق السعد فاخذنا عنه الطريقة ؛ فقال لى بعد ذلك ان تلك النظرة الاولى هى التى فيهامافيها ؛ ثم حدث من كان جالسا مع الشيخ سيدى سعيد حين مر به صاحب الترجمة مع صاحبه اذ ذاك فقال ان الشيخ اتبعهما بصره مليا ثم قال ان هذه الذات نيرة ؛ فما اليقها بسر معرفة الله تعالى ؛ وفى بعض رسائل المترجم مانصه ؛

(وقد كنت حين لقنني شيخي مستغرقا فيه ساى الذكر من ذلك الوقت الى قيامي من بين يديه وبعده ؛ وليس لى شغل سواه قياما وقعودا وعلى جنبي حتى انى لااقدر ان اقطعه حتى فى حال الاكل الى ان صار خادما من غيرارادتي

فكل نفس يعلو او يهوى يكون معه)   انتهى المقصود

ثم لم يمض عن صاحب الترجمة الا ثلاثة ايام مع شيخه في بعض قرى تانكرت ؛ حتى اصابه ما يسميه الصوفية في اصطلاحهم بالجذب ؛ قالوا يعترى من فاجأ روحه ما لم تستانس به بعد ؛ فتغمره موجة تيارة فيغان على عقله فلازمه ذلك اياما وقد فقدشعوره ؛ وانقطع عن الاكل والشرب ؛ واذا العقه من معه شيئا من الحليب ؛ لايلبث ان يجيش فيقذفه ؛ وقد غلبت الحرارة على بدنه حتى انهم يغطسونه في نطفية ماء بارد ؛ ثم لايزيده ذلك الا التهابا ؛ ثم بعد لاى افاق من غشيته ؛ واسترد شعوره ؛ فصار الكون كله –كما قال– امام عينيه هباء في هباء وقد الم بهذا كله في بعض رسائله ؛ كما الم به ايضافي رحلته الحجازية اذ قال فيها :

قد كنت فـي غياهـب الغباوة ... على شفا يورثني الشقاوة
وكنت صديان الى دليـل ... يهدى الى معرفة الجليل
يجلو لى القلب لكى انالا ... في نيل معرفتــه الكمالا
فيستوى الجلال والجمال ... لـدى والنقصان والكمال
وتصبح الاقوال والافـعال ... بالله والاوصاف والاحـوال
بينا فؤادى نحوه صديان ... والقلب منى والـه حيران
اذ قيض الله لنا سعيدا ... هذا وكان المبدىء المعيدا
فكان آخـذا بنا للــه ... يرقى بنا لحضرة الالـــه
فكان لى القبلة فـــى الامور ... وردنى عن سائر النفور
بنظرة اولى لديه شهدا ... بـدر لكل ما لديه قصدا
اخبرنى بعيد الاستحواذ ... عنها فقال : ليس غير هـذى
فهكذا نسمع : نظرة الولـى ... ترقى الى حضرة ربنا العلـى
تركت ماسوى الاله جهـرا ... فلهجت نفسى بربى ذكـرا
وقبحت عندى ملاح الدنيـا ... فيما يرى برؤية والرؤيـا
وليس لى في غير ذات الله ... مأوى ولا عن حسنه ملاهـى
فصلت عنى سائـر العلائق ... لكونها عن مقصدى عوائقـى

الى ان قال :

ولم يزل بنا على الارشاد ... الـى وصول خالـق العباد
فزال ما بنا مـن الآلام ... ومن غيون النفس والاسقام
ورجعت ارواحـنـا للاصل ... من التانس برب الكـل
ولذة الحضرة ليست تـحكى ... بشبه ولا بفهم منكـا

الى آخر ما قال

وقال ايضا في رسالته المسماة «عقد الجمان» في ذلك مانصه :

(لما من الله علينا بملاقاة شيخنا الاسعد ؛ وقدوتنا الاوحد ؛ امام العارفين وتاج الواصلين ؛ سيدى سعيد بن محمد الهلالى طينا ؛ والمدرى وطنا بإزاء بانة قدس الله روحه في اعلى عليين ؛ واخذنا عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية قلبت قلوبنا فلم نر مايملا اعيننا في الدنيا الا معناه وذكره ؛ وبعد ما اخذت عنه الورد بثلاثة ايام او اربعة ؛ حصل لى مقام الفناء والجذب ؛وسرى سر الله في ذاتى وروحى قلبا وقالبا ؛ ولما وقع ما وقع مما لم اره من سر اللـه ؛ دهشت دهشة عظيمة وقلت ماهذا ولكن ادركنى الله بالشيخ كان في قربنا ؛ فوصلته فمرفنى الحال ؛ ولكن لما التقيت معه زاد على مابى حتى انى لااطيق ان اسمع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الا وذاتى تتمزق ؛ فلم اشعر بشىء يلهينى عن ذكر نفسى واجتمع عندى في ثلاثة ايام والحمد لله ما لايجتمع بعبادة اعوام عديدة ببركة العارف بالله الذى التقينا به ؛ فاننا نعمل اعمالا عديدة ومجاهدة اكثر مما عملنا معه ؛ من زيارة الصالحين الاحياء والاموات ؛ ولكن لم يشف ما بنا الا بملاقاته في اقرب مدة واقل عدة ؛ لان العارفين بالله هم الاكسير الحقيقى والكيمياء من التقى معهم لم يحتج الى كثرة عمل وتعب ومن لم يلتق معهم فكمن يضرب في الحديد البارد ؛ يعيى ولايقضى حاجته ؛ ولايصل اليهم الا من اراد الله ان يوصله اليه)   انتهى المقصود

في صحبة شيخه المدري

ان كل من لم يخالط هؤلاء الصوفية ولم يعرف اذواقهم ؛ يحمل كل ما يسمعه عنهم على الافك والبهتان ؛ والمخرقة والتدجيل والشعوذة ؛ ويخلط بينهم جميعا في ذلك ولايفرق بين الصادق والكاذب؛ ولكن من خالطهم واستطاع ان يميز اعمال الصادقين من الكاذبين منهم؛ فانه يشاهد منهم الوقوف مع السنة الافيما غلبوا فيه على احوالهم او جهلوه ؛ مايتيقن به انهم هم وحدهم الفائزون بالاطلاع على دقائق الدين وحلاوة الايمان؛ وانه ان لم يكن العارفون منهم من رجالات هذه الامة فلارجال لها بعد ؛ وقد كنت انا وصاحبى الاستاذ محمد الفازى الكناسى كثيرا ما نتذاكر حول هذا ؛ ثم نجيل اعيننا في بعض ابناء اليوم الذين يخبطون خبط عشواء في الصوفية من غير ان يعرفوا عنهم ما يقبلون ولا مايردون ؛ حتى ان فيهم من ينكر الاشتغال بلااله الا الله ؛ والعياذ بالله فكنا لانتجاوز ان نقول فيما بيننا : من جهل شيئا عاداه ؛ ثم نرجع فنعذرهم بسبب مانراه عن ايماننا وعن شمائلنا من كثرة الافاكين الذين تصدوا فى منصات الزوايا ؛ على حين ان بعضهم يحكى عنه انه لايغتسل من الجنابة؛ وانه •••• وانه •••• مما هو متواتر عنه

ثم ماهذا الذى اختص به هؤلاء الصادقون من الصوفية ولايوجد الا في ايديهم ثم لايكاد منصف من ذوى المناصب يتذوقه من عندهم حتى تراه قدامرض

عن كل شيء ونفض يده من فخفخة منصبه ؛ ثم لايطيب له العيش الا بالانقطاع اليهم ؟

ماهذا الذى يبهر من يكون اعظم منكر على هؤلاء الفقراء الصادقين ثـــم يتهافت عليهم بعد ذلك مستسلما تهافت النحلة على خابية العسل ثم لاتبالى ان كانت فى بطن الخابية من المغرقين ؟

ماهذا الذى يشاهده من كان خاض فى فنون العلوم المختلفـة خــوض الفهمين اللبقين ثم لايلبث بعد ان يلتقى مع احد هؤلاء الناس ان يعلــن انــه ماذاق قط حلاوة يثلج بها الصدر ؛ ويطمئن لها القلب ؛ مثل ماذاقه حين التقائه باحد هؤلاء القوم ؟

ماهذا العلم الذى قال فيه بعض كبار العارفين من لم يتغلغل فى علمــنا هذا ثم مات ؛ مات مصرا على الكبائر وهو لايشعر ؟

من هم هؤلاء المشايخ الذين ينبغون فينة بعد فينة ؛ وربما كانوا اميين ثم لايكاد يتصل باحدهم من كان يعرف فى نفسه رياء وسمعة ؛ وثقل اعمــال الخير ؛ حتى يعود كثوب مر تحت يد القصار ؛ ابيض براقا يتلألأ نورا ويتشعشع هداية واخلاصا ويستقيم فى اعماله ومعاملاته حتى كانه معصوم ؟

لاأكذبك ايها القارىء ؛ فانى لم ادرك من كل هذا الا شيئا واحدا ايقنته من نفسى ؛ وهو اننى اذا كنت مع هؤلاء الصوفية ؛ بشرط ان يكون الصوفية الصادقين كمن اعرفهم ؛ اجدنى لين القلب ؛ مائلا الى الاخلاص والى التواضع والعبودية خلاف ما اكون عليه حينما اكون بين يدى غيرهم ؛ وهب هذا الغير من الاساتذة المحدثين الذين يملئون المسامع بقال الله وقال الرسول ؛ ويزفرون زفرات الغيرة على هذا الدين الحنيف مع اننى فى مبدئى اخالنى على قدم هؤلاء الاساتذة الاجلاء ؛ ولكنى مع ذلك لايجد قلبى عندهم مايجده عند الاخرين فهذا كل ماأدركه من نفسى ؛ ولا على فى غيرى

ذاق صاحب الترجمة من بين يدى شيخه الجديد ما ذاق ؛ وحصل له فى تلك الايام الثلاثة ما حصل ؛ مما لم ينل ذرة منه - كما قال فى رسالته المتقدمة - من مجاهدات كثيرة كان مشغولا بها قبل ذلك ؛ فعلقت اجنحته بصحبة شيخه فلم يطق ان يفارقه ؛ فنسى الجار والمجرور وابواب البيوع ؛ وجداول المناسخات فاتى مانسخ حبه الجديد ماكان يجول حبه فى قلبه قبل اليوم

محا حبها حب الالى كن قبلها ... وحلت محلا لم يكن حل من قبل

وصل الخبر الى الالغيين بأن صاحب الترجمة مر به الدرقاويون اولئــك الذين لايلبسون الا المرقعات ويتطوقون بسبحات كبيرة غليظة ؛ ثم لايكون شانهم الا التقلب فى مختلف البلاد

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو ... ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

فارتاع اهل الشيخ وخافوا على ولدهم ان يجن وقد صحب اولئــك المجانين البله - كما يحسبهم الناس اذ ذاك - ولابد ان خبر ذلك الجذب الذى حصل له يحملهم فلا يكذبون ان الجنة مسته وكل من يعرف قلوب الوالدين فى مثل هذه الاحوال ؛ لابد ان يقدر ذلك الموقف قدره ؛ (ان المحب بسوء ظن مولع)

تابع والده حتى عرف اين مستقر اولئك الذين طاروا بولده ؛ فركـــب بغلته ولحق بالشيخ المدرى ؛ وهو مع اصحابه بماسة ؛ فطلب منه ان يامر ولده بالرجوع معه بعد ان تكلم مع ولده فما احار جوابا ؛ فقال الشيخ للولـد لابأس ارجع مع والدك فلا خير الا فى ذلك ثم قال الوالد انى لااريده الا للعلـم وان كانت درجة افضل من العلم فليتطلبها ؛ فقضى الامر ؛ فرجع الوالد والولد مترادفين على البغلة .

حوار لطيفة

حاول الوالد ان يسمع من ولده كلمة واحدة تخرج من فيه منذ لاقـاه ولكنه لايبدو امامه الا اطراق الراس ؛ وضم الشفتين ؛ وذلك مايسمى فى اصطلاح الصوفية الصمت وقد كان صاحب الترجمة تلقى من شيخه ذكر الاسم الاعظم (الله) من اول يوم مع شروطه التى هى الصمت والعزلة وهجر النوم ؛ والاقلال مـن الطعام فاقبل على كل ذلك ؛ وابتدا فى ذكر اسم الله وهو لايزال بين يدى شيخه فى المجلس الاول - كما ذكره هو عن نفسه فيما سقناه قبل من رسالة له - لهذا لم يجد منه والده ماكان يالفه منه من المحادثة ولكنه اكثر عليه وهما مـتـرادفان فاقلقه الصمت . فكان ذلك سبب هذه المحاورة اللطيفة ؛ قال الوالد ؛ بالله عليك ياولدى ماذا رايت فى هذه الطريقة الجديدة التى اعتنقتها وهى طريقة حديثـة العهد فى بلادنا هذه وما كنا نعهدها فى بلادنا هذه ؛ وماكنا نعهد الا الطريقـة الناصرية فهى التى نالفها ويالفها آباؤنا واجدادنا؛ اوليس بمستجيب ان يخرج الانسان من المعتاد مع ان الناس يقولون : العاقل يتبع الناس ؛ والاحمق يتبع الناس ؛ فقال له الولد : وما ذا ظهرلك انت ياوالدى فى البيع والشراء فـــى القطران الذى تاتى به من قبيلة ايت رخا وتسافر به الى قبيلة آيت صواب حتى تبيعه ؟ وهل كان المعتاد فى اهالينا الاتجار بالقطران؟ وهل كان آباؤنا واجدادنا يعرفون ذلك ؟ اوليس ايضا يعيب ان يزاول الانسان ماليس معتادا عند اهـلـه مزاولته ؟ فقال له الوالد ؛ انى ياولدى اخترت هذه التجارة لقلة راس مالـهـا ولكثرة ربحها ؛ فانى بذلك القطران املا دارنا لوزا وتينا وزبيبا مما استبدله به فى قبيلة ايت صواب ؛ فهذا ياولدى ماحملنى على اختيار القطران ؛ ومخالفة عادة اهلنا فى ذلك فقال له الولد ان مثل هذه الطريقة الدرقاوية عندى مثل هذا القطران عندك ؛ فان العمل فيها ايضا قليل ومايجده القلب من ورائها كثير ؛ ولا ينبئك مثل خبير .

هكذا استدارت المحاورة ؛ ورأى الوالد ان لايحرج ولده ؛ فهو الى ايناسه احوج لئلا يرجع على عقبه فيلتحق ثانيا باولئك المجانين البله كما يزعمهم الناس •

في مدرسة أدوز

رجعت المياه الى مجاريها ؛ فراجع صاحب الترجمة دراسته ؛ واستتمام معلوماته وقد التحق بالاستاذ سيدى محمد بن العربي الادوزى ؛ اما في اواخر ١٢٨٩هـ واما في اوائل سنة ١٢٩٠هـ فاقبل على التحصيل بكل مستطاعه وتحت يدى كتب كثيرة كتبها اذ ذاك ؛ وهي كلها دراسية لانه الان وقد شدا ؛ وتطاول الى تسنم القمم العليا في الفنون اعوزته الكتب فاستعار له اهله من الخزانة الحضيكية بعضها ؛ فاقبل هو على استنساخ كتبه الخاصة شأن الطلبة اذ ذاك والمطبوعات كما ظهرت ولكنها لاتزال قليلة ؛ ومن بين الكتب التى كتبها بيده الدردير على المختصر ؛ وايسر المسالك على الالفية ؛ وقد ملا طرره بفوائد نفيسة وبالشواهد وتفسير الكلمات اللغوية فيها فهي نسخة قيمة مصححة وشرح من شروح السلم ؛ وشرح للخزرجية وشرح المحلى على جمع الجوامع ؛ والرحلة الادوزية لاستاذه ابن العربي ؛ واضاءة الادموس للهلالي وكراسة فيها ابيات متفرقة في النحومما يحفظه عادةمن يقرأون الالفيةوغيرذلك مماتشتت بين الاوراق لان هذه المنسوخات كلها لم تجلد فضاعت من بينها ورقات وكراريس ؛ ومن ذلك تدرك همته ؛ وقد بذل هناك منتهى جهده وقد كان نفعه ماكان حصله في السنوات المتقدمة ؛ فلم يزل مثابرا حتى كان رئيس المدرسة فهما واتقانا للفنون واكبابا على التضلع ؛ وقد اخذ من مختلف الفنون التى يعنى بتدريسها الاستاذ الادوزى فأتقن عليه النحو واخذ عنه التسهيل ؛ وقد حفظها كلها اوجلها اذذاك ــ كما ذكره الاستاذ سيدى محمد بن مسعود ــ ويدل على ذلك انه كان يدرسها بعد ــ كما سترى ذلك ــ وبلغ ايضا في الفقه شأوا بعيدا يدل عليه مؤلفه الشلحي الذى ترجم به مجموع الامير ؛ وقد اخذ هناك ايضا البيان والاصول واللغة ؛ وكان مستحضرا لضبط الالفاظ ؛ متقنا للتصريف وقد عرف له استاذه هذه المكانة السامية التى ترقى اليها بملازمته واجتهاده ؛ فرآه وحده اهلا لاستنابته على موالاة الدروس للطلبة في رحلته الى الحمراء مع سيدى الحسن بن احمد التمكدشتى سنة ١٢٩٣ هـ

حكى لى سيدى ابراهيم بن صالح رحمه الله قال خرجنا لنودع الاستاذ اذ ذاك ونحن نحو مائة وستين من الطلبة ؛ فحين حق الوداع واصطف الطلبة أقبل اليهم الاستاذ فقال : ان سيدى على اكرام ــ وبذلك يدعى هناك اذ ذاك ــ يتولى التدريس في مقامى الى ان ارجع ان شاء الله ؛ قال فرجعنا ثم خلص بعض المتكبرين من الطلبة الذين ينفسون على سيدى على هذا المقام ــ نجيا بينهم فقالوا

والله لانقبلن ان يقوم هذا الرابط في مقام الاستاذ ؛ فلئن توجه الى المجلس واراد ان يتصدر ؛ ليرين منا ما لاينساه ابد الابدين ؛ قال فاسترقت سمع ذلك فصمت حتى وصل وقت الدرس فولجت عليه بيته ؛ فمنعته من الخروج الى المجلس العام ؛ ثم كان سيدى ابراهيم بن صالح قال لى انني مع الناس قليلين من الطلبة افتتحنا عليه في غير المجلس العام دالية اليوسي وذلك غالب ظني الان •

ثم وقفت على رسالة صغيرة ارسلها الى اهله في هذا الحين نصها ؛ (من على بن احمد بن محمد الى والده ؛ السلام والرحمة والبركة •

اما بعد فادعوا لنا بصلاح الحال والمآل ؛ ونحن والحمد لله بالسلامة والعافية ؛ ونرجو ان تكونوا كذلك ؛ والفقيه ذهب الى مراكش وجعلنى خليفة على الطلبة لنتذاكر معهم لكن لم يتفقوا فنذاكر من اراد حتى يرجع ان شاء الله والحاصل اننا نقرا لم نمكث ؛ فلاتتشوشوا بالكم لان هذا المكان من اراد القراءة يقرا ابدا ؛ سواء حضر الفقيه ام لا ؛ ونحن والحمد لله لم يخصنا شيء من درهم ولادقيق ولا ادام ونحضكم على شراء الوصيفة ان امكن ؛ فان للتاخير آفات واقرا منى السلام على الاخت وقولوا لها يرحم الله المرحوم الذى قضى نحبه)

هذه رسالة نقلتها من خطه ؛ وقد وقعت عليها صدفة من بين رسوم اناس من اسرتنا وهي تحقق لنا ماتقدم من حكاية سيدى ابراهيم بن صالح الذي كان رفيق صاحب الترجمة الخاص في زمن الدراسة ؛ وقد تقدم ان كان يقدر له الانصبة ماشاء الله ؛ ثم لم يتكبر سيدى ابراهيم اليوم ان يجلس ايضا بين يديه ليأخذ عنه متابعة لاذن الاستاذ ؛ وقد كان سيدى ابراهيم هذا مشاركا في البيت لسيدى عمر الاكفسيي ؛ كما انني سمعت ان صاحب الترجمة كان في مشاركة سيدى الحاج احمد اليزيدى وذلك من قلة البيوت وكثرة الطلبة وحدث سيدي عمر المذكور انه كان يمنع رفيقه ان يدخل الى بيتهما صاحب الترجمة عند معاونهما الانصبة ؛ قال ويجلسان معا في براح ؛ وربما يكون الجو باردا فينالهما ماينالهما من البرد ؛ وكثيرا ما يتاسف بعد ذلك حين صار ممن تلمذوا لصاحب الترجمة ويقول واحياءاه مما كنت اعامله به اذ ذاك ؛ وحكى ايضا ان صاحب الترجمة كان كلما سمع من نادى باسم الله يسقط مغشيا عليه ؛ ثم لايستفيق الا اذا صلى له على النبى صلى الله عليه وسلم مرات في اذنه ؛ وكان مجان الطلبة يتعمدون ذلك فينادون باسم الجلالة امام بيته ؛ وقد كان حينا هتك ستر صمته ؛ وفارق انزواءه المعتاد منه ثم قال سيدى عمر فكنت منذ رايت منه هذه الحالة الجديدة اكره مجالسته واحمل ذلك منه محامل اخرى ؛ وفي يوم جاء انسان من دار نائية عن المدرسة ؛ فاستدعى الطلبة فامتنعت انا من الذهاب معهم ؛ وما منعني الا كثرة كلام سيدى على اكرام ولكن حدث الطلبة بعد رجوعهم انه لم ينبس ذلك النهار ببنت شفة ؛ وانه راجع ايضا صمته وانزواءه ؛ قال ثم من ذلك اليوم انقبض انقباضا دائما حتى غادر المدرسة •

قلت ان الصوفية يقولون ان من الاحوال التى تعترى من يترقى فـي المقامات انه يحل مقاما يسمونه (مقام البسط) فيغلب عليه البشر وكثرة الكلام حتى ليعده من لايعرف حاله من اهل الهذيان ؛ ثم ان تجاوز ذلك المقامانطوى عنه ذلك البساط ؛ ثم لايزال تتقلب به الاحوال واختلاف المقامات ؛ حتىيتمكن فبعد ذلك يصير حاله حالا دائما لايتأثر باى شىء ؛ هذا مايقولونه نحكيه عنهم واهل مكة ادرى بشعابها .

وحدثنى سيدى ابراهيم بن صالح قال رايت فى حين ونحن بالمدرسة الادوزية سيدى عليا اكرام كثير البكاء والزفرات ؛ بسبب وبلا سبب وكثيراما القاه بغتة ؛ فاجده على هذه الحال فتحينته يوما حتىكانفى بيته فدخلت عليه وأنا اقولفى نفسى انه بلاشك راى النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فاستهواه الشوق فدام عليه ؛ وهذا افضل من يواخيه الانسان فى الله فسلمت عليهفقلت ان طلبتى عندك ان نعقد الاخوة بيننا لله ؛ والناجى منا ياخذ بيد صاحبه ؛ قال فماكاد يسمع ذلك حتى اجهش بالبكاء ثانيا وغلب على حاله ؛ حتىرحمتهورايته لايجيبنى بكلام فخرجت فتركته ؛ وفى يوم من الايام استدعانى ؛ فقال اليوم نعقد ذلك العقد الذى طلبته منى ذلك النهار ؛ فهذا ماعرفناه عنه رحمه الله وهو فىأدوز ؛ ولولا سيدى عمر الاكضيبى ؛ وسيدى ابراهيم لجهلنا كثيرا من احواله فىتلك المدرسة ؛ كما جهلناها فى المدارس الاخرى .

* * *

سافر الاستاذ سيدى محمد بن العربى الى الحمراء ؛ وصاحب الترجمة يدرس مع بعض الطلبة ؛ ثم بداله فالتحق بأهله ؛ فركب على بغلتهم فالتحق ايضا بمراكش ؛ وقد مكنه والده دارهم يشترى بها مايريده من الكتب ؛ ولكنه لم يشترى الا قاموسا من المطبعة الحجرية القديمة ؛ وقال هذا كل ما احتاج اليه ؛ ثم اشترى لاهله مايعوزهم ببقية الدراهم (وهذه النسخة لاتزال عندنا)

ثم فى اواخر سنة١٢٩٤ هـ ظعن عن ادوز وقد ودعه استاذه واجازهباجازة كانت محفوظة عندى بخط الاستاذ ؛ ثم نقلتها فى كناشة ثمعدا الفار على الاولىوتقلبات الاحوال على الثانية ؛ ونحن فى غرارة الشباب سادرون ؛لمندرك بعد قيمة المخطوطات؛ فنحن الآن وقد توقفنا عليها لم نعتض عنها الا الاسترجاع والحوقلة

فى فض النوازل وقسم التركات

ها هو ذا صاحب الترجمة قد رجع الان من المدرسة موفور الحظ ؛ مرموق السعد مشهودا له من اساتذته بالتبريز ؛ وبالتفوق فيما اخذ ؛ وقد سارتالاخبار بذلك وتحدثت به الركبان ؛ فلابد ان الناس سابرون غوره ؛ ومفتشون عماوراء اكمته لينظر اصدق من شهدوا له بالتفوق ام كانوا من الكاذبين ؟

صادف امامه قضية متشعبة بين اولاد عمه ؛ سيدى ابراهيم بنسليمان وفيها احباس تشاكس حولها الورثة؛ وقد كان الاساتذة سيدى الحاج ياسين وسيدى على الجاطى وسيدى محمد بن عبد الله الالغى وسيدى الحاج محمد اليزيدى تواردوا عليها ؛ فلم يتفق لاى واحد منهم ان يفض ختمها ولا ان يحل عقدتها ؛ فحين رجع صاحب الترجمة رفعوها اليه وحكموه ؛ فوافق ذلك ان نزل عليهم اصحابهم من مجاط ليتعاونوا معه على ذلك ؛ فيرغمون على الحق من اباه فيالو القضية ؛ وسهل الله امرها بتساهل الورثة فيما بينهم ؛ فتم امرها وقد رايت ماكتبه لهم اذ ذاك ولكنه غير مؤرخ على عادة فقهاءاهل هذه البلادالذين لايابهون بالتاريخ ؛ ولكن المعهود انهم لايفرطون فيه فى رسم المفاصلة مثل هذا ولكن هذا لم يقدر تاريخه ؛ فذهب المجاطيون الى دارهم ؛ وهم يقولون عجبا من فقيه جديد من الغ لايزال صغيرا فض دعوى متشعبة عجز الاساتذة المسنون عن فصلها ؛ بهذا اخبرنى من سمع منهم اذ ذاك

وكذلك فصل ايضا نازلة لبعض ايت (امتضى) حكموه فيها ؛ فارام فيها وجه الحق ؛ فرجعوا مستبشرين ؛ هكذا قدر له ا نتجول خيله فيما يجول فيه علماء عصره فى هذا الحين وفقهاء قطره الذين يجعلون ذلك هجيراهم ويتسابقون اليه لم لم يعرف له انه جال فى مثل هذه القضايا بعد ؛ لان الوادى التىقطع على الغير ؛ كما سنرى ذلك ان شاء الله فيما ياتى

فى التجارة

اطلت سنة ١٢٩٥هـ فاتت على الرطب واليابس بمسغبتها ؛ فلامحصولولا مدخر ولارخص ؛ فعركت الناس عركا حتى لم يتخطها من الناس فى هذه البلاد الامن مدله العمر وخرقت له العادة ؛ فقد صارت هذه البلاد كراس الاقرع الاما كان منتمر وادى (درعة) ازاء تامانارت ؛ فانه اتى بمحصول جيد فانكفا اليه الناس كلهم ؛ وقد كان الفقيه سيدى محمد بن على الكوسالى ممن عاصر صاحب الترجمة فى المدرسة التانكرتية ؛ وكان تاجرا كبيرا ؛ ذاموال يقارض بهاالناس فاتصل به صاحبه هذا ؛ فقارضه ستين ريالا او مائة ـالشك من العم المخبرـ فتوجه بها الى تخوم معدر وادى درعة ؛ فاشترى هناك زرعا وشبهه ثم صار يبيع شيئا فشيئا ويحوز هناك تمرا جديدا ؛ قال العم وكنت ادفع للفقيه الكوسالى حتى تمت المحاسبة وانتهت المعاملة؛فكان هذا هو شغل صاحبالترجمة فى غالب سنة ١٢٩٥ هـ والشغل عند اهالينا افضل مايتحلى به الرجل ؛ ويليه به شانه ؛ ولايستحيى رجل اياكان فى النزول الى مزاولته ؛ فبذلك ابيح للفقيهالغ الجديد ان يكون ممن مارس التجارة ؛ والرجل من يطيق ان يدير كل شيء عزله لم يكلل فيه عمله بالنجاح

في مدرسة فوكرض مشارطا ومعلما

كان الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله قد اكب على التدريس منذ رجع من المدرسة ؛ والتدريس وبث العلم اسرع لرفع الشان لكل فقيه فقد كان التحق بالمدرسة البومروانية بعد مادرس في مسجد قريته فعلا له بذلك ماتغبط بـه اسرته ؛ ويتمنى المتمنون لو كان لهم مثل ذلك الولد الفقيه فتتعطر بذكرهم الاندية وتدوى بصيتهم الاحاديث .

هذا فقيه آلنا قد رجع ؛ وهاهو ذاقد جرب في تينك القضيتين ففلج فيهما سهمه ؛ افكانت اسرتنا تقنع منه بان يكون لها تاجرا يزاحم في الاسواق ويقايض في البيع والشراء ؛ مع ان ذلك وان كان لاينقص به في عرف اهلينا شرف الرجل وان كان فقيها ؛ ولكن لكل مقام رجال ؛ فهؤلاء رجال اسرتنا اخوان فقيهها متوافرون فليبيعوا وليشتروا وليقايضوا وليزاحموا في الاسواق ؛ ولكن الفقيه الاول به في نظر الاسرة ان يسلك طريق ابن عمه سيدي محمد بن عبد الله الذي تصدر في المدرسة البومروانية ؛ فأحدث بذلك شيئا جديدا من آل عبد الله بن سعيد ؛ فليلتحق هو بمدرسة اخرى ؛ حيث يبث العلم ويهذب النفوس ويصقل الافئدة حيث يكون للاسرة من فقيهها شأن كشأن الاسرة الصالحية من فقيهها وليس هذا الذى اقوله من بنات يراعي ؛ بل هو من صدى احاديث كانت الجدة (تكدا) والدة صاحب الترجمة ـ تمليها علي في نحو سنة ١٣٣٥ هـ وانـا اسائلها عن ذلك التاريخ ؛ فكنت اراها تكبر زوج بنتها الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله ؛ وتتمنى من فقيهها الذى هو ابنها ان يسلك طريقه ؛ ثم قالت ولكن ماكنت اعرف انه خبيء له هذا الخير الكثير ؛ والمجد الباذخ الذي جاءه بعد ذلك من غير طريق سيدي محمد بن عبد الله التي كنت لااريد ان يتخطاها ؛ تعني بذلك كونه شيخا مربيا ؛ فساق لها ولاسرتها بذلك من الشرف اضعاف ماساقه الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله لاسرته .

التحق فقيه الغ الجديد بمدرسة (فوكرض) فاجتمعت عليه ثلة من الطلبة يدرس معهم المبادىء ؛ ومن بينهم العم ابراهيم والفقيه المدونـة الايغشاني ؛ وسيدي مولود الصوابي والحاج محمد البوزاكارني ؛ وآخرون ؛ واخـال ان التحاقه بتلك المدرسة كان في اواخر سنة ١٢٩٥هـ لان الاستاذ الطاهر بن علي اخبرني انه رأى رسم حبس كتبه صاحب الترجمة وهوهناك مورخا بسنـة ١٢٩٥ هـ والعم صمم على انه ما التحق بها الا في مفتتح سنة ١٢٩٦ هوالامر سهل ثم انه مع اشتغاله بتعليم الطلبة ؛ قد جعل لمن كانوا ينتابون المدرسة من العامة مجلسا وعظيا ؛ قال سيدي بلعيد الصوابي ـ وكان يحضره اذ ذاك ـ ان ذلك الوعظ اشبه بوعظه يوم تصدر للتربية

الى سنة في تلك المدرسة ؛ ثم اعاد معهم الثانية فمضت فيها بضعة شهور ؛ فاذا برسول الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله يطلب منه ماياتي .

في المدرسة البومروانية

رايت في ترجمة سيدي محمد بن عبد الله ماحمله على ان استناب صاحب الترجمة في البومروانية ليتمم له السنة ؛ فادار الدروس وتابعها ؛ كما كانت بين يدى الاستاذ وقد جاء اليه تلاميذه الذين انقطعوا اليه في المدرسة المتقدمة فكان من بين من باخذعنه من تلاميذ الاستاذ سيدي محمد بن عبدالله ؛ الاستاذ علي بن عبدالله الذى رجع بسببه وبمعاونته الى الدراسة بعد ان كان سمت همته الى التجارة . والاستاذ احمد الزرامي وسيدي سعيد بن علي الاعضباني وسيدي الحسين التاطاروستي وسيدي العربي الساموكني وسيدي الطيب الركيبي وسيدي الحسن بن عبد الله بن محمد السملالي ؛ فكان يدرس مع هؤلاء السابقين زيادة على متون المبتدئين : الالفية والرسالة والمختصر والتسهيل والمقامات الحريرية ؛ فكان يجول معهم بهمته المعروفة عنه بعد ذلك في كل مايزاوله ؛ سبعة اشهر تامة الى ان تمت الدورة السنوية فالتحق بالغ ؛ والتحق التلاميذ بالمدرسة الالغية عند استاذهم الذى بنى لهم هذه المدرسة الجديدة وكانت السنة ١٢٩٧ هـ .

العزم على المشارطة في المدرسة الوفقاوية

زمت الركاب من بومروان ؛ فجزى الاستاذ ابن عبدالله صاحبه هذا على ماقام به هنالك ؛ ثم صار يفاوض الوفقاويين على ان يشارط عندهم في مدرستهم ابن عمه هذا المترجم ؛ فتم بينهم الامر ولكن اجل ذلك الى ان يرجع الناس من موسم (تازروالت) وقد اظل يومه ؛ ولكن حالت امور جديدة بينه وبين هذا العزم (وتحدث من بعد الامور امور) كما يقول الحكمي

الطريقة تنقض عليـه ثانيا فتطير به

قد يحسب القارىء ان صاحب الترجمة قد نفض يده من الدرقاوية ؛ وانه نسي شيخه فاعرض عنه مع انه ماكان يقطع زيارته في كل حين ؛ اذهو بالمدرسة الادوزية ؛ وبعد ذلك وانما اراد ان يجبر خاطر والده ؛ فرجع اليه بعد ان اكتفى من الاخذ بادوز ثم حدته الاقدار حتى شارط كما ترى ؛ وقد كان اخوانه الفقراء زاروه بطائفتهم حين كان بالمدرسة البومروانية وفيهم الفقيه الكبير الـذي تجرد اذ ذاك وانقطع الى الزاوية المعدرية ؛ سيدي الحاج الحسن التاموديزتي فحين ولوا ارسل اليه هذا السيد رسالة عاتبه على ما هو فيه ؛ وحثه على ان ينقطع ؛ وتمثل له في الرسالة بقول الحراق ؛

والفتى مــن سلبته جملة   لا الذى تسلبه شيئا فشيء

فربما كان هذا البيت وحده هو الذى استثاره من جديد ؛ حيــن تسوق موسم (تازروالت) ثم مضى منه قدما الى الزاوية المعدرية حيث تجرد وانقــطــع بين يدى شيخه ؛ واعطى للتصوف نفسه فسلبته الطريقة الدرقاوية جملة بعدان كانت تسلبه قبل ذلك شيئا فشيئا .

ومن لم يجد فى حب نعمى بنفسه   وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

بهذا اختتمت صفحة من نصف عمر صاحب الترجمة ؛ واســتــقــبــل سنة ١٢٩٨ هـ بما استقبل به الغزالى يوم طلق الدراسة بالمدرسة النظامية ؛ بادية العرب ؛ حيث لاقاه الاستاذ ابوبكر بن العربى ؛ وكان عهده به وهو بالنظامية وفى مجلسه اربعمائة عمامة من اكابر الناس وافاضلهم ؛ ياخذون عنه فقال لــه وقدرای علیه مرقعة ؛ وعلى عاتقه ركوة ؛ وبيده عكازة ياامام اليس تدريس العلم ببغداد خيرامن هذا ؟ قال فنظر الى شزرا وقال : لما طلع بدر السعادة فى فــلــك الارادة ؛ وجنحت شمس الوصول فى مغارب الاصول

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل   وعدت الى تصحيح اول منزل
ونادت بى الاشواق مهلا فهذه   منازل من تهوى رويدك فانــزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد   لغزلى نساجــا فكسرت مغــزلى

وقد انشد له ايضا حول هذا المقام فى لقاء آخر :

قد تيممت بالصعيد زمــانا   وأنا الآن قد وجدت الماء
من سرى مطبق الجفون واضحى   فاتحا لايــردهــن الــعــمــاء

وقفة قصيرة بالقارىء

احب منك ايها القارىء ؛ وقد ماشيتنى منذ اول هذه الترجمة الى ان طوينا صفحات غيرقليلة من حياة صاحبها ؛ ان تقف معى هنا وقفة قصيرة نفكر فيها ـقليلاـ فى الذى يتراءى لنا عنه ؛ أفليس أنه محظوظ فى كل هذه السنوات التى يتلقى فيها ؛ حتى ختم ذلك بحظوة عظيمة غبطه عليها اصدقاؤه ونفسها عليه حساده ؛ يوم اناله الاستاذ ابن العربى الادوزى تلك الشهادة العليا بين جماهير من اقرانه ؟ ثم لما توجه الى مجالات فقهاء عصره ؛ وجد ايضا مكانا فســيــحــا واسرة لها مكانتها بين ذويه ؛ ثم لما جال فى مجالات التدريس فى الــمــدارس كان نزعه فيها لايقصر عن نزع ابن عمه الاستاذ محمد بن عبدالله لانه لايرضى ان يخلفه فى منصبه ؛ ولايتنازل ضميره الى ان يذر تلاميذه الذين هم افلاذ كبده الا فى يد من يراه كنفسه فى الالقاء والفهم والتفهيم ؛ ثم ان كل هذا لم يستهــو صاحب الترجمة ؛ ولا استمال نظره ؛ ولا اعاره لمحة من فكره افلا يدرك من كل هذا القارىء الكريم ان تلك الروح الوثابة التى تملا مابين جوانحه ؛ غير تلــك

الارواح التى تجول فى كثير من فقهاء عصره الذين لايكاد احدهم يتسم ومضة من حظ اويجد مضغة علمية مريئة من مدرسة والتفاتة صغيرة من بضعة تلاميذ حتى يقول انى اسعد الناس ؛ واحظى العلماء بالظل الوريف من العلم الشريف؟

حقيقة ان مايقضى فيه الفقهاء اعمارهم من فض النوازل بالشرع الحنيف والانتصاب فى المدارس وهى من المساجد التى لايعمرها الامن آمن بالله واليوم الآخر ؛ ومن تعليم التلاميذ وتهذيبهم وارشادهم ؛ ووصل الامانات الدينية والعلمية والثقافية اليهم كل ذلك فيه اجر عظيم ففى مثله يتنافس المتنافسون وفى السابق اليه يحمد المتقابلون ؛ ولكن امثال صاحب الترجمة الذى خلق لغير هذه المجالات ورأينا همته تحفزه الى مقامات اخرى غير هذه لايمكن يكون هناك شيء وقع عليه بين اولئك الفقراء وحظى به بين اركان تلك الزوايا ؛ لم يجد مثله بين الفقهاء ولالمحه فى مجالس المدارس

فليت شعرى ما الذى وجده هناك ؛ ولم يجده فى المدرسة ولافى علومهــا المختلفة ؟ اخال ان هذا الذى وجده هناك ويجده كثير من الفقهاء الذين القــوا بانفسهم وراءهم ؛ فاقبلوا على مصاحبة الفقراء ؛ يتجلى لنا فى هذه الحكاية الآتية ؛

دخل سيدى سعيد بن همو الشيخ المعدرى الى داره يوما فقال لربيبتــه الفقيرة عائشة الهشتوكية ؛ اخرجي واستديرى بالحائط فانك ستجدين عالمين بعد فى طريقنا حديثا ؛ فذاكريهما فخرجت فوجدت صاحب الترجمة والفقيه سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ؛ فجلست اليهما بعد ماسلمت ! ـ وهى جرابون دروبيس ـ ففاتحتهما الحديث فانجر بهما الى ان وصل الى معرفة الله تعالى ؛ فحلقت بهما الفقيرة الامية الى سماوات عجزا عن مطايرتها اليها ؛ فسكتا ثم قالت لهما : انما اردت بهذا العلو فى المذاكرة ان تعرفوا انتم معاشر العلماء الجامدين الذين لايحسبون ان لله علما الا مافى تلك النقطة الضئيلة التى تقتلون اعماركم تجولون حولها فى مدارسكم ؛ ان من الناس من تعجزون عن مجاراته مع انه لم يلم بنقطتكم هذه ؛ واردت ايضا ان تدركوا حق الادراك انكم معروفون عندنا لاتخفى عنا منكم خافية ؛ فالمنصفون منكم يدركون انهم خالون مــن سر انوار القلوب ؛ ومن ذوق حلاوة الايمان ؛ وان هذه العلوم الــتــى يخوضــونهــا ويقصرون عليها اعمارهم ويحسبونها غاية ؛ على حين انها انما هى وسيلة للمقصود من معرفة الله ماانتهم بالمراد من انوار القلوب وحلاوة الايمان ؛ ولكن مع انصافهم هذا ؛ وادراكهم لكل ذلك حق الادراك ؛ يحسبون ان غيرهم لايدركون منهم مــا ادركوه من انفسهم من عدم معرفتهم لله وعدم استنارة الــقــلــوب ؛ وانشراح الصدور ؛ فقال لها سيدى الحاج الحسن : وكيف معرفة الله ايتها الفقيرة ؟ فقالت انكم انتم العلماء ؛ وانكم احق من يسال عن مثل هذا لا انا العامية الامية التى قل حياؤها فثرثرت بهذيانها حتى جاوزت الحد ؛ فقال لها سيدى الــحــاج الحسن لابد ان تتكلمى ؛ فقالت لاادرى مااقول ؟ الا ان ولدا عندى يوما ايقظته

من نومه فقال لي ياماه ؛ انك ايقظتني من نومة عذبة حلوة لذيذة جدا جدا! فقلت له كيف عذوبتها يابني ؟ فسكت مليا ثم قال انا مي ياامي هنا مثل تذوقيها فكذلك انا اقول لكم من اراد ان يذوق معرفة الله فليرحل الى الله بالكلية ؛ فان العجب كل العجب فيمن ادعى انه عالم مع انه اجهل الناس بمعرفة نفسه وبمعرفة ربه وقديما قيل : من عرف نفسه عرف ربه .

هذه هي الحكاية حكاها من حكتها له تلك الفقيرة رحمها الله ؛ وربما زادت جملة او نقصت ولكن هذه هي الروح

وبعد ؛ فان من بين الناس من تتعلق روحه بهذه الناحية ؛ ويتكون ذلك منه من صغره كما رايته من صاحب الترجمة الذى تجلت منه هذه الناحية ؛ وهو بعد في الكتاب ؛ ثم ماكاد يلتقي بأصحاب هذه الجهة حتى انزج فيهم كان له معهم تعارفا قديما ؛ وكان ذلك ميدان الحديث الشريف .

(الارواح جنود مجندة ؛ فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف) .

في التجريد وخرق العادة

لبعض الصوفية احوال عجيبة لاتزال الى الان محمولة في اعين غالب الناس على الغرابة ؛ وعلى الخروج عن المعتاد ؛ وبها تقوم في كل عصر حرب زبون ومجاذبة عنيفة بينهم وبين الفقهاء الذين لايجدون فيما عندهم من مختلف الفنون مايبررها خصوصا المحدثين منهم الذين يتراءى من سيرة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ما لعله لايوافقها فيما يرون ؛ فهؤلاء الفقهاء والمحدثون يحملون على من يلابس هذه الاحوال الغريبة حملات متوالية زاخرة بالحجج والبراهين والادلة ؛ ولكن الاخرين سائرون في طريقهم ؛ معرضون عما حولهم وهم كالصخور التى تجثم في ضفاف البحار فلاتكاد موجة تصطدم واياها حتى تتكسر على جنباتها ثم يستحيل ماؤها زبدا ورشاشات متطايرة ؛ قلب معى النظر ايها المؤرخ منذ تأسس التصوف في القرن الثاني واستقل كعلم خاص ؛ له مباديئه واصطلاحاته وتآليفه المدروسة ورجاله الذين يتفانون فيه ؛ ويظلون ويبيتون في تتبع دقائقه ومقدار تاثير كل دقيقة من دقائقه في نفس المعتنق للتصوف المتتبع لمقامات السلوك فيه ؛ تأمل معي منذ ذلك العهد الى الان ؛ تجد هذه المجاذبات العنيفة التي تقع في مختلف هذه القرون وترى ماهناك راى عين ؛ فيتضح لك انما يستغرب في ذلك الوقت ؛ يثور به على القوم الفقهاء والمحدثون دائما ولكنهم بعد انجلاء المعركة يخرج اصحابهم وهم كماهم لم يتأثروا بقلامة ظفر من ثورة هؤلاء

ومن بين مايواخذ به هؤلاء اصحاب التصوف هذا الذى يسمونه التجريد بالتجرد عن كل مافي ايديهم وعن كل ماهم فيه ؛ حتى ليامرونهم بترك هيئات حسنة ؛ وشارات عرفوا بها الى هيئات اخرى وشارات زرية تتخطاها الانظار

فتغض دون ابصارها ؛ والى الوقوف مواقف ذل وانكار للذات ؛ فقد يامر الشيخ والى يجول في مرقعة غليظة بين القرى وبين عارفيه ؛ حتى يزول منه مايمنعه من كان معروفا في قومه بلباس حسن ومروءة وعز وعلو همة! ان يطلق كل ذلك الطاوية عن مثل ذلك ؛ وربما امره ان يتعرض للناس للتكفف وان يجهر بذلك في الاوساط التى كان عرف فيها بما عرف ؛ ويسمي ذلك عند مشايخ التربية (خرق العادة)

تعلو صرخات الفقهاء والمحدثين باستنكار ذلك ؛ واستبشاعه بين المسلمين فيقول المحدثون لم نر قط رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ امر احدا ممن يربيهم وهو شيخ المربين واستاذهم وقدوتهم ان يفعل مثل ذلك ؛ وهذه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ظاهرة بين ايدينا لانجهل منها ولو طرفا ؛ افلا يسع من يربي الناس اليوم ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم امس ؟ والمراد من المسلم ان يحس بالشرف وعلو الهمة وعزوف النفس ؛ لابالخسة والاسفاف والحقارة ؛ واي مسلم الف الحقارة الا التحفها حتى امام الكفار واعداء الدين .

ويقول الفقهاء ان عرض الانسان ومروءته وشرفه لمما تجب المحافظة عليه كما تجب المحافظة على دمه ودينه وماله فباى دليل وباى نص يستدل من يامر بهتك المروءة التى هي كما يقول علماء الاخلاق كسجف رقيق متى انتهك فهيهات ان يلتئم بعد ؟ فكيف يربي انسان انسانا في الدين الاسلامي بهتك المروءة والتوقح للناس في الاسواق بالتكفف وباذلال نفسه ؛ مع اننا ما امرنا الا بعكس ذلك هذا مايصرح به المحدثون والفقهاء ويسهبون به في حججهم ويسوقون مايسوقون مما يشهد لما ذهبوا اليه .

واما الصوفية فان بعضهم غالبا يجيبون بالافعال ؛ فان من يامره شيخه ان يفعل ذلك لايلبث بعد حين ؛ ان ينقلب جوهره ويتبدل حاله ويظهر بمظهر اخر ؛ ثم لاتستدير دورة الزمان حتى يتراءى في عصره كشمس انكشفت عنها السحائب السود في يوم صحو فتشرق في عليائها على الكون ؛ حتى تغشى انوارها اللامعة كل الناس ؛ حتى اولئك المحدثين والفقهاء فانهم لايكاد معظمهم من المنصفين ينكر ما ناله كبار الصوفية بعد هذه التربية

واما صوفية آخرون فانهم يصمدون الى المحدثين والفقهاء ؛ ويقولون لهم لقد ابعدتم النجعة واكثرتم حول مالاتعرفونه صرخاتكم ؛ فاننا اولا نعذركم على نمط مايقوله الشاعر :

لو كنت تعرف ما اقول عذرتني ... او كنت اجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت انك جاهل فعذرتكا

ثم اننا لانكثر معكم الجدال ؛ ولانجاذبكم ادلة وحججا انتم ادرى الناس

من نومه فقال لي ياماه : انك ايقظتني من نومة عذبة حلوة لذيذة جدا جدا ! فقلت له كيف عذوبتها يابني ؟ فسكت مليا ثم قال نامي ياامي هنا مثل تذوقيها فكذلك انا اقول لكم من اراد ان يذوق معرفة الله فليرحل الى الله بالكلية ؛ فان العجب كل العجب فيمن ادعى انه عالم مع انه اجهل الناس بمعرفة نفسه وبمعرفة ربه وقديما قيل : من عرف نفسه عرف ربه •

هذه هي الحكاية حكاها من حكتها له تلك الفقيرة رحمها الله ؛ وربما زادت جملة او نقصت ولكن هذه هي الروح

وبعد ؛ فان من بين الناس من تتعلق روحه بهذه الناحية ؛ ويتكون ذلك منه من صغره كما رايته من صاحب الترجمة الذى تجلت منه هذه الناحية ؛ وهو بعد في الكتاب ؛ ثم ماكاد يلتقي بأصحاب هذه الجهة حتى انزج فيهم كان له معهم تعارفا قديما ؛ وكان ذلك ميدان الحديث الشريف •

(الارواح جنود مجندة ؛ فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف) •

في التجريد وخرق العادة

لبعض الصوفية احوال عجيبة لاتزال الى الان محمولة فى اعين غالب الناس على الغرابة ؛ وعلى الخروج عن المعتاد ؛ وبها تقوم فى كل عصر حرب زبون ومجاذبة عنيفة بينهم وبين الفقهاء الذين لايجدون فيما عندهم من مختلف الفنون مايبررها خصوصا المحدثين منهم الذين يتراءى من سيرة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ما لعله لايوافقها فيما يرون ؛ فهؤلاء الفقهاء والمحدثون يحملون على من يلابس هذه الاحوال الغريبة حملات متوالية زاخرة بالحجج والبراهين والادلة ؛ ولكن الاخرين سائرون فى طريقهم ؛ معرضون عما حولهم وهم كالصخور التى تجثم فى ضفاف البحار فلاتكاد موجة تصطدم واياها حتى تتكسر على جنباتها ثم يستحيل ماؤها زبدا ورشاشات متطايرة ؛ قلب معي النظر ايها المؤرخ منذ تاسس التصوف فى القرن الثاني واستقل كعلم خاص ؛ له مباديه واصطلاحاته وتآليفه المدروسة ورجاله الذين يتفانون فيه ؛ ويظلون ويبيتون فى تتبع دقائقه ومقدار تاثير كل دقيقة من دقائقه فى نفس المعتنق للتصوف المتتبع لمقامات السلوك فيه ؛ تأمل معي منذ ذلك العهد الى الان ؛ تجد هذه المجاذبات العنيفة التي تقع في مختلف هذه القرون وترى ماهناك راى عين ؛ فيتضح لك انما يستغرب في ذلك الوقت ؛ يثور به على القوم الفقهاء والمحدثون دائما ولكنهم بعد انجلاء المعركة يخرج اصحابهم وهم كماهم لم يتأثروا بقلامة ظفر من ثورة هؤلاء

ومن بين مايواخذ به هؤلاء اصحاب التصوف هذا الذي يسمونه التجريد بالتجرد عن كل مافي ايديهم وعن كل ماهم فيه ؛ حتى ليامرونهم بترك هيئات حسنة ؛ وشارات عرفوا بها الى هيئات اخرى وشارات زرية تتخطاها الانظار

فتغض دون ابصارها ؛ والى الوقوف مواقف ذل وانكار للذات ؛ فقد يامر الشيخ وان يجول في مرقعة بالية بين القرى وبين معارفه ؛ حتى يزول منه مايمنعه من ان كان معروفا في قومه بلباس حسن ومروءة وعز وعلو همة ؛ ان يطلق كل ذلك المدفوعة على مثل ذلك ؛ وربما امره ان يتعرض للناس للتكفف وان يجهر بذلك في الاوساط التى كان عرف فيها بما عرف ؛ ويسمى ذلك عند مشايخ التربية (خرق العادة)

تعلو صرخات الفقهاء والمحدثين باستنكار ذلك ؛ واستبشاعه بين المسلمين فيقول المحدثون لم نر قط رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ امر احدا ممن يربيهم وهو شيخ المربين واستاذهم وقدوتهم ان يفعل مثل ذلك ؛ وهذه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ظاهرة بين ايدينا لانجهل منها ولو طرفا ؛ افلا يسع من يربي الناس اليوم ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم امس ؟ والمراد من المسلم ان يحس بالشرف وعلو الهمة وعزوف النفس ؛ لا بالضعة والاسفاف والحقارة ؛ واى مسلم الف الحقارة الا التحفها حتى امام الكفار واعداء الدين •

ويقول الفقهاء ان عرض الانسان ومروؤته وشرفه لمما تجب المحافظة عليه مثل ماتجب المحافظة على دمه ودينه وماله فباى دليل وباى نص يستدل من يامر بهتك المروءة التى هي كما يقول علماء الاخلاق كسجف رقيق متى انتهك فهيهات ان يلتئم بعد ؟ فكيف يربى انسان انسانا في الدين الاسلامي بهتك المروءة والتوقح للناس في الاسواق بالتكفف وباذلال نفسه ؛ مع اننا ما امرنا الا بعكس ذلك هذا مايصرح به المحدثون والفقهاء ويسهبون به في حججهم ويسوقون مايسوقون مما يشهد لما ذهبوا اليه •

واما الصوفية فان بعضهم غالبا يجيبون بالافعال ؛ فان من يامره شيخه ان يفعل ذلك لايلبث بعد حين ؛ ان ينقلب جوهره ويتبدل حاله ويظهر بمظهر اخر ؛ ثم لاتستدير دورة الزمان حتى يتراءى في عصره كشمس انكشفت عنها السحائب السود في يوم صحو فتشرق في عليائها على الكون ؛ حتى تغشى انوارها اللامعة كل الناس ؛ حتى اولئك المحدثين والفقهاء فانهم لايكاد معظمهم من المنصفين ينكر ما ناله كبار الصوفية بعد هذه التربية

واما صوفية اخرون فانهم يصمدون الى المحدثين والفقهاء ؛ ويقولون لهم لقد ابعدتم النجعة واكثرتم حول مالاتعرفونه صرخاتكم ؛ فاننا اولا نعذركم على نمط مايقوله الشاعر :

لو كنت تعرف ما اقول عذرتني ... او كنت اجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت انك جاهل فعذرتكا

ثم اننا لانكثر معكم الجدال ؛ ولانجادلكم ادلتنو حججا انتم ادرى الناس

كيف تلقى وانما نسائلكم سؤالين اولهما لوجاء طبيب فقال لكم ان مريضكم هذا لايسلم من مرضه المزمن الذى منعه الحركة الا اذا بترت يده او فقئت عينه فحينئذ يبرا ويقوم ؛ ثم انه سبق له ان عامل بمثل هذه المداواة مرضى كثيرين فبرئوا؛ اكنتم تدفعون اليه مريضكم وتجوزون له ان يداويه بما ذكر وبما تبين انه دواء شاف من مداويات له متقدمة ؟ ام تقولون له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ويقول له فقهاؤكم ان نصوصنا لم ترد بمثل ذلك ؟ فما كان موقفكم مع ذلك الطبيب الذى ادركتم صدقه هو موقفكم معنا فاننا انما نقصد بما فعلنا ببعض المريدين لاكلهم تطهير نفسه من الكبر الذى هو اخو الشرك وان نسلك به مسلكا يتلقى فيه دروسا يخرج منها بالاخلاص التام فى اعماله وذلك هو قصدنا الوحيد؛ ثم لم نبال بالمروءة التى تقولون هتكناها لعلمنا بان الغاية تبرر الواسطة كما ان ذلك الطبيب لم يبال ببتر اليد ولابفقء العين فى جانب الشفاء الذى يحصل للذات كلها ؛ على ان المروءة التى يأمر الدين بالمحافظة عليها ليس منا من يقول بهتكها وانما هى بعض عوائد فى اللباس وامثاله تغير لعل ماوراءها يتغير؛ كما شرع تقليب اللباس يوم تصلى صلاة الاستسقاء على انه لم يتخذ اشياخنا ذلك ضربة لازب لكل مريد مريد ؛ بل انما يامرون به من يعلمون انه لايداويه الا ذلك ؛ وطرق التربية شتى لاتنحصر ؛ والاشياخ انفسهم تختلف تربيتهم فى مثل هذا اختلافا كثيرا ؛ كما تختلف طرق التداوى بين هيئات الاطباء فى مستشفيات متعددة وذلك كله بحسب ماجربوه من انفسهم ؛ ونحن نقول ان كل شيخ يربى مريديه على النمط الذى تربى به ؛ ومن اين لنا ان تكون تربيتنا ؛ ونحن نقر بعدم العصمة كتربية النبى صلى الله عليه وسلم الذى وفقه الله ؛ وعصمه فى كل احواله ؛ وتولى تربيته وتاديبه فأحسن تاديبه فان ادركتم ايها المحدثون والفقهاء محور هذا السؤال ؛ وكنه مانريده وراءه عرفتم متجهنا فاسترحتم وارحتم على اننا نشكركم على اعتنائكم بنا ؛ واخذكم بحجزتنا حتى لانفارق السنة ؛ فجزاكم الله خيرا .

والسؤال الثانى : اننا رايناكم تكثرون علينا فى اتخاذنا هياة مخصوصة للمريدين ماداموا يتربون تحت انظار مشائخهم ؛ فتقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يخص اصحابه بهيئة مخصوصة ؛ ولابشارة يتميزون بها عن غيرهم ؛ بل المسلمون كلهم فى هيئاتهم كقداح السهام فى الكنائن ؛ لايفضل بعضهم على بعض الا بالتقوى هكذا تقولون ؛ ولكننا نسائلكم فانصفونا فى الجواب ؛ اوليس ان لكم أيضا أيها الفقهاء هياة أخرى خاصة بين المسلمين؟ فمايكاد احدكم يتاهل للتصدر ويتساقا الى صفوف العلماء حتى نراه انتحى ناحية فيخرج الينا بالزى الخاص الذى احتكره العلماء لانفسهم ؛ فماكان جوابكم هو جوابنا فقد علمنا ان قدوتكم فى ذلك : ابويوسف ؛ ونعم القدوة ابويوسف ؛ ولكن

الاتقولون مثلماقلنا لكم ان قدوتنا الجنيد والغزالي وامثالهما ؛ فتقولون لنا يحق لكم نعم القدوتان الجنيد والغزالي ؛ فيا اخواننا العلماء لماذا لانلتقى نحن وانتم فى الوسط لتدركوا ماعندنا ؛ مثل ماادركنا ماعندكم ؛ فنتعاون على نفع العباد انتم بتربية ونحن بتربية ؛ انتم بتربية ظواهرهم ونحن بتربية بواطنهم فان ذلك اقرب واسهل لاتمام مانريده جميعا ؛ وقد امر الله بالتعاون على البر والتقوى ؛ والتمييز لكل طائفة بلباس خاص امر اجمعت عليه الامم ؛ فزى الكشافة وزى الاطباء ومعاونيهم وزى الجندى ؛ وزى البحريين والطياريين ؛ يخالف بعضها بعضا فلماذا يلام هؤلاء القوم وحدهم ؟ فهلا انصفتم ؟ فان الانصاف من شيم الاشراف .

هكذا يتحاج الفريقان مايتحاجان ؛ ثم يتحاجزان فيقبل كل واحد الى شانه وكل حزب بما لديهم فرحون وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا ؛ وان كان الحق بين الطرفين لايخفى على ذى عينين

* * *

طرق آذان اسرة صاحب الترجمة اثناء سنة ١٢٩٨ هـ ان ابنها الذى كانت تنظر اليه كما تنظر الاسرة الصالحية الى ابنها الاستاذ محمد بن عبدالله وتتمنى من ورائه ان تدرك مثل ماادركته تلك الاسرة من وراء ابنها الاستاذ من مجد شامخ ؛ وثروة متزايدة ؛ صار يدور فى الاسواق ويتكفف الناس فيها فيمد يديه وهو يقول اطعمونى فانى اموت جوعا ؛ وهو فى اسمال رقاع متلونة كانها قوس قزح ؛ وقد تدلى وراء كتفه جراب مثقوب من اصله ؛ يلقى فيه كل ماامتدت به اليه الايدى ولكنه سرعان مايسقط وراءه ؛ فيتتبعه الصبيان زرافات ؛ والهمج الرعاع الذين من دابهم ان يتجمعوا فى امثال تلك المواقف

تواترت هذه الاخبار الى الاسرة حتى صدقت بها ؛ من بعد ان كان ذلك عندها رابع المستحيلات ؛ فثار ثائرها ؛ واسودت الجواء فى اعينها فى وسط النهار حتى كانها فى غيابات الجب؛ وقد علمت ان مايقال محقق ؛ فلاسبيل الى تكذيبه ؛

طوى البسيطة حتى جاءنى خبر   فزعت فيه بآمالى الى الكذب
حتى اذا لم يدع لى صدقه املا   شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

واهلنا السميديون ابعد الناس عن مقامات التكلف واعلى الناس عن ذلك هموما ؛ واكثر الناس فى البعد عن ذلك استنكافا ؛

واستف ترب الارض كى لايرى له   على من الطول امرء متطول

ولذلك استبعدوا تصور ان ابنهم الذى يعلمون منه مايعلمون يسف الى

ذلك او تتدلى به همته اليه ؛ ولكن لما تحققوا ذلك وانتفى الريب ؛ سبق الى اوهامهم انابتهم بلاشك ممن اصابتهم العين ؛ او طافت بهم بعض نفاثات السحر او الم به مسة من جنة ؛ والا فلا يتصور فى انفسهم ان يتنازل الى ذلك وله مسكة من عقل اولمحة من تمييز

اذن الشيخ سيدى سعيد المعدرى لتلميذه هذا ان يجول فى الاسواق وان يخرق فيها العادة ؛ فجال اولا فى بعض اسواق (ازغار) ثم فى سوق (اساكا) ثم فى موسم تازروالت وقد صادفه هناك الاستاذ الحاج داود الكرسيفى وكان ممن له المام ببعض افعاله الصوفية ؛ وما يقصدونه بها فلم ينكر عليه ؛ ثم صمد الى الاسواق التى تجاور الغ حيث اهله ومعاريفه ؛ فجال فى سوق الجمعة بسملالة وهى اذ ذاك كما ابتدات ثم فى قبيلة ايت وفقا ؛ وهو فى كل ذلك ملازم للصمت لايسمع منه الاعبارات التكفف لاغير وقد قصده فى أيت وفقا سيدى محمد المدونة الايفشانى تلميذه الذى كان اخذعنه بالمدرستين : الفوكرضية والبومروانية فطلب منه الدعاء والح عليه ؛ وقد علم انه لم يفعل ذلك لحمق اوطلب دنيا اوجاه وان ذلك انما فعله ليتخلص به نفسه من شوائبها فأجابه هذا حين الح عليه فى الدعاء : لااربحك الله ؛ وعيناه شاخصتان ؛ كانه مجنون حقا .

ادعو عليه وقلبى   يقول يارب لا لا

لقد صبر اهله ؛ وبلغ الحزام الطبيين (١) فذهب اليه اخوه محمد مع رجل آخر فاسراه وحملاه على البغلة واتيا به مكبولا الى الدار ؛ وهو على حالته ؛ لايحير الجواب لابيه ولا لامه ؛ ولايتكلم بسوى عبارات التكفف والاستغاثة ؛ والصراخ بان الجوع كاد ياتى عليه .

حكت لى والدته (تاكدا) رحمها الله انها اذ ذاك كادت تتمزق كبدها وينفطر قلبها اذ سمعت به ينادى ان السغب يقطع احشاءه ؛ قالت فلاادع كل ماتصله يدى ؛ وأمكن لى من الطيبات الا قدمته اليه ؛ فاملا جانبيه باللحم الحنيذ والبيض المسلوق والسمن الممزوج بالعسل واللوز المطحون والتمر الجيد والزبيب والجوز وكل ماعندنا ؛ ثم لايعير ذلك كله التفاتا ومتى غفلنا عنه ؛ وقد اودعناه فى بيت ينفتل الى سطح الدار فيصرخ الامن يفثأ جوعتى الملتهبة الهائجة ولو بقطعة من الخبز المكرج (٢) فاننى ياعباد الله اكاد اهلك جوعا ؛ قالت فنبادر الى ايوائه الى البيت ايضا ؛ ونحن نتقطع على ولدنا العالم الذى صار مجنونا يتخبط .

ذلك وقد صح عند الاسرة انه امامعين واما مجنون ؛ فبادر والده فذهب

---

(١) الطبى بضم فسكون : الحلمة الزائدة فى آخر الضرع ؛ وذلك مثل مشهور فى اشتداد الشئ.

(٢) كرج الخبز : اذا يبس وفسد

به ابيه الى فريع ازاء مدرسة فوكرض لما سمعه من ان ماصابه ربما جاءه من تلك المدرسة ؛ هكذا صار صاحب الترجمة فى واد واهله فى واد

فى صبيحة يوم وقد اطل الفجر على الكائنات فافاض عليها من انواره فاستنار كل ما فيها فاقبلت كل الامهات الى ابنائها ؛ ليزددن بهم قرة عين ؛ ويبهجن انفس الاطفال الام المرزوءة فى مالها فانها دخلت عليه البيت لتستجد ايضا من نظراتها الى ولدها زفرات اخرى متلظية ؛ قالت لى فما دخلت حتى نادانى وهو اول كلام سمعته منه : ياماه ماهذا الذى فى رجل ؟ فقلت انه كبل ياولدى ؛ فقال ولم ذلك ولماذا وضعتم على الكبل ؟ وماذا عرانى ؟ فقلت آه ياولدى انك ياولدى جننت فلم نجد بدا من ان نكبلك ؛ فقال عجبا اوكنت كذلك ؟ ولكننى الان استرددت شعورى قالت فثاب الى من الفرح والسرور ما الله اعلم به فسرت اسائله حتى تحققت حاله فاقبلت مسرعة الى مطبخ الدار وفيه نساؤنا مشتغلات بالغداء فاعلنت البشرى فارتجت الدار كلها فرحا فاقبلنا جميعا مستديرين بولدى على وقد حضر فى القرية فاماط الكبل فازال كذلك ولدى ماعليه من اللباس الخلق فاتيته بكسوته البيضاء من صندوقى فلبسها وارتدى برداءه ووضع العمامة على راسه فارسلنا الى الاستاذ الفقيه سيدى محمد بن عبدالله ؛ فحضر عندنا فاقيمت حفلة كبيرة حضرها الجيران والاقارب فاقبل المهنئون يهنئوننا بشفاء ولدنا ؛ ولكن والده لم يحضر ؛ لم يزل ملازما للفراش من مرض كان الم به ثم ازداد بماوقع اولا ؛ ففى صباح يوم لعله اليوم الثانى ذهب ليزور الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله فلم اشعر حتى هرولت الى امراة من القرية فصارت تناديني وصوتها يهزنى الى الان رابت ولدك قد استدار بثنية (تالات نيت عيس) ويذكر الجلالة جهرا ؛ وقد ذهب عنك ايضا قالت فقامت قيامتى ولم اتحمل الصبر فاهويت بفلتنا اجوب بها الطريق الى المعدر لاسترد فلذة كبدى من ذلك الرجل المعدرى الذى افسده على قالت فراح على الليل فى (تيغمى) فبت هنالك عند اسرة من معاريفنا ؛ ثم تعقبنى من اخبرنى بان زوجى والد اولادى قد خرجت روحه اثر خروجى من الدار ؛ فكنت اذ ذاك اشقى نساء العالم وانكاهن مصيبة فهذا ولدى العالم الذى هو كل منيتى وآمالى فى حياتى قد عانه العائنون ولم فيه مرام الحاسدين الشامتين ؛ حتى اختل عقله فتنكب اهله فصار يجول فى البلدان والها حيران ابله كانه هداوى من الهداويين ؛ وهذا زوجى وقطب اسرتى وابو مهجتى قد مات عنى فوقفت فى حيرتى لا ادرى اتقدم الى الامام لافتش عن ولدى ؛ ام انكص على عقبى لاشهد ماتم زوجى ؟

هذا ماحكته لى رحمة الله عليها فاها لاذنى ؛ وكانت ثرة الحديث ممتعة ان وجدت من يكون عندها من المنصتين ؛ وكنت اذ ذاك قد بدات افتش عن اخبار والدى هذه ؛ فيسر الله لى من عندها من ذلك نبذا لطيفة ؛ هذه الحكاية منها .

وقد الم صاحب الترجمة بذكر ماوقع اذ ذاك فى رحلته الحجازية عند ذكره لشيخه المعدرى ؛ فقال بعد ان ذكر ماحصل عليه بملاقاته معه :

تركت ماسوى الاله هجـرا ... فلهجت نفسي بربي ذكـرا
وقبحت عندى ملاح الدنيـا ... مما يرى برؤية والرؤيـا
وليس لى في غير ذات اللـه ... ماوى ولا عن حسنه ملاهـي
فصلت عني سائر العلائق ... لكونها عن مقصدى عوائق
بدلت احوالى بخرق العادة ... لطلب الاخلاص فـي العبادة
وكانفي تخريقى العوائـد ... افضل ما يجنى من الفوائد
ولست تعرف الذى ثم سوى ... بفعله ان كنت تارك السوى
تصير رافضا ومرفوضا اذا ... مااقرب الاخلاص ممن نبذا
فاختلف الناس فـذا يقول ... جن فاين القيد والحبول ؟
والبعض قال انـه مسحور ... اين رقى المسحور والبخور؟
وعند جل الناس كنت احمقا ... فلم يكن فعلي لـديهم منتقى
فكل من جهل شيئا عـاداه ... وكل من عرف شيئا نـاداه
من بين فرث ودم يسقينـا ... لبن معرفته يقينـــا
ذاك بفضل اللـه لابغيره ... يوتيه من اراده لخيره

قضى صاحب الترجمة ماندبه اليه شيخه ووفاه شروطه المشروطة عند اهل ذلك الفن بكل دقة فمثل ثانيا بين يدى شيخه وقد انخرط فيسلك المتجردين بين يديه ؛ لايتنفس الا باذنه ؛ ولايلتفت يمنة ولايسرة الا باشارته وهو طوع يديه كيفما قلبه انقلب وقديما قال الشاذلى لاستاذه مولاى عبد السلام : انني اغتسلت من علمي وعملي الا ماياتيني على يديك ؛ وقال الجيلاني البغدادى فيعينيتـــه المشهورة ؛ يوصي المريد بما يكون عليه عند شيخه :

وكن عنده كالميت عند مغسل ... يقلبه ما شاء وهو مطاوع

وقال الشريشي في رائيته المشهورة :

ومن لم يكن سلب الارادة وصفه ... فلا يطمعن في شم رائحة الفقر

ومن شروط هؤلاء المريدين ان من قال من المريدين لشيخه منهم لم لايفلح ابدا ؛ ومن اجال نظره يعلم انهذا الشرط يتخذ اساسا في كثير من الجمعيات والتنظيمات كالجندية وشبهها ؛ فلايختص به الصوفية المربون لاصحابهم ؛ فعلى هذه الوتيرة سار صاحب الترجمة مع شيخه ؛ فيخدمه ويقوم بين يـديـه ويكفيه مع اولئك المتجردين كل ضروريات زاويته ؛ وكثيرا مايقول بعد ذلـك لتلاميذه حين رجع شيخا مربيا ؛ ليس العجب ان يستسلم الواحد لشيــــخ يحسبه عالما ؛ وانما العجب منا نحن الذين استسلمنا لشيخ امي ثم وفقنا اللــه فراعيناه بكل ادب والحمد لله ؛ وقد اخبرت ان شيخهم وصلهم يوما في هاجرة تذيب دماغ الضب ؛ وتعشي اعين الحرباء ؛ وهم يحصدون زرعا للزاوية فـي بسيط المعدر ؛وقد سالت اصابع من كانوا قبل لايالفون مزاولة المهن دمـــا

لصاحب الترجمة والتاموديزتي وامثالهما ؛ فلم يطق الشيخ امساك عينيه فقال والله لولا ان الذى تطلبونه وهو وحده سبب اتصال ذات مابيننا ؛ لايحصل لكم الا بهذا ؛ ماكان في صدرى قلب يستمسك حين يراكم على هذه الحالـــة

واخبرت ايضا ان الشيخ خرج يوما في حمارة قيظ ؛ فراى صاحب الترجمـــة مضطجعا ازاء حائط وقد ادركته الشمس ؛ فتناول رداءه من فوق ظهره فجعله عليه ظلة تقيه وهج الحرارة من غير ان يوقظه ؛ ومماوقع له فـي هذا الصدد انه كان سائحا مع اخوانه المتجردين فوصلوا (ارازان) براس الوادى ؛ فاقترح عليه اهل القرية ان يطلبوا من الله الاغاثة بالامطار ؛ وقد فسدت المزروعات ودب الياس الى القلوب ؛ فقال الفقراء للمترجم اننا نربطك في هذه المهمـــة فتوجه كله الى ربه ليقضي هذه الحاجة ؛ فسرعان ما انهلت الامطار حتى اكتفى الناس فقال الفقراء هذه كرامة كبيرة ؛ ولابد ان تكرم الفقراء على العادة شكرا على ذلك ؛ فصار كل واحد يقترح منيته فهذا قميص وهذا نعل الى ان تكـون من ذلك كله مايكون ثمن جميعه ست ريالات حسنية ؛ وهـي الاذلاك خصوصا في هذه البلاد المقلقـ مال له بال ؛ فخرج المترجم الى سوق هنالك ؛ فوقف ينادى

الامن يعد لى لله ست ريالات ؟ يكرر ذلك جهارا فكان الناس يمدون اليه قروشا فيردها فيقول انما اريد الست ريالات دفعة واحدة ؛ فسرى التعـجب في السوق ؛ حتى اخبر بذلك تاجر من سكان تلك الجهة متمول ولكنه مادر زماته ؛ فكان من الغرائب ان جمع ذلك في يده فقام حتى مده للمترجم ؛ فكانت هذه الغريبة من اعجبها عند كل من يعرف الرجل ؛ فاشترى كل الفقراء مناهم وتلك عادة الفقراء ؛ ان يكرم الفقير اخوانه متى ظهر عليه شيء يسرمن ربه او حسنة ؛ او كرامة اظهرها الله على يده ؛ ولعل مافعل كسب حسن فاللــوم ارحمه الله بالتوبة مايستانس به لذلك حين خرج عن بعض ماله

واخبرت ايضا انه اجتمع مرة مع اخوانه المتجردين في بسيط المعدر يحصدون لشيخهم ؛ فجالوا في المذاكرات حتى طابت القلوب ؛ واحسوا كلهم بسكينة نزلت على قلوبهم ؛ فقال قائل انهذا الوقت وقتطيب ؛ وربما يكون مظنـــة استجابة دعاء فليقترح كل واحد مافي قلبه لندعو الله جميعا بالاستجابة؛ فقال المترجم مقترحي انا ان لاافقد طوال عمرى من يعينني على ذكر الله وطاعته الى ان اموت .

واخبرت ايضا ان صاحب الترجمة راى مرة اذ ذاك نفسه كانه راع يرعى سائمة كثيرة فقص رؤياه على اخوانه الفقراء فقال له بعضهم - وسمعت انــه سيدى الحاج الحسن التاموديزتي - انرؤياكم يابني عبد الله بن سعيد لاتعدو الرعي والمراعي التي اولعتم بها اشد الولوع اباعن جد ؛ ثم سقطت الرؤيا الى شيخه ؛ فقال ان ذلك رعايته للخلق ؛ وتلك طوائف اثر طوائف تنهال عليه من كل جهة ؛ وكلها تصدر من يديه بالرى الذى لايغادر عطشا ؛ فكان من المصادفات

ان الفقير سيدى محمد ابكى التالكرتي الافراني حضر مرة في موسم من مواسم صاحب الترجمة لاول بالغ ؛ وقد اقبلت الطوائف يوم الاحد تترى من نواحي الغ ؛ فما يفرغ من واحدة حتى تقبل اخرى ؛ وقد ملات ارجاء الغ باذكارها المرتلة العالية الى عنان السماء ؛ فعد منها اكثر من خمس عشرة طائفة ؛ في كل طائفة عشرات او ما ت من الوافدين ؛ فمال الى الشيخ وقال له : الاتذكر الرؤيا التى كنت رايتها في زمن تجريدك ؛ واولها لك الشيخ بما رايناه اليوم عيانا ؟ فهذه بشرى عظيمة اذكرك اياها ؛ فتهلل وجه صاحب الترجمة فجزى الفقير الافرانى بهدية عظيمة •

في السياحات

ان مما يقول الصوفية انه مما يصقل القلوب ؛ ويجلو مراياها ويهذب النفوس السياحة ؛ ولذلك يجعلونها في رأس قائمة شروط الطريقة ويقولون بقدر ماتبتعد عن شواغلك بين اهلك ومعاريفك تبتعد عما يحول بينك وبين ما يقربك من ربك ؛ ويستدلون لذلك بان الله وضع السياحة ازاء التوبة والعبادة في قوله تعالى «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله؛ وبشر المومنين» وهذا على قول من يفسر السياحة هنا بالسياحة المعروفة ؛ وقد غاب عن هؤلاء المستدلين بالآية ان المفسرين فسروا السائحين بالصائمين استنادا الحديث وذلك اليق بسياق الآية ؛ قالوا فوصف هذه مرتبته بين اوصاف المومنين ينبغى ان لايفرط فيه المومنون ؛ وان يجعل كاساس من اسس الايمان ؛ وكمرءاة يتراءى منها للمريد مايكثر به اعتباره ولامقرب الى الله كمثل الاعتبار الكثير والتفكير الحي في مخلوقاته ؛ وتفكر ساعة خير من عبادة سنة ؛ على ان للسياحة اثرا محسوسا في تكوين الاخلاق والرجولة ؛ ولذلك نرى الشعوب الحية تاخذ بالتجوال ابناءها من شرخ الشباب •

بين قرى سوس مع شيخه

مضت بقية عام ١٢٩٨ هـ والنصف الاول من عام ١٢٩٩ هـ وصاحب الترجمة في طائفة شيخه يتقرون قرى سوس بالارشاد وتعليم التوحيد ؛ فكانت لهم سياحة الى افران بمجاط حيث وقعت لهم قضية مع الرئيس على ندبوهوش سنذكرها في محل آخر واخرى الى راس الوادى حيث تلقاهم الفقيه سيدى الحسن التملي نزيل (ايرازان) لقاء اداه الى ان يعتنق التصوف على يد سيدى سعيد بن همو وقد ساله سيدى الحسن بمن يقتدى بعده ان فقده فدله على صاحب الترجمة في حكاية سنتعرض لها ان ذكرنا هذا الفقيه فيما ياتي ان شاء الله ؛ وقد بقي صاحب الترجمة يتعهده دائما قبل ان يتصدر في دست التربية وبعده الى ان

توفى هذا عام ١٣٠٨ هـ وقد اخبر احد الزكريين انه ماراى من شفلته لهيبة فاخرص عن كل العوالم جمعاء ؛ ولازت فيه محبة الله فانسته اهله واولاده وقهيه حتى لايبالى يطعم ولايشرب الا رجلا واحدا ؛ قال ؛ طرقني وقد كنت يوما واقفا على صهريج قريتنا ؛ وقد وصلتنى نوبة السقى بين الجماعة ؛ فيتفقت شيخه فاذا بى اسمع هيللة يجهر بها ؛ وقد انحدر على من ثنية لصاقب قريتنا فما ان سمعت هيللته حتى ملكت على مشاعرى ؛ فوقفت مشدوها ؛ فنسيت الماء الذى يتدفق من الصهريج فوقفت في مكانى حتى مربى الرجل وهو في مرقعته والهيدورة على كتفه والعكازة بيده ؛ وهو لايلتفت وعلى محياه انوار تتلالا كانها انوار الشمس في الجو الصاحي ؛ فتبعته لعلى اساله من اين هو ؟ وهل يحتاج الى طعام ؟ وما مقصودى وراء ذلك الا ان اشاهد محياه مرة اخرى ؛ فمال الى ظل سرحة ازاء القرية فاضطجع وغطى وجهه ؛ فوقفت عليه اساله ؛ وهو لايجيبني ولو بكلمة واحدة ؛ ثم اجترات فمددت يدى فزحزحت غطاء وجهه فنهرني بهذه الجملة « ماكان ينبغي لك ان تسال الاعن امور دينك وما تتوقف عليه ان وقفت على يديه . هذا كل ماقال ؛ ثم غطى وجهه ثانيا فذهبت الى الدار فاتيت بطعام فاذا بالرجل لاعين ولا اثر فبقيت في قلبى نكتة منه ثم لم تمض الاسنوات حتى وصل الينا الشيخ سيدى الحاج على بطائفته ؛ فاذا هو ذلك الرجل بعينه وهو اول من التحق به في القرية ؛ واحمد الله على ذلك ؛ اقول انك صاحبت صاحب الترجمة في هذا الحال ورايت كيف كان حاله في طور التجريد وكيف كان اذا ساح وحده فقد رايناه كانه احد رجال كتاب (روض الرياحين) او احد المذكورين في (الرسالة القشيرية)

في جبالة

كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى اتصل بدال زاوية جبالة الدرقاويين ابناء شيخ شيخه ؛ وقد كان الشيخ مولاى الطيب بن العربى زار سوس عام ١٢٧٧ هـ وحل بمشهد سيدى احمد بن موسى فكان بالمعدر عند سيدى سعيد ولذلك لم ينس الشيخ المعدرى يدال جبالة فاحب ان يرسل وفدا من تلاميذه ليوصلوا هدية منه الى مولاى عبد الرحمان الذى صار خليفة لوالده ؛ فارسل ستة فقراء اواسط عام ١٢٩٩ هـ وجعل صاحب الترجمة مقدمهم •

اخبرني الرجل الصالح سيدى الحسن التامكونسي انهم مروا به في اداوبلال ذهابا وايابا كما حدثني سيدى بلعيد التيزكيني ان هؤلاء مروا بالدلالة في هشتوكة فباتوا في مدرسة سيدى منصور كما مروا بهم ايضا في الاياب ؛ ثم ساروا على طريق الجديدة فالبيضاء فالرباط فزمور فطلعوا الى زاوية جبالة وهم يسيرون بارشاد الفقراء ؛ فما يقومون من حلة الا وقد عينوا لهم حلة اخرى ينزلون فيها ؛ اخبرني الاستاذ البركة سيدى الحاج على من اولاد اولئك الشرفاء

انه كان في ذلك الحين ياخذ بعض المختصر عمن نزل بزاويتهم من العلماء الزائرين ؛ قال فكان من حظى ان اخذت ايضا دروسا عن سيدى الحاج على السوسى ؛ ثم قال رحم الله سيدى الحاج على فقد نفع الله به البلاد والعباد ؛ أخبرني بذلك في احدى زياراته للحمراء في حدود عام ١٣٤٠ هـ وقد لقيته في زاوية القصور ؛ ثم حدثني ايضا بمثل ذلك سنة ١٣٦٢ هـ وقد تغدينا في دار ولده وجلس معنا مليا •

وفي ذلك الحين حفرت البير التي تضاف الى اهل سوس هناك ؛ فقدراى صاحب الترجمة اهل الزاوية يأتون بالماء من بعيد ؛ وتنالهم من ذلك مشقة وصعوبة ؛ فقال أليس الماء قريبا هنا في الارض ؛ فقالوا بلى ولكن لم نجد من يحفر عنه ؛ فانتدب لذلك هو ومن معه ؛ فصاروا يجدون في الحفر ؛ فلما حفروا ماشاء الله طلع صاحب الترجمة فاضطجع ازاء البير وبعد هنيهة انتفض من مكانه ونزل فتناول المعول من يد من معه فمال على حرف البير حفرا فصاروا يقولون له ماتصنع ؟ ان الماء يستنبط من تحت لامن جانب وهو ساكت لايجيبهم ــ وقد دخل ايضا في الشروط التي من بينها الصمت كما بيناها فيما تقدم ــ وبعد حين تدفق الماء من الجانب تدفقا ؛ وبشق الانفس تناول من في البير ماكان فيه من الآلات قبل ان يغمر الماء ارضها ؛ وسمعت ان مولاى العربي اومولاى الطيب على اختلاف في الروايات في السنة المحدثين وقف عليه في تلك النعسة ؛ فقال له انكم تتركون الماء في جانب كذا ؛ فاراه الناحية فكان ذلك سبب مافعله وسمعت ايضا ان مولاى العربي او مولاى الطيب على اختلاف الروايات التي نسمعها ؛ وقف عليه في الليلة المقبلة ؛ فقال له انك اجريت لقريتنا الماء الحى الدائم ؛ وسنجرى في قلبك كذلك ماء حيادائما؛ هذه الحكايات كلها سمعتها تتداول بكثرة وكل ذلك ممكن والله اعلم ؛ واما الذى صح عندى من جهة السند فهو ماأخبر به سيدى محمد بن سعيد المعدرى ابن شيخ صاحب الترجمة قال : بينما والدى ووالدتى في تلك الايام التي كان فيها سيدى الحاج على في جبالة جالسان في مشرقة دارنا يوما وبين يدى والدتى شعير تنقيه للطحن وقد جلس اليها الوالد ؛ وهما في كلام متنوع اذا بأبي تبدلت سحنته وقف شعره واحمرت عيناه واخذته رعدة فريعت منه امى لما تراه منه دائما اذا وقع منه مثل ذلك الحال ؛ وكثيرا مايقع منه ؛ فقالت له ماذاك ؟ وما الذى اصابك من جديد ؟ فقال لها الآن دفع سيدى على اكرام ــ وبذلك يدعى اذ ذاك صاحب الترجمة بين الفقراء ــ ابواب حضرة الله فولج ؛ وقد جعل الله مقامه على مقام سيدى على الجمل ؛ هذه الحكاية اروبها باسانيد صحيحة متعددة ؛ وقد كان صاحب الترجمة مولعا بمطالعة كتاب فيه اقوال سيدى على الجمل ؛ وكان في كوة من زاوية شيخه ؛ وكان شيخه كلما راى الكتاب في يده يقول له «تلاقيتما ثانيا ياعليان» او كما يقول له

هذا مالمت اسمعه من الفقراء يدور حول صاحب الترجمة وهو في جبالة واما فقراء جبالة انفسهم فيوردون حكاية اخرى ؛ يقولون ان اهل سوس هؤلاء اتوا بسطل كبير من نحاس مما تسخن فيه الاوضئة عادة الى جبالة ؛ بل يقول بعضهم ان سيدى الحاج على حمله فوق راسه من سوس الى جبالة ؛ حتى حص شعر راسه بذلك ؛ فعاد اصلع وهذه الحكاية لم اسمعها الا من جهة اصحاب هؤلاء الشرفاء ويمكن ان يشترى هؤلاء الفقراء هذا السطل بفاس او من مكان اخر قريب ؛ فيذهبون به الى الزاوية واما انهم اتوا به من سوس فبعيد واما كون صاحب الترجمة يحمله فوق راسه فحص شعره بذلك فعاد اصلع ؛ فخرافة من النوع الذى يولع به من يصاحبون ابناء الزوايا ؛ ممن يريدون ان يجعلوا لمن يعمل في الخدمة سرا ظاهرا وربما عاجلا ؛ حين يستشهدون بفلان وفلان انهم خدموا الزاوية وفعلوا وفعلوا فكانوا سادة قومهم ؛ وصاحب الترجمة لم يحص شعر راسه اذ ذاك ولم يكن اصلع ؛ الااذا حدث فيه قليل مما يعتاد في بعض الناس زمن شيخوخته (نعم؛ انه ثبت عندى انهم اتوا حقيقة بذلك السطل الكبير من سوس الى جبالة)

رسالة من صاحب الترجمة إلى شيخه

هذا الذى ماسمعناه مما يحكى عن صاحب الترجمة وهو هناك ؛ ولكننا لما اردنا الثبت فلنصغ لما يقوله هو لشيخه في هذه الرسالة فانه يحكى لنا نفسه بنفسه كما قال بعض الالفيين :

وما يخبر عن الفتى مثل نفسه	فحدث بما قد ذقته زمن الوصل
اذ زمن تسقى الرحيق بكاسها	فعدت صريع الكاس والاعين النجل

الرسالة

من على بن احمد الملقب بالدرقاوى ومن معه من الفقراء سيدى الحاج ... وسيدى ابراهيم وسيدى محمد بن الحسن وسيدى مبارك وسيدى ابن ... الذين ساحوا الى دار الشيخ مولاى العربي ومولاى الطيب واولادهم ؛ الى شيخنا وقدوتنا واستاذنا وملاذنا وسندنا وعمدتنا وقرة عيننا وانسنا وعزنا ... وروحنا وفرحنا ونزهة قلوبنا ومنيتنا وغاية مرامنا من لاحت شواهد ... شمسه ؛ وتبلجت من سماء العرفان بدور انسه ؛ وما زال مرتقيا لسماء الكمال والمعالى في يومه من بعد امسه ؛ حتى كانت قدمه على قدم من كان يركع ويسجد في رمسه وكيف لاوقد ادى الثمن وجاد بنفسه وفلسه ؛ واحسن العمل في معناه وحسه ولذلك كان طبيبا للداء العضال الذى يتبعه الوبال وكل من يشكى عليه بعلته يشكيه بالترياق بعد ماظن انه اشرف على الهلاك والاضمحلال فهذا السيد الجليل هو الذى انقذنا من الظلام الذى اسبل علينا البراقع وداوى

بترياقه فينا السم الناقع ؛ وقلنا اتسع الخرق على الراقع ومدانا في شبكتهوواقع وانا في ذلكالوقت يافع ؛ صارت تتزايد على القواطع فسل سيفه القاطع فقطع به كل ناطق وصامت وسامع ؛ لايغادر صغيرة ولاكبيرة الااتى عليها باللامع فجازاه الله الجزاء الذى هو لانواعالجزاء جامع وانالنا على يده ماخلقناله من الاخلاص الساطع ؛ منأشارت اليه الايدى بالبنان بانه حامل راية العرفان على رؤوس الشهود والعيان سيدنا الشريف مولاى سعيد بن محمد احمد الله عاقبتنا بكم آمين بسلام مزخرف بروائح المحبة والشوق اللذين هما اعطر من المسك والريحان ؛ تزفه سحائبهما الى حضرتكم المرضية وخلواتكم الربانية مادام وجود واجب الوجود ؛ الذى هو المعبود (وبعد) فليعلم سيدنا اننا وصلنا الى دار أولاد الشيخ بسلامة وعافية في الطريق والحمد لله ؛ ودخلنا يومالثلاثاء الرابع والعشرين من غشت فوجدناهم بسلامة وعافية والحمد لله ؛ واول من لقينامنهم بعدالدخول ؛ الذى تقول لناهو وارثسرمولاى الطيب وهو ذو الحاجة منهم الشريف الاصيل الجليل النبيل ؛ الذكى التقى السخى النقى الوفى الحفى الذكى الوذعى اللبيب الحبيب الاريب الاديب النجيب ؛ سيدى ومولاى عبد الرحمان ابن مولاى الطيب؛ فرحب بنا اىترحيب وسالناعن احوالكم واستقصى الاخبار استقصاء الطبيب فاخبرناه بسلامتكم وبشوقكم بالبراءة وبما فىرؤوسنا حتى شفى الغليل وبرىء العليل ؛ وكل واحد منهم لقينا بما تصدر قلب البلد سواء الصبيان والعيالات من الاحرار والعبيد ؛ وحتى فرحت بنا الاشجار والاحجار وتلاطمت علينا لجة الانوار والاسرار وقد شاهدنا ذلك عيانا على فقد الاعيان ؛ وزرنا مولاى الطيب فى بيته فو الله ياسيدى لقد كان على ماوصفته به فى حياته لما دخلنا بيته كاد لحمي وعظمي يتمزقان ؛ حتى اشرفت علىالغيبة وكيف لاوحال مماته كحال حياته (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) والحاصل انزلونا منزلة الملوك ؛ وكانوا لنا خداما وان لم نكن اهلا للخدمة تمسكا بالحديث (سيد القوم خادمهم) واعطيناهم الزيارة التى اتينا بها ؛ وهي ثلاثون ربعا ؛ عشرون بوجهها وعشرة فى ريالتين والله لقد راينا ذلك اقل القليل ولكنهم اهل القبول ؛ جزاهم اللهخيرا عناووقاهم ضيرا وقد سمعوا بالجلال الذى وقع في بلدنا (١) حتى كان ذلك اكثر بنسبة بلدنا ؛ ولكن الهدية على قدر المهدى ؛ كما قالته النملة لسيدنا سليمان على نبينا افضل الصلاة والسلام ؛ وعلمنا منهم ان قلوبهم لم تتعلق بالدنيا ولابمن اتى بها ؛ بلكان احب منه عندهم الذى اتى بوجه الاخلاص لانا راينا كذا وكذا من الفقراء جاءوا على وجه الله مااتوا بشىء بلربما اتى بعضهم باولاده ليعيشوا عندهم ؛ فرفدوه هو واولاده ؛ وجعلوه في عين التعظيم ؛ والحاصل اناحوالهم

١) مسغبة ١٢٩٩ هـ

احوال الكمال فمن الى بشيء فلنفسه واماهم فمستغنون في القلوب عن ذلك والحمد لله بقى الخير فى مكانه كما قلت لنا ؛ فى الوقت الذى مات (١) مولاى الطيب ! رايت الاولياء اجتمعوا واقاموا مولاى عبد الرحمان مقامه ! وقد صح ذلك الفال بفضله ومنامنا وسلم منا ياسيدى على جميع اخواننا واخوالنا فان شوقكم قد قطع اكبادنا ؛ فهانحن ان شاء الله متى خرجنا من الزيارة نتوجه الى البلد ونسبح على الاخوان ؛ كما قلت لنا ؛ حتى نصل فى الزمان الذى اراد الله ولو فى مارس ! وادع لنا ياسيدى وجل فينا ؛ فوالله لقد راينا قلوبكم كانت معنا ابداوراينمونا فى السفر كما راينمونا في الحضر ؛ جزاك الله بكل امر ظاهر او باطن حسي او معنوى ؛ نرى فتياكم فيه متى وقفنا عليه وسلمنا فيه الزيادة لله ! هكذا يكون الاشياخ يرعون المريدين في السفر كالحضر والحمد لله الذى كمل علينا الوصول الى هذه الدار الذى احببته لنا وامرتنا به وارسلتنا اليها جعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع احسنه والسلام •

هذه هي الرسالة والقارىء لايتم قراءتها حتى يخرج منها بامور كثيرة من انواع عديدة ! فكما يفهم منها ما شاهده كاتبها هناك ؛ ويرى منها نظر هؤلاء الفقراء الى مولاى عبد الرحمان الذى نعلم عنهفى آخر حياته (٢) مانعلم ؛ يفهم منها الاحترام العظيم الذى يحمله هذا العالم صاحب الترجمة لذلك الامي الذى استولى بهمته النافذة على قلوب كثيرين من علماء اهل زمانه ؛ فنعرف لذلككيف يقاوم ! وكما يفهم ايضا منها نظريات اخرى لاتخفى عمن يالف ان يستنتج البواطن من الظواهر ؛ مما لافراغ معنا الآنحتى نتعرض له فانه يكفينا الآن انفهم هذه الغمرة الروحية التى ماجت على المترجم فانسته كل شيء تلقاه قبل بين المدارس ؛ حتى كان لسان حاله ينشد امام هؤلاء العلماء المتحمسين الذين غادرهم فيما هم فيه

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن اين يدرى الناس انى توجهنا

في فاس

في الالسنة احاديث كثيرة مختلفة ؛ وقعت لصاحب الترجمة مع رفقائه حين حلوا بفاس مرجعهم من جبالة ؛ ويورد بعض ذلك علىصورة الكرامات ولكن لم تكن في ذلك الآن حتى على ظن؛ الا ماكان من خلوة اختلوها هناك في محل معروف لى قبله مدرسة الوادي ـانامكن انيجد فيها غريب ماوى. فخرج احد الفقراء فاوصاه صاحب الترجمة انيتطلب في السوق بالجهر وهو والله عددا خاصا من الخبز وان لايقبل دون ذلك العدد ! فصادف بعض التجار الكرام فقال له الله مثل ذلك كل يوم ! مادمت انت ورفقاؤك في فاس ! والا ما اخبرني به

١) توفي مولاى الطيب ١٢٨٨ هـ
٢) ايام ثورة الريف

بعضهم والله صحيحا ؛ ان بعض الفاسيين دخل الى خلوتهم تلك فسمعهم في مذاكرة من مذاكرات ارباب القلوب ـ كماتسمى في اصطلاح الصوفية هؤلاء ـ فاعجب بما يقولون وكلهم يتكلمون باللغة العربية ان كان بعضهم يعرفها وهو غير بعيد ؛ والا فبماذا يتخاطبون مع من في الطرق من الشياظمة الى ان يرجعوا اليها ؟ فاقترح عليهم انيكونوا اضيافه فاضافهم مرات في داره وهذا الفاسي احد الرؤساء في الطريقة الحراقية بفاس من اصحاب سيدي الخضر السجعي.

ثم وقفت في نونية التعريف بالشيخ لابن مسعود على مايلي

ورءاهم شيخ بزاوية وقد ... وجدوه في ركن من الاركان
فرأى من أهبة جدهم ماراقه ... فاتوه للتسليم واللـقيان
سألوه كيف الحال سيدنا فقا ... ل اناعتزلت هنا لصمت لسان
للذكر ثم رايتكم فذكرت من ... احوالكم صحبالرضا الصمداني
اعنى الامام الدرقوى العربي كـ ... ـنت رايتهم بمحجة الرضوان
ناهيك من حال يذكر حال صـ ... ـحب العارف المذكور قطبالآن

وقفت على ذلك فعلمت انه يشير الىهذه القضية التي وقعت لهم بفاس

واخبرني الشيخ سيدي محمد العطار الحراق حين نزولي بفاس مفتتح عام ١٣٤٣ هـ بماعلمت به انلصاحب الترجمة ورفقته اتصالا بالحراقيين هناك وذكر انتحت يده رسالة كتبها اليهم الشيخ من الطريق بعدما ارتحل معاصحابه عنهم الى سوس ؛ كان وعدني بها ولكن الصبا وغرارة الشبيبة منعاني من ان اتردد اليه حتى افوز بنسخة منها ؛ وهذا الذي اضافهم من هؤلاء الحراقيين بلاريب

ثم وقفت بعد كتابة هذا على رسالة للشيخ كتبها الى اصحابه الذين بزاوية مراكش يلم فيها ببعض ذلك وقد صرح فيها بان ذلك الحراقي خليفة سيدي الخضر ؛ ونصها

اخواننا في الله المتجردين السيد الحاج محمد البوالطيبي ومن معه من حضرة مراكش سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركته وبعد فلاباس ولله الحمد عندنا وعند الفقراء جميعا في كل جهة في سوس والمتجردون سائحون الىجهة فم تاتلت عند سيدي احمد بن يوسف ؛ ثم الى الوكوم وزكيط ؛ ويرجعون ان شاء الله في يناير ؛ وسيدي سعيد التناني معهم في السياحة ونحن في البلد بخير وعلى خير والحمد لله ونرجو من الله ان تكونوا كذلك ؛ وهاانا ارسلت هؤلاء السادة ياتوننا باخباركم وياتوكم باخبارنا لاغير ؛ واما الأمور فكل شيء في رؤوسكم ولانحتاج انذكره لكم ان كنتم بعقولكم ؛ لان العاقل يفعل في الخير مالاتوصيه عليه ؛ وغير العاقل لايفعل شيئا سواء وصيته ام لا ؛ وتعمير الزاوية بالذكر في كل ليلة مطلوب منكم ؛ وانتم اولى بذلك ؛ فقد وصيت سادتنا اهل مراكش في براءتهم على ذلك ؛ فانتم اولى بذلك ؛ وكذلك انتحرضوا

الناس على ذكر الله والورد وللفتوة لعباد الله ؛ فانتم اولى ان تفتشوا عن الناس وتجلبوهم الى الورد بكل ماامكن فذلك هو المقصود بالزاوية لابناؤها فقط ؛ وسيدي الحسن الركاني يلزم الرحامنة لايفارقهم وقوموا بالطريقة كما كانت لله عرفتم اساسها وبناءها ومايضرها ومايثفعها ومايصلحها ومايهدمها واياكم والخلل في الطريقة ؛ فانكم احتجت للمقال والحال ولاتتركوا واحدا منهما وكونوا ترابا للفقراء واكثروا من ذكر الله والصمت والعزلة والجوع واتركوا الهزل مع الفقراء فانكم ان صلحتم يصلحون في الحين والزموا الصدق في القول والفعل ؛ واياكم والكذب وازهدوا فيما في ايديهم فلايرون فيكمالطمع الذي يفسد المحبة ؛ فكل ماكان عندكم من الفلوس فلابد ان يروا الشيء الذي صرفتموها فيه لئلا يظنوا انكم تجمعون الدنيا ؛ فان النفس لابد انيطمئن القلوب ان لم تشاهد (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فالفقير اذا ذكر الله تعالى يعرف كل هذا بقلبه ؛ ولايحتاج الى تنبيه ؛ واياكم والشهوات فالدينةموضعها في اللباس ولا في الفراش ولافي الماكول؛فالطريقة ابتداؤها الجلال وانتهاؤها الجمال وعظموا كل منتسب لله تعالى وجميع عباد الله ؛ واياكم وسوء الخلق فالطريقة كلها ادب والادب مع الحق ومع الخلق وقد قال مولانا سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه : زينوا وجوهنا يافقراء بترك الطمع ولاتفروها هكذا ؛ فالفقير العاقل لايتقدم الفقراء الا ان اتصف باوصاف الكمال ؛ من الصبر والذكر وكثرة الصمت وكثرة الجوع فحينئذ يتقدم امامهم ويكون امامهم بهمته العالية عن الاكوان ؛ فيمد الناس من نور همته في مقاله وحاله ؛ فكل من رءاه وجلس معه يسوقه الى حضرة ربه ؛ رغما عن انفه احب ام كره ؛ فقدكنا مع شيخنا سيدي سعيد بن محمد المعدري السملالي حين ارسلنا الى زيارة مولانا العربي في جبالة كل من رءانا اوسمع بناواحرى انجلس معنا لايقدر ان يفارقنا ؛ وكانوا يشتاقون الينا من بعيد لافي الذكر ولا في المذاكرة وقلوبنا في الملكوت كما قال سيدي على الجمل ؛ على في الحانوت وعلى في الملكوت وقد قال لنا خليفة سيدي الخضر في فاس ؛ وقد قبضنا ثلاثةعشر يوما اذ قلنا له لمشي « والله مااتى بكم ربي الالى لاغير وكنا نغيب في كل ليلة ونهار في الذكر والمذاكرة ووقعت لنا في فاس كرامات كثيرة وخرق العادة لاينشاالامن خرق العادة ؛ كما قال في الحكم «كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد» والفقير المتجرد تمكن منكل خير ان اراده الله للخيرات ؛ ومن وجد من يعمر معه وقته لله ؛ فصار ينظر الى غير الله فذلك والله هو الاحمق فالزاوية للفقير الصادق بمنزلة الكعبة الشريفة للمصل ؛ فهو قريب من ربهغاية القرب ولذلك يعمل اهل الله الزوايا للذكر لاستحضار القلب مع الله تعالى فاذا كان واحد عند الكعبة الشريفة ؛ وجب عليه تعظيمها غاية باقامة مابنيت له في كل وقت وحين ؛ واصل تسميتها بالزاوية ؛ انما هوكونها موضعا لله تعالى لان الزاوية في الاصل ركن بيت فقط ؛ وحالة الذاكر ان يجلس في ركن بيت

يذكر الله فيه ؛ فهذا هو الغالب على الذاكر ؛ فلما صنع الموضع كله للذكر سمي بالزاوية ؛ وحينئذ فكل من اقام بالزاوية من الفقراء ولم يشتغل بذكر الله تعالى فيها فهو ظالم (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) وهانحن وصيناكم هذه الوصية التي صلحت لكل فقير يكون في الزاوية اية كانت ؛ فاتخذوا هذه الوصية ولاتهملوها ؛ فالـلـه يقويكم وايـانا جميعا على الخيرات ويقينا واياكم من جميع المضرات آمين في تاريخ ليلة الجمعة ٢٨ ١٠–١٣٢٧ هـ

في محاورة الشيخ كنون

اشتهرت عند الناس قاطبة تلك الحملات التي كان شيخ الاسلام علامة فاس في النصف الاخير من القرن الماضي الحاج محمد كنون ؛ ويعلم كل من له ادنى اتصال بالاستاذ الصوفي سيدي احمد بن الخياط ماكان لاقاه من استاذه هذا ؛ وما كان يسمعه من التنديد على ماكان يلابسه من احوال الصوفية وجراءة كنون في ذلك الميدان كان لايدانيه كل من له اتصال بالصوفية ؛ خصوصا من اتصل بالدرقاوية ؛ التي فيها مظاهر تستثير من الاستاذ موجات جارفة هائـلة لاتبقي ولاتذر ؛ حتى انه يبادر صاحبها بضربه بلجام بغلته وسط الطريق

استوى الشيخ كنون يوما على كرسيه في القرويين ؛ وقد استدار بـه مئات فمئات من الطلبة ؛ فصار يخب في درسه ويضع ويفسر ويشرح ويقبل ويرد بفصاحته الشهيرة ؛ وذلاقته التي تفوق بها على اقرانه ويستميل عينـه فينة بعد فينة رجل في عرض المجلس عليه مرقعة بيضاء لاتنتمي رقعة منها الى رقعة بسبب وفي عنقه سبحة غليظة الحبات حمراء كانها كريات المرجـان الكبيرة وهو يزدلف الى صدر المجلس ازدلاف من يفهم مايقرر ؛ ويمـد بصره الى منبر الاستاذ مد من يعرف هاتيك المسائل التي يقبل فيها الاستاذ ويدبر ويحلق بها في سماوات مجلسه بين سواري القرويين؛ فكان الاستاذ وقد لاحظ سمة ذلك الرجل ؛ وقد ظهر له منه انه عارف بما يقال عراه عجب ان يرى من كان في ذلك الزي يفهم مافيه الدراسة ؛ فلما انقضى الدرس وسلم الطلبة عـلى الاستاذ كما هي العادة ؛ اقبل اليه في اخريات الناس صاحب المرقعة فسلـم عليه بدوره ؛ فقال له اراك بين الطلبة تتبع مانقرره ؛ فهل تعرف مانحن فيه ؟ فقال له نعم والحمد لله ؛ فكأن الاستاذ القى عليه من مسائل الدرس فاعجب بجوابه ورباطة جاشه ؛ وقوة جنانه فقال له حين انت بهذه المثابة فلماذا اويت الى هذه الحالة المزرية التي لايتزيا بها الا اهل الرياء والسمعة الذين يريدون ان يتظاهروا بانهم على قدم الجنيد ؛ مع ان بينهم وبين مافيه الجنيد وامثالـــه من الرعيل الاول ؛ مابين السماء والارض فقال له صاحب المرقعة اما هذا الزي فهو زي المساكين الذين لايريدون علوا فـــي الارض ولافسادا ؛ واما حكمك

بانه لايتزيا به اليوم الا اهل الرياء والسمعة فحكم غير مقبول ؛ الا ممن لـه الاطلاع التام على كل سرائر اصحاب هذا الزي ؛ ومن الذي يزعم لنفسه انه له هذا الاطلاع التام ؟ واما قول سيدنا انهم يتظاهرون بانهم على قدم الجنيـد واتباعه ؛ فقد اثنى على القوم من حيث يحسب انه يقدح فيهم ؛ لانه لهاشهد لهم بالتشبه بالجنيد وامثاله فقد كفاهم بذلك اهتداء ورباحا ؛ لان التشبه بالكرام رباح ؛ ومن تشبه بقوم فهو منهم ؛ واما قوله ان بينهم وبين مافيه الجنيد بعد مابين السماء والارض ؛ فان ذلك لايضيرهم لان عليهم ان يسيروا فـي الطريق وان ينتحوا ذلك الدرب ؛ وكل من سار على الدرب وصل ؛ وان يبذلوا جهودهم وأما أن ينالوا كل ما يطلبون فذلك من الاقدار على ان هذا الكلام الذي صدر من سيادتكم يدل على انكم ممن يقولون بان فضل الله قد انقطع ؛ فطويت الصحف وجفت الاقلام ؛ مع ان هذه الدعوى من اخذ بها وتمسك بحبالها فلاشك ان رايه فائل لامحالة ؛ وهو من المدحضين عند المناظرة ؛ وانت ايها الاستاذ ان حكمت بأن فضل الله قد انقطع وان أمثال الجنيد والتستري ومالك بن دينار وابي على الدقاق وعبد الرحمان السلمي والقشيري ومولاي عبد السلام بن مشيش والشاذلي قد انقطعوا ؛ وان ماكانوا معروفين به في ذلك العصر قد انقطع فـي هذا العصر ؛ فماذا يكون جوابكم ايها العلماء الجهابذة اذا وجه اليكم آخر مثل هذه الدعوى ؛ وقال لكم هذه العلوم الفقهية والدينية التي تخوضون فـيـها ان بينكم وبين المكانة التي كان فيها ابن القاسم واشهب وعبد الرحمان بن الحكم وعبد الله بن وهب وابن حبيب بعد مابين السماء والارض ؛ وقد كان بين مـا تقررونه في دروسكم ؛ ان الاجتهاد قد انقطع اليوم ؛ وانكم انما تمثلون اولئك المجتهدين كما يمثل الماء النجوم ؛ فاذا كان التشبه كله رياء وسمعة فقد وقع العلماء فيما ينسبون اليه صوفية اليوم ؛ فما كان جـواب علماء اليـوم كـان جواب صوفية اليوم

هكذا افاض الرجل –صاحب الترجمة– في هذه المحاورة كما حكى ذلك احد رفقائه المتثبتين وقد كان المترجم ممن اوتي الجواب المسكت وحسن الفصل والقول الفصل في امثال هذه المقامات ؛ وممن رزق الحـكمة وفصل الخطاب في المحاورات ؛حتى ان اصحابه ليعدون ذلك من كراماته ؛ فلايقال له كلام الا أتى فيه بجواب مقنع مسكت ؛ وهذه المحاورة صحيحة الا ان اختلاف رواياتها تجعل السامع المتثبت واقفا ازاءها وقوف الحيرة ولكننا فعلنا بتلك الروايات التي بعضها يزيد على بعض او ينقص ؛ مافعله الزهري بحديـث الافك الـذي مزج فيه بين الروايات ؛ وادخل بعضها في بعض وهي لعمر الـحـق محاورة عجيبة يكفي من شرف الشيخ كنون ومن انصافه ؛ انه لما راى من صاحبـــه كلاما طويلا ابى الاان يخضع مع صبر الشيخ كنون ازاء كرسيه طويلا – وقـد جلسا حين المحاورة– فقال له المرء فقيه نفسه ؛ وعند الله علم السرائر ؛ فقام

وذلك على عكس الحالة المعروفة المشتهرة عن كنون حين يحتدم فى امثال هذه المواقف فانه ربما يتناول صاحبه بلسانه اويبده ؛ ولـعـل الله رأف بذلـك الغريب فنجاه من ذلك الجيش الجرار المتموج فى القرويين ؛ فلو ان الشيخ كنون اشار اليهم لنال الغريب نكال شديد ؛ ولله الحمد على السلامة •

تلك هي زيارة صاحب الترجمة لفاس اذ ذاك ثم لم يرها بعد الى انلحق بربه ؛ وقد اكرمت فاس مثواه ؛ ومن ذا الذى يصدر عن فاس الا ولسانهيتدفق على اهلها شكرا ؟ الا من فيه عرق ينزع الى النفاق ؛ فتراه يتـمـعر ان ذكر المومنون ودار المومنين بخير

في سلا

ان لاهل سلا قديما وحديثا آدابرجمة ولطفا ياسر العواطف واخلاقا تؤهلهم الى ان يحافظوا على كل غريب ؛ مادام بين ظهرانهم نازلا ؛ ثم يزودونه عـند ارتحاله وبعده حسن الاحدوثة وذكرا طيبا خالدا •

مر صاحب الترجمة ورفقته بسلا ؛ فنزلوا فى الزاوية هناك مرجعـهـم فبعد ارتحالهم صاروا يقولون لمن ورد عليهم ــكمااخبرني به مخبرونــ عجبا من فقراء سوسيين مروا بنا ولهم مقدم له مذاكرات قوية ؛ فجسمه اضال من الديك واقواله كامثال الجمالات الضخام ؛ واخبرنى آخرمن السوسيين انه بات فى زاويتهم ؛ فتذاكر كبار الفقراء فى احوال صاحب الترجمة هذه ومما راوه منه اذ ذاك ؛ فقال لهم فقير من النشء ؛ وهل تعرفونه عيانا ؟ فقال لهاحدهم لوكانت تلك الناحية من القبة تتكلم لانبأتك عن احواله واذكاره ومذاكراته فى تلـك الايام التى قضاها مع رفقته هنا ؛ فقد كان لايفتر عن ذكر الله سرا او جهـرا واذا جاء دور المذاكرة استولى على المشاعر واستثار القلوب حتى لانشعر بانفسنا

ذلك هو اثره فى سلا ؛ وذلك الثناء هو الذى يتبعه السلويون الابراركل من الم بهم وكل اناء بالذى فيه ينضح ؛ ولاينبئك مثل خبير •

بين الفقراء في سوس بعد موت شيخه

استاثر الله بالشيخ سيدى سعيد ؛ وهذه الرفقة هناك فى هذه السفرة فتوجه الحاضرون الى سياحة بمجاط تـحـت رئاسة سيـدى الـحـاج الحسن التاموديزتى ؛ فوصلت هذه الرفقة المعدر ؛ ثم توجهوا الى تاموديزت فارسلوا الى اخوانهم ليتلاقوا هناك ؛ فصادف ان جاءوا هم ايضا ذلـك النـهـار الى تاموديزت فالتقوا هناك ــ كما حكى لى كمن اخبره من حضر ــ بفرح عظيموبشر آخر صوفى لايمت الى بشر الناس العام وما رأى كمن سمع ؛ ثم اجالوا امورهم بينهم فظهر لهم انينقلوا الشيخ سيدى سعيدا من مدفنه بتانكرت الى المعدر حيث اهله ؛ فذهبوا اليه ليلا فنبشوه فساروا به حتى وضعوه فى مقبره اليوم وسط ساحة زاويته •

سيدي الحاج الحسن خليفة الشيخ

غادر سيدى سعيد اصحابه من غير ان يعين لهم خليفة ؛ وكانوا الجهـلاء الفقير ؛ وقد ذكر له ذلك فى مرضه ؛ فمازاد على ان قـال لهـم ان الشمس اذا طلعت لاتخفى على احد ؛ ولكن الفقراء المتجردين راوا ان يعينوا فيمابينهم من يقتدون به ؛ ويجتمعون عليه ؛ ويكمل به سفار الفقراء ويتولى رفع راية الارشاد العام كما كان شيخهم يفعله فى القرى ؛ اجالوا القداح فى ذلك حين اجتمعوا كلهم فى مجلس عام فاشار سيدى الحاج الحسن الى صاحب الترجمة ؛ فقال له هذا لاوالله ماانا لها باهل ؛ فكما انه لايحق لابن ابى قحافة ان يتقدم بين يدى رسول الله فكذلك لايحق لى ان اتقدم بين يديك ؛ لسنك ولعلمك ؛ ثم التفت الى الفقراء ؛ فقال لهم ان سيدى الحاج الحسن هو نائب الشيخ ولايعدولهعذا الامر ؛ ولامعنى فى كثر القال والقيل ؛ فاتبعه كل الفقراء فاصبح التامودزتى رئيسا وصاحب الترجمة من بين من ياتمرون باوامره فجالوا فى سياحات فى انواع متعددة احداها الى حاجة ؛ وقد اخبرنى من رءاه فى تلك السياحةوالطائفة فى طريق ؛ وهم مابين متذاكرين او متحادثين فى العاديات ؛ وهو منتبذ [illegible] يمشى مطرق الراس متفكرا ؛ وعليه مرقعته وهيضورته ؛ فلم يخرج [illegible] ايضاما كان عليه فى زمن شيخه وكذلك ساحوا ايضا سياحات [illegible] •

[illegible] اهله

انقطع خبره عن اهله منذ ذلك اليوم الذى خرج فيه صباحا الى المعدر [illegible] جنازة والده العشية الى المقبرة ؛ ولم يطرق آذانهم عنه بعد خبر وقد [illegible] انه توجه الى الغرب ــوذلك مايطلق على ماوراء مراكش فى تلك البلاد [illegible] منه ؛ ففى يوم كان احد اخوته يحرث عند (تيزراليفـولـوسن) فابصر [illegible] مقبلا من القبلة فامعن نظره فاذا بصاحب الترجمةمع فقير او فقيريـن جاءوا من جهة تامانارت وقد فارقوا الفقراء الذين ساحوا الى اقا ؛ فانطلق اخوه [illegible] الحرث والجل ركضا يثب وثبات المستعجل النشيط المرح الذى ملـــك السرور كل مشاعره ؛ فصاح على امه بعد ولوجه باب الــدار البشارة البشارة [illegible] جاء ؛ فطارت امه ؛ فاول ماقالت لابنها اجر الى الغنم ائتنا بكبش

تتلقى الوالدة من ولدها على تقبيلا وعناقاوضما وطالما امعنت النظر فى وجهه ولوكان لايزال صغيرا لضمته الى حجرها ؛ ولكن شبعمرو عن الطوق فاتته بكسوة جديدة ؛ فاراد ان يجبر خاطر الوالدة فاماط مرقعته ؛ فلبسها فطابت نفسها وعادت اليها الروح •

ثم بعد ايام ودعها ؛ وقد وعدها على التردد اليها احيانا فصار يختلف بين اهله وبين الفقراء عام ١٣٠٠ هـ واللذين بعده الى ان كان ماسنذكره

لطمة ترد إلى أهله بالكلية

قرات معي ايها القارىء حالة صاحب الترجمة في هذا الدور الذي بقي فيه بين الفقراء بعدموت شيخه ؛ كمارايت احواله ايضا قبله وهو تحت يد شيخه ؛ فلاشك انك تدرك من كل مارايته انه ممن يوثر الخمول ؛ ويقنع بالعزلة ؛ وممن ينفذ على نفسه قول الصوفية : الخمول كله نعمة والظهوركله نقمة ؛ فقد عرض عليه ان يكون نائب الشيخ ؛ وكان غالب الفقراء لايبتغون به بديلا ؛ ولكنه نفض اليد من ذلك وقنع با نيكون تابعا لامتبوعا ؛ ثم صدق قوله بفعله ؛ فدام نحو ثلاث سنوات على ماعاقد عليه اخوانه ؛ هذا مع انه يحكي عن نفسه انه منذ توفي شيخه كانت هواتف والهامات تستنهضه لارشادالعباد فما كان يلتفت الى ذلك خوف ان يكون من الشيطان الذي لايومن مكره وقدحكى عن نفسه انه سمع عام ١٢٩٩ هـ وهو في قرية اينشادن قائلا يقول له : (زد هان اردن ران ادتزايادن) (اى زد امامك فان القمح سيزداد) كما وقع له مثل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد رءاه كماقال عيانا في مسجد قريته في ثاني الاضحى عام ١٣٠١ هـ ووقع له مثل ذلك كثيرا ؛ ولكنه يتهرب ويابى الظهور كل الاباء ؛ وقال انذلك كان على اذاك كنقل الجبل ؛ فيقنع ان يؤدي تلك الوظيفة من ارشاد عبادالله تحت يدي سيدي الحاج الحسن فكان في تلك السنوات يبذل جهده في الارشاد مع بذل جهده ايضا ان ينسب ذلك الى هذا السيد لا له ؛ هذا ماكان نوى وعزم عليه ؛ ولكن اذا اراد الله امرا هيا اسبابه .

في لغتنا الشلحة مثل يضرب (يان واش كايتلين غ افولوسن افياسن امان) معناه (انما يكون في الدجاج منحوس واحد فيهرق ماءهم) يعني فيبقون عطاشا ؛ والمقصود بذلك ان الجماعة التي تضم في صفوفها من يفسد عليها رأيها ؛ فانها لايلبث رأيه ان يفسد الجميع ؛ هذا بعينه ماوقع لهؤلاء الفقراء الذين طلقوا الدنيا واقبلوا على ربهم بكلياتهم ؛ فان فيهم من ليس مقصوده ذلك كما يكون بين كل جماعة من يشذ عنها وعن مبادئها وان تزيا بزيها

جلس اصحاب سيدي الحاج الحسن مرة للمذاكرة ؛ وفي يد المترجم كتاب يذاكر فيه ؛ فجرت عبارة صوفية اختلفت فيها اذواق الحاضرين فتداولوها ؛ وكان الغالب في ناحية المترجم في اخرى فتجاذبوا المسالة بادب ووقار على عادتهم دائما وكان فقير طالب يسمى ابراهيم بن الحسن الايعداني المجاطي حاضرا للمذاكرة ؛ وكان ممن لم يقدد تهذيب التصوف ان يستل من اعماق صدره ماكان الفه بين رجالات قبيلته من مراغمة من يجاذبونه بعنف وبطش ؛ فلم يلبث في ذلك المجلس ان قام مسرعا من مكانه ؛ فمد يده الى خد المترجم فلطمه ونزع من حجره الكتاب ؛ وهو يقول له : في كل مرة يامدعي

تلج في المذاكرة وتابى ان تطاطىء الراس لسادتك ؛ ويابى لك ادعاؤك الا ان تجاذبهم الحبال كانك لاتعرف مقامك ولامنتهى قدرك ؛ فقام المترجم واعلن بالتوبة فمال على راس اللاطم فقبله ؛ ورجع الى مكانه مطرقا ؛ ومافاه الفقير ابراهيم بن الحسن الايعداني من ان صاحبه لايسلم في المذاكرات اخذمعقلوبامما جرا بينه وبين رئيس الفقراء الشيخ سيدي الحاج الحسن اذ كانا يتذاكران وهما من الاقران وسيدي الحاج الحسن لاينظر الى ذلك نظر الايعداني فكان هذا وامثاله يريدون ان لايروا احدا يتكلم امام خليفة شيخهم اصلا ؛ كان ذلك مما يدل على انه لم يدخل بعد في نطاق الاجماع الذي وقع على الخلافسيدي الحاج الحسن خليفة للشيخ سيدي سعيد المعدري ؛ وحول الفضول امثال الايعداني موجودون في كل طائفة

الى هذه اللطمة ثم للمترجم ماتم لما ستراه امامك فقد طارت اللطمة كالديناميت الذي ينفرقع بين اركان بناء متماسك ؛ فيهتز بغتة فيسقط ما يسقط وينشق ماينشق ؛ ويبقى مايبقى؛ فقد امتعض الفقراء مما جرى من الايعداني الا قليلين ممن هم على رايه فتمشى الشقاق بين القلوب سرا ؛ من غير ان يبدو لذلك اثر جهرا ؛ ورحم الله اباالعباس القباج اديب الرباط اذ قال

... الرجال من الرجـــا   ل اذا تنافرت القلوب

اذا كان هذا في مطلق الجماعات التي تملكها قوانينها ومبادئها ؛ فكيف بقلوب الفقراء الصوفية التي لايضمها غير العاطفة والشعور

... مركز بلدته

اخبر العم ابراهيم قال بينما نحن في ٢٦ من رمضان ١٣٠٢ هـ اذا بسيدي الحاج الحسن التاموديزتي وطائفة من الفقراء معه كبيرة ؛ منها اخونا على ازاروا قرية ايت سليمان ؛ فبيتناهم بدارنا فنزل اليهم الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الالغي ؛ وفي اليوم الثاني اقترح عليهم ان يبيتوا عنده ثم سافروا في ٢٨ غير اخينا على فانه تخلف؛ ففي وقت صار يتحدث الى الوالدة ويخبرها بانه عازم على التزوج في المعدر وعلى الاقامة هناك ؛ وقد خطب الى رجل فاخطبه ؛ وانما يريد ان يكون معه احد اخوته الاعزاب ليستعين به على مالابد منه من الاشغال فثارت الوالدة في وجهه ؛ وقالت له والله ماانت بمغادرنا ؛ ولابتارك قرية اهلك وموطن آبائك على كل حال ؛ ثم اتصلت بزوج ابنتها الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله فاستعانت به في محاولة استئصال تلك الجذور من صدر ابنها على بكل ما امكن ؛ وقالت اكون امه ارى منه قرة عيني وفلذة كبدي وابلى على مستقبله من الاماني ما الله اعلم به ؛ حتى اذا اجتنيت منه الثمار ينقلب عني منطلقا الى مبعد لااراه ولايراني ؛ لا والله لايكونن الامر على ذلك ؛ فمال

الاستاذ الى اخينا على فالح عليه ان لايفارق الغ ؛ وقال له فيما قال : فاذا ذهبت انت عنى فمع من اسكن هنا ؟ ابقى هنا فى غربة وحدى ؟ وانت تعلم ان من له نصيب من العلم يكون غريبا مالم يكن معه من يعرف قدره ؛ وهل يقدر قدر العلماء الا آخرون ؟ فاعتذر اليه اخونا على بانه خاوى الوفاض ليس عنده مايعتمد عليه فى هذه البلدة الشديدة الوطأة فى الحياة؛ قال واما فى المعدر فهناك من سانتزوج من عنده ؛ فاجعله بادىء بدء معتمدى ثم هى بلدة سهلة الاشغال قريبة المنافع لايحتاج فيها الى مايحتاج اليه هنا ؛ فقال له الاستاذ انا كفيل لك بكل ماتتوقف عليه ؛ الى ان تستقل بامرك فان كان هذا هو عذرك ؛ فهو عذر زائل منذ الآن هكذا اخذ الاستاذ بحجزته من جهة ؛ وتاخذ بها امه من جهة اخرى ؛ ليقضى الله امرا كان مفعولا .

قال ؛ فلم يكن لاخينا بد من ان يسلس لماطلب منه وقد راى الامور تتيسر ؛ ومن علامات الاذن التيسير كما يقول الصوفية

فى بعض الرسائل للمترجم انه راى النبى صلى الله عليه وسلم فالزمه ان يقوم الى ارشاد الناس ولابد ؛ قال كان ذلك من اصعب الامور على الى تلك الساعة فزالت تلك الصعوبة عن قلبى ؛ فتشوفت الى ذلك كل جوارحى وكان ذلك فى وقت السحر ؛ ثم عند طلوع النهار اتصل بانسان يسمى سعيدا من ايت سليمان من سكان قريته فلقنه الورد وهو يقول له نفتتح امرنا بك واسمك سعيد فلعل الله ان يسر جميع الامور فتسعد كما يحكيه الفقير سعيد نفسه وقد تاخرت وفاته بعد شيخه اذ توفى نحو عام ١٣٣٠هـ وكان هذا الاذن فى اخر العام ١٣٠١هـ ثم انه رجع الى اخوانه عند التاموديزتى الى انجاء فى رمضان ١٣٠٢هـ كما ترى

قال العم ثم ان اخانا عليا قال ان كان الامر هكذا وكانت السكنـــى لاتكون الا فى الغ ؛ فلنبدا منذ الآن فى تاسيس الزاوية ؛ فـفـى اول شوال اثر العيد ١٣٠٢هـ صار خدمة ينقلون احجارا الى مكان الزاوية وقد اختار ذلك المحل لبعده عن القرية ؛ وقد قال ان الفقراء لايليق بهم الا مكان مبتعد عـن الناس وكان مكان الزاوية لامراة تسمى تابوريشت فاشتراه من عندها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ثم ابتدأ البناء فى اواسط شوال ؛ فكانت الزاوية الداخلية القديمة اول مابنى اذاك بناء ساذجا على الكيفية التى تمشى عليها المترجم فـــى جميع ابنيته كلها ؛ لايهتم الا بالمحتاج اليه فقط ؛ من غير تزويق ولا تقويـــم ولا تصحيح واذ ذاك قال الاستاذ ابو الحسن الالغى :

بيت اتيح الخير من وجهاته	فاتيح ما ينكا الحسود القالى
مثوى السعادة والسيادة والتقى	ومزاد كل مهذب مفضال
سلم اله العرش اركانا لـــه	بنيت على تقوى وعـن افضال
وادم به ذكر الحبيب وكل ما	يحدو القلوب الى المرام العالى
واجبر به كسرا بدا من ديننا	وانضح به ربنا بثوب الحال

وللمترجم فى اول رسالة له المام بما وقع له فى هذا الطور ؛ مما اشرنا اليه فالاولى ان نسوق كلامه عينه حول ذلك ؛ نصه

الحمد لله الذى يتكرم على عباده ويتفضل ويولى من يشاء من عباده بفضله ولايسال عما يفعل ؛ الذى معرفته هو اقرب لعباده من حبل وريدهم فلذلك تجد من طلبه لمعرفته يجده اول لحظة ؛ كما قال لسيدنا موسى حين قال له اين اجدك يارب ؟ فقال له من اول قدم رفعته لانى موجود معك واينما القوم انت وهذا المقام لايفهمه الامن وصله ؛ وقد كنا قبل وصولنا اليه نجاهد ونظن اننا فى غير الحضرة ؛ فلما فتح علينا وجدنا انفسنا غرقى فى الحضرة الربانية ؛ وانما السحاب على بصائرنا فلما انجلى وجدناه كما قال جاء الحق وزهق الباطل فصرنا والحمد لله فى الحضرة الربانية والنبوية جامعا لهما فى الهمة قويا فيهما القوة الكبيرة ؛ الى ان تجلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة قبل فجر اليوم الثانى لعيد الاضحى عام ١٣٠١ هـ وانا على الوضوء انتظر طلوع الفجر مستغرقا فى ذكر الله فقال لى اعطيناك الاذن العام والخاص ؛ فمن ذلك اليوم نهضت همتى لاصلاح العباد ؛ وارشادهم الى العزيز الحميد فلقنت الورد فى ذلك اليوم لهم بعد ماكان ذلك شاقا على نفسى ؛ ولااقدر ان اتظاهر ... فضلا من ان اربيه ؛ وقد كان شيخنا سيدى سعيد المعدرى ارسلنى الى ... مع فقير ؛ فقال لى اعطيناك الاذن فى الطريقة عام ١٢٩٩هـ فقلت ... نفسى لاأريد الا الحق واما الخلق فلاطاقة لى بهم فقال لى هـــذا ... وصله الوقت ؛ فلم ارد له جوابا ؛ ولكن وجدت ذلك الامر كالجبل عـــلى ... ؛ فمشينا من المعدر فرحنا الى (اينشادن) وذلك الامر هولنا ؛ فسمعت هاتفا يقول لى بالعجمية (زدهان اردن ران ادتزايادن) (١) وذلك خطاب الله تعالى لانى مستغرق فى حضرته ولكن قلبى لم يلتفت الى ذلك الى ان وقع الاذن الثالث النبوى ؛ فاجتمعت همتى لذلك من غير ارادة منى لان الاذن اذا وقع من الثلاثة من الشيخ ومن الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم لابد ان يتكون الماذون فيه رغما على انف الماذون وعلى غيره ؛ فوقع لنا كما قال مولاى العربى ببركة الاذن جاءنا اهل الغير فربحوا منا وربحنا منهم ؛ وانقطعوا عن الدنيا وتعلقوا بالله وذلك هو الربح الكامل ؛ وهذا المقام هو الذى كان عند السادة الاولين يردون الخلق الى الحق ؛ الى ان يعرفوه حق معرفته ؛ كالامام الغزالى والشاذلى ومولاى عبد القادر الجيلانى انتهى المقصود من الرسالة

هذا ماذكره المترجم عن نفسه اخترنا ان نسوق فيه كلامه بعينه لان المرء فقيه نفسه ؛ ولايعبر عن حالة الرجل مثل بنانه ان اعمله

---

١) اى زد اماماك فان الضيع سيزداد

قرات الاسباب التي دفعت المترجم الى تسنم تلك الذروة ؛ وليس لنا بعد ذلك مانقول ؛ الا ان الفقهاء يقولون ان من راى من نفسه اهلية للقضاء اوالامامة او العدالة او لمرتبة من مراتب الدين ؛ كالوعظ والارشاد ثم لم ير من تتوفر فيه اهلية لذلك من معاصريه او مساكنيه ؛ فانه يجب عليه وجوبا عينيا ان يقوم لذلك وان يقبل وظيفته ولابد ان عرضت عليه وان يطلبها ان لم تعرض عليه بل زاد بعضهم انه يجب عليه ان ينال ذلك ولو ببدارهم ؛ هذا مانعرفه عند الفقهاء ثم القينا انظارنا واجلناها فيما بعد هذا الحين من حياة المترجم وشاهدنا تلك الجهود العظيمة التي يبذلها في تعليم التوحيد ؛ومكارم الاخلاق للناس حين يتتبع القرى يستقريها واحدة فواحدة ؛ فيجمع الكبير والصغير والذكر والانثى فيعلم الكل الدين ومبادئه وشروطه ؛ وكيف فضائل الاسلام وتعاليمه القيمة من غير ان يتوصل من وراء ذلك بدرهم يوعيه او يتطلب رئاسة يترقى اليها بذلك ؛ ومن غير ان يقتصر على المنتسبين اليه من مريديه بل كان يجمع اليه جميع المسلمين ويجعلهم سواسية في التعليم الديني العام ؛ ثم انه امضى في ذلك كل عمره الممتد من عام ١٣٠٢ الى ١٣٢٨ هـ وهو لايعرف مللا ولا سئامة ولا تضجرا من معاناة ذلك التعليم ومما لابد ان يقاسيه من يشتغل بتعليم طبقات متشاكسة الطباع ؛ متنافرة الاخلاق ؛ ثم هو وراء ذلك كله قد ايد بالتوفيق وعاين الاعمى قبل البصير من عمله ذلك نفعا عاما ؛ اجمع الناس على انه لم يقم به من معاصريه احد كقيامه به اذا عرفنا كل ذلك ونحن لابد عارفوه مما سياتي من باقي ماننتبعه من حياته ؛ فاننا سنجد من قاعدة الفقهاء نفسها مايبرر تصدره لذلك الحال ؛ ونراه وجوبا عينيا قام به ؛ على حين ان كثيرا من رجالات عصره وفقهائهم ناسون لذلك او متناسون وبحسبنا ان نجد له مبررا مما عند الفقهاء ثم نذر الصوفية وما يذهبون اليه ؛ فالفقهاء لايمكن ان يحملوا على اقرانهم هؤلاء ماوجدوا فيما بين ايديهم مبررا يستخرجون منه برهانا وحجة لان الجميع على وفاق ؛ وبراهينهم ومقدماتها متحدة النتائج ومثل هذا القيام للتعليم العام للعامة جعله الغزالي فرض عين على كل ذي علم ؛ وذاك نفسه هو غالب مايشتغل به المترجم

رايت ان اول يوم اتصف فيه بالمشيخة هو الحادي عشر من ذي الحجة عام ١٣٠١ هـ وان الفقير سعيدا كان اول من تلقن منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن ؛ فكان اسم هذا المريد البكر عند شيخه دليلا ناصعا على ان السعادة ستلحفه باجنحتها الموفورة الخوافي والقوادم ثم تتابع آخرون في السنة نفسها فكان كل من لقنه الورد يثبت على مبدئه ؛ وفي الذين دخلوا اذ ذاك في بابه الصوفي الكبير سيدي الحسين بن مبارك المجاطي من

والانفريقي كان عابدا كبير المجاهدات لاينام ولايفطر ؛ فلاقى عنتا وقد كان اتصل بالسيد المدني الناصري فلقنه الطريقة الناصرية ؛ قال ابن مبارك فبقيت ماشاء الله ولم انل السكينة والطمانينة القلبية التي يذكرها الصوفية في كتبهم فشكوت ذلك لسيدي المدني فقال انني لست من ارباب هذا الميدان ؛ وانما القن للناس مابايدينا تبركا ؛ ثم قال شارطت في مسجد من مساجد توكلادير اذا بالشيخ فلقنني ؛ ففي الحين وجدتني منقطعا الى الله ؛ وقلبي قد حلته الطمانينة فاستجاب الله دعائي في الحين ؛ هكذا يلتقي الشيخ بعطاش يجدون عنده ماء سلسبيلا يكرعون فيه ؛ فيعلون له من الشان ماسار يتعاظم بتوالي الايام حتى كان ماكان مما نحن ذاكروه .

ذلك ما استفتح به المترجم عام ١٣٠٢هـ ثم اتمها بتاسيس زاويته ؛ وهو الآن قد رفع عقيرته بالمناداة اليه ؛ وقد بدا منه لاهله حال غريبة كلها نشاط تفرق به ما الفوا منه من خمول واطراق ؛ ايام كان يمشي وليدا في مرقعته لا يشتغل بغير خويصة نفسه ؛ فقد كان عهدهم به على هذه الحال ؛ ثم هاهو ذا يقابلهم اليوم بوجه آخر واول مافعله تاسيس زاويته ؛ والتصدر لتلقين الاوراد الظاهرة ؛ فهذا كله غريب عجيب عندهم وقد جر الى بلدته مالم تكن تعرفه من قبل صلوه الاستاذ محمد بن عبد الله جر قبله العارف بارسنها حين اسس القرية ؛ فذلك امر سهل وهو معروف عند كل احد ؛ ومن الذي يجهل العلوم ونشرها من المسلمين ؟ ولكن هذا الرجل الآخر جاء من جديد بنحلة جديدة غير معروفة في الغ وقد كانت اباؤها احدثت ماحدثت حين اعتنقها وحدها لذلك ؛ ثم القى عنه هياته الجميلة . فجال في مرقعة غليظة وسبحة طويلة وعكازة مجلوة ؛ فكيف يكون الحال اليوم عند اهل القرية ؟ حين نزل بين اظهرهم يؤسس زاويته ؛ وما معنى الزاوية ؟ ويعلن انه شيخ يتصدر لتربية المريدين ؛ وما معنى الشيوخة ؟ وما المقصود بالتربية ؟ كل ذلك عجب عند اهل القرية كما يعجب منه ايضا بعض الفقهاء وخصوصا حين يرى الرجل ينفض من خموله المتراكم فجاة ؛ ومن اطراقه لراسه فيتقدم الى الميدان رافع الراس وها نحن اولاء نتنازل فنشارك هذا البعض من القراء في عجبهم ونظهر بمظاهر التعجب ونبقى من بعيد ننظر هل هذا الرجل صادق في دعواه هذه فيما سياتي من سيرته التي سنتتبعها ؟ ام هو كمدعين آخرين نعرفهم في هذا العصر بانفسنا ؛ كما نعرفهم في بعض العصور المتقدمة بواسطة التاريخ فكثيرا ما نسمع من يلبسون مظاهر مثل هذه الالوان التي رايناها لهذا الرجل فيزعمون جميعا انهم ماقاموا الا عن اذن من الله ورسوله ومن شيوخهم وانهم ماقاموا الا لنفع العباد ؛ ولتهذيب النفوس ولكنهم لايلبثون بعد ان ينجحوا الشهرة والاقبال ان يلبسوا العباد ويغرقوا في شهواتهم الى الآذان ؛ فلسان كل انسان لاتظلم فيه يديره كيف يشاء ويلفظ به من الدعاوى امثال الجبال العظام ولكن عند الاعمال

تظهر الرجال ؛ وعند الآثار تظهر الرجل المستوية من الحنفاء ؛ وعند المميات تظهر التركات ؛ فما عبر عن الحر كعمله وآثاره لانه لايمكن ان يستقيم الظل والعود اعوج ؛ ولبعض الالغيين :

خيل السباق تتساوى فيابتدا	ولايرى السابق الا فــي المدى
كذلك الرجال كــل يزعم	لكن لدى الاعمال كل يعلم

يتزوج بزوجه الاولى

في تلك الجلسة التي انعقدت في دار الاسرة من الاستاذ محمد بن عبد الله ومن ام المترجم في عشية يوم ٢٨ رمضان حين قرر ان يبقى بالبلد ؛ قرر ايضا انتنظرله سيدة كريمة يقترن بها ؛ ومعلوم ان الامهات يعتقدن انهلايعقل الابناء بعقل متينة الا الاقتران ؛ فذكرت اولا بنت للحاج ابراهيم الايغشانــي فقيل انها مخطوبة ؛ وقد تم امرها لابن عمها محمد بن الحاج محمد بن احمد ثم ذكرت بنت(حوكا) اخت الحاج ابراهيم فاستنكفت حوكا ان تزوج ابنتــها ممن عادته انيتجول في البلدان ؛ ويتكفف في الاسواق ويمشي في مرقــعة ويجرسبحة غليظة ؛ وهو ابله يترك داره وعمله واهله ويصاحب هداوييــن يصرخون بالاذكار في كل فج ومن كل ثنية وقد طلق عمله وسمته الذي يعرف به امثاله من العلماء ؛ وحين كان يالف انيطلق حتى نفسه وامه واهله ؛فالاقرب منه ان يجر ايضا وشيكا ذيل الطلاق حتى على من تزف اليه ؛ هكذاتقول حوكا وتعتذر لمن ارسل اليها وسيطا في الخطبة ؛ وهو الفــقير مســعود بيليوش التيبيوتي بلديها وجارها ؛ ولكن عزيمة الفقير لم تفلل بتلك الاعذار ؛ فلم يزل بالمراة حتى اخطبت فعقد النكاح يوم عيد الاضحى نفسه من هذه السنة فزفت الى زوجها وكان الاستاذ محمد بن عبد الله والطالب الخير الحاج صالح بناحمد من اعمام المترجم شاهدى عقد النكاح ؛ والمستلمين للشوار على العادة ؛ كما في عقد النكاح المكتوب فيه اثمان ماجهزت به السيدة بخط الاستاذ المذكور ويوجد نص ذلك في الجزء الثالث من كتاب (منافواه الرجال) وكان الزفاف الى الدار الجامعة للاسرة وسط القرية لان البناء المحدث منشوال ليس فيهالا بيت واحد فقط ياوى اليه بعض فقراء جدد قد حدثوافي هذه السنة عندالمترجم وكان ياوى معهم الى ذلك البيت يتذاكرون فيه ويذكرون ؛ وقد حدثني العمان الاستاذ ابن عبد الله جاء في عشية من تلك الشهود يفتش عن المترجم فوجده مع اصحابه في ذلك البيت في ظلام فناداه حتى خرج اليه ؛ فقال له اوكنتمفي ظلمة ؟ فقال لاباس ؛ والمتيسر هو الذي يقنع به ؛ ولم يتيسر لنا الآن مانسرج بهمن الزيت لقنديل فارسل في الحين الى الفقراء اناء منزيت يسرجون به

سايرنا حياة المترجم من مهده في الكتاب فالمدارس فمنقطعه الى المصدر فسياحته ؛ فجلنا معه وهو في مرقعته متجردا عن كل شاغل ؛ ثم هاهو ذا الآن نراه في هذه السنة قد ظهر بمظهر آخر جديد وقد اسس مركزه وتزوج وتصدر للمشيخة ؛ وطلق ذلك الخمول الذي كان خيم عليه في كل حياته المتقدمة فبرز واعظا مرشدا ؛ وشيخا مربيا أنراه لايزال يصاحب مرقعته كما كان قبل ام يلبس ايضا لهذه الحالة الجديدة لبوسها؟ لان من يتصدرلتزهيد الناس ووعظهم والاخذ بنواصيهم لابد له منحالة تعلن بلسان حالها ؛ انه غير محتاج الى ما في ايديهم ؛ ولامتشوف الى مافي جيوبهم والا كان ذلك كحالة من حالات القلندرية ينفر الناس بادىء بدء اكثر مما تهديهم وتقود ازمتهم ونحن نعلم من حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ذا هيأة مستحسنة في قومه ؛ لاتقتحمه معهــا العيون ؛ ولاتشمئز منها النفوس بل كانت له حلة يتجمــل بها للوافدين يوم قدومهم وتلك لاشك حالة لابد منها لكل من يرشحنفسه لمثل ذلك المقام فلذلك نريد ان نرى كيف يسلك المترجم في حياته الجديدة ؟ واية هيأة سيبرز بها ؟ فقد كنا نعرف منه احوالا تستغرب في العادة قبل هذا الطور وماكانت بلاريب تلائم هذا الطور الجديد ؛ مثل ماوقع له في حادثة قبل ان يلتبس بحالةالجديدة فقد سافر مع الاستاذ محمد بن عبد الله الى (تيمكيدشت) فكان الاستاذ في شارة حسنة ؛ وبزة تأخذ بالابصار وهو على بغلته كالنجم الثاقب في علياه قال خادم الاستاذ اذ ذاك السيد الحسين المانوزي والد امغار بلقاسم الازربيسي اليوم كان معنا في تلك السفرة سيدي علي بن احمد وهوفي مرقعته وسبحته وعكازته يملا الجواء بهيللته لايفتر عنهاطوال الطريق ذهابا وايابا فهذه هيأة ان كانت تلائم ذلك الطور في حالة التجريد فانها لاشك غير ملائمة لهذاالطور الجديد ؛ الذي يقتضي تبشير الناس وتأليفهم بلسان حاله ؛ لاتنفيرهم بمجرد الرؤية ولاتستهد قلوب وعقول كثير من الناس الا مماتتأثر به ابصارهم وقديما قالت العرب : «البس لكل حــالــة لبوسها» فكما ان لــكــل مقام مــقــالا ؛ فكذلك ان لكل مقام لباسا ؛ فالفقير المتجرد الذي يعرض عن كل احد لايقبل الا من خويصة نفسه ؛ فانه لايبالي بغيره اقبل ام اعرض انس ام نفر ؛ فتلائمهمرقعته التي تخف بها مئونةالاهتمام باللباس في كل وقت ؛ من تجديد وغسل وما الى ذلك بخلاف من نصب نفسه للناس فانه لابد ان يكون مثله مثل الناس فــي العادات المألوفة التي لاباس بها ؛ ليكون ذلك ادعى الى تأليف القلوب والاتصال بالناس ليمكن التأثير المطلوب .

حقا لبس المترجم للحياة الجديدة لبوسها فراجع المعهود من لباسقومه الوسط وداخل الناس وجالسهم وواصلهم ؛ فلايترك مجتمعا في القرية ولافي

جيرانها الا الم به مؤانسا اولا لمواعظا مرشدا ثانيا ؛ وكان مع ذلك فلمايفارق
الاستاذ محمد بن عبد الله في المذاكرات العلمية مباحثة ومراجعة ؛ فعاد الى
الميدان العلمي كما كان قبل ان تستهويه الطريقة ؛ كما كان ايضا يلقن ورده
لكل من آنس منه قبولا ؛ وما تلقين الورد الا انخراط المرء في جماعته ليمكن ان
يربيه كيف يشاء وقد صار من انقطعوا اليه من اصحابه يسمونه شيخا ؛ حتى
تسرب ذلك الى العوام كلهم ؛ فصار الشيخ كانه علم عليه وحده في تلك الناحية
متى اطلق فلايسمى الابه عنداصحابه وعند غيرهم؛ هكذا تلبس بحياته الجديدة
فتغيرت هيأته التجريدية التي ما كان زج فيها الا انضواؤه تحت لواء شيخه
المربي ؛ والصوفية لايشترطون تلك الحالة الا لبعض من لايزالون تحت نظر
الشيخ ؛ ممن يونس منهم الشيوخ رعونة نفس ؛ فيداوونها فيه بما جربوه
عندهم فصح دواؤه واما من سلم منها او من تخرج من عند الشيخ فلاباس ان
يلبس كل ماتيسر ؛ كما هو معلوم في الرائية الشريشية وامثالها من الكتب
التي تحوم حول التربية الاصطلاحية كما يسميها القوم ؛ كذلك تغيرت ايضا
حالته الاجتماعية ؛ فراجع المؤانسة وملابسة الناس لان مقصوده لايحصل الا
بذلك ؛ ويد الله مع الجماعة على كل حال ؛ كذلك استجد له اصحابه اسما
جديدا وسموه به فلاينادى ولايذكر الا باسم الشيخ وهو نفسه قد نصب
نفسه على تلك المنصة ؛ منصة المشيخة ؛ ولذلك تدخل في غمار الناس فنعتته منذ
الآن بالشيخ كما اشتهر به اشتهارا غريبا في كل الجنوب منذ هذا الحين

الشيخ يسيح إلى آقا

كان الشيخ سيدي سعيد المعدري قد بذر بذور طريقته في قبائل كثيرة في
سوس في انحاء مختلفة ؛ فكانت تانكرت ومجاط الى تامانارت فاقا من مسارحه
ومثوى اتباعه ؛ وبعده صار اصحابه الكبار يتعهدون الفقراء هؤلاء ؛ فكان
خليفة الشيخ سيدي الحاج الحسن التاموديزتي ومن اليه ؛ وصاحب الترجمة
ومن اليه والكل على مبدا واحد يختلفون الى الفقراء تذكيرا للعهود واستنهاضا
للهمم ؛ فلهذا ذهب راجلا في صفر سنة ١٣٠٣ هـ بعد ان مضى عرسه بقليل
يتعهد من بجهة اقا ؛ فبقي هناك الى ان امضى عندهم عيد المولد ؛ وكاني باحد
القراء يتعجب ويقول ؛ ان الرجل غريب حيث لم يستهوه ما يستهوي من
يكونون حديثي عهد بعرس ؛ ولكن يجبان يعرف ان الشيخ يظهر انه من
رجالات لاتطمئن نفوسهم كثيرا لما تطمئن اليه نفوس كثير من الناس فلمجلس
واحد يقضيه فارغ البال مستجمعا لقلبه مع اخوانه في المبدأ اعظم بهجة وسرورا
مما يستهوي كثيرين في مثل موقفه ذلك ؛ من المراشقة والمغازلة في مخادع
الغواني ؛ ومتى اشتغل انسان بناحية وغمرته بما كان فيها من رواء وبهاء
فهيهات ان تبقى منه لفتة اخرى الى اية ناحية سواها ؛ الا ريثما يؤدي من
الحقوق ماينال به الخيرية التي اومأ اليها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
حين قال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي ؛ ولاباس ا ن نلقي في اذن بعض

العصريين المترفين ان التعبيد هكذا اثر عرس حديث في منتاى من الاهل ؛
ليس مما يستنكره في عادات اهالينا ؛ والبر بالاهل انما يطلب من الرجل
بحسب بيئته التي يقطن فيها ؛ وماكان مقبولا متسامحا فيه فلاتبعة على من
امتثل فعله ؛ ولذلك يعلم ان تعبيد الشيخ اول عيد نائيا عن امراته الجديدة
لاباس به عندنا في البيئة الالفية التي لم تعود شهور العسل

مراجع التدريس

كثيرا مانرى هؤلاء الذين ذاقوا من بين الفقراء المخبتين المنيبين ما لـم
يذوقوه مابين الطلبة المماريح المفاريح المفاكيه ؛ ووجدوا مابين ايديهم والذاء
مذاكراتهم وبين طيات احوالهم مالم يكن يخطر لهم على بال حين يجولون في
فنون العلوم المعهودة فتراهم وقد انتشوا بما انتشوا به ؛ مما عبر عنه بعضهم
اذ قال : «لو يعلم الملوك مانحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف» لايجدون بعد ذلك
من انفسهم ميلا الى خوض هذه العلوم التي يسمونها العلوم الظاهرة والرسمية
الا اذا اضطروا لذلك ؛ فتراهم يقتحمونها كمايقتحم الرغم الخائف ارضا
شائكة ؛ والحق يقول من يقول : «ان التصوف اذا سبق تمكنه في فكر الانسان
يجتث من اعماقه جذور محبة العلم المتعارف والميل اليه» حتى قال ابن عرفة
«كل من رايته ينتاب الصوفية من طلبة العلم فاعلم انه لايجيء منه شيء» ورحم
الله ابا اسحاق البلفيقي دفين الرحبة القديمة بالحمراء ـ ذكر الله الحمراء
بكل خير ـ اذ قال : «من اراد الله به خيرا شغله اولا بالعلوم حتى يتمكن فيها
ثم بعد ذلك يذيقه من التصوف فيكون سعيدا» او كما قال هذا مايقال في
الصوفية والعلماء ؛ لايزال كل واحد منهم يسعى الى غاية واحدة يوم كان التصوف
لم ينتسب بعد بكل هذه الشوائب التي اذهبت رواءه وقلبت المقصود منه الى
ضده ؛ ويوم كانت ايضا هذه العلوم لمايسف اربابها هذا الاسفاف المخزي
حتى كان العلم جهل ؛ وحتى كان متعلمه يتعلم الجهل والغفلة والعنجهية
والاعراض من اصلاح نفسه ؛ وكان ذلك يوم يتقارب الفريقان ثم اتى الوادي
فطم على القرى واختلط الحابل بالنابل واستنت الفصال حتى القرعى (١) فذهب
رواء التصوف والعلم معا ؛ فاختلفت النيات فضرب بين الطائفتين بسور من
عداء حتى لااتصال بينهما ؛ فما ظنك بنظرة الصوفية الى هذه العلوم واهلها؟
اولا تكون الا كمثل نظرة اصحاب هذه العلوم اليهم والى ماهم فيه ؟ فيكفر
بعضهم ببعض ولكن ان شاع هذا في صوفية المتاخرين وفقهائهم فقد يشذ بعض
افراد من الفريقين فيعلم كل واحد ماللاخر من مكانة لاتنكر ؛ والشيخ من هذه
الفئة القليلة من الصوفية التي وان تبجحت التصوف وخاضت فيه كل مخاضة
لم تنقض يدها كل النقض من العلم واهله فقد رايته تصدر في مدرستي
فم كورص وبومروان بعد ان التحق بالتصوف واتخذه شعارا وجعل مبادئه دثارا

١) طم على الشيء : غمره والقرى كغنى : جدول الماء واستنت : جرت والفصال جمع فصيل : صغار الابل والقرعى : التي اصابها القرع والجمل الثلاثة امثال عربية

وسترى معنا ايها القارئ اعماله الخالدة حول العلم تنشيطا واعانة في الباقي
من حياته التي امامنا ؛ وها هو ذا اليوم لم يكد يتلقى بعد رجوعه من الغ رسالة
كتبها اليه رفيقه الاستاذ محمد بن عبد الله حين توجه الى مراكش تركها عند
العم ابراهيم وفيها انه سيخلفه على الدراسة الى مرجعه ؛ حتى طار الى المدرسة
فتصدر في منصة التدريس في العلوم التي تدرس فيها كلها والاستاذ وان اوصى
بالمدرسة لصنوه على الا ان الشاب الفرهد (١) لايقوم مقام القارح الصبور

هكذا عاد الشيخ ايضا مدرسا يستنير بافهامه امثال الاستاذ سيدي العربي
الساموكني وسيدي الطاهر الافراني الشاعر المفوه والفقيه الحسين التاطاروستي
والفقيه احمد التازيمامتي والعلامة احمد بن صالح الافراني والجهبذ الشهير بلقاسم
التاجارمونتي والفهامة المكي البزيدي وخليفة الاستاذ على شئون داره ومدرسته
العلامة الكبير على بن عبد الله وكثيرين ممن كانوا اذذاك نجوم المدرسة الالغية
والفطاحل المتفوقين فيها ؛ وهم مشحوذون اذهانا متمرنون مباحثات مامنهـم
الا من يتقي ويعلم انه كبش الكتيبة حقا ؛ وقد استفرغ فيهم استاذهم محمد
ابن عبد الله كل جهوده حتى خرجهم كاسنان المشط ذكاء وتفوقا وتحقيقا فبين
يدى هؤلاء تصدر الشيخ يتابع لهم دروسهم في النحو والفقه واللغة والادب
وكل ما يتعاطى هنالك من العلوم ؛ لكنهم في اثناء اجتهادهم مع الشيخ استاذهم
الجديد دهمهم نعي الاستاذ الاكبر سيدى محمد بن عبد الله اواخر ربيع الثاني
فسافر الشيخ مع صنو الاستاذ سيدى على بن عبد الله فاتوا بتجاليد الاستاذ
وهو مقترح الشيخ الذى اصبح اليوم كبير الغ بعد ذلك الاستاذ المنعي ؛ فعزعليه
ان يبقى مجهول القبر في ضواحي تامصلوحت فاتوا به في صندوق ؛ ومـمـا
يتعلق بذلك انهم باتوا في قرية سيدى ميمون في قبيلة كسيمة فاودعوا في قبة
الضريح الصندوق الذى فيه تجاليد الاستاذ ؛ فباتوا ولم يابه بهم احد من اهل
القرية وفي الصباح غدا اليهم رجل من سكانها مبكرا ؛ فقام بافطارهم وقال
لهم ان له بنتا تتراءى لها اخيلة الارواح ؛ فرات تلك الليلة روح الاستاذ ابن
عبد الله فقال لها عجبا لكم نبيت عندكم فتبقوننا بلاضيافة فسالته من هـــو
فافضى اليها بانه صاحب الصندوق الذى في قبة سيدى ميمون ؛ وكان الرجل
غير عارف بان مع الرفقة صندوقا فكان الشيخ بعد ذلك يداعب ويقول انامعشر
المرابطين اعتدنا بين الناس التكفف فان استعف عنه احياؤنا قام به امواتنـا
ثم يحكي الحكاية متبسما

لازم الشيخ المدرسة كل سنة ١٣٠٣هـ مدرسا ؛ فجال جـولات الافذاذ
فرات منه المسوغات للابتداء بالنكرة وصور الطلاق ومقامات الحريرى ومسائل
الحجب والفرض والتعصيب ؛ من كانت تعرفه قبل ١٢٩٨هـ فاذا هو هو لم
يزده تصوفه الا مايزيده المسن لظبا الصارم الخذم ؛ وبعد تمام السنة سلـم
الوديعة الى ربها والقى المقاليد الى العلامة ابي الحسن ابـن عبـد الله (ان الله

١) بضمتين : القوى

يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) فودعه الاستاذ شاكرا عمله في تلك السنة
ثم نقل تاجرة المشارطة الى الزاوية خمسا وعشرين غرارة من الشعير ؛ فكانت
اول مادخل الزاوية من الحبوب منذ اسست ؛ ثم تزايد الخير الى ان كان ماكان

ينهض بهمة علية إلى ما هو بصدده

ان الثانية من السياحات التي قام بها الشيخ بعد تلك التي ذكرناها الى
الغ ؛ هي سياحته الى قبيلة املن ومعه طائفة من مريديه الجدد كسيدى الحسين
ابن مبارك المجاطي وسيدى بوهوش الدوكاديري وامثالهما من قدماء مريديه
الذين ارتشفوا منه الرشفة الاولى ؛ كما كان فيها ايضا كثير من اخوانه ممن
ينتسبون الى سيدي سعيد المعدري فجال هنالك في املن بالارشاد الخاص والعام
مما كان يقص حديثه علينا به سيدى بلعيد الصوابي ؛ قال طرقت اذ ذاك تلك
القبيلة اثر رجوع الشيخ منها فوجدت احاديث المنتديات كلها تدور حوله ؛
تعجب في تتبع ماشاهده الناس من قلوبهم اولاحين تاثرت بكلامه تاثرا عجيبا
ولما ابصروه ثانيا من احوال الشيخ حيث يباين صنيعه في سياحته ماكان
يعهدونه من المرابطين الذين يسيحون بزعم ارشاد الناس ولكنهم لايرضون من
الناس الا بمقدار امتلاء جيوبهم وانتفاخ وفاضهم فجاء هذا الشيخ الجديد
بضد ذلك ؛ فانه عزوف عن قبول ذلك بعد مايقدم له فضلا عن ان يعرض
[illegible] به بين الملا كما هي عادة المرابطين السائحين؛ وكل شغله الشاغل
تعليم الناس التوحيد وارشادهم الى ربهم وكف ايديهم عـن مدها الى اي
انسان الا بما يرضاه الله ورسوله ؛ يبث ذلك بلسان موثر ووعظ يفلق الصخور
ويلين الصدور ؛ قال وكان ايضا مما اثار عجب الناس العجاب تلك الهيأة التي
يقابل بها الناس الفقراء الدرقاويين ؛ ولم يكن قط اهل هذه البلاد يسمعون
بها فضلا عن ان يروها؛ فكان مجموع ذلك مما اثار زوبعة هائجة من التعجب
من الشيخ قال فوجدت اناسا كنت اعرفهم ناصريين قد استحوذ عليهم الشيخ
فمدوا اليه ايديهم ؛ فاعتنقوا طريقته فصاروا يحكون لي مايذوقونه بعـد ان
التقوا معه من طمانينة وسكينة واخلاص ؛ مما كانوا لايتذوقونه قبل اليـوم
مع قيامهم باذكار كثيرة ومجاهدات لاتنقطع ؛ قال فقلت لهم انني كنت اعرفه
قبل اليوم حين كان مشارطا عندنا في مدرسة فوكرض قال وممن كان اخذ عنه
اذ ذاك الفقيه سيدى موسى الاسكاوري الكرسيفي والرجل الصالح سيدي الحاج
الحسن من ايت عيسى (١) التافراوتي وغيرهما من كبار القبيلة واعيان املن قال
ثم كان ذلك هو السبب الذي حدابي حتى وفدت عليه بالغ فانقطعت الى خدمته
وتقيدت بالاحسان في حضرته (ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا) وقد ذكرت كل
ماحدثني به في جزء من كتاب (من افواه الرجال)
ثم ان هذه السياحة كانت في اوائل ١٣٠٤هـ فرجع الشيخ الى الغ لـم

١) هو والد هذا التاجر الحاج عابد السوسي المشهور في البيضاء بكل خير

صار لايبقى فى زاويته الا يويمات ؛ ثم يخرج الى القرى المجاورة ينذر عشيرته الاقربين ؛ فيبيت ويقيل يعلم الناس التوحيد وما يجب للهومايجوز ومايستحيل والقواعد الخمس كلها واحكام الصلاة والصيام والزكاة ؛ فكانت عادته التى افتتح بها حركته هذه ؛ ثم دام عليها الى ان كفنه كافنه ؛ انه يتتبع القرى قرية قرية ؛ ثم ينادى مناديه ان يجتمع الناس فى المسجد ذكورا واناثا ؛ ويامــر بعدم الاختلاط بين الجنسين وكثيرا مايكون الرجال داخل المسجد والنساء فى فنائه ؛ ثم يطلع ـاذاكان الوقت ليلاـ الى مافوق السطح انوافــق الفصل ذلك ؛ فيبقى يعظ الناس وهو يلون مواعظه بين تبشير وانذار وبين تعليــم ونهى وامر ؛ وهو يتخلل ذلك باذكار اصحابه ؛ او بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛وكثيرا مايامر من يحفظ قصائد الوعظ المنظومة ان يقوم فيتلوها على السامعين بغنة خاصة ؛ وهو بين ذلك يسكته احيانا فيتم ماراد بكلامه فيتكون من مجموع ذلك تاثير غريب فى قلوب السامعين ؛ وهم مبهورون حين يسمعون من الشيخ ماكانوا لايسمعونه قط من عالم ؛ ولايقوم به بين الناس قائم ؛ والعلماء فى غفلة عن هذا الواجب كانهم لايحاسبون به امام الله

بهذه الحالة كان فى اثناء سنة ١٣٠٤ هـ يتقرى القرى الالغية والــتى تجاورها فراى الالغيون ومن جاورهم من ذلك الرجل الذى كانوا يسمعونه به ابله ذامرقعة وسبحة غليظة وعكازة طويلة عالما جديدا ومرشدا كبيرا ؛ ومهتبلا بالدين اهتبالا غريبا ؛ وقائما بتعليم ماكان كل الناس جاهليه ثم لايجدون من ينتدب احتسابا الى ان يعلمهم اياه مجانا من غير ان يطمع فيما بأيديهم ثم كان بين ذلك يلقن ورده لمن اراده وقد اندفع الناس كلهم وراءه فاما العامة فينتفعون بمايعلمهم اياه مجانا ؛ واما الخاصة وطلاب اذواق الطريقة فلهم منه مجالس اخرى ؛ وكان الشيخ لايحدث الناس الا بما يفهمون عملا بماورد : «حدثــــوا الناس بما يفهمون اتريدون ان يكذب الله ورسوله؟»

هكذا انذر الشيخ عشيرته الاقربين واسمعهم مالم يكن قط لهم فى حساب لانهم لم يالفوا قط من علمائهم ان يتصدر واحد منهم لذلك ؛ ويجعله كل همــه ويجعل على عاتقه القيام به فى المنشط والمكره فادرك ذوو البصائر منهم ؛ ان الرجل رجل آخر وان قيله احسن قيل (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) فشكروا له ذلك وعرفوا له قدر هذا المجهود الذى يبذله فى نصحهم ؛ فكان منهم مريدون قد اعتنقوا طريقته وسلكوا نهجه فسرعان ماتكونت له منهم شيعة تقابل شيعة اخرى تتكون ايضا شيئافشيئا من الناحية الاخرى ممن يزدرون عمله ؛ او لاينشرحون به صدورا ؛ اما حسدا واما جهلا ورجما بالغيب سنة الله فى كل من يتصدى لامر كان ماكان ؛ حين لابد ان ينبعث ازاءه من يخالفونه على خط مستقيم ؛ ولذلك حكم عظيمة لاتخفى عن ذوى الالباب وبضدها تتميز الاشياء

فنسحب الناس الاذيال اللفلونينا — وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى فى الحب غيركم — وصادق ليس يدرى اله صدقــا

سياحات اخرى كبيرة

فى منتصف عام ١٣٠٤ هـ تكون بين يديه اتباع ينيفون على الاربعين ؛ مامنهم الا من القى قياده له على شرط اهل التربية الاصطلاحية ؛ فيقلبه ماشاء وهو مطاوع ؛ ولايقول له لمه ؟ فانضم الى هؤلاء الاربعين مثلهم من اخوانــه اصحاب سيدى سعيد ؛ فخرج من الغ فى ثمانين عدا ؛ فمر بايت صواب وقد كان ساح اليهاقبل هذه المرة فتكون له فيها بتتبع قراها اتباع ؛ من بينهم الفقيه السمى سيدى محمد بن ابراهيم ثم صمد الى جهة قبيلة اداوزكرى ؛ فكان مما هياه الله له ؛ ان كان رئيس القبيلة راى فى منامه رؤيا بان سعيدا سيقصده فيسعد على يديه ؛ فاذا بالشيخ نزل بمدرستهم فصادف فيها رؤساء القبيلــة فلم يكد يراه ذلك الرئيس صاحب الرؤيا حتى رسخ فى ذهنه ان هــذا تعبير رؤياه ؛ ثم لماجال الشيخ فى ميدان ارشاده ونشر بزه ؛ فراى الراءون انه مــن طراز آخر غير ماكانوا يعتادون ؛ ايقن ذلك الرئيس بصحة رؤيــاه فغرق فى الحسن الى اذنيه فى اكبار الشيخ ؛ فاتبعه كل الناس فصار الشيخ يتقرى قرى القبيلة ؛ وكل رجالها لايفارقونه ؛ فكان الجميع الجماء الغفير ؛ فكانت هــذه الرؤيا اساس محبة تلك القبيلة الزكرية لجناب الشيخ ذكورا واناثا من لدن ذلك العهد الى الآن ؛ ومما زادهم فيه محبة انهم اقترحوا عليه ان يكونــوا للزاوية خداما ؛ ينذرون لها من اموالهم ؛ كما صنعوا لزاويــة الشيخ سيدى محمد بن يعقوب التاتلتى ؛ فعزف عن ذلك على عادته فى مثل ذلك مماظلهم به فسلب البابهم ومن زهدت فيما بين يديه استحوذت على مابين جنبيه *

فلا ترج الود ممن يـــرى — انك محتـــاج الى فلسه

وكان الزاهد سيدى محمد الزكرى يحدث عن هذه السياحة ؛ لانها هى كانت سبب انقطاعه الى الشيخ وكان واعية ضابطا ؛ قال بينما نحـن جالسون فى قريتنا اذ تواترت علينا الاخبار من كل جهة بان رجلا عظيما ظهر بها اخيرا ؛ فقام فى الناس بالارشاد والتعليم والنهى والامر ؛ والتبشير والانذار وانه ظهر بمظهر جليل ؛ يستحوذ على قلب كل من جلس اليه؛ اوسمع من مواعظه وانه مادخل قرية الا اجتمع عليه من فيها ؛ فيسال كل واحد على حدة عن ربه وعن دينه ومن نبيه وعن امور دينه كلها ؛ وهل يعرف من الحلال والحرام ؟ كان ذلك شغله الوحيد ؛ ثم يقول الناس ان العجيب منه انه لايمل ولايضجر والاعجب من وراء ذلك كله انه لايقبل من احد شيئا ؛ قال هكذا تدفقت احاديث الركبان ؛ فشغلت بطرافتها وبالتعجب مما تنطوى عليه من لم يصلهم الشيخ

بعد بطائفته ؛ ولم يزحف اليهم بعد باسئلة ؛ قال وقد كانت الطوائف الناصرية اذذاك كثيرة ؛ ولكن عرف الناس كلهم ان العطاء لابد منه ؛ كزيارة تقدمها كل قرية الى السيد الناصري ؛ عادة ورثها الاحفاد عن الاجداد ؛ فيستثقل الناس ذلك العطاء الا من كان حسن النية ؛ وقليل ماهم ؛ قال ثم لما ولج قبيلتنا وشرع يتتبع قراها ؛ انقاد اليه كل الرؤساء ؛ فتمود كل قرية نزل بها موسما حافلا يحضر الرئيس الاكبر الحاج محمد الاومريبي فمن دونه ؛ والناس اتباع رؤسائهم ثم راح الشيخ الى قريتنا فبمجرد ما القيت عليه بصرى خلبني نور وجهه وملكت مشاعرى انوار تتالق من اسرته على حسب تعبيره فنفضت يدى من تلك الساعة من كل ماعندي فالقيته ظهريا ؛ فطلقت مالى ودارى وكنت بعد عزبا فانساني ما رايت كل ماكنت فيه قبل تلك الساعة ؛ فلم ارجع بعد الى الدار ؛ بل بقيت فى سطح المسجد شاخص البصر الى وجه الشيخ وهو يعظ ويلقن الاذكار ؛ ثم حكى غريبة وقعت له مع الشيخ اذذاك ملخصها انه كان بعيدا من مجلس الشيخ ؛ ثم لم يشعر بنفسه حتى وجد انه ازاء ركبته ثم قال انه رد على بعض الناس مالاقدمه له ؛ فقال له بلطف رده الى جيبك ليكون فيه ان شاء الله بركة ؛ قال ثم خرجنا من قبيلتنا مع الشيخ ؛ وقد اصطحب اناس من تلك الجهة مع الشيخ كنت انا احدهم ؛ والحاج محمد ازبابو الايلالني الذى كان له شان عظيم بعد هذا الحين فى قبيلة ايلالن ؛ ثم نزلنا مع راس الوادى حتى حللنا بزاوية سيدى الحسن التيملى بايرازان ؛ ثم استدرنا الى هشتوكة فالمعدر قال ومما سمعته من الشيخ فى تلك السياحة انه قال لرجل واحد نلتقى معه ممن كانوا يشتاقون الى من يدلهم على الله ثم لم يجدوه افضل عندنا من ملء الارض ذهبا ؛ ولاقصد عندنا فى كل هذه الجولات الان نصادف من يتعالى الى معرفة ربه ؛ لنهديه الصراط اليها ؛ فهذه هى مهمتنا ومبدؤنا وغايتنا التى لها خلقنا وفيها نمضى حياتنا (وقد ذكرت ماحدثنى به هذا الحاكى فى جزء خاص من كتاب (من افواه الرجال) ثم بعد ان رجع من هذه السياحة الكبيرة ساح ايضا الى ايفران فاداى قايمى اوكادير وقد صادف قبولا عظيما فى قايمى اوكادير كان هو السبب حتى اسس هناك زاويته وصار اهل القرية كلهم من اتباع طريقته الى الآن ؛ وقد وقعت له فى هذه السياحة امور مع فقهاء وغيرهم اختصرنا من ذكرها لانها مكتوبة بتفاصيلها فى كتاب (من افواه الرجال) كما كان ساح ايضا فى اول عام ١٣٠٥ هـ الى هشتوكة فاداوتانان وقد مر على مشهد ابى السحاب فاخذ عنه اذ ذاك سيدى على التنانى المقرىء المشهور ثم مر بمدرسة ايسقال حيث اخذ عنه سيدى سعيد التنانى الذى كان فيما بعد احد عمد طريقته ؛ ثم مضى قدما فى طائفة كبيرة الى ان وصل السويرة ثم رجع ادراجه ؛ وقد كتبت ايضا تفاصيل ذلك فى ذلك الكتاب والحمد لله مما رويته عن سيدى محمد الزكرى وغيره من قدماء اصحابه •

هكذا كان مفتتح اوليات الشيخ ؛ كان كله عجبا فى همته وفى انقياد

الناس له ؛ ولم يمض على قيامه الا قليل حتى انتشر اصحابه فى القبائل التى كان زارها ؛ والمتجردون بين يديه يتزايدون حتى ان بعض الالغيين من جيرانه يتناجون سرا بانه ساحر ؛ لما يرونه من انقياد الناس له ووطئهم عقبه وهم كثيرون ؛ والحقيقة انه ساحر ولكن سحره سحر الصوفية الافذاذ الذين يستحوذون على الافئدة باذواقهم العجيبة ؛ ثم يقودون المسحور بيرته غيرملتفت لما فى صرته •

ان الاسود اسود الغاب همتها ... يوم الكريهة فى المسلوب لاالسلب

وكان خروجه لهذه السياحة السويرية بعد عيد المولد سنة ١٣٠٥هـ ورجوعه فى اوائل رجب او فى اواسطه ؛ وقد صادف حين رجوعه عقيقة اول مولودة له ؛ فتتابعت الطوائف الى الغ من التمليين والصوابيين وغيرهم ؛ وفى كل طائفة عشرات ؛ فكان ذلك اعظم دليل لدى الالغيين على ان الرجل غير من يعرفونهم من بين ظهرانهم من فقهاء كتاب الرقى والتمائم ؛ وانه من صنف اخر ولكنهم لم يهتدوا الى صنفه ؛ لانهم بعيدون عن احوال الصوفية الذين يمثل الشيخ دورهم احسن تمثيل •

تجاوزت اكناف السماء تساميا ... فكيف يرى من يبصرون مكانيا ؟

يؤدي فريضة الحج

كان سما للشيخ عزم الى ان يؤدى فريضة الحج وكان ربما ذكر ذلك فى سياحته السويرية التى رجع منها وشيكا ؛ ويذكر عنه فى ذلك مراء ابويه ولكن كيف يحج ؟ وليس فى يده مال ؛ وهل يطير البازى بغير جناح ؟ او يخاض الحرب بغير سلاح

كان لرجل غنى من امانوز يسمى ابراهيم ؛ ولد يسمى محمدا ابرغاش لقب بذلك ؛ فعزم على بعث ولده هذا لاداء فريضة الحج ؛ ولكن لمكانة حسب الابناء من الآباء لم يطق ان يرسله الا مع ثقة يثق به امانة ودينا وكانه سمع بان الشيخ يهتم بالحج فجاء اليه وعرض عليه ان يصحب ولده وان لايهتم وراء ذلك بشىء ؛ فقال له الشيخ ان كان هذا منك عزيمة ؛ فلااحب انا الا ان تسلفنى ماانوفق عليه ؛ ثم يرد عليك كما هو ؛ فاتفقا على ذلك فتيسر الصعب امام الشيخ وراى عناية الله به عظيمة فبادر الى التهيىء من يومه ؛ وقد نهضت همم اخرين فقاموا لوجهته ؛ وقد اراد الله ان تبقى تلك الرحلة خالدة فوفق الشيخ فكتبها نظما من يوم خروجه من الغ الى ان دخله راجعا ؛ فبقيت فى مبيضتها واخذت منها نسخة وهى على ماهى عليه من عدم التنقيح فخرجتها ونقحتها وغيرت لبعض معانيها الفاظا ملائمة بحسب الطاقة مع المحافظة التامة على مقاصدها الاصلية وعلى غالب الفاظها الاصلية ؛ وربما زدت بيتا او بيتين او

اكثر لاتمام معنى ماذكر؛ اوبمبحث لعرض له فجاءت بذلك كله رحلة الفية حسنة مفيدة؛ وهي تناهز ثمان عشرة مائة بيت او اكثر وقد سلك فيها الشيخ مسلك الاسهاب ؛ فيصف كل مارءاه وصفا تاما ؛ فلنذكر منها بحسب منازله ماتيسر ملاحظين للاختصار ؛ وقد كنا سميناها «اصفى الموارد فى تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد»

يقول فى اوائلها :

الحمد لله الذى سددنا — ولبقاع المصطفى ارشدنا
وءالف القرشيين فى الشتا — والصيف رحلة بها المن اتى
اكرمنا بنعمة الايمان — بخير خلق الله والقرءان
وارسل الرسول بالبشارة — مصرحا بها بلا اشارة

ويقول بعد ابيات كثيرة :

فى عام «ششه» (١)وبيوم اثنين — يز (٢) بشعبان لقيت يمنى
خرجت من بلدنا وقت الضحى — والبين قد ابدى الاسى واوضحا
وفى القلوب حرقة الفراق — وانما يسلى رجا التلاقى
ان الفراق قطعة العذاب — بل كله عند ذوى الاحباب
قد جرع الاخوان بالتشييع — كاس المرارة لدى التوديع
فمنهم الحائر والولهان — ومسبل الجمان والسكران
لكننى ودعتهم لله — فليس عن ودائعى بساهى
ورجعوا والدمع فى المحاجر — كانه منتثر الجواهر
وبعدهم لم يزل الفقيه — اخو العلا السميدع النبيه

الى آخر الفصل الذى ستجده فى ترجمة الاستاذ سيدى على بن عبدالله الالغى الذى هو المقصود هنا ؛ وبعده الابيات المتقدمة فى ترجمة صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ؛ ثم بعد ذلك كله نجد ماذكر فيه الحاج ابراهيم الايغشانى ؛ وستراه بحول اللهفى ترجمته ايضا ؛ ثم ماذكرفيه الاستاذاحمد الزيمامي ؛ وستراه فى ترجمته ايضا ؛ ثمقال وقد نزلفى ذلك اليوم الاول فى تازروالت عند سيدى ابراهيم ابن صالح الشريف

وكل واحد نوى التشييعا — لم تقبل النفس له الرجوعا
ثم حدا الحادى بذاك اليوم — بنا فودعت القرى وقومى
فارتحل الركب بنا سيرا الى — زاوية الشيخ طفاوة العلا

---

١) ١٣٠٥
٢) ١٧

سيد احمد بن موسى قاصدين — اخص احباب لديه الزائرين
من اثبات اخلاقه ووصفه — وعلمه وعقله ولطفه
بآله المعروف بالعناية — وآله الموسوم بالولاية
ذونسك وورع وزهد — وعفة وسنة ورشد
نجل لذاك الشيخ نعم الولد — والشبل فى المخبر ذاك الاسد
اسمه ابراهيم نجل صالح — ولم يخالط قط غير ناصح
وكان هذا اول المراحل — نزلته فنيل خير نائل
فكل ما اشتهته نفس النازل — تناله اليد بلا مناول
وفى الصباح كنت فى صباح — فى ذكر اهل الخير والصلاح
فاهتز رب الدار بالحب ومال — والحب فى الله دوام الاتصال
وارسلت امه خاتما الى — لكى يزار قبر سيد قصى
وبعد ما اوصلته لقبته — ازرته فيها فجا لربته

ثم قال وقد نزلوا فى اساكا عند الايلالغيين

ثم حللنا اسكا فرحبوا — بنا وفى ثانى المبيت رغبوا
فشكرت السنتنا احسانهم — بطلب اصغوا له «اذانهم
قلنا لهم احسانكم ان تطفئوا — نيران فتنة بكم تنطفى»
فقبلوا ثم وفوا فغدروا — فهبت الريح لهم فنصروا

ثم قال وقد نزل فى المعدر مسكن شيخه سيدى سعيد

ثم الى منبع عين سرنا — وجنة تلالات فى دهرنا
ومركز السر وخير الامكنة — وزهرة الدنيا بهذى الازمنة
موطن شيخنا السعيد الاسعد — شيخ المشايخ الامام الاوحد

ثم اطال النفس فى احوال شيخه ؛ وسترى ماذكره فيه حين تقرا ترجمة شيخه هذا فى (القسم الثالث) ان شاء الله ؛ وقد تقدم فصل عن هذا المكان فيه ذكر ماوقع له يوم ملاقاة شيخه ثم قال بعد ما اطال

الى المكان الذى فيه الكلام — من المراحل الى خير الانام
بدار شيخنا نزلت ظهرا — فانتعش القلب لديه جهرا

الى ان قال عند الرحيل من المعدر الى ماسة وكانت ماسة احب بلاد الله اليه فى سياحاته لما يناله فيها هو واصحابه من التقشف والفاقة ؛ والفاقات اعياد المريدين (كما يقول الصوفية)

وبعد ما زرنا ضريح الشيخ   حصل بالوداع مثل النفخ
منه لماسة بحصن الساقية   نزل ركبنا بحصن الوافية
ماسة موضع الكمال طـــرا   منبع اهل الله حقا جهرا
من كان من اهل القلوب يدرى   ما قاله من كان حلف خبـر
زايت مرة بها اذ سحنــــا   سرا من الاسرار منه بحنا
وتلك لى الاولى بذاك حنا   قلبى لها وحبها قد سنــــا
فكم بها من جملة الاحباب   كلهم ذوو صفا الالبـاب

الى ان ذكر ان من هناك كان رجوع من شيعوه من اهله

منها انثنى الفقيه سيدى عـلى   كذا ابـو سالم الـحب العلى
قد حصل الفراق والجمان   ينتشر اذ توادع الاخوان
فرجعوا مع البزامـى احـمـد   خير نصوح للفتى المسترشد

ثم ذكر نزوله فى المزار بقبيلة كسيمة ازاء اكادير

منها ارتحالنا الى المـزار   لدى احبة عزيزى الجارى
جيران وادى سوس اهل الخير   اهل المحبة لنا والغيـر
ثم حللنا دار سيدى الحسيـن   مقدم لديهم بكل زين
وكلهم لم يدر ماذا يـفـعـل ؟   عند نزولنا وما ذا يعمـل ؟
لفرط ما بهم من الحب لنا   فزال ما بنا لديهم من عـنـا
واكرموا ثلاثـة الايـام   غاية مايكون من اكرام
وعندهم رايت فـى المـنـام   بشرى رايت ملك الاسلام
سلطاننا سيدنا المولى العلـى   ابا على نجل سيدى علـــى
فى غاية الفرح فى منزلـــه   مرحبا بنا بوسط اهله
فقال مذ خرجتم فرحـــت   وكل ما اشتهيتم ابحت
وقام فى خدمتنا بنفســـه   مفضلا بقلبه وحســـه
فـاولت بملك الـملـوك   لحبه سلوك ذا السلـوك
ومن هنا رجع عنى الشبقيـق   الصنو ابراهيـم افضل رفيق
وهو باهل الله ذو اعتناء   ولطريق القوم ذو اقـتـفـاء
ومعه بعض من الاخوان   فرجع الكل الى البلــــدان
فرجعوا بمركب البـغـال   كانت لنا حاملة الاثـقـال
ثم الى السويرة الـكـراء   حمارة وناقـة حـمـراء
ثم ثلاثا صد وادى سوس   تبا له من معبر ذى بوس
اياك ان يسل فلا تعبر بـــه   كيلا تكون راسبا فى قلبـــه
ولم يكن يهلك فى الوديـــان   الا المجربون بالـطـغـيـان

ثلاثة ما منهم امان   البحر والسلطان والزمـــان
ومنا فى قطعة احباب   لولا هم تقطعت اسباب
الا على البغلة وهى تقطـــف   وكل من مشى اليها يعطـــف
والصنو عبد الله كان راكـبا   فرس بعضهم فكان ءالـــبا
لانه وبضعة من فقـــرا   قد ازمعوا ان يقصدوا امالقرى
فتعب الكل بهذا القـطـع   وبعضهم اشفى به للشــرع
وفعل واد ليس فعل النحـــو   ان كنت ذا عقل وحلف صحو
يعمل فـى معموله بسيلـــه   الخفض فالنصب برفع رجلـه
وكل ذى عقل وخدن حـــزم   فلا يطالب قطعه بعوم
فليقطع البر لراس الوادى   محاذى الضفاف فـى البوادى
فهو يرى جميع ماكان يشـــا   من فجره الى حنادس العشا
من ملبس ومفرش ومشرب   وماكل وكل خير يجتبـــى
لان ما فى ذاك من عمارة   اضفت على السكان حسن الشارة
ومن ردائة لفوق سيرى   كل الامانى لديه فى القـــرى
الا الامان انه مكفـون   بسبعة لـديهم مـدفـون (١)
ولا يجوز نبشه من قبــــر   معروفهم هو عظيم النكـر
ولم يخلف وارثا فاشتغلـــوا   بنقض عهد الله فيما عملوا
هواهم اهوى بهم فـى المهـوى   اسرع بهلك من اليهم اهـوى
والحكم للغالب لا للنادر   بلادهم تعمر بالـبـنـادر
اما الصلاة فمن الـرجـال   قليلة فكيف بالـعـيـال
واديهم يذهب بالابـدان   وجهلهم يذهب بالاديـان
فاركب الاخف من ضريـــن   والويل اهون من الويلـيـن
وبعد قطعنا شكرنا شكرا   فى حصن منكب وصلنا الظهرا
وكلنا زار ضريـــح سيدى   ابـى القنادل بشوق الزيـد

ثم ذكر نزولهم ذلك فى اوزير ثم فى ايت امر ؛ واثنى عليهم وذكر انهم خيار الصاحبين ؛ ثم فى تمنار حيث دار القائد المحجوب اذذاك ؛ ويقول فى ذلك ويذكر ما وقع له معه :

ثم الى المحجوب من عمال   حاجة وهو مـن ذوى الافضال
مرامنا البيع لبغلة لنـــا   على يتقده نلم شملنـــا
ومثلها يحبها الـعـمـال   وعندهم قـد توجد الامـوال
قبل طلوع الشمس قد طلعنا   لكن من الدخول قد منـعـنـا

(١) ضمن هذا التعبير العامى الذى يعنى بسبعة اكفان المبالغة فـى مواراة الميت وتغييبه عن الانظار

وشددت حجابه علينا … وسددوا رماحهم الينا
فابوا التقريب والترحيبا … وءاثروا الاقصاء والتانيبا
طال بنا الوقوف ثم ملنا … الى الجدار ثمت احتللنا
نقبل كل ذاك بالافراح … من ربنا الفاعل بانشراح
وكان عنده الكثير الفقها … عرفنى من بعضهم ذوو النهى
لم يدر ما يفعل وهو ضيف … رجاء شيء من لدنه حيف
نحن ذوو زاد وهذا الصيف … نبيت حيث لايكن سقف
لموضع فى خارج قد ملنا … مع جميع الفقها ؛ وقلنا
شيئا من الوعظ لهم فاذنا … اذ ان مغرب فقالوا امنا
بعد الصلاة نظروا ما يعمل … من حيلة يجنى بها المؤمل
لكى نبيت احسن البيات … مع جميع الفقها السادات
فقيل لى سلم عليه حينما … يريد ان يدخل كيما يعلما
لانه من خارج بمعزل … عنا لدى الصلاة قرب المنزل
فقام للدخول بعد المغرب … والناس منه فى هوى ومرهب
وليس يجترى عليه احد … كانما يخطر منه اسد
حاجبه يقوم ليس يجلس … يلازم العبوس ليس ينبس
يرعى له بطرفه الخواطر … وكيف ان اشار بالظواهر
وكل من كان بتلك الحضرة … قلبه انتشى بتلك الخمرة
فجل ءادابهم الظواهر … وفى بواطنهم المناكر
فقمت امشى فتلاقيت معه … مسلما فلم يرد ان يسمعه
فدخل الدار بغير رد … سلام من سلم ؛ بل بالصد
فدخل الكل ونحن كنا … تحت الجدار وبه انسنا
الى ورا العشا وقد نعسنا … تحت الجدار ما راينا الكنا
جاء الينا حاجب محجوبه … وافق حقا اسمه محبوبه
اتفق اللفظ مع المعنى كما … ترى وسبحان الذى قد قسما
فقال قم فسيدى يدعوكا … لاكان من ياسيدى يجفوكا
وذاك انه جرى فى النادى … وهم يجولون بكل واد
ان قال بعض الفقهاء ها هنا … فلان من فضله الهنا
بالعلم والصلاح والخيرات … ووعظه يطير بالمهجات
فاستسمنوا بظنهم ذا ورم … ونفخوا وهما بغير ضرم
فحسن الوصف باذن العامل … فاشتاق ا ن ينال خير نائل
فقال للحاجب قم فات به … لنستفيد من سنا مطلبه
فقمت فى الحين بقصد الوعظ … له بحالى اولا واللفظ
وجدتهم فى قبة مصنوعة … بزينة وفرش مرفوعة
واذ رءانى زال عن منصته … يشير بالجلوس فى اريكته

مرحبا بقلبه وقالبه … وقال كل مرحبا اذ قال به
فهو كالقلب وهم كالجسد … مبتدرون ان اشار باليد
فقلت اذ رايته قد اقبلا … وكان للنصح له مستقبلا
ليس سبيل للكلام غير ان … رايت نفسك بنصحنا قمن
فقال لى اهلا بنصح الله … جازاك عن نصحك لى الهدى
فقلت للحاضر من رعيته … ومن يناديه من اهل طاعته
هل انتم تاتمرون طرا … نهيا اذا نهاكم او امرا ؟
فقال كلهم ا انحن نهمل … منه الاوامر اذا ما تقبل ؟
فقلت ان امر بالخمس لكم … اتتركون فى الوقوت شغلكم ؟
فابتدروا بقولهم لوامرا … بالعشر اديت بوقت امرا
فقلت للقائد هل انت ترى … من الذنوب ما عليك فى الورى
فكل من ترك فى حكومتك … اى صلاة فهى فى رقبتك
فى سائر البلدان اذ حكمتا … عليهم جهلت او علمتا
ضيعت دين الله فى احكامكا … وهى عظيم ذاك فى اسلامكا
ان الفريضة عمود الدين … كما رووا عن النبى الامين
فقد رايت من يحول داركا … تركها بله بنى جواركا
احسن كونك عاملا ولا … تجعل فى الصلاة ذاك العملا ؟
بالوعظ والضرب وقتل الحد … وذاك فى الدين تمام الجد
انت خليفة الامام الاكبر … فانت بالتنكيل فى ذاك حرى
فارسل الرسول للمؤذن … فجاءه فى الحين فورا لم يبن
فقال من لايرد الصلاة … اعلم به فلن يرى النجاة
من ضربنا وحبسنا وكل ما … يرده لها الى ان ينعما
فقلت تبنى مسجدا فى الداخل … تجمع فيه مع كل داخل
فقال قد وعدت بالبناء … له بذا العام بلا مراء
فرح المجلس والاسماع … وفى الصباح حصل الوداع

ثم ذكر انهم باتوا عند انسان آخر ؛ ثم الى دار القائد الحسن التكنافى وقد كان له معرفة بالشيخ وقد كان الم بداره فى السياحة السوسية المتقدمة وهو الذى يقول فيه :

ثم هنا لآخر اخينا … فى صحبة صحت ولن تبينا
مرحبا غاية ما ترحيب … ومفضلا بنعم وطيب
واساله شنشنة للكل … عادة اهل المجد اهل الفضل
ابن القائد التكنافة … فالبشر منه الخلق واللطافة
بسماته حسنة وطبع … لانت بيه اصوله والفرع
قد كنت قبل ذا بشهر رحلنا … لديه بالاخوان حين سحنا

فكان ان وصيت عن بنـــاء | مسجده فى الدار باعتناء
فالآن قد وجدتــــه مكمـــلا | فكان ان صليت فيه اولا (١)
فى اليوم الاول لنا بـــرمضان | وهو كما رووه افضل زمـــان
فكان دائمـا به يصـــل | هو ومن معه وكل الاهـــل
وهكذا فلتكن العـــمـال | اولا فهم على الورى وبال

ثم ذكر بعد ذلك سيدى عبد الله النجار من اصحاب الشيخ المعـدرى وما جرى له مع شيخه ؛ ثم الى السويرة ويقول فى ذلك :

ثم ارتحلنا بعد للسويرة | ونحن فى الصوم وفى الهجيرة
نزولنا فيها لدى اجلـــة | احبـــة اعـــزة اهـــلة
رباطهم احسن به مكانا | تملاه اذكارهم الوانـــــا
ينسى بحسنه لك الاوطانا | ان كنت ناجيت به الرحمانا
مع الذين فيه من كرام | يجنون ما يراد من مرام
وكان قطب جمعهم للـــــه | من فكره دوما على انتباه
خديم اهل الله حيث كانوا | محب اهل الخير حيث بانوا
سواد عين مقلة الاحباب | ومنه نور مهج الالـــبــاب
اخلاقه علت به ذرى العـــلا | ووليت منه المكارم ولا
افقى به عند اللقاء الفرح | حتى ارتمى بالشوق منه الشبح
يتابع الانعام والمئونـة | مدتنا هناك والمعونـــة
واهل داره عـــلى الدوام | بـــزادنا اشتغلن مد ايام
اعنى اخا الكمال سيدى عمر | امه ؛ مشهور بذاك كالقمر
وهو الموقت على السويـــرة | الطيب السمعة والسريـــرة

ثم اطال الكلام حول السويريين ؛ وفى ذلك مناظرة بينه وبين فقيههناك يغمز الصوفية ؛ ثم ذكر كيف اكتروا فى الباخرة ومقدار الكراء فقال :

ثم لبثنا خمسة وعشرة | لدى السويرة بطيب عشرة
ولم نزل مدتنا المختـــارة | منتظرى سفينة التجـــارة
تاتى لقصد سعة المبرة | فى الدين والدنيا بـــلا معرة
لان ما يركبها الحجاج | تضيق حتى يكثر اللجاج
ثم اتت فسار سيد الـــى | وكيلها مرغبا ان يقبـــلا
فقال لى وكيلها النصرانـــى | تركبها انت بلا اثـــمـان
غيرك بالخمسة من ريـــال | لطنجة وذا بـــلا مقال

١) كذلك بنى المسجد فى دار القائد المحجوب المتقدم فى الحيـن ؛ فالمسجدان عامران الى الآن ١٣٨٠ هـ

فقلت للخمسة من اصحابـــى | نقسم ما ترك كالاحبـــاب
فرجعت بدا الى اربعـــــة | مع سدس لواحد فى العدة
لم يفعل الوكيل ما قد فعله | لله بل الهنا قد عملـــه

ثم استطرد ان العمل لوجه الله الكريم بالاخلاص لايصدر الا مـن مـوحـد عرف الله ؛ وجال فى ذلك حتى ذكر الديانات ؛ ثم ذكر حالة المسلمين اليوم من لزوم اداء الصلوات فقال فى اهل سوس ومن اليهم

ولبنى سوس من المغاربـــة | جد علوا فى الدين منه غاربه
واهل (ولتيت) عليه جبلوا | من ضمهم سهلهم والجبـــل
فاقوا بذلكم اهـــل سوس | طرا؛ واين الرجل من رؤوس؟
فاقوا برغبة لدى التديـــن | والزهد فى الاكثار والتزيـــن
وبحياء فى النساء لايزول | ورثه فروعهم عن الاصول
وعفة ورافة ونيـــــة | وهمة كهمة الصوفيـــة
وقلة مـــن الحطام الفانـــى | وكثرة الخوف من الديـــان
فهذه الخصال قد فازت بهـــا | (ولتيتة) فـــى كـــل ءال شعبها
ثم بهم يمتد ظل الديـــن | فى كل ما يلى من القطين
جميع من بحوزهم قد وصفوا | بوصفهم وبهم قد شرفـــوا
يقر جيـــرانهم بـــذاكـــا | اذ ادركوا من يمنهم ادراكـــا
وذاك ظاهر وقد تبينـــا | والصبح لايحتاج ان يبينـــا
ذاك ومن كانوا جـــوار سوس | افضل فى الاركان والاسوس
فاقوا كذاك غيرهم ثم كـذاك | جيرانهم ايضا فحقق ما هنالك
جيران اهل سوس فى الحدود | فاقوا جميع الغرب بالشهـود
فجـــل تر الاسواق والمداشرا | فقد غدا الفرق كصبح ظاهرا
من كان فى مخدع امه جهـــل | كل الذى بدارها لم يتصـــل
وذاك جهل منكـــر خصوصا | انكان عن ذى قدوة منصوصا
ثمت اهل المغرب الاقصى ثم | فى الدين بين غيرهم تقدمـــوا
جميع اهل الشرق امـــا فيمـا | بهم يقال بيس بيس بيســـا
فبدونا اعرف بالاديـــان | من بدوهم للحفظ للقرءان
وذاك كله شهير يـــذكر | فى كل مجلس تراه يؤثر
وقد رايت ذلكم عيانـــــا | ثم اختبرت امره ازمانا
وذاك كله بنسبة القـــرى | فىالشرق والمغرب منغيرافترا
اما المدائن فقد كفى الورى | فىالمدن امثى وبعض فىالقرى١

١) ينسب حديثا وليس بحديث

ثم قال حين يودعهم السويريون :

ثمت ودعنا هناك الصحبـــا ... كلهم مستصحبين الربـــا
وكل من نلقاه فى السبيـــل ... يزور منا زائرى الرسول
تبركا بالنية المستصحبـــة ... والكل قد اعلى بشوق منجبه
والدين مهما خالط القلوبـــا ... فجر من شعابها السيوبـــا
وكل قلب لايلين بالوداع ... حتى يهم فى الضلوع بانصداع
فليس بالممكن بعد ان يليـــن ... بل هو كالصفحة فى الطود الرصين
حد التبرك بنا ومثل مـــا ... ذكرته من الغليل والظمـــا
ومن تشوق ومن عويـــل ... عند مرور زائرى الرسول
سيف السويرة فمن هناكا ... غادرت ذاك الصيد والشباكـا
ثم اتى دور المحاسبات ... وقول هاك فى العطا وهات
وليس بعد لك مـــن مصحوب ... الا الذى خبأت فى الجيوب
فكل من تلقاه فهو طامـع ... منك اذا ساهلت او منازع
فانت من يزور بالدراهـــم ... لكى ترى خير فتى مساهـم

ثم حث على كثرة مد اليد ؛ وعلى كثرة النفقة فى هذا السبيل خصوصا فى سكان الحرم حيث الضعف البادى واكياس الحجاج من منتجات الحاضر فيه والبادى ؛ وذكر ان التكفف من كل من رءاهم فى الطريق وفى الـحـجاز متصل لم ينقطع ؛ فلابد من مد اليد بما امكن

وليس فــى جميعها انيس ... الا دراهم حواهـا الكيس
لكنما الانفاق بالاجمـــال ... للسفر من محاسن الاحوال
لانه يـجعـلهم فى الراحـة ... وهكذا الراحة بنت الراحـة

ثم ذكر كيف ركبوا الباخرة ؛ وقد اشتغل كل واحد بنفسه

ثم ركبنا فى ضحاء الجمعـــة ... سفينة طويلة موسعـــة
فقلت باسم ربنا مجراهـــا ... فى بحرها وباسمه مرساهـــا

ثم وصف السفينة وهى اول مرة رءاها فى عمره

وحيث اجريت العيون حـولها ... ولوجهـــا وطولها وطولها
وشمت مالها من الكيفية ... وحـركـات سيرهـا الخفية
وجدتها اكبـر ما بظنـى ... حيث استبنـت سرها بعينـى
ان يبد مـن اوصافها لسانـى ... فليست الاخبـار كالعيان
فذرعها كانه فـى الطـول ... ذرع الثلاثين على المنقول
وعـرضها حـقـا بخمس عشرة ... مـن اذرع ان لـم تفقها كثرة

فيها ثلاث طبقـات تسع ... الفين او ازيد بل لاتشبع
سارت بنا فى وسط النهار ... بلا اهتزاز السفـن الجـوارى
وغيـر دوخـة ولا فتـور ... كانما نجلس فـى السرير
وجدت فيها صحة فـى البدن ... اكثر مـا اكـون بين المـدن
لانـنـى وافقنـى هـواؤهـا ... وجوها واكلـهـا ومـاؤهـا
فصرت ءاكـل جـمـيع ما اشا ... بشهوة قد وافقت ما فى الحشا
وكان هذا الوقت وقت الصيف ... والسير فى اليم كمسرى الطيـف
ونجمع الصلاة فـى الجماعـة ... مع القيام ان تـحـل الساعـة
مـع الوضوء دائمـا وكـل ذا ... من فضل ربنا الذى نفى الاذى
لان همى كله فـى السفـر ... حفظ الديانات لنـيـل الظفـر
فجاء ذا والحـمـد لله كـمـا ... احـب كل سفر متـممـا

ثم ذكر مرورهم باسفى ؛ ثم حمد السفر فى البحر واثنى على السفـن التى تريح المسافرين براحتها ثم تبلغهم مايريدونه بسرعة ثم ذكر مرورهـم بالجديدة ؛ فذكر طرفا من تاريخها ؛ ثم ذكر ايضا البيضاء فوصـفـها ايضا ثم ذكر مرورهم بالرباط وسلا فقال :

ثم بدا الرباط فى جنب سلا ... كدرتين فــى جـبـين يجتلـى
بينهما نهـر كمـا التتين ... يسع مـا يـلـج من سفين
وكثـرة الـزوارق الـعـوامـة ... عـلى اشتغال اهلها علامـة
فبعضها يفرغ ما فى السفـن ... وبعضها نـزه مـن فـى المدن
لكنهـا ان ولجـت فـى البحر ... تعلو وتسفل كمن فـى السكر
وذاك مـــن شدة مـا تـراه ... مـن موجها ان جاشت المياه

ثم ذكر ان الرباط مبتدأ مايطلق عليه الغرب كماانه حد مايطلق عليـه الحوز المبتدىء من الحمراء ؛ ثم ذكر اناسا ركبوا من هناك فوصفهم وصفاتهم واثنى على همة بعضهم حين استصحب معه ولديه للحج ؛ كما ذكر منهم اخر استصحب حليلته فذكر ان الشوق هكذا يكون وان الصبابة الى زيارة المشاعر الدينية وقبر النبى صلى الله عليه وسلم هكذا يسطع اخلاصها فتنهض بالمال والاهل وتنسى كل شىء دونها

ايـلـج المتـيـم الاخطارا ... ثم يخوض فـى العدا الشفارا
ويعـرض الحـوبـاء للمهالـك ... كيمـا يـواصل الالى هنـالـك
ويتمـتـع بلمـحـة وقـد ... جالس من حبه فى القلب الفقد
ثمت يكمل الـذى قـد زعمـا ... ان كان من حب النبى فـى ظما

ثم ذكر ان الحج اليوم من اسهل مايكون ؛ فالبواخر المريحة السريعة الامنة تدرك بها الاغراض! واين هذا مما كانمن قديم حين تجاب الفيافي المخوفة ويكون الحاج في برقة على مشقة هائلة ؛ غير ان السلف مع تلك المشقة اكثر من اهل هذا الجيل حجا ؛ وماذاك الا من كثرة ايمانهم واخلاص طواياهم ؛ ثم ذكر مرسى العرائش ثم طنجة ثم وصف برالاندلس ـ اسبانيا ـ وارسل زفرة على فقدان فردوسه العجيب ؛ فذكر القرن الذى سد فيه دونه الباب عن الدين الحنيف ثم استطرد الى امتداد الاجانب الى هذا البر أيضا ؛ فاثنى على الذين نافحوا ما نافحوا دونه ؛ كالسعديين والترك ؛ ثم ذكر بنى السين الفرنسيين الذين امتدوا اواسط القرن الماضي الى الجزائر فوصفهم بالقوة والسياسة والحيلة وبتنظيم دولتهم ؛ فعلل ذلك بسرعة تمكنهم في البلاد ثم قال : مادهينا الا من استنامة حكوماتنا الى الراحة وتركها الجهاد ؛ ثم اشار للحديث الذى يلم بأن كل امة تركت الجهاد ؛ ولازمت اذناب البقر فانها اهل للصغار والذل ؛ ثم ذكر ان تونس وقع بها ما وقع باختها الجزائر ؛ فلم يبق الآن الا طرابلس الغرب والمغرب الاقصى في هذه الجهات ؛ ثم قال :

رجع بنا الى الذى تركنا فللحديث طرق يسلكنا

ثم ذكر ان بعض اهله نزل من هناك ليمتطوا سفينة اخرى وبقى هو لان نيته المرور بتونس ليصل رحم احد قرابته انقطع هنالك ؛ ثم ذكر سبتة وذرف عليها دمعة ؛ ثم ذكر وصوله لجبل طارق فاجرى بعض ذكريات عنه ؛ ثم ذكر قدر المال الذى نزلوا به من الباخرة على الزورق ؛ ثم قال بعدما ذكر دخولهم للمرسى في جبل طارق :

فاذ نزلنا ودخلنا في الزقاق دير بنا حتى غدونا في نطاق
قد حلقوا جميعهم علينا وطرف كل شاخص الينا
كاننا قردة في الملعب ومن يشم زيا غريبا يعجب
ثم النزول كان في الاصيل قبل غروب الشمس بالقليل
فحرت في المنزل كيف يوجد ومن نؤمه ؛ ومن نسترشد
ومن يذق قبل اغترابا يدرى كيف يرى الغريب وسط قطر
وليس في الجبل غير الكفر سكنى ولا مسلم فيه ندرى
قيل جميع المسلمين يطردون من الازقة ؛ لذا لا يوجدون
قد زعموا انهم لصوص والله يعلم من اللصوص
سرنا وكل ما يهم المنزل اذا بصائح بنا ان اقبلوا
فرجع الكل اليه واقفين فناول الاوراق كل الواقفين
فكانت الاوراق اوراق الدخول من لم يحز منها فماله دخول
ثمت جزنا الباب والاوراق تمد حتى دخل الرفاق

فظلت اسال عن القنصو الذى ياخذ امر الناس خير ماخذ
فهو يسمى عند كل بسميد خليفة السلطان مولانا السعيد
قد كان رقا للذى كان هنالك قبل فاعتق فزحزح الشبالك
فخلف السيد في المقام فكان من افاضل الاسلام
جئنا اليه غرباء معلمين بما اردناه من النزل الامين
فقام مسرعا يفتش كما يفعله لسيد من خدما
وذاك ما يدل ان كان له مع ربه اخلاص ما عمله
كنا «يج» (١) اصاحبا اخوانا ونبتغي جميعنا مكانا
ولم نرد تفرقا فوجدا نزل بـ «يه» (٢) من ريال عددا
خمس ليال قد عزمنا المكثا هناك في جبلهم واللبثا
ويجب الربع لكل ليلة وذا غلاء ما سمعنا مثله
ثم هناك ما يكون اغلى من ذا الذى كنا ذكرنا قبلا
وقيل ليس موضع فيه الغلا نظير من قد سكنوا ذا الجبلا
وذاك كله من اجل الثروة وما لهم من جاههم والقوة
ديارهم جميعها قصور كجنة لو كان فيها الحور
كذلك الاسواق جمعا بنيت مثل عروس يوم عرس جليت
فيدهش المبصر مما ابصرا مما يغر كل من قد غررا
تقول زهرة الدنا باسرها واتتهم بسرها وجهرها
ازقة قد فرشت بالعود والكنس من طبعهم المعهود
كانما فرشت احسن القصور للوافدين يوم انس وحبور
اما نظافة الظواهر فلا تسل فشانها لديهم قد علا
لو رزقوا نظافة البواطن بالدين كانوا خير كل ساكن
لكنما الدنيا لهم جنات لهم بها النعم والمنيات
ولاغترارهم بها اجتبوها ثم حبوا في الحزم ما حبوها
فاقبلت عليهم اقبالا ولم يروا من وصلها مطالا
لكن من دخل هاتيك القصور وكان من فراشها له السرور
فليس يرتاح الى العشاء لما يصمه من الضوضاء
فعربات الخيل والبغال ترتج في الانهر والليالي
ولست تسمع كلام صاحبك من كثرة الهز الذى بجانبك
وكل بنت من بنات الكفر تركب فوق عربات تجرى
وكل من يريد الانتقالا ينقله ذو العربات حالا
كذاك من يريد نقل الامتعة فانها تنقله وما معه
وكل زبل بالمدينة وما بيده يرى بها نقلهما

(١) ١٨ (٢) ١٥

فهكذا كفوا مئونة العمل   مذ قربت اليهم كل الامل
لذا تراهم والرؤوس في السما   كان كلا منهم ابن ما السما
حقا لهم مقامة فخيم   لو كانت الدنيا لهم تدوم
لكنهم وما اشد جهلهم   قد اهلكوا انفسهم واهلهم
اذ حرموا اتباع دين الحق   والرشد والخلق معا والصدق
لكنها الاديان بالهداية   من يهده الله يسدد رايه

ثم ذكر انه ركب سفينة اخرى الى مالطة ليمكن له المرور بتونس فتتبع ايضا وصف السفينة وكم فيها من اذرع ؛ وقال انها اكبر من اختها وقال انها مدينة جارية على البحر :

فجملة القول لمن سيدرى   ان هذه مدينة في البحر
لاتحسبن الوصف ان فيه غلو   فيعلم العلام ان ليس الغلو
فكل ماتسمعه عن السفن   فلاتكذب ما وعت منه الاذن
فليس راء مثل من قد سمعا   ولا الذى يجهل مثل من وعى

هكذا يقول لاهل بيئته الذين يعجبون مما يسمعون من امثال تلك الاوصاف وفى هذا الوصف ذكر ايطالية واسبانية وفرنسة وانكلترة ؛ ووصف كل واحدة بما وصله علمه ؛ ثم ذكر ان العيد ادركه في نواحي مالطة واليوم يوم الثلاثاء قال والعجب ان التونسيين عيدوا يوم الاحد ؛ مع اننى راقبت انا بنفسي الهلال ليلة الاثنين فلم يظهر مع صفاء الجو فكيف يمكن لهم ان يعيدوا برؤية الهلال ليلة الاحد ؛ والمحل الذى راقبت فيه الهلال يحاذى سواحل تونس ؛ ثم قال بعد ما ذكر كل هذا :

فانظر الى اختلاف اهل الزمن   من قلة اعتنائهم بالسنن
لم يبق حتى الوهم في ذاك وقد   روقب صحوا يوم سبت واحد
وما جرى للتونسيين سوى   ان تبعوا الحساب دوما باستوا
صاموا بيوم جمعة فى الابتدا   فاستيقنوا الهلال فى السبت بدا

ثم ذكر مالطة فوصفها على عادته وصفا مسهبا ؛ كأنما القارىء يراها ؛ وقد الم بالغلاء فيها فقال :

دجاجة بربعين ترخص   وليس فى اسواقهم مرتخص
وعندهم صنف من المعزيباع   بعشرة ومن شرى ادعى الضياع
عشر ريالات ويدعى الضياع ؟   فانها اشرية لاتستطاع

يتعجب كما يتعجب اهل المغرب كلهم من هذا الغلاء ولكن ابناء اليوم اواخر ١٣٥٨ هـ يشاهدون اعظم من هذا الغلاء فى المغرب نفسه ؛ بل فى قرية صاحب

الرحلة نفسها ؛ فالدجاجة اليوم بريالة ونصف وبريالتين (١) والمعز بنحو خمس وعشرين ريالة فرنسية بله النعاج التى بلغت خمسين فى بعض النواحى فمش رجبا تر عجبا

ثم وصف بياتهم فيها فقال :

بتنا بها باقبح البيات   فى قبر عود كذوى الممات
لاننا لم نرد الغلاء   فهل نمد (ربعا) كراء ؟
وذلك القبر على ضيق به   امتد كلنا به لجنبه
وذاك كل ما يحب المعيي   ان الفضول خلق اهل الغي
وانني فى البدو قد الفت   صبرا ان اضطجعت او وقفت

ويقول فى وصف ضبط المالطيين :

فلهم الحزم على الدوام   فى كل ما يفعل للتمام
قد نظموا الامور بالتوقيت   فانتظمت لهم على الوقوت
فكل من فعل شيئا يسجن   بقدر فعله وما ان يفتن
ففيهم المسجون مدة العمر   او مات جيفة كجيفة الحمر
مع عسكر مشمر مصفف   ملفف مزوق مخفف
كأنه فى لبسه الدبى (٢) وقد   يظهر كثرا وهو قل فى العدد
يقف او يمشى على المزامر   فصوتها الناهى لهم والآمر
ولهم خان فخيم فاخر   حاطته فيما قدروا مفاخر
وعرباتهم تقاد بالخيول   وانها فى جريها مثل السيول
فتلك مالطة وذى اخبارها   قد استنارت فى الدجى انوارها

ثم وصف بعض حدود البحر الابيض الجنوبية والشرقية ؛ ثم قال :

ثمت لم نبت بها اكثر من   ليل طويل ضيق الجحر خشن
كأنه موج علينا سدله   ارخى ليمطر علينا ويله
وفى النهار سار فلك فهقرى   بنا الى تونس انس من يسرى

ثم وصف المركب ومن فيه فيقول فى الراكبين وفى اهل المركب :

ترى الجميع فى الصباح قائمين   بالغسل والتجفيف غير نائمين
كان ذاك هو فرض الصبح   اداؤه سبب كل نجح
وتلك عادة لهم مستحسنة   حسنة بالطبع اى حسنة

---

١) ثم فى ١٣٨٠ هـ باكثر من مائة وعشرين ريالا ومثل هذا يقال فى الغنم وفى غيره
٢) الدبى بفتح الدال : ولد الجراد

كنا مع اليهود والنصارى ... مجتمعين لم لاضرارا
كل له دين وعادة فلا ... عاذل كيف كنت يبدى العذلا
لكن خير عادة للمسلم ... فى ملبس ومشرب ومطعم
اقبح بعادة النصارى ايا ... كانوا على الاطلاق ليس شيا
ليس لهم فى منظر ومسمع ... حال شريفة وحسن مطلع
صورتهم فى حالة اللباس ... اقبح مايكون عند الناس
وحال اكلهم كاكل البقرة ... فى كثرة وسرعة مختصرة
ليس لمن يجهر بالاكل حيا ... بينهم فذاك مما ارتضيا
فعزلة وخلطة سواء ... فالقصد ان يمتلى المعاء

ثم وصف انسانا من هؤلاء رءاه يلتهم مابين يديه وصفا عجيبا تعجب نحن حين يصدر مثله من الشيخ الصوفي الوقور قال ؛ :

وقد رايت واحدا في المركب ... يلتهم الخص التهام الملهب
والحفل كلهم اليه شاخصون ... وهم بلحظهم لديه غائصون
وفى يديه الخص والخبز معا ... يقرض منهما بموسى قطعا
وورق الخص غليظ وطويل ... مقدار شبر فيه او هو الطويل
يقطعه والخبز قطعة كما ... يلقم فاه فنفذا ملمما
فقلت ان المضغ واف بالمراد ... يحصل منه قبل زرد ما يراد
اذا به يبلعه باسره ... فى لحظة ثم انثنى لغيره
وهكذا كانما جن الرجل ... او خاف ان تنسد للطعم السبل
وهو ينفخ كاحتدام الضرم ... ان فتح الشدق لاخذ اللقم
هذا ومقلته ترمى بشرد ... متى اجيلت فى وجوه من حضر
كنت امامه فصرت اعجب ... من صنعه والوجه منه اعجب
فقمت فى الحين فامسكت القلم ... بعد صلاة وقراءة «الــــم»
اثبت للسامع هذى الطرفة ... يسمعها اذ لم يمتع طرفه
فربما حرمت الابصار ... وتمتع المسامع الاخبار

ثم كتب في اخلاق القوم من لباسهم وحلق لحاهم واعفاء شواربهم فصلا وذكر ان هناك من يتشبه بهم من المسلمين ؛ فقال :

وربما تجد من جابههم ... من مسلم بالزى قد شابههم(١)
ومن تشبه بغيره نسب ... له وفى الصحيح حقا قد كتب
«ان الطباع تسرق الطباعا» ... وذا مشاهد فلا نزاعا
ما الكلب ما القرد وان كل قبح ... اقبح من طبع جهول ما صلح

---

١) كلما رايت اولادنا اليوم فى هذه الهياة المحدثة اقول ياليت جدهم يراهم فلعله يكف عما قاله

ثم اطل على تونس ؛ فلاقت تونس من رحالتنا مالاقيه دائما من الرحالين كالعبدرى وامثاله الذين خلدوها بثناء عطر وجللوا اهلها وشيامذهبا من الذكر الجميل قال :

عند الضحى بعد البيات ليلا ... فى البحر بانت تونس كليل
تلالات فى البر مثل الدرة ... فى نحر حسناء كعاب حرة
كل غريب عندها حبيب ... وكل من سكنها اديب
مدينة السر مع الصلاح ... والرشد والارشاد والفلاح
مدينة الاخيار والافاضل ... سكانها من فاضل لفاضل
والحسن والبهاء والجمال ... اوصافها التى لها الكمال
مدينة الفنون والعلوم ... والحفظ والتدريس والفهوم

ثم وصف ابن عرفة فى ستة عشر بيتا ؛ ثم وصف جامع الزيتون فى فصل طويل ؛ وذكر سواريه وان فى بعضها مايظهر كانه حروف لكلمات محمد وابى بكر وعمر وعلى ؛ وذكر نظافته وفرشه ومصابيحه الكثيرة ؛ فقد كان يتتبعها حسابا حتى ضاع عليه الحساب ؛ وذكر ان المسجد حافل بالعلم والعلماء الاذكياء وان من رءاهم فيها بلغوا الذروة فى الذكاء ووصفهم بالتواضع وحسن القاء الدروس ؛ وان الاستاذ يلين الجناب للتلاميذ وانه ياخذ الكتاب حين التدريس:

وربما يراجع المشكوكا ... اولا فيبقى عنده متروكا
فكل من يساله يجيب ... بسرعة كالبرق اذ يجوب
حتى يتم الدرس مثل ما ابتدى ... بالفهم فى المدروس كالزهر الندى
هذا ولاترى سوى تواضع ... من سائل او باحث او سامع
وذاك طبع اهل تونس على ... ما قد رايته لدى كل ملا
تواضع فى ضمنه تسامح ... تلاين يزينه التصافح

ثم ذكر درسا حضره هناك برخصة اخذها ؛ وما جرى له مع المدرس :

حضرت فى صبيحة مدرسا ... برخصة قدمها من انسا
فى جامع الزيتون يوم اثنين ... فكان لى اسعد يوم زين
والقصد ان احوز فضل العلما ... وان انال خير من تعلما
والفضل بالاجماع عند العقلاء ... لاهل علم الدين لا للجهلا
فكان يدرس ابا الضياء ... درس الجهابذ بلا امتراء
وهو لمن بجامع الزيتون ... قدوتهم فى الفهم والفنون
وهو كبيرهم على الاطلاق ... حسا ومعنى ذاك باتفاق
كان يقرر لدى باب السلم ... فكان فى تقريره فردا علم
اجدر به لذاك ان يكونا ... قطبا لمن سواه مكينا
فكل وصف كان يوصف به ... فقد غدا ارفع من منصبه

وكل ما يمكن ان يزيره   ذو قلم ان كنت معه تره
وبعد ما اتم درسه وقام   جميع من معه دلفت للسلام
فبعد ان تمت توابع السلام   جالت بنا في الدرس افراس الكلام
فقلت قد كان بصورة كذا   تقريرها عكسا كما قد اخذا
فجلت معه وانا لا احتذي   الا الذى اخذت خير ماخذ
فاذ راى الفجر بدا في السدف   قابلني بطبع كل منصف
فمال لي مستجمع الاطراف   اذ ادرك الصورة بالانصاف
والناس كلهم مضوا سوى ابنه   ينظر ان يعينه لسنه
وهو كبير السن قد يعتمد   وخير عمدة لشيخ ولد
ووسمه محمد النفرى   من اسرة حسبها سنى

ثم ذكر ان هذا الاستاذ كان من قبل هذا الوقت مفتيا رسميا ثم اعفي من تلك الرتبة ؛ ثم ذكر كيف يكون المفتي عندهم ؛ وان محمدا هذا يعتنق الطريقة التيجانية ؛ وان هذه الطريقة لها انتشار كثير هناك ؛ ولها زوايا كثيرة ثم قال :

بي رحب الشيخ السني ترحيبا   وفتح التساؤل الرحيبا
فكان ان اخبرته بمسقطي   وعن تعلقي وعن مرتبطي
وانني ممن نحا الحجازا   كيما ارى بالحج ممن فازا
فقام مع ولده المذكور   يصحبه ببره المشكور
فقال لي ولده مكانكا   فسترى الرجوع منى «انكا
ومد لي كتابه كي يونسا   وهل ترى مثل الكتاب مونسا؟
فحين اوصل اباه رجعا   ثم ذهبنا نحو دارهم معا
فكنت ليلا ونهارا ضيفا   ارى من النعيم صنفا صنفا
تطوعا منهم واكرام غريب   هل مكرم ذا غربة الا اللبيب؟

ثم ذكر الجامع الزيتوني ؛ وانه من أعظم مساجد الاسلام ؛ وأن فيه من خزانات الكتب في نواحيه ثمانيا وعشرين ؛ تستعار منها الكتب ؛ زيادة على دار كتب كبرى كقصر فخم مفعمة بالكتب ؛ وفيها قاعة للمطالعة ؛ ثم ذكر أن مثل هذه الخزانات المحبسة موجودة في كل المدارس هناك ؛ وقد أفاض في وصف دار الكتب هذه وصفا حسنا ؛ وقد أعجب بالصمت الذى يسود المطالعين فيها ؛ ثم رجع لذكر الجامع الزيتوني ؛ فذكر أن من جملة مآثره كون أبي الحسن الشاذلي درس فيه بمحل معهود ؛ ثم استطرد شيئا مما يتعلق بهذا الشيخ وتنقلاته ؛ ثم ذكر ان للشاذلي مقاما سنيا في تونس ؛ وان له في تلك المدينة مقاما منسوبا له يقصد كثيرا ؛ خصوصا يوم السبت يوم يحضر الفقراء فيذكرون ويتواجدون ؛ ثم ذكر الوجد واستدل له ؛ ثم ذكر انه زارهذا المقام فحادث هناك المقدم واثنى عليه ؛ وسلسل له كيفية التواجد الى الشاذلي ؛ فحمل صاحب الرحلة على من ينكر ذلك ؛ وان الواجب هو التسليم للاشياخ ؛

فدلنى ماشاء الله حول هذا الموضوع ؛ ثم ذكر انه لقي هنالك اناسا الذي عليهم من بينهم عالم صالح ومن بينهم صوفي كبير القدر اثنى عليه كثيرا ؛ قال :

كذا لقيت جبل المعارف   ومركز العلوم واللطائف
شارب كاس الخمرة اللدنية   في حضرة شريفة صمدية
من عام في مقام جمع الجمع   وقام بالوتر حيال الشفع
له من الفهوم والرقائق   رسوخ من كرع في الحقائق
ولو رايت صفوه لشربه   من بحر وادى عشقه وحبه
لقلت ذا الجنيد في ذا العصر   فازت به تونس خير مصر
السيد المبجل الشيخ السعيد   ذوالشرف الاثيل والخلق السعيد
له اخ في السن كان اكبرا   وفي المعاني والمذاق اصغرا
ولاخيه ولد علي   على منارة العلا علي
لله دره لدى الافهام   يعجب بالحدس او الالهام
يجلو بفكره صدى الاوهام   فهو به في الكر والاقدام
ولم يزل في حالة ازدياد   للرتب العليا وفي ارتياد
لكونه ملازم القراءة   مرتديا متشح الجراءة
متسما بسمة الصلاح   منتجع الفلاح والنجاح
همته نحو الذرى تعالت   وكل همة تهم نالت
فكان «اخذا للاسم الاعظم   عنى مع الاب له المكرم
بوصفه المعلوم والمشهور   ينتج في الحين بلا شهور
بسبب ذا ان اباه قد راى   رؤيا فقصها على نبيا
قال رايتني الفن لديك   ذكر كذا فخذ يدى الى يديك
فقلت يكفيك الذى قد وقعا   في عالم الارواح فالقلب وعى
فقال لابد من الاشباح   تذوق ما قد ذيق في الارواح
فيحصل السر على الكمال   في الحسن والمعنى على التوالي
فقلت معهم على المدام   وفي المعاني خمرة الكرام
اجني ثمار الوصل بعد الهجر   في روضة العشق براح الفكر
قد اهديت اثمارها للجاني   وزهرها لقاطفيها دان
والقوم لله لنا اشجار   قد غردت من فوقها الاطيار
والدهر لله لنا اسحار   والحب قد حلت له الازرار
ولحن بين الحور والولدان   في جنة الاذواق والمعاني
فلا تسل عما جنيت الفنا   من اهل محبوب ومن ملني
تونس عادتها ان تونسا   كل غريب عند اهلها رسا
جامع الرحمان لم يبا   فكل من يصفهم سيحيى

ثم ذكر حسن بناء تونس العاصمة اتساعا وارتفاعا وزخرفة ؛ ثم اتبع ذلك عبرة على احتلالها فذكر كيف احتلها الاجانب ؛ وكيف احتالوا حتى وقعت الحماية بيد امرها ؛ ثم لم يجد بعد ذلك دفاع المدافعين ؛ ثم افاض في ذلك سجالا ثم ذكر انسانا جلس اليه في مجلس «اخريوم له بتونس ؛ فكان بينهما ماكان من تاوهات وزفرات على ماكان مقدرا على الاسلام واهله ؛ وكان امر الله قدرا مقدورا ثم ذكر بعض اشياء من جغرافية تلك النواحي وما يصاقبها ؛ ثم قال :

فبعد ان مضت لنا ايام   بتونس كانها احلام
«يه» (١) تكون ثم كنت فى الخميس
كريت بـ «الحاء» (٢) بمركب نفيس
لجدة من بعد عصر اليوم   مسيرنا نجوب موج اليم

ثم وصف المركب ورئيسه ؛ ثم ذكر طرابلس فقال فيها :

احسن بها مدينة للخير   ما مسها توسيخ اهل الكفر
وكلها مملوءة بعسكر   به يخيف الترك من قد يجترى
خمس وعشرون من الالوف   يمشون فى مرصوصة الصفوف

ثم مر في وصف هذا الجند ؛ وكيف يمثلون قوة واعظم شكيمة الى ان قال :

امتلات بهم جميع الطرق   فلا ترى فيها سوى ذى الدرق
كذا المساجد الى الابواب   (ماحسن المحراب فى المحراب)

الى ان قال بعدما وصف بوارج عثمانية بالمرسى ؛ يذكر ماشاهد فى المدينة :

صرت اجول فى الازقة وفى   وسط المساجد التى للسلف
اشاهد الهمم كيف تفعل   والبذل للاموال كيف يعمل

فمر فى وصف المدينة الى ان قال :

صليت فيها الظهر والعصر معا   وزرت اهل الخير فيها اجمعا
جالست فيها عالما مفضلا   يظهر انه من اصل ذى علا
طويل باع العلم والاخلاق   مع تواضع لدى التلاقى
قد كان فى زاوية الربانى   المدنى العالم الصمدانى

فمر في ذكر الشيخ المدني ناشر الدرقاوية فى المشرق من اصحاب الشيخ مولاى العربى ؛ فذكر ترجمته وتنقلاته ؛ ثم استطرد ذكر ولده الذى لايزال

١) ١٥   ٢) ٨

... صاحب الاستانة ثم في عشى اليوم راجع مركبه ؛ ثم ذكر شدة عظيمة ... على ظهر البحر بين طرابلس ومصر ؛ يقول :

... ولم نقطع عباب البحر   حتى راينا كيف وقع الدهر
والقىء والهيد على الركاب   تسلطا بالسقم والاوصاب
... مع ناس قليلين حصى   ربهم بين الورى وسلما

ثم ارسى بهم المركب فى مرسى الصعيد ؛ ثم ذكر بعض الجغرافية لتلك ... مع ذكر البحرين الابيض والاحمر وقناة السويس ؛ ثم وصف مصر ... ثم قال يصف قطع المركب للقناة

فبعد مغرب مشى برفق   بنا بقنديل بذاك الفتق
... ذا الضيق مثل الوادى   مسيج الاطراف بالاوتاد
لتدفع الرمل فلم يزالوا   توسعة تزحزح الرمال

ثم ذكر انه بقى فى البحر الاحمر ثلاثا ؛ ثم بدت لهم اعلام الحجاز ثم ... بجدة فوصف القبر المنسوب غلطا الى حواء ثم امتطى المطية الى مكة والشوق يفعل ... مايفعل ثم ذكر نزولهم بحدة موضع الحديبية الذى وقعت فيه بيعة الرضوان ثم ذكر اغتسالهم بذى طوى ؛ فدخولهم الى مكة ؛ فطوافهم بالبيت الشريف وقد ... فى هذا المقام بما افاض به من تباريح الشوق ؛ ولواعج الوجد

واربح مايكون الشوق يوما   اذا دنت الديار من الديار

ثم ذكر كيف كان يجتمع مع صوفية فى زاوية شاذلية هناك ؛ فيفعلون ... ماكان يفعله صوفية المغرب من التواجد ؛ وفى اثناء الاجتماع قال له احد الحاضرين ؛ انى ارى مارى وانت مقبل علينا ثم اذا وليت ولى عنا ؛ ثم اقترح ... ان ياخذ منه وان يتخذه شيخا

والى هنا كانت عندى النسخة الاول من الرحلة ؛ ثم لم اقف على نسخة اخرى تمت فيها الرحلة الا بعد ذلك بازمان ؛ ولذلك اقف هنا فيما كنت انقله من الرحلة (١) فانقل منذ الآن عما وصل الى مما حدث به الشيخ او من رافقوه فاقول :

ثم لما وقف الناس فى عرفة وقفتهم حصل شك فى صحتها ؛ فاعادها ... مع ... ؛ ثم ثار حول ذلك ماثار بعد رجوعه فافتى مفتون بصحة الاعادة وآخرون بعدم الصحة ؛ ثم توجهوا الى المدينة فتوفى اخوه الذى صاحبه الى الحج فيما بين مكة والمدينة ؛ ولما وقف بين يدى القبر الشريف فى المسجد

١) خرجنا الرحلة تامة بالالة الكاتبة مع رحلتى ابنى الشيخ سيدى محمد وسيدى علا فالجميع فى مجلد

النبوى توجه الى الله ان يؤيده على الاستقامة ؛ قال : وكنت ارى انذلك خير مايدعى بهفى ذلك المقام ؛ فاذا بهاتف منجهة القبر ينادى : «ان افضل ما يطلب فى هذا المقام هو رضا الله الاكبر» وكان الشيخ يحكى هذا الذى وقع له هناك مرارا ؛ ثم رجعوا الى المغرب فى سفينتهم فوصلوا السويرة فى الوقت المحدد وقد لاقاه اصحابه هناك ؛ ثمفىدارالقائد على بنكنافة فقاللهمانالم ننسأى واحد من اخواننا هناك فى كل مالم ننس فيه انفسنا فى الحضرة الربانية ؛ فقد وجدنا انفسنا هناك فى الحضرة الربانية كما كنا نجدنا فى الحضرة الربانية هنا ، فان الله لاتختلف حضراته باختلاف الامكنة ، ثموصل البلد -الغا- فسالت اليه الطرق للتهنئة بالرجوع

محور حياته

انحياة الشيخ منذ عام ١٣٠٣ هـ الى مختتم ١٣٢٨ هـ كانت كلها علىوتيرة واحدة لاتغير فيها : جولان فى البلدان لاينقطع وارشاد مستمر لكل من لاقاهمن الخاصة والعامة ؛ فيقتصر للعامة على مايتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليم الصلاة ومن تحرى علم الحلال من الحرام ؛ ومراقبة الله فى كل احوالهم واما الخاصة وهم اصحابه الذين اخذوا عنه ؛ واستسلموا بين يديه فانه يواخذهم على قاعدة التربية الاصطلاحية بالشروط الصوفية التى توجد فى رائية الشريشى والمباحث الاصلية ؛ وعوارف المعارف والاحياء والحكم العطائية ورسالة القشيرى وكتب الشعرانى خصوصا العهود ؛ زيادة على تعهدهم بتفسير القرءان وبالحديث النبوى ؛ وينهاهم عن (المنن) للشعرانى لئلا يالفوا الاعتبال باعمالهم الحسنة وعن (الذهب الابريز) فى اخبار سيدى عبد العزيز الدباغ لئلا يتعلقوا بعالم الكشوفات واقتناص العلوم من الروحيات وعن (المدخل) لابن الحاج لئلا يشغلوا انفسهم بمحاسبة الناس ؛ وهكذا كان قيوما على حفظ اصحابه مماعسى ان يفتروا به فهو يريد منهم العبودية المحضة والمعرفة بالله ؛ فيعطيهم من الاقوال بمقدار الملح ؛ فى الوقت الذى يدلهم على التوجه بالقلب وعلى عمل الجوارح فيعطيهم بها بمقدار الطعام ؛ من غيران يرهقهم باعمال الطاعات والنوافل وانما يحرص على تنويعها لهم بحيث ينظم لهم عمل اليوم والليلة تنظيماسهلا لكنه معمور كله ، وسترى تفصيل ذلك فيما ستقرؤه بعد ، وترجمة الانسان حقيقة فيما عليه اصحابه فبذلك يعلم ان تربية الشيخ تتنوع بحسب الناس؛ فتربيته للخاصة من اصحابه ؛ غير تربيته للعامة من غير اصحابه ؛ فيعطى لكل ذى حق حقه فتيسر لكل الجهات التى يطرقها بسوس ؛ ولكل الذين يطرقونه فى زاينه الالغية انينتفعوا به انتفاعا تاما ؛ ادى به الواجب عليه نحو الامةومن لايعرف امزجة المرضى فانى يحصل التداوى على يديه ؛ ومن جعل الناس سواء فليس لحمقه من دواء -كمايقولون-

[illegible] ايام الشيخ يمضيها فى السياحات وكان من عادته التى التزمها [illegible] سعيه بن عمو المدرى ؛ ان يتتبع القرى مستعجلا فلا يكاد [illegible] الا نادرا جدا ؛ ومتى طلب منه اهل قرية ان يبيت عندهم [illegible] بانالحق الذى عليه لكل الناس يحفزه الى عدم التريث [illegible] ؛ وكان دائما يسيح فى طائفة المريدين المتجردين من اصحابه [illegible] او اربعة ؛ سوى من يلتحق بهم من الفقراء واصحاب القرى [illegible] الى قرية يدخلونها بذكر خاص يتداولونه فرقتين جهرة ؛ وهو [illegible] الا الله» (١) بنغمة مؤثرة تستفز كل اهل القرية فيتلقون [illegible] ثم ينزلون فى المسجد ولايدخلون القرى غالبا الا بعد العصر [illegible] ويجلسون ذاكرين الى ان تصل المغرب ؛ ثم يقرا الحزب فيمكثون [illegible] فيها اذكارا خاصة فرادى ؛ ثم يفتتح مجلس الذكر قليلا ثم [illegible] الى التحديث الذى يراعى فيه العامة ان حضروا والا فحديث [illegible] اذا صلواالعشاء وتناولوا مااتى به اهل القرية من العشاء توجه [illegible] اهلالقرية خاصة يعظهم ويذكرهم بلسانه اوبلسان وعاظ يحفظون [illegible] الوعظ بالفصحى ؛ وكثيرا مايامر احد الوعاظ ان يطلع الى سطح المسجد [illegible] بالوعظ ؛ فتسمعه النساء من سطوح الديار من القرية ؛ ويتحين [illegible] فى ايام الصيف وكثيرا مايمضى غالب الليل هكذا فيما ينفع المجموع [illegible] ؛ حتى اذا راى النساء اللائى الفن منه سماع الوعظ اقبلن الى المسجد [illegible] ويبتعدن من الرجال ؛ فيتوجه اليهن بصوته وبوعاظه واما [illegible] فانه يامر باجتماع كل رجال القرية امامه ؛ فيسال كل واحد عن [illegible] وعما يعمل به وعن مطعمه من اين يستمده امن الحلال ام من الحرام [illegible] واحدا واحدا ؛ وذلك يقع بعد طلوع الشمس ؛ لان اصحابهيستيقظون [illegible] وقت خاص فى السحر ولولم يناموا الا قليلا ، فيذكرون جهراالى ان [illegible] ويقراوا الحزب ؛ ثم يذكرون جماعة حتى تصل الضحى عادة لا يخرمونها [illegible] وبعد ان يمتع النهار يميل كل واحد منهم الى مايقرؤه فى لوحة خاصة [illegible] واحدهم مايقرؤه ، فكلامى دخل معهم لابد ان يفتتح الحروف

(١) كان المعتاد فى الطوائف الناصرية ان تدخل القرى بالصلاة على النبى [illegible] الله عليه وسلم ؛ وقد كان معهودا لطوائف سيدى محمد بن يعقوب ان [illegible] ؛ ياعظيم الجود يامولانا بلغ المقصود يامولانا ؛ وليعلم ان لطائف الناس [illegible] بديهة عنه مزاولة اعمالهم حصادا ودراسا وتدرية للمدروس ؛ وهذه [illegible] الدباغ الى مشاهد الصالحين

النبوى توجه الى الله ان يؤيده على الاستقامة ؛ قال : وكنت ارى انذلك خير مايدعى بهفى ذلك المقام ؛ فاذا بهاتف منجهة القبر ينادى : «ان افضل ما يطلب فى هذا المقام هو رضا الله الاكبر» وكان الشيخ يحكى هذا الذى وقع له هناك مرارا ؛ ثم رجعوا الى المغرب فى سفينتهم فوصلوا السويرة فى الوقت المحدد وقد لاقاه اصحابه هناك ؛ ثمفىدارالقائد عدى بنكنافة فقاللهمانالم ننسىاى واحد من اخواننا هناك فى كل مالم ننس فيه انفسنا فى الحضرة الربانيـة ؛ فقد وجدنا انفسنا هناك فى الحضرة الربانية كـمـا كـنـا نجدنا فى الحضرة الربانية هنا ، فان الله لاتختلف حضراته باختلاف الامكنة ، ثموصل البلـد ـالغاـ فسالت اليه الطرق للتهنئة بالرجوع

محـور حياته

انحياة الشيخ منذ عام ١٣٠٣ ه الى مختتم ١٣٢٨ ه كانت كلها علىوتيرة واحدة لاتغير فيها : جولان فى البلدان لاينقطع وارشاد مستمر لكل من لاقاهمن الخاصة والعامة ؛ فيقتصر للعامة على مايتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليـم الصلاة ومن تحرى علم الحلال من الحرام ؛ ومراقبة الله فى كل احوالهم واما الخاصة وهم اصحابه الذين اخذوا عنه ؛ واستسلموا بين يديه فانه يواخذهم على قاعدة التربية الاصطلاحية بالشروط الصوفية التى توجد فى رائية الشريشى والمباحث الاصلية ؛ وعوارف المعارف والاحياء والحكم العطائية ورسالة القشيرى وكتب الشعرانى خصوصا العهود ؛ زيادة على تعهدهم بتفسير القرءان وبالحديث النبوى ؛ وينهاهم عن (المنن) للشعرانى لئلا يالفوا الاهتبال باعمالهم الحسنة وعن (الذهب الابريز) فى اخبار سيدى عبد العزيز الدباغ لئلا يتعلقوا بعالـم الكشوفات واقتناص العلوم من الروحيات وعن (المدخل) لابن الحاج لئـلا يشغلوا انفسهم بمحاسبة الناس ؛ وهكذا كان قيوما على حفظ اصحابه مماعسى ان يغتروا به فهو يريد منهم العبودية المحضة والمعرفة بالله ؛ فيعطيهم مـن الاقوال بمقدار الملح ؛ فى الوقت الذى يدلهم على التوجه بالقلب وعلى عمـل الجوارح فيعطيهم بها بمقدار الطعام ؛ من غيران يرهقهم باعمال الطاعات والنوافل وانما يحرص على تنويعها لهم بحيث ينظم لهم عمل اليوم والليلة تنظيماسهلا لكنه معمور كله ، وسترى تفصيل ذلك فيما ستقرؤه بعد ، وترجمة الانسان حقيقة فيما عليه اصحابه فبذلك يعلم ان تربية الشيخ تتنوع بحسب الناس؛ فتربيته للخاصة من اصحابه ؛ غير تربيته للعامة من غير اصحابه ؛ فيعطى لكل ذى حق حقه فتيسر لكل الجهات التى يطرقها بسوس ؛ ولكل الذين يطرقونه فى زايته الالغية انينتفعوا به انتفاعا تاما ؛ ادى به الواجب عليه نحو الامةومن لايعرف امزجة المرضى فانى يحصل التداوى على يديه ؛ ومن جعل الناس سواء فليس لحمقه من دواء ـكمايقولونـ

عمله في سياحاته

ان اكثر ايام الشيخ يمضيها فى السياحات وكان من عادته التىاقتبسها من عادة شيخه سيدى سعيد بن همو المعدرى ؛ ان يتتبع القرى مستعجلا فلا يكاد يبيت فى قرية ليلتين الا نادرا جدا ؛ ومتى طلب منه اهل قرية انيبيت عندهم اكثر من ليلة يجيبهم بانالحق الذى عليه لكل الناس يحفزه الى عـدم التريث فى مكانخاص ؛ وكان دائما يسيح فى طائفة المريدين المتجردين من اصحابه ويصلون غالبا مائة او أزيد ؛ سوى من يلتحق بهم من الفقراء واصحاب القرى فاذا اقبلوا على قرية يدخلونها بذكر خاص يتداولونه فرقتين جهرة ؛ وهو (الله الله الله لااله الا الله) (١) بغنة مؤثرة تستفز كل اهل القرية فيتلقون الشيخواصحابه ثم ينزلون فى المسجد ولايدخلون القرى غالبا الا بعد العصر ثم يتوضئون ويصطفون ذاكرين الى ان تصلى المغرب ؛ ثم يقرا الحزب فيسكتون سويعة يذكرون فيها اذكارا خاصة فرادى ؛ ثم يفتتح مجلس الذكر قليلا لـيـم يتوجه الشيخ الى التحديث الذى يراعى فيه العامة ان حضروا والا فحديـث الخاصة ؛ ثم اذا صلواالعشاء وتناولوا مااتى به اهل القرية من العشاء توجـه الشيخ الى اهلالقرية خاصة يعظهم ويذكرهم بلسانه اوبلسان وعاظ يحفظون قصائد الوعظ بالشلحة ؛ وكثيرا مايامر احد الوعاظ ان يطلع الى سطح المسجد فيعلى صوته بالوعظ ؛ فتسمعه النساء من سطوح الديار من القرية ؛ ويتحيـن الشيخ ذلك فى ايام الصيف وكثيرا مايمضي غالب الليل هكذا فيما ينفعالمجموع نساء ورجالا ؛ حتى اذا راى النساء اللائى الفن منه سماع الوعظ اقبلن الىالمسجد يامرنهن فيعتزلن ويبتعدن عن الرجال ؛ فيتوجه اليهن بصوته وبوعاظه واما فى الصباح فانه يامر باجتماع كل رجال القرية امامه ؛ فيسال كل واحد عن التوحيد • وعما يصلى به وعن مطعمه من اين يستمده امن الحلال ام من الحرام ويستتيبهم واحدا واحدا ؛ وذلك يقع بعد طلوع الشمس ؛ لان اصحابهيستيقظون دائما فى وقت خاص فى السحر ولولم يناموا الا قليلا ، فيذكرون جهراالى ان يصلوا ويقراوا الحزب ؛ ثم يذكرون جماعة حتى تصلى الضحى عادة لا يخرمونها ابدا ، وبعد ان يمتع النهار يميلكل واحد منهم الى مايقرؤه فى لوحة خـاصـة لان لكل واحدمنهم مايقرؤه ، فكلامى دخل معهم لابد ان يفـتـتح الحـروف

---

١) كان المعتاد فى الطوائف الناصرية ان تدخل القرى بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وقد كان معهودا لطوائف سيدى محمد بن يعقـوب ان تقول : ياعظيم الجود يامولانا بلغ المقصود يامولانا ؛ وليعلم ان لمطلق الناس اناشيد دينية عند مزاولة اعمالهم حصادا ودراسا وتذرية للمدروس ؛ وعند تقديم الذبائح الى مشاهد الصالحين

والهجاء ؛ كما انه لابد ان يقضي ماعليه من الصلاة ؛ امر لازم ولابد ان يؤدى التبعات جهده ثم يقيلون الى الزوال فبعد الظهر يسافرون الى قرية اخرى ان كانت قريبة ؛ والا فيخرجون فى النهار قبل الزوال ؛ وكان الشيخ لايترك اية قرية امامه ؛ وقد كان يلاقى فى اول امره العنت من اهل القرى قبل ان يعرفوا مقصوده ؛ فكم ليال قضوها سغبا تعمدا من اهل القرى ؛ مع ان العادة السائدة فى سوس اكرام ضيوف المسجد ولكـن الناس سرعـان ماعرفوا مغزى الشيخ فيتلقى من بعيد ؛ وتتسابق الى ضيافته القرى ؛ وخصوصا حيث يكثر مـن ينتسبون اليه كمريدين ؛ وهى قبائل كثيرة فى نواحى سوس اُبثت فيها زوايا اصحابه التى وصل عددها عندى ٨٩ عدا

بهذه السياحات ملا الشيخ حياته وفيها ادى واجبه كداع الى الله باخلاص وذلك فى الوقت الذى كان اخرون يدورون مثله فـى القـرى ؛ ولكن غالبهـم يدورون لجمع حطام الدنيا الذى يظهر هو دائما الشمم والزهد التام ازاءه ؛ حتى عرف بذلك عند كل الناس ؛ وقد كان يجتهد فى ان يهتدى الناس الى الصراط السوى ؛ فلا يوقر احدا ايا كان ؛ وقد اشتهرت له مواقف غريبة فى ذلك ولولا حفظ الله اياه لكان فى بعضها من الهالكين .

عمله في زاويته

كان يخرج من داره متوضئا قبل الفجر بساعتين ؛ ولايهلل المؤذن فى السحر حتى يخرج فاذ ذاك يتوجه الى ركن فى مصلى الزاوية يتنفل ويذكـر مايذكر فى السحر ؛ على حين ان اصحابه يستيقظون اذ ذاك فقط فيتوضئون ثم يذكرون جهرا الى الفجر ثم يقرأ الحزب ثم يذكرون جماعة ؛ والشيخ فى محله ولايمكن ان يفارقه الافى الضحى ثم يصلى الضحى ؛ ثم ان كان عنده اضياف قام اليهم ؛ والا انعزل فى مكان ؛ الا فى اوقات الحرث والحصاد فانه يكون احد الفقراء فيكون معهم فى محل العمل ؛ ثم يبكر بصلاة الظهر فى اول الوقت بلا عجلة ؛ ثم يجتمع باصحابه فى المذاكرة الى العصر ان لم يكونوا فى شغل مـن اشغال الزاوية ثم يعتزل فى مكان خاص ؛ اما لملاقاة اضياف واما للمطالعـة واذا قربت المغرب وقد توضا اصحابه صلى بهم ويقرأ الحزب ؛ ثـم يذكرون اورادهم ثم يجلس ايضا الى درس قرءان او حديث او سيرة نبوية ، وبعد صلاة العشاء يذكر اصحابه ايضا جماعة ؛ فان لم يكن عنده ضيوف يذهب الى دار الفقيه سيدى على بن عبد الله حيث يبقى الى ان يبهار الليل ؛ ولايشتغل هناك معهم الا فى المسائل العلمية مذاكرة او مراجعة ؛ حتى ان علامة الغ اليوم سيدى عبد الله ابن محمد يقول انني ما استفدت الا فى المجالس التى كان خالى الشيخ يحضرها بعد العشاء فى دار الفقيه ؛ لانه يملاها علما ومذاكرة ومراجعة ؛ واكون انا وهو آخر من يقوم ممن كانوا جالسين ثم اذا نزل الشيخ من دار الفقيه دخل داره وصلى ورده القرءاني ؛ وهو على مااشتهر عند اهله وعند اصحابه خمسة مـن

الاحزاب ؛ ما كان يترك هذه الخمسة حضرا ولاسفرا ؛ ثم يمضى امامه لـيـم يتوضا فى السحر ثم يخرج الى اصحابه هذا هو عمله فى زاويته غالبا .

نتف من اخلاقه

وقع الاجماع التام على ان الشيخ عمرى زمانه ؛ بذلك كان يعرف منذ ان درج بين اقرانه فى عهد شيخه ؛ ثم زاد فيه هذا الجد الغريب حين توجه بكليته الى ارشاد العباد الى الله واستتابتهم وزجهم فى العبودية الخالصة وقد ذاعت اخباره بذلك فى الحواضر ؛ حتى ان بعض كبار علـماء فاس كابن الخياط ونظرائه ممن ذاقوا من مذاقاته الصوفية يحكمون بانه آخر رجال الجد فـى الطريقة ؛ فقد بلغهم مافيه من الحزم والعزم والاكباب الذى لايمل فيما هـو بصدده ؛ فرزقه الله اصحابا كانما خلقوا لهمته العليا ؛ وصفهم الفقيه سيدى محمد بن على التادلى دفين الجديدة بانهم عفاريت سليمان ؛ لايضجرون ولايكلون ولايسامون ومن رءاهم بين يديه راى شبابا فولاذيا مخلصا نسى نفسه واهله وكونه فى الوجود ؛ والشيخ يقلبهم بهمته كيف يشاء وهم مطاوعون طاعة عمياء مع عدم ادعاء اية مرتبة باذكارهم وتضحياتهم وتعمقهم فى الانابة الى الله اى انابة ؛ فبهؤلاء يخوض الشيخ قبائل سوس كلها فى شهور كثيرة فى السنة ؛ وكثيرا ماتكون لهم سياحتان فى الشتاء والصيف ؛ وان لم يكن معهم الشيخ يقومون هم وحدهم بدوره الذى يقوم به فى الارشاد والدلالة على الله ؛ وقد كان سيدى سعيد التناني وسيدى الحسين بن مبارك المجاطي وامثالهما مـن كبار اصحابه يحسنون تمثيل دور الشيخ فى الهمة واستثارة القلوب الى الله فيتركون القرى التى يخرجون منها كما كان الشيخ تيركها هياما بالله وجؤارا بذكر الله وقد كان الفقهاء والمتفقهون ومقدموا الطرق الاخرى يرون هذه الهمة فيفترقون ازاءها فرقتين فمن مسلم بان ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ومن قائل ماقال الثعلب؛

رام عـنـقـودا فـلـمـا ان راى العنقود طالـه

قال هذا حامض لمــــا راى ان لا يناله

ومن اخلاق الشيخ عزوفه ان يتبع بالهدايا ان خرج من عند رئيس ؛ فقد خرج يوما فى السويرة من عند الباشا عياد المتابهي فاتبعه بخنشة ريال مغربية ويكون على العادة فيها مائتان ؛ فامر اصحابه بردها له ؛ فتحيل بعضهم ليدسها فى متاع الشيخ ووقع له مثل هذا مع القائد الطيب الكنتا فى حين خرج من داره مع اصحابه يوما . ولكن الشيخ العمرى حتى فى النباهة حين لاينخدع ؛ امر بردها امرا جازما ؛ قائلا بلسان حاله : اننا نريد اصحاب الهدايا لنهديهم الى الله ؛ لاهداياهم والشيخ الذى ينفق ماعنده على الناس ليردهم الى الله ؛ كيف يقبل منهم مالا او يتطلبه منهم

لم ينفق الذهب المربى بكثرته   على الحصا وبه فقر الى الذهب

ومن اخلاقه التى يواخذ بها اصحابه ولايسامحهم فيها المحافظة على عمارة اوقاتهم لاسيما فى الفرائض الموقوتة ؛ فيؤنب بل يضرب بل قد يغرم مالا ممن تاخر عن الصف ؛ وقدضرب مرة فى تاكوكة من الاطلس كل الفقراء من طائفته الا ثلاثة لتخلفهم عن الصف ؛ وقد نزلوا تحت اشجار للقيلولة فى احدى سياحاته فى جبل ددن (١) ومتى صلى فى زاويته يدخل الى الدار فيسال عمن فاتتها من زوجاته وبناته الركعة الاولى فى مصلاهن الخاص بهن ؛ فيقرصها لايمل من هذا التعهد ؛ وقد بات ليلة مع اصحابه فى دار القائد عبد السلام الجرارى وهؤلاء الجراريون يحبونه ويعرفون قدره ؛ وينتسبون للطريقة ؛ فتاخر القائد عن صلاة الصبح فاتبه فى الجماعة على ذلك تانيبا ؛ ثم امره ان ياتى بعشرريالات فلما اتى بها امره ان يشترى بها حمارا ياتى بالحطب الى المسجد وعلفه على القائد ؛ وجعل الحمار امانة تحت يد موذن المسجد ؛ وبقى الحمار سنين وبات ليلة عند القائد المحجوب الكلولى بحاجة ؛ فلم يفارقه حتى امر ببناء المسجدفى داره ليصلى فيه مع اصحابه؛ وكذلك فعل فى دار القائد الحسن النكنافى وقد مر هذان الخبران فى طريقه الى الحج ؛ وبهذا الخلق من الشيخ احيا الله فى جميع النواحى التىيطرقها الدين حتى رفرفت اعلامه ؛ ثم يربى اصحابه تربيته هذه ؛ فكانوا اعاجيب فى ملازمة الصف ؛ وفى المحافظة على اول الوقت حتى اشتهروا بذلك عند غيرهم

ومن اخلاقه عدم احتباله بالتعصب لطريقته ؛ فيخالط كل اصحاب الطرق الاخرى كالناصريين والتجانيين ؛ ولم يسمع منه قط لمز لاية طريقة ؛ فقد قيل له يوما اى هذه الطرق الصوفية افضل ؟ فقال : المزية فى الرجال الذين يلتقى بهم الانسان ويتربى بهم ؛ واما الاذكار فكلها اذكار ؛ وقد كان جاره الفقيه سيدى على بن عبد الله الالغى عميد المدرسة وقرين الشيخ يذكره دائما بذلك ويقول اثناءعدمناقبه ؛ لم ار مثل الشيخ فانه قال لى لماذهبنا لمراكش عام ١٣٠٣ اذهب بنا الى فلان بزاوية مراكش التيجانية ؛ لتاخذ من عنده ورد اخيك وابيك التيجانى ؛ ولم يعرض على قط ورده الدرقاوى ومن اخلاقه الزهد التام فى لذائذ الحياة كيفما كانت ؛ فلايطبخ فى زاويته الاطعام واحد وهو الكسكسو الساذج الغليظ الذى يكلل فى القصاع بالخضر الحاضرة من لفت وجزر وقرع وبصل او العصيدة التى تجعل الحريرة فى وسطها يؤتدم بها ؛ ومن ذلك يتناول هو بنفسه ؛ وقد حاولت امراة من اهله ان تخصص له فى بعض الايام طعاما لينا فنهرها على ذلك ؛ هذا مع كثرة الخيرات فى الزاوية ؛ وعلى هذا ايضا يربى

١) ومثل هذا التشديد فى حضور الصلاة معروف عن عبد الله بن ياسين وعن الموحدين الذين يقتلون عن ترك الصلاة كما فى كتاب (التشوف)

[illegible] قليل الاكل قليل النوم فمتى اراد طعاما يتناول مما تيسر اولوما [illegible] فى اى مكان وعلى اى فراش ؛ وكان ءاية الايات فى فطام نفسه عن [illegible] التى تعرض عليه ان نزل عند اصحابه ؛ حتى ان بعض خدمه ممن [illegible] كان دائما يرصد له بعض الاطعمة الساذجة كالعصيدة ؛ بعد ان يراه لا [illegible] مما يمر به من الطواجن وامثالها ؛ ولكنه على كل حال لايلزم حالةواحدة [illegible] انه يواكل مجالسيه كانه احدهم ايناسا لهم كما هى السنة [illegible] اوقال السرور على بعض المريدات من صواحبه الاخذات عنه فيتناول [illegible] ؛ وهذا الخلق كما اخذ به نفسه اخذ به كذلك اصحابه المتجردين [illegible] فترة بعد فترة يعلنون بينهم فى بعض السياحات تقليل الطعام الا [illegible] معدودات ؛ تعد على كل واحد منهم بحيث تقيم صلبه لاغير ؛ لم تحمل [illegible] وهى لاتزال طافحة بالاطعمة ؛ وقد ياتى من لايتحرون الحلال بالطعام [illegible] فيقول لاصحابه كلوا وتبركوا فمتى سمعوا منه ذلك عرفوا انه امر [illegible] الايمان او بعدم الاكل اصلا ؛ هذا ديدن الشيخ فى نفسه وديدنه مع [illegible] ؛ فقد ملكوا ازمة نفوسهم فيزهدون فيما يريدون ويتناولون ممايريدون [illegible] ويحسنون الصبر الجميل ان فقدوا ممضوغا ؛ وما اكثر ماتتوالى عليهم [illegible] قرى لاترفع لهم راسا ؛ فيمضونها سغبا ثم لايتاثرون بذلك وكثيراما [illegible] لهم الشيخ لايحل للفقير ان ياكل من طعام من لايتحرون الا اذا حلت له [illegible] ؛ بعلى حتى يجوع جوعا كثيرا يخشى عليه به العنت ؛ وهذا الزهد الذى [illegible] شمائل الشيخ يحيط به من كل جانب حتى فى مسكنه ؛ فان بناءات [illegible] ساذجة ؛ بناها الفقراء بناءات متعرجة لاتزال تتداعى بادنى سبب ؛ لانه [illegible] الى زيادة بناء يامر كل الفقراء ان يبنوا سواء من عرف كيف يبنى [illegible] لم يعرف ويقول : «يتعلم من ليس بمعلم» وقد مر به الرجل الصالح سيدى [illegible] عبد الله بن صالح وهو مع اصحابه فى مثل هذا البناء ؛ فقال للشيخ [illegible] يكون البناء الذى يراد تابيده ؛ فاجابه : «اننا سنقضى فيه اعمارنا على [illegible] عليه ومن سياتى بعدنا ان لم يعجبه فليبنه وفق مايريد فقد كفيناه مئونة [illegible] التراب والاحجار» ثم اتبع ذلك قوله : «افنحن تاركون مانيط بنا من ارشاد [illegible] حتى نمضى اعمارنا ونفائس اوقاتنا فى جدران تقوم وسقوف تصحح» ؟ [illegible] اعمارنا اقصر من ذلك وبمثل هذا الجواب فاه الشيخ ايضا وقد امر الفقراء [illegible] يحرثوا ماسيحرث فى مبدا ابان الحرث او قبله قائلا : «ان حرثنا نحن فى [illegible] العباد لافى شق التراب» وهكذا كل احوال الشيخ لايبالى الا بما نصب [illegible] نفسه وجعله محور حياته ومما يعتنى به الشيخ عنايةزائدةنشر التعليم ولذلك [illegible] ياخذ كل اصحابه الذين يلازمونه بالتعليم الابتدائى المجدى المفيد ؛ من التوحيد [illegible] العقيدة وما تصح به الديانة ؛ وماهو حلال وماهو حرام كماانه يرسل [illegible] من فيه اهلية لتتبع الدراسة فى الفنون الى المدارس ؛ فيمنهم ويمدهم بالكتب [illegible] هؤلاء الاساتذة ؛ سيدى احمد بن محمد اليزيدى والعلامة سيدى الحاج مسعود

لم ينفق الذهب المربى بكثرته   على الحصا وبه فقر الى الذهب

ومن اخلاقه التى يواخذ بها اصحابه ولايسامحهم فيها المحافظة على عمارة اوقاتهم لاسيما فى الفرائض الموقوتة ؛ فيؤنب بل يضرب بل قد يغرم مالا ممن تاخر عن الصف ؛ وقدضرب مرة فى تاكوكة من الاطلس كل الفقراء من طائفته الا ثلاثة لتخلفهم عن الصف ؛ وقد نزلوا تحت اشجار للقيلولة فى احدى سياحاته فى جبل درن (١) ومتى صلى فى زاويته يدخل الى الدار فيسال عمن فاتتها من زوجاته وبناته الركعة الاولى فى مصلاهن الخاص بهن ؛ فيقرصها لايمل من هذا التعهد ؛ وقد بات ليلة مع اصحابه فى دار القائد عبد السلام الجرارى وهؤلاء الجراربون يحبونه ويعرفون قدره ؛ وينتسبون للطريقة ؛ فتاخر القائد عن صلاة الصبح فانبه فى الجماعة على ذلك تانيبا ؛ ثم امره ان ياتى بعشرريالات فلما اتى بها امره ان يشترى بها حمارا ياتى بالحطب الى المسجد وعلفه على القائد ؛ وجعل الحمار امانة تحت يد موذن المسجد ؛ وبقى الحمار سنين وبات ليلة عند القائد المحجوب الكلولى بحاحة ؛ فلم يفارقه حتى امر ببناء المسجدفى داره ليصلى فيه مع اصحابه؛ وكذلك فعل فى دار القائد الحسن النكنافى وقد مر هذان الخبران فى طريقه الى الحج ؛ وبهذا الخلق من الشيخ احيا الله فى جميع النواحى التىيطرقها الدين حتى رفرفت اعلامه ؛ ثم يربى اصحابه تربيته هذه ؛ فكانوا اعاجيب فى ملازمة الصف ؛ وفى المحافظة على اول الوقت حتى اشتهروا بذلك عند غيرهم

ومن اخلاقه عدم اهتباله بالتعصب لطريقته ؛ فيخالط كل اصحاب الطرق الاخرى كالناصريين والتجانيين ؛ ولم يسمع منه قط لمز لاية طريقة ؛ فقد قيل له يوما اى هذه الطرق الصوفية افضل ؟ فقال : المزية فى الرجال الذين يلتقى بهم الانسان ويتربى بهم ؛ واما الاذكار فكلها اذكار ؛ وقد كان جاره الفقيه سيدى على بن عبد الله الالغى عميد المدرسة وقرين الشيخ يذكره دائما بذلك ويقول اثناءعدمناقبه ؛ لم ار مثل الشيخ فانه قال لىلماذهبنا لمراكش علم ١٣٠٣ اذهب بنا الى فلان بزاوية مراكش التيجانية ؛ لتاخذ من عنده ورد اخيك وابيك التيجانى ؛ ولم يعرض على قط ورده الدرقاوى ومن اخلاقه الزهد التام فىلذائذ الحياة كيفما كانت ؛ فلايطبخ فى زاويته الاطعام واحد وهو الكسكسو الساذج الغليظ الذى يكلل فى القصاع بالخضر الحاضرة من لفت وجزر وقرع وبصل او العصيدة التى تجعل الحريرة فى وسطها يؤتدم بها ؛ ومن ذلك يتناول هو بنفسه ؛ وقد حاولت امراة من اهله ان تخصص له فى بعض الايام طعاما لينا فنهرها على ذلك ؛ هذا مع كثرة الخيرات فى الزاوية ؛ وعلى هذا ايضا يربى

١) ومثل هذا التشديد فى حضور الصلاة معروف عن عبد الله بن ياسين وعن الموحدين الذين يقتلون عن ترك الصلاة كما فى كتاب (التشوف)

اولاده وكان قليل الاكل قليل النوم فمتى اراد طعاما يتناول مما تيسر اونوما اضطجع فى اى مكان وعلى اى فراش ؛ وكان اية الايات فى فطام نفسه عن الشهوات التى تعرض عليه ان نزل عند اصحابه ؛ حتى ان بعض خدمه من الفقراء كان دائما يرصد له بعض الاطعمة الساذجة كالعصيدة ؛ بعد ان يراه لا يتناول مما يمر به من الطواجن وامثالها ؛ ولكنه على كل حال لايلزم حالةواحدة دائما لانه قد يواكل مجالسيه كانه أحدهم ايناسا لهم كما هى السنة وقد يريد ادخال السرور على بعض المريدات من صواحبه الآخذات عنه فيتناول من طعامهن ؛ وهذا الخلق كما اخذ به نفسه اخذ به كذلك اصحابه المتجردين فتراهم فترة بعد فترة يعلنون بينهم فى بعض السياحات تقليل الطعام الا لقيمات معدودات ؛ تعد على كل واحد منهم بحيث تقيم صلبه لاغير ؛ ثم تحمل القصاع وهى لاتزال طافحة بالاطعمة ؛ وقد ياتى من لايتحرون الحلال بالطعام الى الشيخ فيقول لاصحابه كلوا وتبركوا فمتى سمعوا منه ذلك عرفوا انه امر بعدم الامعان او بعدم الاكل اصلا ؛ هذا ديدن الشيخ فىنفسه وديدنه مع اصحابه ؛ فقد ملكوا ازمة نفوسهم فيزهدون فيما يريدون ويتناولون مايريدون بلاشره ويحسنون الصبر الجميل ان فقدوا ممضوغا ؛ وما اكثر ماتتوالى عليهم ليال بين قرى لاترفع لهم راسا ؛ فيمضونها سغبا ثم لايتاثرون بذلك وكثيراما يقول لهم الشيخ لايحل للفقير ان ياكل من طعام من لايتحرون الا اذا حلت له الميتة ؛ يعنى حتى يجوع جوعا كثيرا يخشى عليه به العنت ؛ وهذا الزهد الذى ذكرناهمن شمائل الشيخ يحيط به من كل جانب حتى فى مسكنه ؛ فان بناءات زاويته ساذجة ؛ بناها الفقراء بناءات متعرجة لاتزال تتداعى بادنى سبب ؛ لانه متى احتاج الى زيادة بناء يامر كل الفقراء ان يبنوا سواء من عرفكيف يبنى ومن لم يعرف ويقول : «يتعلم من ليس بمعلم» وقد مر به الرجل الصالحسيدى الحاج عبد الله بن صالح وهو مع اصحابه فى مثل هذا البناء ؛ فقال للشيخ ماهكذا يكون البناء الذى يراد تابيده ؛ فاجابه : «اننا سنقضى فيه اعمارنا على ماهو عليه ومن سياتى بعدنا ان لم يعجبه فليبنه وفق مايريد فقد كفيناه مئونة جمع التراب والاحجار» ثم اتبع ذلك قوله : «افنحن تاركون مانيط بنا من ارشاد العباد حتى نمضى اعمارنا ونفائس اوقاتنا فى جدران تقوم وسقوف تصحح» ؟ ان اعمارنا اقصر منذلك وبمثل هذا الجواب فاه الشيخ ايضا وقد أمر الفقراء أن يحرثوا ماسيحرث فى مبدأ ابان الحرث او قبله قائلا : «ان حرثنا نحن فى ارشاد العباد لافى شق التراب» وهكذا كل احوال الشيخ لايبالى الا بما نصب له نفسه وجعله محور حياته ومما يعتنى به الشيخ عنايةزائدةنشر التعليمولذلك ياخذ كل اصحابه الذين يلازمونه بالتعليم الابتدائى المجدى المفيد ؛ من التوحيد وصحة العقيدة وما تصح به الديانة ؛ وماهو حلال وماهو حرام كماانه يرسل من فيه أهلية لتتبع الدراسة فى الفنون الى المدارس ؛ فيعينهم ويمدهم بالكتب فهؤلاء الاساتذة : سيدى احمد بن محمد البزيدى والعلامة سيدى الحاجمسعود

الوفقاوى وسيدى محمد بن عبد الله الزيكى والقاضى سيدى مسعود الشياظمي وسيدى الحسين الشيمولائى الافرانى وسيدى بريك بن عمر المجاطي وعشرات امثالهم هو الذى دفع بهم الى المدارس ؛ زيادة على زمرة من اهله كسيدىعبدالله ابن ابراهيم ؛ وسيدى موسى بن الطيب واخيه البشير وسيدى عبد الله بن محمد ويفعل مثل هذا فى العلماء والقراء الذين ينفعون فى المدارس ؛ فيحثهم على عمارتها ويردهم عن صحبة الفقراء فى السياحات ؛ كالعلامة سيدى محمد بن مسعود ؛ واخيه سيدى احمد وسيدى عبد الله ابن القاضي وسيدى عبد الله خرباش وسيدى مبارك الميلكى وسيدى عبد الله الركراكى وسيدى محمد بن العربى القارىء الاوصالى وسيدى على التناني وسيدى الطاهر السماهرى وسيدى عبد القادر السباعى ؛ وامثالهم من العلماء الذين استهوتهم نفحات مايرونه بين اصحابه فيحبون ان يتجردوا وان يلقوا وراءهم ظهريا ماهم فيه من التعليم فيكبح عزائمهم ويريهم ان ماهم فيه هو عين مايطلبه التصوف منهم حتى ان سيدى عبدالله بن محمد يقول : انني ما استفدت الا فى المجالس التى كان خال الشيخ يحضرها القواد والرؤساء الذين انقادوا له؛ كثيرا مايهمون ان يطلقوا ماهم فيه فيلمرهم أن يبقوا قائمين فيه بالقسطاس ؛ فإذا هم فى اعلى مجالات التصوف الحقيقى وقد اثنى يوما الاستاذ سيدى محمد بن مسعود على الشيخ بهذا واطال .

هكذا الشيخ يربى كل واحد فى بيئته ويرقيه فى محيطه ؛ ويراعى كل لون من الوان الحياة ؛ فيخالط اهله فيستمدون منه ماكتب لكل واحد ؛ وقديما يقول الصوفية : «ان الشيخ الكامل هو الذى ليس لتربيته لون واحد» كماقال بعضهم فى حال العارف : «لون الماء لون انائه» وفى (الاخلاق المتبولية) للشعرانى ما معناه : ومن اخلاقهم ــ يعني الصوفية ــ انهم يبقون من اتباعهم من كانوا ينفعون العباد من علماء الدين على ماهم عليه من الافتاء والتعليم ؛ ولايرفعونهم من ذلك المقام؛ لانه مقام محمود مطلوب ان يقوم به امثالهم ؛ وانما الواجب ان يقوموا فيه بنية حسنة اوكما قال ؛ الى آخر ما فى كلامه .

هذه قبصة صغيرة من اخلاق الشيخ فى تربيته وفى احواله وفى اجتماعاته ويكفي من القلادة ما احاط بالعنق ؛ وقد بسطت اخباره هذه فى كتاب (الترياق المداوى)

الشيخ فى انظار معاصريه السوسيين وغيرهم

كان المعروف من الطرق الصوفية فى سوس الطريقة الناصرية وحدها ولاريب ان هذه الطريقة قد اسست على السنة فى كل مظاهرها؛ لاامت فيها ولاعوج ؛ ولايجد فيها اى قائل ما يقول؛ وماذا يقال فى طريقة هادئة ناصحة مرشدة معلمة ؟ لايعرف منهاالا اذكار انفراد يذكرها من تلقنها ، ثم لااغراق فيها فى اجلال المشايخ الا لماما ؛ وقد يجتمع اصحابها على الصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ماعرفت سوس هذه الطريقة الا بواسطة العلماء الذين تخرجوا من تامكروت فرجعوا يؤسسون المدارس اذا كانوا علماء او بواسطة فقراء أميين آبوا فيعلمون الدين الصحيح فى الاسواق وفى المواسم وفى المجتمعات وهم كلهم معروفون بالاهتداء ونصح العباد والاخلاص فيما هم فيه ؛ ولهذا صارت سوس كلها قاطبة بلااستثناء ناصرية ؛ يأتى اولاد الشيخ الناصرى فيلقونهم قبيلة قبيلة باجلال عظيم واحتبال كبير ؛ فينفعون فى اصلاح ذات البين وفي فتح العيون العمي والآذان الصم والقلوب الغلف ، حتى الف الناس هذه الطريقة ونشأ فيها جيل بعد جيل من اوائل القرن الثانى عشر الى ان كاد يختتم القرن الثالث عشر

ثم فيما بعد عام ١٢٦٠ هـ اتصل بعض فقهاء سوسيين بالشيخ الاديب الكبير اكنسوس فتلقنوا منه الطريقة التيجانية كسيدى الحسن بن الطيفور الساموكنى نزيل تزنيت المتوفى نحو عام ١٢٧٤ هـ وسيدى عبد الله بن محمد بن احمد الادوزى نزيل العوينة المتوفى نحوعام ١٢٨٢ هـ وسيدى سعيد الدرادكى نزيل كسيمة المتوفى نحو عام ١٢٨٦ هـ وسيدى احمد بن محمد من آل حساين الطاطائى المتوفى فى نيف وتسعين من القرن الثالث عشر وسيدى الحاج الحسين الافرانى نزيل تزنيت المتوفى عام ١٣٢٨ هـ وسيدى الزبير البعمرانى المتوفى نحو عام ١٣٥٠ هـ الاخذ عن السائح الرباطي وبهؤلاء الاساطين الكبار ابتدات الطريقة التيجانية بسوس ولكنها فى مبتدا أمرها لم تنتشر الا عند افراد قليلين جدا ، وقد كان اهلها الاولون يعتزون بها ولايعرضونها عرضا ، كما كان الدرقاويون يفعلون

وفى الوقت الذى دبت فيه التيجانية الى سوس دبت ايضا الطريقة الدرقاوية فكما كان لاكنسوس المراكشي يد فى نشر الاول ؛ كان لشيخ اخر مراكشي يد فى نشر الاخرى وهو الشيخ سيدى احمد بن عبد الله من اصحاب الشيخ مولاى العربى ، ورد عليه من سوس اولا الحاج مبارك الهوارى الكلوشي ؛ وبوتكلاى الذى اسمه الحقيقى هو الحاج محمد البلفاني ؛ ثم اصطحب بعد حين سيدى سعيد بن همو المعدرى الثانى منهما الى ان كان السوسيون الذين يترددون الى الشيخ بمراكش سبعة ؛ لم يظهر منهم الا الشهاب سيدى الحاج مبارك العالم الجليل الذى له مؤلفات راينا بعضها وقد خلفه بعد موته سيدى عبد القادر البعاريرى ؛ وقد كان للزاوية المباركية اتباع لم يكثروا ولكن الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدرى الامي طفحت ساحته بكثيرين ؛ فهم علماء خناذيذ كالعلامة سيدى محمد بن ابراهيم التامانرتي والد شيخ العصر سيدى الطاهر بن محمد الشهير ؛ وكالعلامة الاديب سيدى الحبيب البوسلمانى الجرارى ؛ وجنيد زمنه سيدى الحاج الحسن التاموديزتى والعلامة المدرس سيدى محمد بن المحفوظ الادوزى وكثيرين يصلون نحو اربعين عالما كلهم تتلمذوا لهذا الشيخ الامي وبالشيخ الامي سيدى سعيد بن همو هذا ظهرت الطريقة الدرقاوية باحوالها الخاصة التى لم تولف فى الناصرية ؛ كملازمة المرقعة عند

المتجردين فقط وخرق العادة فى الاسواق ؛ متى اريد ازالة الكبر ممن فيه الكبر وبالمجاهدات الدائمة ؛ وبحلق الاذكار بالمداولة بين الاشعار وبين الهيللة على نغمة خاصة ؛ وبما يقومون فيه حلقة واحدة مستديرة وهو المسمى عندهم ذكر العمارة وبالجهر بالاذكار فى الطرقات وفى الاسواق .

بهذه الاخلاق ظهرت هذه الطريقة فقامت الناصرية واهلها ضدها تعلن ان ذلك بدعة ؛ ولكن نشاط اهل الطريقة الجديدة وحسن نية معتنقيها ؛ وما كان عليه شيخها من روحانية قوية عجيبة ؛ وما تؤثره فى كل من اليها كل ذلك فتح الطريق امام شيوعها ؛ فكان الشيخ يسيح باصحابه ؛ ويدل الناس على الله فى ضمن طريقته وقد استطاع بعض من اعتنق هذه الطريقة ؛ وقد حج ومر بمصر ؛ ان ياتي من هناك من عند كبار العلماء بان هذه الطريقة التى تحمل مثل هذه الاحوال تعرف كذلك فى الشرق من قديم ؛ وقد قرأت انا بنفسى هذه الفتاوى التى اتى بها سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي لما حج علم ١٢٩٣هـ هكذا ابتدأت المعركة بين الطريقتين الناصرية والدرقاوية الاولى تدل بمظاهرها السليمة ؛ والثانية تدل باسرار روحانيتها ؛ ولاننس ماكان قاله سيدى علي الجمل لمولاى العربى لما اخذ عنه وعلمه القدر المعلوم من لااله الا الله والاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، قال له : «ان هذه الاذكار اخذناها عن اهل الظاهر اهل تامكروت ؛ واما ذكر السر وهو الله فقد اخذناه عن اهل المخفية» يعنى سيدى العربى بن احمد بن عبد الله الذى اخذ شيخه عن آل ابى المحاسن جدود الاسرة الفاسية المجيدة المنجبة اليوم للمفكرين والزعماء والوزراء والخطباء وبذلك يعلم القارىء ان الدرقاويين يقولون انهم لايعتنون بالمظاهر فى الطريقة ؛ على اية حالة كانت ؛ فالسر فيما فى القلوب لا ما فى القوالب ويقولون ان هذه المظاهر لاتقدم ولاتؤخر الفقير الا قليلا ، ولكن المدار على مافى النيات والقلوب ؛ ويقولون ماقاله المتنبى فى الفرس :

وما الخيل الا كالصديق قليلة ... وان كثرت فى عين من لايجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها ... واعضائها فالحسن عنك مغيب

وقد كان الشيخ سيدى سعيد لأميته لايدافع الا بالسنة العلماء الذين لايفارقونه ؛ فمتى جالس من يجاوله فى تلك الاحوال التى ينكرها الفقهاء السوسيون ؛ اجلس فى جنبه من يحضر من اصحابه العلماء ؛ وقد استطاع سيدى سعيد ان يتغلب بقوة حاله على كثيرين حتى ان سيدى الحسن بن احمد التمكدشتي انقاد له يوم صالح بينه وبين قرينه سيدى الحسن التملي الايرازاني وبتأثره بحال سيدى سعيد اخذ عن مولاى المهدى الدرقاوى بمراكش من اصحاب سيدى محمد العربي المضغرى او اخذ عنه قبل ذلك ؛ وسترى ذلك فى ترجمته ان شاء الله ؛ وهكذا يقبل ويدبر ابطال الدين فى ذلك العصر تحت

رايات الطرق ؛ كما يقبل ويدبر اليوم ابطال آخرون تحت رايات الاحزاب وكل يغمر بيئته ؛ فان كانت الطرق اليوم لايراها الناس بمثل النظرة التى يراها بها من كانوا امس ؛ فكذلك سيقع لهذه الاحزاب نفسها غدا ؛ والعاقل من المؤرخين هو الذى يزن كل واحد بميزان بيئته وحده ثم لما تصدر الشيخ الالغي المترجم بعد شيخه ، وقد اوتي قوة روحانية وعلما واسعا وسعة اخلاق ومخالقة لكل الناس وحضور الاجوبة ؛ دفع بالطريقة الى الامام حتى صارت اعلامها تخفق فى كل نواحي سوس ؛ لكونه يتتبع القرى ويجعل السياحات ديدنه وقد توجه الى منفعة العامة ؛ والى منفعة الخاصة والى مخالطة العلماء ؛ والى طروق الرؤساء ولكون كلامه المؤثر الذى يكتسي لونا خاصا مع كل هذه الفرق التى يتكون منها الشعب ؛ فتح له ميادين متعددة فى نفع العباد فمتى جلس الى مطلق العامة فانه لايحدثهم الا فى التوحيد والحلال والحرام والتوبة واصلاح ذات البين ؛ واقامة شعائر الدين ولايتجاوز ذلك فى مجامعهم الى ذكر التصوف ومتى جالس الفقهاء والطلبة يتلون بلون آخر يستمده من العلم مع دعوته الى الله والى التوبة والى عدم الغرور بالهذر العلمي ؛ مع كثرة تعظيمه للعلم واهله واجلال مقامهم مادام فى حدود النزاهة ، ومتى جلس الى الرؤساء يعظهم وعظا يكسر شرة ماهم فيه من العنجهية والطغيان والادلال بالسلطة ونفوذ الكلمة ؛ وكل ذلك بتأن وتؤدة ؛ مع تسهيل طرق الانابة وفتح باب القرب الى الله امامهم حتى يدركوا ان ماهم فيه ان احسنوا معاملة رعاياهم ميدان من ميادين العمل الصالح واما اذا كان مع اصحابه وهم الخاصة عنده فانه يخوض معهم فى كل مايرقيهم فى مقامات الصوفية الكبار ؛ ويهذب اخلاقهم ويفنيهم فى ربهم ؛ كما هو المعهود بين الاشياخ ومريديهم ؛ هذا حال الشيخ ؛ فاتسع نطاق شهرته وذاع له صيت يدوى فى كل الجنوب وازاء هذه الشهرة انفرد فى عصره بما لم يتيسر لغيره فنشأ ازاء اتباعه الذين تزخر بهم الطرق الى زاويته الالغية وازاء الذين يكبرون شانه من غير اتباعه الاخصاء ؛ مالابد ان ينشأ من اقوال تصدر حينا من بعض رؤساء الطرق غير الطريقة الدرقاوية حوله ؛ وذلك طبيعي ما دام البشر لايخلو من ان ينفس بعضه على بعض ، ومن حسدة يتقولون ويصطادون مايدعمون به كل مايقولون ؛ وغالبهم من الطلبة اصحاب الاهواء الغافلين السادرين فى غلواتهم ؛ ولاسيما ان تلقفوا اذكارا يثابرون عليها تلاوة فقط ؛ فحسبوا انفسهم بذلك من الصوفية الذين يحق لهم ان يزنوا بموازينهم كل مايعن لهم فتراهم يقولون مايقولون ؛ لاعن تثبت ولاعن علم ؛ بل ولاعن عقيدة صحيحة عند بعضهم ثم يخالط اقوال هؤلاء الطرقيين والطلبة الاغمار اقوال فقهاء يتكلمون عن عقيدة وحسن نية ؛ وما مقصدهم الا ان يعلنوا للناس ما يعرفون انه السنة او انه البدعة فمن المجموع تكون ما عسى ان يجده المطالع فى كتب تاريخية معاصرة سوسية حين تترجم للشيخ الالغي الذى كان يسمع كل ذلك وتصله جلبته وضوضاؤه من بعيد ؛ ولكن لم يكن يبالي ؛ ولاعرف منه انه دافع قط ولااجاب

ولاالظر ولاالاستشار من ينافح عنه بل ذهب قدما الى ماكرس له حياته ولسان حاله ينشد ما قاله بعضهم :

لنا عند ربع العامرية مقصد   اليها قصدنا لا لدعد ولاليل

فلم يزل شانه يعلو وصيته ينتشر ؛ وصوت اضداده القدماء كالعلامة سيدى محمد بن العربي الادوزى يخفف شيئا فشيئا حتى كان مالابد ان يكون من شفوف العاملين

هذا فان كان لهذه الطائفة الحسنة النية ماتواخذ به الشيخ من بعض مظاهر فى طريقته ؛ فليس لهم مايقولون فى ارشاده العام وفى تعليمه لدهماء الامة وذوده عنها بغيرة وطنية كان فيها فريدا فى عصره ، فانهذهالمواقف جعلت له مقاما خاصا لاينكره عليه احد وهو لب حياته ؛ فهانحن اولاء الان وقد ذهب ذلك الجيل وانطوى سجله وصوت الشيخ لايزال يدوى ؛ وماكان يقوم به هو الباقى الوحيد ؛ واما مايتقوله فيه المتقولون ويظنه فيه الخراصون ويرميه به الجاهلون لحقيقة ماهو عليه او المتجاهلون فكل ذلك طار اليوم ادراج الرياح (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض)

بعض اقوال المثنين عليه

قيل يوما فى حضرة الشيخ سيدى الحاج الحسينالافرانى رحمه اللهفى الشيخ الالغى شيء من بعض مايقول من لايتقون الله فيما يقولون ؛ فثار فى وجهه سيدى الحاج الحسين قائلا : «ان لم يكن الشيخ سيدى الحاج على رجلا اليوم فى ميدان الدعوة الى الله فارنى رجلا ءاخر غيره»

وقال سيدى الحاج احمد الجشتيمي وقد جرى ذكر الشيخ «ان الشيخ سيدى الحاج على فى مقام ءاخر غير مانحن فيه ؛ فقد فتحت له ابواب شتى فى نفع العباد ؛ ولم يفتح لنا نحن الا واحد او اثنان»

وقال الشيخ سيدى المدنى الناصرى : «ماكنت ارى من سيدى على بن احمد الا انه سيكون ذا شأن فها هو ذا ابتدأ فيما كنا نظنه فيه ؛ قال ذلكسنة ١٣٠٦ ه والشيخ سيدى الحاج على اذ ذاك كما ظهر امره ؛ وطلع فجره وقدكان يلزم مجلس سيدى المدنى فى تانكرت حين كانوهو ياخذ عن سيدى محمد بن ابراهيم اعوام ١٢٨٦ = ١٢٨٩ ه لايتخلف عن مجلس الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ساح الى تانكرت فى طائفة كبرى اهتز بها ذلك الوادى حوالى عام ١٣٠٦ ه فقيل لسيدى المدنى فى الشيخ فاجاب بذلك، وقال الشيخ ماء العينين : «لوكشف الحجاب عن همة الشيخ سيدى الحاج على ماتبعنا احد» قال ذلك الر مازاره الشيخ فى تزنيت بعد نزوله فيها ذهب اليه بطائفة كبرى فاستقبله الشيخ ماء العينين فىبساط كبير انتظم فيه مئات من اصحابه ؛ فلما

خرج من عنده افضى بتلك القولة الى بعض اخصائه ؛ فاخبرنى هذا بها

وقال الفقيه الصالح سيدى الحسين بن يحيى التملى المتوكى : «اشهدوا يامنحضر هذا المجمع اشهد ايها القائد ، وانتمياخلفاءه وجميعكم يارؤساء قبيلة متوكة انه مادى الحق الواجب على العلماء فى عباد الله الا الشيخ سيدى الحاج على وحده» قال ذلك فى مشور دار القائد عبدالملكفى بووابوض ، وقد بات هناك الشيخ ثم خرج ؛ وخرج كل الذين فى دار القائد وخرج القائد وخلفاؤه فاصطف الجميع صفوفا صفوفا ؛ واقفين مطرقين ؛ فيصول فيهم الشيخ بمواعظه المؤثرة حتى تاثر كل من حضر ؛ وعلا نحيبهم ؛ وقد كانالفقيه ممن حضر فلم يملك نفسه ان قال ما تقدم

وسمعت سيدى الحاج على بنالطيب ابنمولاى العربى الدرقاوى بداره بفاس يقول : «رحم الله الشيخ سيدى الحاج على السوسى فقد احيا الله به البلاد والعباد وقد كان يعرفه قديما يوم زار دارهم سنة١٢٩٩ ه فاخذ عنه نبذة من مختصر خليل ثم صار يتتبع اخباره ؛ فيعجب بتربيته التى تبلغه اخبارها»

وقال سيدىاحمدبنالخياط شيخ الجماعة بفاس : «ان التربية الاصطلاحية التى كان عليها مولاى العربى الدرقاوى قد انقطعت بعده حتى احياها الشيخ سيدى الحاج على السوسى فى سوس ؛ وهو ءاخر الشيوخ الكمل فى هذاالشان قال ذلك مع انه لم يلاقه ؛ وانما سارت اليه باخباره احاديث الركبان

وقال سيدى الحسين الزرهونى دفين احواز الجديدة «رايت من رايتمن مشايخ العصر ؛ ولكن لم ترعينى مثل الشيخ سيدى الحاج على السوسى فانه يربى اصحابه حتى ليحسبهم من يراهم ملائكة ؛ وقد رايتهم شبابا ولكنهم فى وقار الشيوخ ؛ وقد اقتطفوا ثمر التصوف ؛ واجتنى غيرهماوراقه» قال ذلك بعد رجوعه من زيارته عام ١٣١٦ ه

وقال ابو الاسعاد الفاسى فى الشيخ : «انه ءاخر اصحاب الجد فى هذا العصر» .

وقال الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح : «ماوضعت يدى فى يد الشيخ سيدى الحاج على حتى تيقنت ان مقامه اعلى من مقام جدى سيدى احمد بن موسى»

وحدث الفقير احمد بن الطيب الزكرى ؛ انه سمع من سيدى الهاشمى التيمكيدشتى انه قال له وهم يذكرون المشايخ : «اتريد ان اقول لك ماتعولعليه وتدع عنك الترهات ان الشيخ الدرقاوى بالغ قد وضع اليوم رجله على كلرقبة كما علت طريقته وحاله على كل الطرق والاحوال»

وقال الشيخ سيدى محمد العربى المطغرى لبعض من ذكر له احوال الشيخ الالغى عام ١٣٠٨ه : «ان هذه الاحوال التى ذكرتها لايتصف بها الا العارفون

الافذاذ ؛ ولئن طال العمر بهذا الشيخ الجديد لتكسفن شمسه كل نجوم تلك الجهة»

وقال الشيخ سيدى "محمد النظيفى : «هكذا يكون الفحول لايخافون من احد ؛ فانني اتجنب دائما مخالطة اصحاب الاحوال لئلا تغيض عيني بيحارهم واما العفريت سيدى الحاج على فانه لايهاب احدا ؛ فقد جاء الى ليلقانيفهربت منه خوفا انيشربني لقوة روحانيته ولغلبة حاله ومن هو مثيله في هذا العصر؟»

تلك اثارة مما امكن لى جمعه من اقوال بعض معاصريه من غير اصحابه واما اصحابه فانهم يرون له مقاما اعلى من كل المقامات ؛ والعجيب انني كلما جلست الىواحد من اصحابه لاكتب عنه مارءاه منالشيخاسمع منه عجائب وغرائب عنه ، فما شئت من توجيه الى الله وحده بحيث لايلتفت الى غيره الا بمقدارالمامور به من الاسباب المشروعة ؛ ومن مكاشفات وكرامات وخوارق وروحانيات ؛ وهذا شيء طال منه عجبى انا قبل ان يطول به عجب من سيقرا هذا بعدالغد ؛ وقد رايت كثيرا من اتباع المشايخ ؛ فمارايت مثل اصحابه في اسقاط الدعوى وتعظيمهم له تعظيما لايصل الى حد الغلو الا فى قليلين جدا ولاجلالهم لمقامه ؛ ولتمرنهم على سقوط الدعاوى قل فيهم البارزون بعده الى المشيخة حتى ان من برز منهم لايرى لنفسه مقاما ؛ وهذا شيء رايته وخبرته وكنت به من المومنين وما راءكمن سمع ؛ اكتب هذا لاعن تحيز لعلمى ان الله يراقبني ويكتب عني ما اقول

قول المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

هناك اثنان ممن ارخ لمعاصرى الشيخ من السوسيين احدهما سيدى على بن الحبيب التيجاني الطريقة ؛ وقد حاول ان ينصف الشيخ ؛ ولذلك ذكر كثيرامن احواله العجيبة والم بنواح كثيرة من حياته وثانيهما الفقيه سيدىمحمد ابن احمد الاكرارى وهو ناصرى الطريقة ، وحين كان القارىء ملما فيما تقدم بما بين الطرق فى ذلك الوقت من تنازع السيادة ؛ وحين كانت الناصرية هى الطريقة القديمة التى شاخ عليها الكبار ؛ وشب فيها الصغار ؛ كان تعصب اهلها اعظم واكبر من غيرها ؛ ولذلك ترى مما قاله الفقيه الاكرارى تحاملا ظاهرا فى جناب الشيخ وقد ورث ذلك عن استاذه سيدى محمد بن العربى الادوزى الذى كان ينادى فى موسم سيدى احمد بن موسى على رؤس الاشهاديان الدرقاويين مبتدعون ؛ ولكنه اخيرا غلب على حاله لما راى غالب من اخذوا عنه خرجوا عن طريقته الناصرية الى الدرقاوية ثم سقط فى يده يوم يرى نفسه مصاهرا للشيخ الاكبر فى الطريقة الدرقاوية على بنته سوانا ابن بنت سيدى محمد بن العربى اكتب هذا ـ ولذلك ارسل تلك الصيحة التى ضمنها تلك القصيدة التى تافف فيها من مصاهرة الدرقاويين ؛ وسترى بعض هذه القصيدة

في محل ءاخر

وهاك ماقاله الاديب على بن الحبيب السكراتي :

ومنهم الفقيه العالم الرباني الشيخ الصمداني المربي الصوفي السالك ؛ سيدى الحاج على بن احمد الدرقاوى من (تحت الحصن) السملالى الشيخ المشهور ؛ كان هذا السيد رحمه الله حاملا لواء الطريقة الدرقاوية فىهذا القطر السوسي ؛ وله فيه تلاميذ لايحصون عددا ؛ وزوايا كثيرة معمرة وكان فى اول بدايته تعتريه احوال جذبية؛ يمسي فى حال ويصبح فى حال ءاخر ؛ وكان يلبس المرقعة ويحمل العصا ويذكر فى الاسواق بالجهر فى الطرقات وياخذ الفتوحات ولايبالى ؛ وكان له كيس مثقوب كلما طرح فيه شيء سقط الى الارض ؛ ويسأل الناس ويقول على عادة الفقراء «متاع الله» وهو فى هذه الحال فى بعضالاسواق اذوقفعلى الشيخ سيدى الحسن بن مباركالتاموديزتى مع الفقيه سيدى محمد بن العربى الادوزى يتحادثان فى ظل جدار ؛ فقال لهما : «متاع الله ؛ متاعالله» فضحك الشيخان ثم قبضا على جلابيبه وقالا له : «ياشيخ هذا الذى انت فيه من دسائس النفس ؛ ما زلت لم تخرج عن هواها لانهالاتحب الا الاخذ ؛ ولكن ربها وعلمها هاك متاع الله هاك متاع الله؛ فهل كانت تقبل منك ام لا) فاعرض عنهما ولم يبال بكلامهما وذهب ، (اقولانالشيخالتاموديزتى سبق المترجم الى هذه الطريقة ولابد ان هناك غلطا فيمن كان اذ ذاك واقفا مع سيدى محمد بن العربى الادوزى) وعلىكل حال فهو شيخ الطريقة وعالمالشريعة والحقيقة ؛ ومثله لاتقرع له العصا ؛ وكان فى غاية من الكشف تظهر على يده الخوارق لقيته مرة بالركادة ؛ وانا حينئذ متقيد بالطريقة الدرقاوية اعلى الله منارها ؛ وحانت صلاة العصر ؛ فقمنا للصلاة معه وهو امام وفى القوم الفقيه سيدى محمد بن مسعود المعدرى وسيدى سعيد التناني ؛ فلما فرغنا منالصلاة توجه الينا بوجهه المنور ؛ فقال لى يافلان ؛ قلت لبيك ياسيدى قاللى اعندك كتاب الذهب الابريز قلت له نعم قال لى هل رايت فيه حكاية الشيخ عبد العزيز الدباغ مع تلميذه سيدى احمد بن مبارك المراكشي (هكذا مع انه سجلماسي لامراكشي) حيث قال له الشيخ اتريد اننزور سيدى موسى براس الدرب ؛ فقال له نعم ؛ وما نكره فى زيارة سيدى موسى الخ القصة وقد كان فىاول امره ترد عليه كثرة الفقراء ببلده وضاق به الحال ؛ قال ثم نويت ان ارحل منها الى المعدر ؛ فاستخرت الله فى ذلك قال رحمه الله فلما عزمت على الرحيل وقف على النبى صلى الله عليه وسلم وانا ببحيرة قرب دارى ؛ فقال لى اتريد ان ترحل الى المعدر خوفا من الجوع ؟ قلت له نعم ؛ قال لى : «لاترحلمن بلدك وقال لى كل شيء يصلك الى هنا» وضرب بقدمه الشريفة الارض ؛ قالرحمه الله فطابت نفسى من يومئذ بالسكنى فى بلدى فصارت الدنيا من يومئذ تزيد وتجيء من كل جهة الى ان بلغ بنا الامر الى ماترون والحمد لله (قلت)قد اقبلت

الدنيا على الشيخ ببركته صلى الله عليه وسلم من كل جهة ؛ وكـان لايستقر بداره غالبا ؛ افنى جل عمره في الاسفار والسياحات مع طوائف الفقراء وكثرة سياحاته الى جهة الشرق : درعة وحوز مراكش وحاحة واداوتانان ؛ حدثنـــي بعض فقرائه ان زواياه نافت على مائتين وكان معظمها عند الامراء والسلاطين والقبائل ؛ لايكادون يصون له امرا ؛ وفد مرة على فقراء مراكش وبها يومئذ السلطان مولاى عبد العزيز بن الحسن ؛ فلقيه واحتفل به احتفالا كبيرا الا ان الناس قد اكثروا فيه القيل والقال ؛ ومعلوم فى الفاضل قول الحسدة ؛ وهوفى الحقيقة كمال للمحسود :

واذا اتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي باني كامل

فقد كتب له العلامة سيدى محمد بن العربي الادوزي بعد مصاهرته لهفى شانها قوله :

بعثت اليك بعض كلى فان راعيـــــــته كنت كلى راعيا ياخي حكما الخ

(ثم ذكر القصيدة وجوابها الذى مطلعه : (جزاك اله العرش خير جزائه) (ثم ذكر ان صاحب الترجمة رحمه الله لما لم يف بعهد الشيخ قال فيه ثانيا : (لاتصاهر في سوس درقاويا الخ) (ثم ذكر القطعة الاخرى التى قالها ابن العربي لماودع بنته ومطلعها : (فراق بنتى صعب الخ)

(ثم قال) : اخذ صاحب الترجمة علمه عن شيخه هذا سيدى محمد بن العربي الادوزى واخذ الطريقة الدرقاوية على شيخه سيدي سعيد المعدري وبيتهم بيت علم وصلاح ؛ كان جدهم سيدى عبد الله بن صالح ــ بل هو عبد الله بن سعيد ــ فى غاية من التقوى والولاية ؛ ثم حكى المولف حكاية استطرادية ثم انشد بعدها:

وما مات من ابقى ثناء مخلدا ... وما عاش من قد عاش عيشا مذمما

وله اشعار ونظم ؛ وقد نظم حكم ابن عطاء الله؛ حكى ابن الجوزى فـــي بعض مجالسه قال : «والله ماجتمع لاحد امله الاوسعى فى تفريقه اجله» (ثم ذكر وفاة المترجم وغلط فيه اولا ؛ ثم اصلح الغلطفى طرة الكتاب) ثم قال : وعهد الى ولده الكبير سيدى محمد بالخلافة بعده واوصاه؛ (ثم ذكر وصية الشيخ المشهورة وهى شائعة ذائعة عند اصحابه) ثم قال : وترك اولادا اصلحهم اللـــه اكبرهم سنا سيدى محمد وباقى الاولاد كلهم نجباء مقبلون على شئونهم وفيما يرضى الله ؛ نشاوا فى حجر العلم والادب والتربية على شاكلة ابيهم من التيقظ والتشمير عن ساق الجد فى الدين وتحصيل العلوم الشريفة ثم ذكر كلاما عن الغزالى فى الذين يخالفون «اباءهم الامجاد اتكالا على شرفهم»

انتهى ماكتبه المؤرخ الذى حاول ان يخالف القول الاتى للمؤرخ الاكرارى فى بعض ما قاله عن الشيخ ؛ فرحم الله الجميع وباقى الابيات المتقدمة توجد فى ترجمة الوالدة (رقية) فى القسم الثانى ان شاء الله

قولة المؤرخ الاكراري فيه :

ومنهم شيخ المريبن ومحراب المتجردين وسلوة المتقشفين ووزر المطرودين مربى الانام ؛ ومدير كاس الهيام ومذلل الانوف ومعدل الصفوف قامع الشهوات والجلى عن القلوب الظلمات ؛ قاهر النفس ودافع اللبس ابـو الحسن سيدى الحاج على الدرقاوى طريقة العبلاوى نسبة ؛ التحت الجبل دارا ومنشا ــيعنى السحت الحصنى ــ قرا العلم على العلامة الادوزى واخذ الطريقة على الفقير سيدى سعيد المعدرى وعلى منواله حاك وبمــواكه استاك افنى عمره فى الجد والاجتهاد وجال بطوائفه فى البلاد ؛ يقيم اودهم بالدرة ويقطع بعضهم بالدرة ؛ يسوس كلا بالائق به ويكون لداء قلبه متنبه ــكذاــ فكثر لذلك متبعوه وازدحم على ورده مسمعوه ؛ اخذ فى نفسه اولا بالتقشف وازدان وقته بالعنف ؛ فلما امتلات اخواضه بالاناس واطمانت محافله بالايناس ؛ قلب لهم ظهر المجن ومد شباك الزوايا لما انى وعن ؛ وقرا (القها ياموسى فالقاها فاذا هى حـيــة تسعى قال خذها ولاتخف) فاتته الدنيا ونال منها المنى ؛ فجمع وعدد وبنى وشيد ونكح وشاد واكثر السواد ؛ فخطب ابنة شيخه الادوزى ؛ فحباه ولم يقل مكنـوزى وحين كمل النكاح وابرز الزفاف من غير كفاح كتب له الشيخ مانصه وذكـر الابيات التى اولها : «بعثت اليك بعض كلى الخ» فاجابه الصهر سيدى الحاج على قال ناسجا على ذلك المنوال ، الاانه ليس التكحل كالكحال ــ هكذا الكلمــة بخطه قائلا ان الالف للسجع ــ (ثم ذكر الابيات التي اولها :«جزاك اله الخلق خير جزائه» الخ) (ثم ذكر ماانتقده فى الابيات) ثم قال : «هذاشعر الفـقـراء قلبه قال فى الجواب ؛ لياتى بالصواب ويترك لفظه الظهر الذى فيه ارتياب (ثم ذكر ابياتا له هو مطلعها : فسمعا ابا الدلفاء الخ) ثم قال الشيخ ــيعنى ابن العربى ــ متشكيا وللقضاء مسلما وراضيا ــ (ثم ذكـر ابياتا اولها: فراق بنتى صعب الخ) ثم ان الصهر لم يف بالعهود ولادى الموعود بل اهان المهر وعصى الشيخ امره فجعلها من جملة العيال ؛ تطحن ودمعها سيال ؛ ومنعها من الزيارة وزاد فى القحة بالنفس الامارة ؛ فتململ الشيخ لذا وتمنى ان يفديها لوامكن الفدا ؛ فلما اعوزه الحال ولم تراع الحرمة الرجال ؛ قال رحمه الله (ثم ذكر ابياتا فيها النهى عن مصاهرة الدرقاويين بسوس ؛ مطلعها : لاتصاهر بسوس درقاويا الخ) ولنصرف عن الكر العنان طالبا مــن الله المنان ان يمدنا برضا الاشياخ والغفران ويقيل عثرات اللسان ؛ وما زبره فى ذلك البنان وحـواه الجنان ؛ ويرزقنا معهم المجاورة فى الجنان بجاه سيد ولد عدنان وعليه فى كل حين التكلان ؛ مادام الملوان ودام النيران ؛ فصاحب الترجمة حج وصام وجال وهام وعزد واقام وخاصم فى الله وخام وصارم من استحق الصرام الى ان ادركه الحمام فادى الامانة ورضى باختتام وذلك فى ٤ــ١٠ــطلـوع الشمس يــوم

السبت عام ١٣٢٨هـ فقال سيدى الحاج ابراهيم ايريفى «ايطاس (اى نام) الشيخ رحمه الله ورضي عنه «امين»

ذلك ماقاله المؤرخ وقد وجب التنبيه اولا الى ان الغلط وقع له في وقت وفاة الشيخ ؛ فانه توفى عصر السبت ٢٨ ذى الحجة عام ١٣٢٨ هـ ومن هذا الغلط الذى لم يسلم منه مؤرخنا لعدم تثبته تدرك ان الغلط يكون اليه اسهل في مجريات الظنون ؛ فقد افتتح الترجمة بذكر ماهو الواقع فى احوال الشيخ ثم لما رأى اتساع نطاق دائرة الشيخ ظنه استسلم للشهوات ولو اراد المؤرخ ان يعرف الحقيقة لادركها فان المئات الذين يزورون الشيخ يرون كيف حالة زاويته فى التقشف الى ان مات ؛ وانا اعلم واوقن بالمشاهدة ان اكل اللحوم وشرب الاتاى اللذين هما اذذاك من مظاهر الرفاهية لانراهما فىدار الشيخ الا لماما وفينة بعد فينة؛ ولكن الذىحفز المؤرخ الى ماقال كونه سلف الشيخ فانه تزوج اخت زوجته ؛ فاصاخ الى تناجى النساء فى مضاجعهن وقد بينا كل مابين الشيخ واستاذه العلامة ابن العربى فى ترجمة والدتى فى هذا القسم كما بينا ايضا بعض ما يتعلق بتزوجها من الوالد فى كتابى «الترياق المداوى» و«طاقة ريحان» واما الابيات التى اختصرناها فانها توجد فى ترجمة الوالدة فى القسم الثانى) على اننى اعذر المؤرخ فما كتب الا ما اعتقد، فرحم الله الجميع وجعل الجميع فى جنة الفردوس على سرر متقابلين ؛ فانما العبرة بالنيات وهى من البواطن

بعض الامداح في الشيخ

يقول العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود من اكابر اصحاب الشيخ وممن استقوا منه عللا بعد نهل ؛ فى اثناء قصيدته المسماة «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد بما للطريقة الالغية من اسنى الاسناد» يقول فيها بعد مدح نبوى كريم يخاطب الجناب النبوى :

مالى سواك وسيلة لله ثـــ	ـــم سليل روحك غوثنا الصمدانى
شيخ الحقيقة والطريقة من غدا	نور العيون وعين نور الآن
صبح الظلام وحلى نحر عاطل	ملك المعارف فارس الميدان
شيخ الجلالة شاذلى زمانه	فـرد الاوان وسيد الاقـران
شيخى ابو الحسن ابن احمد من بدا	فى العصر شمس الايمة الاعيان
اعلى من الدين المنار واحييت	ءاثاره بعهاده الهتان
ذوهمة فعالة وعزيمة	صوالة كالسيف يوم طعان
وله الكرامات البواهر والتقى	والعلم ليس الخبر مثل عيان
اما الفراسة والكلام على خوا	طر حاضريه فئاية الرحمان
وله من التصريف امر واضح	لمداخليه بدا على الاعلان
هذا على ادب يحيل به الامو	ر على مشيئته ربه المنان

ياجل احمد ياعلى علت بكم	رتب سمت قدرا على كيوان
انت الهمام الشهم ياذا الهمة الـ	ـــقعساء ياغوث الكبير العانى
انت الجواد منى يعد الجود ما	كعب وما هرم وما البحران ؟
ان كان يخرج منهما المرجان والـ	ـدر النضيد فذا نفيس فان
فالعلم لدى الارواح بالعرفان بلـ	ـــه الجود للاشباح بالالوان
اوما جلوت صدا القلوب بحكمة	صمدية من سرك الصمدانى
وغسلت من ادرانها وحبوتها	علقا نفيسا غالى الاثمان
فسقيتها من خمرة نبوية	ازرت بما اروت بخمر جنان
من ذا يبارى البدر فى مجلاه او	يرتاب فى شمس سوى العميان ؟
بعد الكرائم وانتفاع الناس بالا	مداد فى الاسرار والاعلان
احييت رسم الدين بعد دروسه	وخبو نور الحق بالطغيان
ونصبت مرفوع الدعائم من هدى	خفضوه بالدعوى مدى ازمان
وبسرك انصلحت عصائب صقعنا الـ	ـــسوسى من قاصيهم والدانى
وبك المعارف والحقائق تجتلى	صرفا على رغم الحسود الشانى
فلمن امثال الرجال اولى النهى	منها عقود الدر والعقيان
ماذا وراء النفع يطلب شاهدا	بجلالة التخصيص للاعيان
هذا الامام العارف الفاسى ابو	زيد من الغر الكبار الشان
قد قال ان شهود نفع الناس من	اهل الولاية واضح البرهان
بعضهم ما منحوا من السر الذى	خص الاله به ذوى العرفان
والله سمعت بشارة من شيخكم	العارف الاسنى ابى عثمان
قد قال الله فى مقام الشيخ غو	ث زمانه الجمل الرضى العمرانى
هذا الى ما جاء عن اهل البصا	ئر غيره فيما لكم من شان
يامن عليه الباب مسدود انخ	واحطط رحالك فى هنا وامان
هم بباب الفضل والكرم الذى	من حل فيه ثوى اعز مكان
فى حضرة قدسية نبوية	هذا على بابها الرحمانى
فاذا الخطوب مددت عليك وارجف الـ	ـــعادى واشمتك انقلاب زمان
فاعطف لمن القت مقاليد الوجو	د وملكته سائر الاكوان
هذا العماد وذا السناد وذا الغيا	ث وذا حمى المستضعف الولهان
هذا الذى ما امه ذوعسرة	الا وباء يحفه اليسران
هذا الذى تعنو وجوه العارفيـ	ـــن لنور طلعته كما السلطان
فاذا افاد العلم فهو الشاذلى	او فاض بالاحوال فالجيلانى
افاذ افئدة الرجال بهمة	من هم فيه غدا مقود عنان
يسقاه ارباب القلوب لحضرة الـ	ـمحبوب مغنى الروح والريحان
شرفا وفخرا ياذخا للقرب من	شمس المعارف والهدى الربانى
بزغت به فى «الغ» ما ادراك ما	«الغ» لقد اربت على البلدان

السبت عام ١٣٢٨ه فقال سيدى الحاج ابراهيم ابريقى «ايطاس (اى نام) الشيخ رحمه الله ورضى منه «امين»

ذلك ماقاله المؤرخ وقد وجب التنبيه اولا الى ان الغلط وقع له فى وقت وفاة الشيخ ؛ فانه توفى عصر السبت ٢٨ ذى الحجة عام ١٣٢٨ ه ومن هذا الغلط الذى لم يسلم منه مؤرخنا لعدم تثبته تدرك ان الغلط يكون اليه اسهل فى مجريات الظنون ؛ فقد افتتح الترجمة بذكر ماهو الواقع فى احوال الشيخ ثم لما راى اتساع نطاق دائرة الشيخ ظنه استسلم للشهوات ولو اراد المؤرخ ان يعرف الحقيقة لادركها فان المئات الذين يزورون الشيخ يرون كيف حالة زاويته فى التقشف الى ان مات ؛ وانا اعلم واوقن بالمشاهدة ان اكل اللحوم وشرب الاتاي اللذين هما اذذاك من مظاهر الرفاهية لانراهما فى دار الشيخ الا لماما وفينة بعد فينة؛ ولكن الذى حفز المؤرخ الى ماقال كونه سلف الشيخ فانه تزوج اخت زوجته ؛ فاصاخ الى تناجى النساء فى مضاجعهن وقد بينا كل مابين الشيخ واستاذه العلامة ابن العربى فى ترجمة والدتى فى هذا القسم كما بينا ايضا بعض ما يتعلق بتزوجها من الوالد فى كتابى «الترياق المداوى» و«طاقة ريحان» واما الابيات التي اختصرناها فانها توجد فى ترجمة الوالدة فى القسم الثانى) على اننى اعذر المؤرخ فما كتب الا ما اعتقد، فرحم الله الجميع وجعل الجميع فى جنة الفردوس على سرر متقابلين ؛ فانما العبرة بالنيات وهى من البواطن

بعض الامداح في الشيخ

يقول العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود من اكابر اصحاب الشيخ وممن استقوا منه عللا بعد نهل ؛ فى اثناء قصيدته المسماة «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد بما للطريقة الالغية من اسنى الاسناد» يقول فيها بعد مدح نبوى كريم يخاطب الجناب النبوى :

مالى سواك وسيلة لله ثـــ ... ـــم سليل روحك غوثنا الصمدانى
شيخ الحقيقة والطريقة من غدا ... نور العيون وعين نور الآن
صبح الظلام وحلى نحر عاطل ... ملك المعارف فارس الميدان
شيخ الجلالة شاذلى زمانه ... فرد الاوان وسيد الاقران
شيخى ابو الحسن ابن احمد من بدا ... فى العصر شمس الايمة الاعيان
اعلى من الدين المنار واحييت ... اثاره بعهاده الهتان
ذوهمة فعالة وعزيمة ... صوالة كالسيف يوم طعان
وله الكرامات البواهر والتقى ... والعلم ليس الخبر مثل عيان
اما الفراسة والكلام على خوا ... طر حاضريه فثاية الرحمان
وله من التصريف امر واضح ... لمداخليه بدا على الاعلان
هذا على ادب يحيل به الامو ... ر على مشيئته ربه المنان

يانجل احمد ياعلى علت بكم ... رتب سمت قدرا على كيوان
انت الهمام الشهم ياذا الهمة الـ ... ـقعساء ياغوث الكبير العانى
انت الجواد متى يعد الجود مـا ... كعب وما هرم وما البحران ؟
ان كان يخرج منهما المرجان والـ ... ـدر النضيد فذا نفيس فان
فلكم ندى الارواح بالعرفان بلـ ... ـه الجود للاشباح بالالوان
اوما جلوت صدا القلوب بحكمة ... صمدية من سرك الصمدانى
وغسلت من ادرانها وحبوتها ... علقا نفيسا غالى الاثمان
فسقيتها من خمرة نبوية ... ازرت بما اروت بخمر جنان
من ذا يبارى البدر فى مجلاه او ... يرتاب فى شمس سوى العميان ؟
بعد الكرائم وانتفاع الناس بالا ... مداد فى الاسرار والاعلان
احييت رسم الدين بعد دروسه ... وخبو نور الحق بالطغيان
ونصبت مرفوع الدعائم من هدى ... خفضوه بالدعوى مدى ازمان
وبسرك انصلحت عصائب صقعنا الـ ... ـسوسى من قاصيهم والدانى
وبك المعارف والحقائق تجتلى ... صرفا على رغم الحسود الشانى
قلدت اعناق الرجال اولى النهى ... منها عقود الدر والعقيان
ماذا وراء النفع يطلب شاهدا ... بجلالة التخصيص للاعيان
هذا الامام العارف الفاسى ابو ... زيد من الغر الكبار الشان
قد قال ان شهود نفع الناس من ... اهل الولاية واضح البرهان
بصميم ما منحوا من السر الذى ... خص الاله به ذوى العرفان
ولقد سمعت بشارة من شيخكم ... العارف الاسنى ابى عثمان
قد قال انك فى مقام الشيخ غو ... ث زمانه الجمل الرضى العمرانى
هذا الى ما جاء عن اهل البصا ... ثر غيره فيما لكم من شان
يامن عليه الباب مسدود انخ ... واحطط رحالك فى هنا وامان
خيم بباب الفضل والكرم الذى ... من حل فيه ثوى اعز مكان
فى حضرة قدسية نبوية ... هذا على بابها الرحمانى
فاذا الخطوب عدت عليك وارجف الـ ... ـعادى واشمتك انقلاب زمان
فاعطف لمن القت مقاليد الوجو ... د وملكته سائر الاكوان
هذا العماد وذا السناد وذا الغيا ... ث وذا حمى المستضعف الولهان
هذا الذى ما امه ذو عسرة ... الا وباء يحفه اليسران
هذا الذى تعنو وجوه العارفيـ ... ـن لنور طلعته كما السلطان
فاذا افاد العلم فهو الشاذلى ... او فاض بالاحوال فالجيلانى
اخاذ افئدة الرجال بهمة ... من هم فيه غدا مقود عنان
يصطاد ارباب القلوب لحضرة الـ ... ـمحبوب مغنى الروح والريحان
شرفا وفخرا باذخا للقرب مـ ... شمس المعارف والهدى الربانى
بزغت به فى «الخ» ما ادراك مـا ... (الخ) لقد اربت على البلدان

عطرت بطيبك بعد عترتـك الالى ورثوا البر المجد عن اعيان
سلف لهم نالوا العلا بولادة الـــ ـــطيار جعفر اكرم الفتيان (١)
ربى بحرمته انلنــى المبتغى من فيض جود الواهـــب المنان

وبمناسبة ماذكره العلامة ابن مسعود فى هذه القصيدة ، وبمناسبة مـا تقدم عن المورخين المذكورين ؛ اثبت‌هنا بعض ماقيده ابن مسعود مما يتعلــق بروحانية الشيخ ؛ ومن هناك يعرف‌القارىء كيف الشيخ عند اصحابه ؛ وقد ظفرت بهذه المقيدة وشيكا حين وصلت هذا الموضع من الترجمة ؛ انقلها من خط ابن مسعود نفسه ومن هذا يعرف القارىء المكانة التى للشيخ عند علامـــة سوس ابن مسعود ؛ بله غيره ؛ قال مانصه :

«اخبرنى بعض الفقراء الاخوان انه كان فى مرض شديد من علة القرحة المعروفة بقرحة النار ؛ فلزم الفراش وعالج القرحة بالنار الاانه مازال ملازما للفراش بعد المعالجة فرأى شيخنا رضى الله عنه جاءه وهو يقظان غيرنائم ؛ فكشف الثوب عنوجه المريض بيده وتفل عليده ومسح بها موضع القرحـــة فعل ذلك‌مرتين وخرج عنه ولم يكلمه ؛ فنادى المريض امراتــه وقــال لها ان الشيخ رضي‌الله عنه‌خرج من عندى فانظروا أين هو وانزلوه فى محل الضيوف فقالت له ما رايناه ولاراءه احد فخرجت وفتشت فلم تجد احدا ولا راءاه‌احدمن الجيران فظهر الشفاء عليه من ذلك الوقت ؛ ولله الحمد مع ان بلدة الشيخ‌بعيدة من بلدة الاخ المذكور ؛ بينهما مسافة قريبة من يومين

متى كان حكم الروح للجسم‌لم‌يكن ليثقل مـــن كثافــة البشريـــة
اذا ازدوجا وزالت الحجب التــى تعوق مـــن تنافـــر الثانويـــة
افاضت عليه الروح ماكان مـــودعا بها فارتدى بالخلعة الملـــكيـــة
بامدادها يسير فـــى الجـــو ماشيا على الماء والدنيا لـــديـــه كخطوة

وسمعت الاخ المذكور وغيره يقول : سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول : مامن فقير ينتسب الينا (الاوهمتنا) معه فى اى موضع كان فى جميع حركاته (او كما قال)

ووقفت على رسالة ارسلها الشيخ رضي الله عنه الى بعض الفقراء فيــها من جملة كلام له‌مانصه : وقد اشتقنا للملاقاة اكثر من اشتياق الوالدة لولدها المرضع ولكن الحمد لله قدبلغنا مرتبه فى ملاقاة الارواح ، تغنى عن مـــلاقـــاة الاشباح ؛ ولذلك يسرى المدد من الاشياخ الى المريدين ؛ ولولا ذلك لم يمكن احد ان‌يربى احدا ولم يعرف ذلك الا من ذاقه • وكيف يكون ذلك عندمن‌يجد

---

١) انظر فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد مايتعلق بهذه النسبة الجعفرية

ذاته تتمثل بذات مريديه ؛ او بذات شيخه ؛ وانما ذلك من غلبة الروح علــى الشبح وبذلك تقع المشاهدة النبوية عند جولان فكر اهل ذلـــك المقام يقظة ؛ وذكر الشىء بترك سواه هو الذى يفنى» انتهى الغرض منها

واخبرنى بعض الاخوان انه وقف على رسالة للشيخ رضى الله عنه‌بخط يده الكريمة ؛ فيها من جملة كلام له مانصه : ولاتهملوا ارشاد عباد الله‌الى الله ؛ فذلك الذى وصيناك عليه (لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لـــك‌مما طلعت عليه الشمس من حمر النعم) فلاخير اكثر من ذلك ؛ (ومن احسن قولا ممن دعاالى‌الله)؟ الى ان‌قال: وسلم منا على جميع الاحباب اينماكانوا (فهاهمتنا) معهم‌اينماكانوا والاحوال كلها بخير

واخبرنى بعض افاضل الاخوان ؛ من المتجردين ان بعض من ينتسب لطريقة الشيخ رضى الله‌عنه ممن تلقن منه ؛لقى فى بعض الامصار بعض الامراء ممن كان بينه وبينه‌صداقة ومع الامير المذكور بعض من جاء من قبل السلطان‌رسولا اليه يدعوه الى‌حضرته ؛ فذهب الفقير المذكور معهم صحبة الامير المذكور ؛ فلمـــا دخلوا اغلقت عليهم الابواب ؛ وظهر للفقير انهم اريد بهـــم الحبس والنـــكـــال فاستغاث بشيخنا رضى الله عنه ؛ قال فجاءنى الشيخ بنفسه رضي‌الله‌عنه واخذ بعضدى وقال : مالكم وللدخول فيما لايناسبكم او مايقرب مـــن‌هـــذا ، ودفعه الى خارج الابواب ؛ والحرس على الابواب كالعادة فى مثل ذلك ونجاه‌الله‌تعالى قال‌المخبر بهذه الحكاية؛ قدحضرت الشيخ رضي الله عنه يوما وقدفرق‌المتجردين رضى الله عنهم لجمع الناس الى موسمه على العادة ؛ وكان فى الـــوقـــت خـــوف وفتنة ؛ فقال‌لهم ما حاصله : لايخطر‌ببال فقيرنا خوف اللصوص ولا السبـــاع ولا الحيات ولا العقارب يشير الى انه لاينبغى ان‌يظن توحده عن شيخه لانه معه بسره وهمته دائما نحو ما تقدم عنه رضى الله عنه

واخبرنى الفقير‌المذكور ان‌رجلا كان من‌رؤساء قبيلته قال له : انه ورد علينا الشيخ مع الفقراء ؛ ولم يكن فى الموضع من يهتبل بهم فطلبوا علف‌دابته فلم يجدوه فاتيتهم بمخلاة مملوءة شعيرا ففرح الشيخ رضى الله‌عنه بذلك، قال ومضت مدة عن ذلك ؛ ثم لحقنى مرض لزمت منه الفراش ولحقتنى منه شدة فظهر‌لى الشيخ وقد خرج الى‌من جدار البيت الذى انافيه وبيده المخلاة‌التى ملاتها له بالعلف ؛ قال فرفعنى من ضجعتى ؛ واسندنى الى الحائط وجعل بينى وبين الجدار تلك‌المخلاة وهى مملوءة شعيرا ؛ ثم دخل فى الجدار فى الموضع الذى‌منه خرج ؛ وجاءنى بحمد الله الشفاء فى الحال

واخبرنى بعض الاخوان من الفقراء ان بعض رؤساء قبيلته لقنه الشيخ رضى الله عنه الذكر ؛ فنهاه عن مخالطة رؤساء القبـــيلة وامره بالاجتناب والانكفاف‌عما هو شانه قبل الانتساب الى الشيخ وبعدما فارقه جاءه فى بعض

الايام رسول الرؤساء المذكورين يستدعونه الى مجمعهم كالعادة فجاء اليهم ؛ فلما كان في الطريق احس ببطنه تحرك عليه كانه يريد الاستفراغ ؛ فذهب الى محل قضاء الحاجة فلم يمكن له الاستفراغ فذهب اليهم فلما جلس اليهم لحقه مرض البطن ؛ فقام عنهم الى داره وبقي كذلك الى مضى سبعة ايام وهوبحال المرض المذكور محصور عن قضاء حاجة الانسان وفي اليوم السابع بقرب الزوال أخذته غفوة من المنام ؛ فرأى الشيخ رضي الله عنه قد خرج من بعض بيوت دار الرجل المذكور ؛ وجاء اليه ومسح بيده الكريمة على بدنه فانتبه ؛ ونظر فى جوانب البيت الذي هو فيه كانه بحال فزع فسألته زوجته مابالك فحصل له الشفاء في الحين ؛ وقام من فوره وذهب الى الكنيف لقضاء الحاجة

انتهى مانقلته (مع بعض اختصار) من خط الاستاذ، سقته كتتمة لماهو في القصيدة النونية؛ ولمعرفة ناحية اخرى عن الشيخ مما يتداوله عنه اصحابه ونتنكب نحن الاكثار منه • لان ذلك ينافي بعضه سنن الكون التى لايومن الابها عند غالب اهل هذا العصر • وان كان المومن يوقن بان الله قادر على كل شيء مما يخرق عادة تلك السنن

ومن امداح ابن مسعود فى الشيخ قوله :

بالر بها لمرابع الزهراء ... تلق المنى بالقاعة الوعساء
واجل بمسرحها الفسيح الطرف واه ... ـرح ناعما بتواصل السراء
الغانى كلفا بغزلان النقى ... او وصل كل خريدة غيداء
حسبى هوى فئة تظن وجوههم ... زهر النجوم تضيء فى الظلماء
نور السرائر فى الاسرة لائح ... متبلجا فيهم لفرط صفاء
جل مرايا القوم صيقل حكمة ... وهداية من عارف الغبراء
الشيخ قطب العصر سيدنا ابى الـ ... ـحسن بن احمد فارس الهيجاء
ياكعبة ياوى لساحة برها ... اهل القلوب وجلة العظماء
ياروضة من جنة بل حضرة ... تنسي نعيم الخلد بالالاء
يانجعة المرتاد يانور البلا ... د وملجأ الملهوف في الحوباء
طال التقاعد والتكاسل بالفتى ... فسعى لبابك سيد الكرماء
قصدى من الكرم العريض اغاثة ... بتخلص من كربة اللاواء
برحيل هذا القلب عن كدر العوا ... ئد والحظوظ وغفلة القرناء
وتعلق بالله فى الاحوال والـ ... ـجمع المزيل لمعضل الادواء
انت الملاذ ومن يلوذ بك احتمى ... فى دهره من فادح الاسواء
انت المعز لمن هواه هوى به ... لهضيمة الارجاس والارجاء
انت الطبيب لكل من جنحت به ... نفس تبوء به الى الرمضاء
انت الممد بنظرة يرقى بها ... قلب الحضيض لهمة قعساء
انت المنفس كربة المكروب يلـ ... ـهب قلبه بشماتة الاعداء
انت المسود والمتوج تاج اهـ ... ـل الله باب مصادر الاشياء

انت الخليفة عن رسول الله ما ... تهواه ينفذ دون ما ابطاء
انا غرس نعمة سادتى فليدركوا ... بالسقي حفظ صنيعة وذماء
حاشاكم ياسادتي ونداكم ... يزرى بفيض البحر والانواء
حاشاكم حاشاكم ان يحرم الـ ... ـمضطر من منن لكم بيضاء
والجاه اعظم والعوارف جمة ... والعبد عبدك رافع الحوجاء
لولاكم ما كان يطمع في الندا ... عود تموه قواضل الآلاء
او لم تفيضوا من جدا نفحاتكم ... ما الحق العرجاء بالوجناء
حييت بنورك شرعة التوحيد وانـ ... ـتسخ الظلام بغرة وضياء
واقمت سوق العشق بعد كسادها ... فغدا بتاجرها رباح زكاء
وعمرتها حللا يفوح بها من الـ ... ـاحسان والعرفان ريح كباء
ويح الجهول اما كفاه تبحر الـ ... ـسامي يصحبكم كما الحكماء
وتهذب الجلف الغليظ كما استحا ... ل الخمر ملتبسا بحسن بهاء
هاذى عجالة راكض ناداه دا ... عي الحب للتغريد والانشاء
واليكها شيخ المشايخ ترتدى ... حلل الحياء تميس كالحسناء
بنت السبيل على كلال قريحة ... مقروحة تبغي جزيل حباء
فان ازدهت مماحوت من نشر طيـ ... ـب سنائها بصفاتك العلياء
فمن اطباه جمال بركسم فلا ... عجبا ولا تكليف بعد فناء
لازال جودك وابلا ينهل للـ ... ـعافين بالالطاف والنعماء

وحين اطلع على القصيدة شيخنا الاديب سيدى محمد بن الطاهر الافرانى قال فى تقريظها :

لاحت فاعشت اعين البصراء ... شمس الذكا باشعة وسناء
اخفت نجوم قرائح لما بدت ... والزهر يمحق نورها بذكاء
وسرت روائحها معطرة فما ... نفح الزهور مطيرة وكباء
وهمت بودق بلاغة وفصاحة ... ازرى بما يهمي من الانداء
وتبلجت بلوائح الاسرار مثـ ... ـل تبلج الانوار فى الظلماء
وزهت بطلعتها على خود ثنت ... اعطافها بالعجب والخيلاء
سرت قلوب العارفين لانها ... حاكت مديح معطر الانباء
مدح الكريم الشيخ سيدنا ابي الـ ... ـحسن ابن احمد قدوة العلماء
شيخ الهدى بحر الجدا من فضله ... اغنى عن الانشاد والانشاء
العارف الجم المحاسن من له ... صيت سرى بشواسع الارجاء
وابانها الشيخ الذى دانت له ... شمس المكارم دون طول عناء
الثاقب الذهن الرفيع المجد والـ ... ـعالى عن النسرين والجوزاء
ذاك ابن مسعود الامام محمد ... من معدر قد حل بدر سماء
ورث المكارم عن جدود كلهم ... غرر الدهور وكاشفوا الحوباء
بشراك انك نلت ماتبغيه من ... فيض ومن سر ومن نعماء

وحبيت بالانوار والاسرار والـــــ ـــاجلال والاعـظـام والالاء
ايه ابا عبد الاله فقد منحــــ ــــت عوارفا من حضرة غراء
لما نزلت بها ازدهت وترحبت بـك ياحليف سيادة وعـلاء
فاهنا بما اوليت من مولاك من فضل عظيم جل عن احصاء

وله فيه ايضا :

قفا بالمطى فى اراكة نعمان وعوجا بها وهنا لمكنس غزلان
واما بها صوب الحبيب مرابعـا سقتها غوادى المزن من سح هتان
بها نشر النسيم من كل نفحة يغار لها نضير زهر وريحان
منازل من اهوى منازل للصفا نسيت بها فردوس حور وولـدان
اذا ماصبا نجد سرت نسماتها تملى بها لبى وروحى وجثمانى
وان غرد القمرى فى غصن ايكة اثار بلابلى بتـغريد الحان
اكاتم شان الوجد ثم يبثـه من الدمع غرب ذوسكوب وتهتان
وروى احاديث الهوى وعيله فتهتاج لوعتى بجيران غسان
وانى لاستحلى اذكارهم ومـا ازيد به الاصبابـة هيـمان
ولو ان ما الاضلاع منى تكنه برضوى لذاب من حرارة اشجان
وما شاقنى وصل الغوانى ولاهمت دموع محاجرى لفـرقة خـلان
تجمعت الاهواء فى حب من غدت محاسنه فى العصر زينة اكوان
وذاك امام الدين من شهدت له معالى الهوى ان ماله فيه من ثان
ابو الحسن ابن احمد الغوث من بد ت فضائله كالشمس فى سطع برهان
ابان دقائق الحقائق فاهتدت اليها النهى من حسن لفظ وتبيان
وجلى بما حلى به كل مسمع من الدر ما انسى جواهر تيجان
افاد وهذب القلوب فاصبحت كزهر النجوم زانها حسن ايقان
مجالسه رياض جنـة ازلفت تدار بها مدام حب وعرفان
وينقع من انهارها كـل غلة بها سلسبيل لاحميم ولا ءان
وفيها شفاء كل قلـب مكدر ضليل عن الخيرات فى الارض حيران
نتيجة خلوة مع الله جليت طرائفها لكل غرثان صديـان
فما شئت من معنى لطيف وحكمة منضدة تزهو على عقد مرجان
ومن مدد يسرى بنور محبة كما سرت الصهباء فى عقل نشوان
ويرقى به من سفل فرق مشتت لاوج فناء الجمع منزل احسان
ومن كلمات يفلق الصم وعظها ينيب بها لله كم من فتى جان
فيصبح من بعد الغواية واضح الـ ـــزهادة موسوما ببهجة ايمان
على قدم التجريد للحق سالكا بعزم وصدق فى تبتل رهبان
وعلم وايثار بمـال ومـهـجة وحزم وجد عن بصيرة يقظان
على سنن العلم القويم لحجة بها سلك الهداة من كل ربانى

اناس من التوحيد صيغت نفوسهم فزرهم تر التوحيد فى شخص انسان
هم الانجم الزهر السواطع للعلا اما فى انبلاج الصبح احسن عنوان؟
هم القادة الاخيار شم جحاجح هم السادة الابرار من غير اعيان
لهم فى السهول والنجود مواطن عطرن بذكر الله من بعد انتان
هم القوم لايشقى جليسهم ومن فيوضهم يحظى بما فوق حسبان
هنـاك الهلال مـوذن بتمامه وللشبل شبه من غضنفر خفان
اشمس الهدى بدر الفتوة مقتدى الـ ـــساماجد يافرد الندى طود اقران
خلفت الامام الشاذلى بهديـه كما خلف الصديق مفخر عدنان
واحييت من رسم الطريقة ما عفـا وشيدتها صرحا باوثق اركان
وشرفت من تلك البقاع معاقلا غدت كعبة للفضل من بين اوطان
طلعـت بها سعد السعود وزهره وهل شرف الاوطان الا بقطان ؟
ليهنا بلاد الغرب انك ناشىء بها فلها فخار فضل ورجحان
تطفلت بالقريض ابغى امتداحكـم وهل برمال عالج طوق حسبان
ولو مدلى فى الباع سيرت نحوكم على نفس النسيم امداح حسان
ولكنها الاقدار تعـدل بالفتى عن القصد والمجدود من ليس بالوانى
«اهم بامر الحزم لو استطيعه وقد حيل بين العير والفرض الدانى»
بقيت لاهل الدين روحا تمدهم بنور من السر المويد صمدانى
وازكى سلام طيب النشر فائـــح عليك به ينهل وابل رضوان

وله فيه ايضا :

ياسيدا مـن نـوره الوضاح بسمت مطلعـه مـن الافراح
زانت بك الايام غرة اهـتدت بجبينهـا الاعـــلام كالاصبـاح
الف التحايا من الهك يغتدى ويروح تحمـلـه صبا الارواح
تسقى نديم الروح فى نادى الندى صرفا بلا مزج رحيق الراح
تزداد منه مـعـارفا ولطائفـا ومـواهبا مـن ربـك الفتاح
ماذا يعد الشعر من شرف ومن مجد خصصت به من المداح
هبنى بسطت القول اوصغت النـ ـــجوم قلائدا لنـفـائس الامداح
من لى بعشر العشر من اوصافك الـ ـــغر التى استغنت عن الايضاح
فاعذر ضعيفا مفحما قصرت به فيما يـروم بضاعـة الافصاح
ضاقت به سبل الكلام وضاق وقـ ـــت الكتب من عجل عن استفتاح
لازلت شمس الدين صيب رحـمة تحيى بـه الارواح كالاشباح

وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ:

اسادتنا صحب الامام الرضا القطب ابى الحسن الالفى ياسلوة القلب
سلام عليكم من محبين ان نات بهم دارهم فالجمع فى وحدة الحب

ويلهون الهم لـفـرط لشوق ... الكم كما الظمان للبارد العذب
فمنوا تفضلا عليهم بـزورة ... تزيد بها صبابة الهائم الصب
بقيتم نجوما للهدى بسنالكم ... تزاح غشاوة الخطوب عـن اللب

وله فيه ايضا :

ليهنكم يا «ال الغ مفاخـــر ... فخرتم بها من بين غرب الى شرق
سموتم بدورا بل شموسابنوركم ... تفتق زهر الفضل من بعد مارتق
فابقاكم للعلم والفضل والهدى ... اله حباكم فى العلا قصب السبق

وله فيه ايضا :

نسمات الرضا وروح سـلام ... تهتدى دائـمـا لمفخر الـغ
شيخنا الاوحد الهمام امام الـ ... ـعصر قماع كل غي وزيغ
شاذلى الزمان روح الـكـمالا ... ت ومحيى الهدى وطارد نزغ

وله فيه ايضا :

سقى الله الحمى من تحت حصن ... غزير الوبل من هطال مزن
هناك من الاماجد كل ندب ... وركن فى النوائب اى ركن
هناك احـبـة يسلو فـؤادى ... بذكرهم فـيـجلى الكرب عنـى
وهم روحى وريحانـى وانسى ... وجنة بهجتى وجــلاء حزنـى
فلا برحت مرابـعـهـم رياضا ... بساحتها ثمار الوصل نجنى

وله فيه ايضا :

تلك شمس القلوب بانت فتاهو ... ام سبى اللب سمع قول الفتى«هو»
علائى فالاسم عين المسمى ... بحديث من طاح عـنـه سواه
وتلاشى بـنـوره كـل شىء ... صار عينى اذا انــا ايــاه
ياعريبا هـم الكرام اصيخوا ... لعبيد يـهـدى اليـكم ثناه
بلسان عن حضرة القدس ينثى ... منكـم والـيـكم منـتـهاه
ارحموا العبد منة واقبلـوه ... فهو ضيف لكم وفكوا عناه
ياعلى بن احمد من به قـد ... طاب سوس وذكـره وسناه
وتـعـطر غربـنـا بشـذاه ... وبـانـواره استـنـار دجاه
ياماما قوت القلوب واحيـــ ... ـــاء المعارف من مفاض نداه
له در السعيد شيخكم قـد ... طب فرعا وطاب اصل جناه
عارف الـر عـارف وشموس ... نـخبة الشاذلى طـاب ثـراه
ان فى القول لاتساعا ولكن ... لات حين استقصائنا ادناه
فـعلـيـكـم تـحـيـة وسلام ... يعبق الكون دائما من شذاه

وله فيه ايضا :

اقول لمن قد شفه الوجد ماتبغى ... من الروح والعرفان ويحكفى الغ
انخها بئال احـمـد فعليهم ... بانواره غين الضلالة فى دمـغ
فلذ بحماه واحتفظ بجنابه ... لتحفظ من كيـدالشياطين والنزغ
محلى مهذب الخلائق بالتقـى ... تروق كماالنضار بالسبك والصوغ
وتصبح فى روض المعارف نائـرا ... فؤادك مصبوغ من الحب بالصبغ

فاجابه الشيخ بقوله :

ايا طالبا سر المعارف فى الغ ... ففين السوى عن عين قلبكم الـغ
وداوم على ذكر الاله تـر الـذى ... تقر به العينان من كل ما تبغى
وجاهد وراقب ثم شاهد جماله ... يلوح على الاشياء طرا بلا زيـغ

وله فيه ايضا :

ياسيدا اطلعت بالسوس طلعتـه ... فاهتز من طرب بـل ازدهى تيها
حيتك عنى صبا نسيمها ارج ... تحيي به نفس هم كاد يفنيها
يستوهب العبد ان يرعاه خاطركم ... كيما ينال لدى مولاه تنويها

ولـه ايضا يخاطب اصحاب الشيخ من المتجردين :

ياسادتى الغر العظام الشان ... السالكين محجة الـعـرفان
اصحاب عارف عصرناالالغىابى الـ ... ـحسن ابن احمد نخبة الاعيان
هبت على اشباحـكـم وقلوبـكـم ... ارواح نفح تحية الـرضوان
منوا بدعوة صادق متوجـه ... متطارح فـى عتبة الحـنـان
للعبد بالتوب الصحيح مع المفا ... ز من المهالك وامتطا الاحسان
فالـعبـد محسوب على ابوابكـم ... عار عليكم ضيعة الـجيـران

وله فيه ايضا :

حى ربع الرباب من تحت حصن ... منجدا زائـرا لا وثـق حصن
وبوادى العقيق فـيـه فعرج ... بالمطايا واعمد الى خير ركن
واقرا عنى تحية مـن مشوق ... قاده لهواهـم كـل حسن
وتمل مـن الجمال ونـب عـن ... نازح فى استلامك المازمين
عاقه ان يزورهم سوء حظ ... وعسى ان يعود وصل لبين

وله فيه ايضا :

ان فاتك القطب ذاك الشاذلى فلذ ... بذا خليفته الالغى ابى الحسن
ففز من الله بالرضوان واقتعدن ... لذروة العز نائيا من المحن

وله فيه ايضا :

ذق مـن كؤوس ودادهم فتصافي   وترى الهوى وسط المنى متــلافا
كيف الحياة بلا شعور القلب من   روح الهداية للذى قد سافا ؟
فاجعلك من اتباعهم ان شئت ان   يحيا فؤادك تنتعش وتلافـي
ان الطريقة قد تبلج بدرها   فى الغ تكشف فى القلوب سجافا
من لم يرد من عند منبعها فلا   يزلن طول حياته مهيافا
مذ ذقت من رشفاتهم انسيت من   بـيـن الآوان قـراحـهـا وسلافا
قد تيمونى من جمالهم فـلا   كف تعير لغيرهـم اطرافـا
فهم فؤادى واللسان وكل ما   عندى وما اعتـده اطـرافـا
فهم جمال الكون اجمع لايرى   من لايراهم غير ما قد عافا
ليس النجاة بكف غيرهم وان   نال العلوم وعاشر الاشرافـــا
فهم الدواء لغيرهم حتى غدوا   الصاد ثــم الدال ثـم القافا
لاسيما مثل الامام القطب سيــــ   ـدنا ابى الحسن الذى قد صافى
فاليه كل محامدى جمعاء فيــــ   ـــها منية القلب الذى قـد زافا
وببابه القى الرحال لعلــنــى   القى القبول لديه والالطافــا
وانا على لسن القريض اريغ ان   لايغتدى قولى لـديـه غـرافا
فانا له حسان مدح دائــم   متطلب من فضله اتـحـافــا
فليعلم الثقلان انى عبد اهــــ   ــل الله من قد مولوا من سافا
اصحاب قطب الكون من فى الغقد   رفع اللواء وارشد الاطرافــا
فيه القريض اذا اقول يلذ لى   فاشى اذا ما حكته افوافا
لايحسب الشعراء انى مـثـلـهـم   القى كلامى فى المديح جزافا
فالله يعلم والملائكـة الكـرا   م ومن هم قد البسوا الانصافا
وجميع من قد ابصروا ماكان فى   الغ الهدى وعلى سناه اشافا
انى كمن يثنى على الدأماء فى   امواجها ان تغمر الاسيافــا
وكمن يطيل المدح فى غيم همى   بالغيث حتى افعم الاكنـافـا
وكمن يشيد بنور شمس الحفت   بضيائها من كونها الاعطـافـا
هل فى البحار وفى الغيوث وفى الشمو   س سوى القصور لمن غداوصافا؟
انى يحيط بمائها الثجاج والـــــ   ـــوهاج مـن انوارها اوصافا ؟
فاذا يكون المدح حقا صادقا   فيمن شاى الاخـــلاف والاسلافــا
مثل الامام امام هذا الجيل من   فتح القلوب وزحزح الاصدافا
وابان هذا الدين صحوا مشرقا   متلالا بـبـريـقـه خـطـافا
وازاح عن الباب من يلقى ولو   عرضا ولو فى ساعة أسدافا
وارى العيون من الغ نورا ساطعا   نحى الظلام عن النهى فتجافى
فالمدح فيمن كان هذا بعض ما   فيه قصير مجحف اجـحـافا
وان استعار المادحون من الريا   ض شمائلا ومناظرا ولطافـا

او من عزيمة باسل متدرع   يعلو الوغى ويعانق الاسيافا
ماذاك اجمع ما يؤدى ما هنا   لك سوى مخايل تكتسى الباقا
تحكى كما يحكى الصدا من شعبة   صوتا لما يجتـابها مخطافـا
لكن مـا قـد كـان حقا يجتلى   بفؤاد من ورد الحمى مستافا
مازال مكتتما وليس يراه من   لم يغد عند بنى اللوا عرافا
سر من الاسرار يلقيه الالـــــ   ـــه لمن يشاء فيكتسى الالطافا
واذا يمس كلام صاحبه القلو   ب يفتح الاسماع والانـافـا
فينيرها نور الهدى فيكون حـــا   ملها لكل اللغو ممن عـافا
لاسعـد الا ان تكون نظيرهم   ان تبغ من خلاقك الاتحافـا

* * *

يامن به عاد الفؤاد لا منــه   من بعد ان ذاق الجسو وعافا
لك مايفوق حقوق من نجلا وقد   نحيت عن قلب العبيد غلافا
انقذت من سنة تمدى سجفها   زمنا طويلا سمت فيه تلافا
واملت من رسنى الى جهة الهدى   واريتنى كـيـف الهدى اشرافا
فباى شكر يلتقى من كان من   جرف الغوايـة والضلال تـلافـي
من لم يفق لم يدر ما غفلاته   وان ارتقى العلـماء والاشرافا
مـا اغفل المستدمنين هواهم   وان ادعوا وتنكبوا الانصافا
لكنه هيهات ان يستيـقـظوا   مـا لـم يلاقوا واعظا لطافا
يضع الهناء مواضع النقب التى   كانت لـكـل مضرة اهـدافا
مثل الامام اما منا من دابه   وعظ الورى فيعلق الاشنافا
خواض كل تنوقة ركاب كـــــ   ـــل هواجر فى عمره الافا
ماقصده الا انتشال الغافليـــ   ـــن وهزه بعظاته الاكتـافا
كم من جهول غافل فى اهله   جعل الهوى فى جانبيه سلافا
لم يدر كيف الرشد اوكيف الهدى   ضخم الكرادس لايميد ؛ معافى
سبقت سعادته فقيد لـداره   شيخ المشايخ حـامـلا الطافا
فيسيمه رغـمـا دواء شافـيا   والطب يغدو تـارة عـنـافا
من باب تطبيب العياء بجنبه   يبصر طبيب عـيـائـه كتافا
فاذا بذاك الغفل عاد كانـه   ما قط عاشر همدا اجـلافـا
ادر العيون تر الالوف وكلهم   من هـؤلاء تحـولـوا اشرافا
عادوا رؤوس الدين بين هداته   من بعد ان كانوا هم الاظلافا
هذى يد الغيـة تسدى الى   الاقوام تهدى مـنـهـم اصنافا
كل ينزل فى منازله ينـــا   ول من ثمار نظيره اقطافا
هذا يرى الفردوس منـزلـه وذا   ك يرى له من دونه الاعرافا
والكل راض والمقاصد واحـــــد   ما ان ترى فى الممرعات عجافا
فتراهم زمرا اذا ما يرضعو   ن لسر شيخهم الهنى الاخلافا

يتواردون عليه هيما ثم يصــــدر كلهم من جانبيه سلافا
الله اكبر هكذا كنا سمعــــنا عن مشايخ هذبوا الاسلافا
كالشاذلي ونجله المرسي ان صقلا الفؤاد وساوماه ثقافا
لكن يفوقهم الامام الشيخ قطـــب الوقت في اقصاده الاهدافا
بعزيمة فعالة قوالة نهاضة مثل البروق الافا
يلج البيوت على بني الغفلات رغـــما ثم يكشف عنهم الاسجافا
فيريهم نهجا الى خلاقهم لقما قويما لايرى اخلافا
هذي المفاخر لا مفاخر قصعة قد كللت بسديفها اطرافا

* * *

يا ايها الشيخ الذى فخرت به سفن السعادة لاتني اجدافا
دم للطريقة قائدا في رتبة عليا تربي الفرش والصفصافا
وعليك مني يامام تحية ممن حباك الفضل والاتحافا
وارع العبيد القدم من بعد لكي يسقى بكأس محبة فيصافي

لابن مسعود في هذه القصيدة نفس يريد ان يحلق به ؛ لو انه نقح القصيدة وراجع بعض الفاظها ؛ لكن الخطب في ذلك سهل من امثاله الذين يلقون مايلقون على عواهنه وهي من قصائده التى خاطب بها الشيخ بعد رجوعه من السياحة الاخيرة ؛ اعطاها له في المعدر ثم بقيت في مبيضتها الى ان ظفرنا بها؛ وكذلك هذه التي يليها فقد ارسلها الى الشيخ في مرضته التى توفي فيها ؛ وقد سمع بانه ابل من مرضته ؛ وهي :

ليهنا الورى طرا بابلالك السعد فقد عاد منه للعلا البخت والجد
ولاح لها من نور وجهك نورها وزال بها من برئك البؤس والجهد
لقد ضجت الآفاق وانهد من قوى مكارمها ما لايظن له هـد
بشكواك يافرد الوجود وزعزعت حلوم قروم دونها الشامخ الطود
مرضت فامرضت القلوب وحل في سويدائها ماانشق من حمله الصلد
وخلنا قوام الدين قد حان حينه غداة راينا قطبـه هـزة الميـد
فحمدا لمن بالبرء رد حياته فتنبلج البشرى وينكشف النكـد
وعاض الى افراحه كل مشهد من الخير واحلولى لراشفه الشهد
غدوت معافى يا امام فعوفيت مكارم قد اشفت وساومها الفقد
وعاد ابتسام مستطاب مؤشر الى فئة الايمان فالشكر والحمد
ففي اليوم عاد الجو ابيض مشرقا وزال ظلام النحس وانبلج السعد
وعاد القرار بعد طول تسهد الى نظرات طالما مضها السهد
فهذي عيون الناس يغمرها الكرى وقد امنت وارتاح بالراقد المهـد
واصبح في تلك المعالم نافح من الانس طال عن نوافحه العهد
فماشئت من قوت القلوب تجيش من ينابيعه الامداد ما ان لها حد

بها انتعشت من بعد ادوائها وزا نها الحب والتوفيق والشكر والزهد
وما شئت من حب النبي وصحبه وشرعته حبا يضوع بـه الند
وما شئت من روح يروح عن فؤا د صب به اشفى على لحده الوجد
وما شئت من ريحان نور يرف في ملابس بهجات تغار لها هند
وماشئت من معنى شهود يريك في مجال الكمال الحق ما دونه بعد
كذا فلتطب اعمار زهر تأرجت بطيب شذاهم التهائم والنجد
بهم يحتمي من سامه الدهر خسفه فبورك عزا دونه الابلق الفرد
حمى الله لاجوار جار ابى دؤا د لايستبيح جاره الدهر من يعدو
بهم في دجنات النوائب يلــتجي ضعيف على الخذلان اعوزه الايـد
بهم تنجلي الحوباء والخزي والردى بهم تبلغ المنى؛ بهم يقتفي الرشد
لهم همم تفري الطباق وترتقي الى العرش تحت بطشها الملك والجند
هم اسرتي ونصرتــي وبعزهم اصول على دهر به تهضم الاسد
وهم مقنبي وفيلقي ومقاولــي وفخري اذا الناس المفاخر قدعدوا
وهم كرشي وعيبتي وبحبهم غنيت ؛ وكنز النطف يفني له العد
فياعاذلي كن عاذري في تولهي بسر جمال من اشعتهم يبدو
اخالك مختل المزاج وكيــف لا يهيجك نور الحق ما دونه صد
فرد سلسبيلا واغتنم فرصة من الـــزمان ففوت العمر ليس له رد
ولاتغترر بالدهر يوسعك الجدى هنيئا فان السم يودعه الشهد
فما قر قارون على كنزه ولا ابـــن جدعان بل اودى بجفنته الاد
وغال نديم الفرقدين من اغترا ره الرأى لم تلبس له الادرع السرد
فقبحا وشقحا للمفتن تطيبـــــه زهرة فان وجد رقراقه فـقد
وراقب على مدى الزمان الاله واحـــتفظ بالتقى ؛ والعلم ما فوقه مجد
تهاونت بالانفاس وهي نفيسة وفي غفلة عما يراد له العبد
فلا تحقرن في الشر نزرا فداحس بتنفيره يوم الرهان التظى الوقد
وحاذر وان اركبت عزا ممنعا مصارع بغي هزلها في الورى جد
فكم كان من جرا تهور ناطق هلاك امرىء ينماع من بطشه الفهد
فذا عروة الرحال عارضه البرا ض بالفتك دون ان يتم له الوعد
اراد اجازة اللطيمة ذمــة على الشيح والقيصوم فاغتاله الكيد
وماخاله بالخفر يجسر ضلة عليه ؛ ومن يحقر فلا بد ان يعدو
الم باقداع فاوغر صدره عليه وقد يستهون الفاتــك الجلد
ومن يعتصم بلبه لايخاف من مزلة اقوال يضيق بها القصد
وكن نابذا من لم يعنك على الهدى فهم بهرج يبدو اذا سبر النقد
وسر في محجات الصواب منكـبا عن الغي لاتحفل وان عذلـت دعد
فهذا امام لاتكدر بحره الـــدلاء ولم يخب لرائده قصد
يجود على الالباب من نوره كما يذود من الاكدار ما ان له حد

متى حلت الاحزان واشتد عقدها   يحل باذن الله ما ابرم الشد
يثنى ابن سعد جوده وابن مامة   نعم قطرة من سيبه دونها الجود
يشابهه فى الحلم قيس بن عاصم   والاحنف حيث الغيظفى جمرهوقد
هى الشمس مامن دونهاالسحب يهتدى   بها سالك البيداء جد به الجـد
هو المورد العذب الذى لايشوبـه   من الرنق التنغيص؛ ياحبذا الورد
هو الجنة التى متى ما اوى لهاالـ   ـمروع لم يستمه ناب ولآحـد
هو الكعبة التى على كل ضامر   الى غيثها الهطال ينتجع الوفد
يفوت القريض حصر عليا صفاته   ولكنها كالـدر ضمنه العقـد
تطيب به اوقاتنـا ويمدنـا   بتعدادها من طيب انفاسه المد
ومن نعته من نعت مولاه كيف لى   بتوصيفه والعقل يحـجـزه الحـد

* * *

فيأيها الشيخ الـذى بشفائه   تراجعت الآمـال وانتعش المـجد
كأنك روح الكون بل انت روحه   فمنك له المحيا يراوح او يغدو
فما نحن هنأنا الامام وانما   نهنى به الاسلام حق له الحمد
على ان بقيت فى حبور بمتعة   بها بهجة العرفان تم لها العود
فحمد الاله عـن افاضة نعمة   لكم عمرا ينمو به للورى الرفد
وتنبع منه كل عين بمشرق   وغرب بها الوراد يغمرهم ورد
فما انت الا الفرد تقصر دونه   عبارات من امداحه حولكم تشدو
لئن سوغوا فى المدح قول مبالغ   يسيح له من فوق ممدوحه مد
فانت سموت المدح من كل قائل   بليغ فما من جزر تقصيره بد
لعمرى لئن اطرى يزيد بن مزيد   صريع الغوانى واللهى رشحهاالحمد
واغرب بل اربى على كل شاعر   ابو الطيب الجعفى يقتاده الجد
فجاء بنى حمدان من نفثاته   مرصع تاج ليس يصدا والعقد
واسدى لكـافـور ثناء مخلقا   تطيب به فى روضة اللسن الملد
فانت احق بالقصائد ينتقـى   لهاالماس والياقوت والسلكوالنقد
احق لعمرى بالمدائح فوق ما   يحوك ابن اوس حين فصحه الرفد
لئن كسبوا فى مدحهم كل طائل   ففى مدحك الطول الذى ما له حد
فما انت الا الروح والروح علمها   كما هى عند من هو الصمد الفرد
كسوت جميع العصر حلة همة   منمنمة ارقامها العـزم والجد
فكل الالى قد ابصروك تنيلهم   مدارك ذوق خالص ما له نـد
فكم قرية ماتت فاحييتها بما   تفجره فيها مواعـظـك المد
تزلزل فيها الجهل بالعلم والدجا   بنور الهدى والشح يكنسه الزهد
فتنقاد نحو السعد يقتاد هاجدى   يديك ، وتوفيق الاله لها يحدو
كذاك يكون الفخر بالرشد عندمن   يربون يعلوهم مـن العصمة البند
وما عصمة الصوفى الا احتفاظـه   على النفس الغالى فيكنفه السعد

ففى كل قطر كان مشرق سعده   و(الخ) لنا فى عصرنا اشرق السعد

* * *

بقيت لهذا الـدين تحـمى ذماره   بسطوة شهم دونه الاسد الـورد
وازكى سلام يعبق الـكـون عاطرا   به دائما يغار من نشره الورد
على الحضرة الغراء لازال مجدهـا   تظل الندى والعز افنانه الـملـد

ثم كتب ابن مسعود تحتها :

تم تبييضها فى ءاخر يوم من ذى الحجة الحرام عام ١٣٢٨ﻫ عرفنا الله خير الدهور؛ ووقانا جميع الآفات والشرور على يد الضعيف محمد بن مسعود الطالبى كان الله له وليا ءامين

اقول : ان القصيدة اذن بيضها قائلها فى اليوم التالى ليوم وفاة الشيخ التى كانت فى ٢٨ من ذى الحجة المذكور وفى ءاخر اليوم نفسه وصله خبر وفاة الشيخ

وقال فيه ايضا :

سلام كما ازدانت بصوب مرابـع   بها همعت للعاشقين مدامـع
يؤم الامام الاوحد المرتضى الذى   به رونق الهدى لمحياه راجع
اباالحسن ابن احمد الاحمدى الرضا   ومن نوره فى الكون روح وساطع
فلله قطر زانه منك طلـعـة   تضيء بها الدجا كما البدر طالع
ولم لا وسر الله فيك وراثة   عن الزهر من اهل الفضائل ناصع
يخاطبكم عبد ذليل تقاعست   به النفس عن مطلوبه فهو شاسع
يرجى حياة القلب من فيض مالكم   من السر والعرفان فالفضل واسع
فمنوا بنفحة تهـب ولـمـحة   تسر وتغنى من له العمر ضائع
وعذرا من الحقوق فالعبد عاجز   وما لقضاء الـلـه رد ودافـع
بقيتم لاهل الدين روحا وملجأ   وكهفا به نجاة من هو فازع
وازكى سلام طيـب وتحيـة   عليكم كما العبيق فى الجو ضائع

وله فيه ايضا :

وافت لوصل الهائم الحيران   من سفح مربعها الشذى النورانى
فزهت بمسراها البسيطة وازدهت   وترنحت طربا مـن الاظعـان
وتعطرت ارجاؤها بعبير مـا   نشر النسيم بها كنفح البان
وانارت الاحلاك اذ بزغت بها   شمسا يغار لنورها القمـران
فكانها وبها حياة الكون مـو   لانا الامام العارف الصمدانى

الى ءاخرها وقد ادمجها الشاعر فى النونية الاولى المتقدم ذكرها .

والفقيه الاجل سيدي محمد بن علي السويري المنشا ؛ الاكاديري الاصل من اصحاب الشيخ قصائد فيه نرجئها الى ترجمته؛ ففي مطلع قصيدة (فيها ٣٣ بيتا)

قصدت حمى ذي الحباء المديد   كـريـم تسامى بـغـير نديد

ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

لحمى ذوي الفضل الكرام العنصر   ياوي الذي يخشى خطوب الاعصر

ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

امـولاي ياعــلي نداك ضارع   ببابك قد ضاقت عليه المذاهـب

ومطلع اخرى نونية قالها في مجلس حضر فيه الشيخ بالسويرة (فيها ٢٢ بيتا)

احبة خير الخلق امته التي   توالت لها البشرى وقرت به عينا

ومطلع اخرى

الفتى الجنى بالواحد الاحد الصمد   فليس سواه في المهمات يعتمد

ومطلع اخرى

ايا شيخنا الاعلى ايا ملجا الورى   وياغوث اهل الجود والمجد والفخر

والاديب سيدي الحسن بن محمد الركني من اصحاب الشيخ حين وفد عليه اول يوم :

ابو حسن نجم به الساري يهتدي   ولكنه فلك النجاة لمقـتـدي
حوى البر والتوفيق والعلم صدره   وقلبه بالانوار والسر مـرتد
حماه من الدنيا الدنية زهده   ومن كان ذا تقى عن الفاني يزهد
رمتني اليه غـربتـي فقصدته   فيانعم مقصودي وياحسن مقصدي

وكتب اليه ايضا :

الا بلغ الشيخ المربي بورده   حديثي باني مستديم لعهـده
واوصه بالصفح الجميل عن الخطا   وذكري عند ذكره اهل وده

وللعلامة سيدي الحاج عبد الحميد الايلالني نزيل مدرسة سيدي يعقوب وهو من الآخذين عن الشيخ :

الا ابلغ الشيخ الامام ابا الحسن   بالغ تحايا من هداه الى السنن
تحايا شكور شكر ترب اذا همى   عليها الحيا فافتر زهر على الفنن

نصحت امام الدين نصحا جزاك من   يخص ذوي النصح المعمم بالمنن
فاني منظوم بعقد صحابـكـم   لعلي تحت الظل اظفر بالجنن

والفقيه سيدي محمد بن المحفوظ السملالي نزيل افران ممن ينتسبون الى الشيخ سيدي سعيد المعدري ؛ فهو صنو المترجم في الانتماء الى هذا الشيخ هذه القطعة في المترجم ؛ مع هذه الرسالة :

«الاخ في الله الذي اقامه الله في هذا العهد شيخ الطريقة والينبوع الجامع للشريعة والحقيقة والباذل نفسه ونفيسه في هداية العباد ؛ وفي رفع راية النصح والارشاد ؛ سيدي الحاج علي الدرقاوي ؛ فالسلام على الاخ في الله ممن يعرفون قدر ما انتصبتم له احتسابا ومقدار ما تلاقونه من الغوغاء كلما طرقتم بلدا بلدا فبصبركم وحسن نيتكم وجميل قصدكم نصركم الله في هذا الصقع نصرا موزرا على الجهلة المبطلين كما هي عادة الله في نصر المحقين ؛ فاعانكم الله ووفقكم على ما انتم فيه ؛ فاننا نقر بالعجز في هذا الميدان ونرفع عقيرتنا بان ليس لنا في الجري فيه والعمل فيه صباح مساء مثلكم يدان ؛ وهاك ياسيدي ابيـاتـا حضرت لي في جنابكم اقدمها على حياء الى اعتابكم وان لم اكن اهـلا لهذا الشان ولاتريض لي في ميدانه لسان :

أنت خير الشيوخ في الاقران   وفريد للنصح فـي الازمـان
كل يوم تظل فيه فتـغـدو   ثم تمسي تقتاد مـن عميـان
فجميع القرى درت منك جدا   واجتهادا تهدى بنـي البلدان
كم جهول علمته الدين فالتا   ح اماما والـغير كالبعـران
صدقت فيك قولة الشيخ اذ قـا   ل مقالا قد مر فـي الآذان
سوف يغدو للناس في ضوئه جه   ـرا كما ضاء فيهم القمران
رضي الله عنك ياسيدي فالـ   ـشعر ما ان يصوغ منه لساني
وسلاما من ابن محفوظ يغشا   ك من الله سابـغ الرضوان

والمقصود بالشيخ في البيت الخامس هو سيدي سعيد المعدري رضي الله عنه اقول انني هنا لا اتحيز فاننا نكتب للتاريخ لا للادباء اصحاب الاذواق وجدهم فليسا محوني في سوقنا لامثال هذه الابيات ؛ وما اكثر امثالها في الكتاب .

وللشريف الركانبي الفقيه العدل محمد الوالي بن البهالي نزيل مراكش ممن اخذوا عن الشيخ قصيدة فيه مطلعها :

ابدر بكل الافق لاحت شمائله   وعم سناه العالمين ونائلـه

ويوجد ماوقفنا عليه منها في ترجمة المذكور فيما سياتي ان شاء الله فـي القسم الرابع

وللعلامة سيدي محمد بن عبد الله الالغي مؤسس المدرسة يخاطب المترجم وقد ورد الى الغ من بعض سياحاته قطعة مطلعها :

سلام كما المسك والعنبر   على من من ادران وصف برى
وتوجد كلها في غير هذا المكان

وله اليه ايضا يستدعيه :

ابا حسن مني سلام عليكم   على رحمة تترى لدار سلام
وبعد ففي دار العبيد جماعة   من اخوان صدق طاهرين كرام
وانك سر الجمع فاحضر اذا تشا   فاتيانكم والله قصد نظامي
وان نالك الاعياء او عن عارض   فانت برىء من عتاب ملامي
وثم عليك حيثما كنت دائما   سلام ببدء امركم وختام

وكتب اليه العلامة سيدى على بن عبد الله صنو المتقدم يستدعيه ايضا :

ابا حسن انهي لحضرتك التي   زهت بشذى العرفان ازهى سلام
تشيعه مني الصبابة فائحا   فيزرى بزهر الروض فوق كمام
وبعد فاعلام المحب بحبه   اتى مسندا الى شفيع انام
وعندي لكم في الحب اوفر منصب   ينادي الا زوروا وذاك مرامي
ولما عرتني وحشة من فراقكم   بعثت نيابة كتاب نظامي
اجب دعوة المشتاق لازلت داعيا   الى كل ما يفضي لدار سلام

وفي يوم من الايام كان الشيخ استدعى العلامة المذكور بقوله :

ابا حسن زرنا على عجل ومن   تحب من الاخوان طرا بلا فرق
اجب دعوة المحب من كان قلبه   لابحر شوقكم مدى الدهر في غرق

فاجابه بقوله :

اجيب بجثماني وقلبي لديكم   رهين فما احلى اجتماعا على فرق
فلازلت بحر الجمع والفرق من يخضـ   ـه يحظ بنيل الدر منه بلا غرق
وانهي الى علياء قدرك انني   اطير اذا ما كنت في الغرب من شرق
ومن لي بان ابقى اذا ما دعوتني   وقلبي الى لقياك في شدة الحرق

وكتب هذا العلامة الى الشيخ ايضا يستدعيه يوم عيد :

ابا حسن تمم مسرة عيدنا   باقدامكم فالعيد وجه وديدنا
فعيد ولم تحضره مازال ناقصا   فحق علينا جبر نقص لعيدنا

سلام على النسيب الحبيب والداعي المجيب والواعظ النجيب والنطاسي الطبيب الصهر الكريم والاخ المنيع الحريم سيدى علي بن احمد وبعد فسل خاطرك عن مراد هذا القرطاس وامتثله قبل تكدر الخاطر بالاياس ازاح الله عنك كل باس

فاجابه الشيخ بقوله :

وفيت بما نهوى جزيت جزاء من   يرى في الوصال للاحبة قربته
وليس يجازى مثل هذا اذا ثوى   لدى ربه الا بمثواه جنته

واستدعى الشيخ ايضا المذكور مع وفد من العلماء الافرانيين بهذا البيت :

ابا حسن هذا غداء جميعكم   لدينا فجيئونا لدى ساعة الضحى

فاجابه :

عليك سلام ياكريم معنبر   يتوج منك الذكر ما دمت تذكر
فلبيك من اخوان صدق تراهم   كبستان زهر الورد حيث ينور
الا فانتظرنا حينما يمتع الضحى   لان بهذا الجمع من لايبكر

وذيل عليها بعض العلماء ولعله شيخنا سيدى الطاهر وان لم يكن من نفسه واحسب انه لم يحضر في هذا الوفد والالكان هو المجيب :

على اننا لانبتغي غير نظرة   تكون بها الاذيال منا تجرر
فلولاكم حددتم الوقت لانتحى   لحضرتكم ياشيخنا من يبكر

وللعلامة على بن عبد الله المذكور قطعة في زاوية الشيخ الالغية يوم اسست في شوال عام ١٣٠٢ ه مطلعها :

بيت اتيح الخير من وجهاته   فاتيح ما ينكا الحسود القالي

وقد تقدمت حين ذكر تاسيس الزاوية في اواسط هذه الترجمة

ولشيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافراني يخاطب الشيخ مهنئا بولده سيدى محمد ما مطلعه :

اتى نبأ دال به دولة الانس   واضحت به العلياء طيبة النفس

وتوجد كلها في ترجمة سيدى محمد المذكور في (الفصل الثاني) من هذا القسم نفسه

وله ايضا ترحيبا بالشيخ ورفيقه سيدى على بن عبد الله ؛ وسيدى بلقاسم التاجارمونتي وقد وفدوا عليه الى افران :

هنيئا لقلبي والهناء على مثلي   يحق وقد جادت موالي بالوصل
راى الدهر ذلي واشتعال صبابتي   فرق واولى الفضل منه على بخل
فانشدت قول ابن الحسين وانني   لاولى به والشكل يذكر بالشكل
(وليس الذى يطلب الوبل رائدا   كمن جاءه في داره رائد الوبل)

ووفد مرة الوفد الافرانى الى الغ • وفيه العلامة سيدى الطاهر بن محمدوالاديب سيدى البشير الناصرى ، فصادفا الفقيه سيدى محمد بن الطيب الانزاضي فرحب بهم الالغيون على عادتهم بالقصائد ، يقول كل اديب من الالغيين فيجيبه احد الافرانيين ، والغالب ان يكون سيدى الطاهر

فقال الشيخ المترجم فى الترحيب بالوفد مسايرا وان لم يكن فى مسلاخ الادباء

بشير وطاهر ونجل لطيب   ثلاثة اقمــار ببيض طوالــع
فضاءت ونارت ارضنا بطلوعهم   فابدت نهارها البدور السواطع
وان شيئت قلت فارة المسك فتقت   فطابت وفاحت النواحي الشواسع

فاجابه سيدى الطاهر بن محمد :

انفح نسيم الروض والروض ناضع   ام انشق معروف من الفجر ساطع
ام ابتسمت هذى الثلاث كـانهـا   (ثلاثة اقمار ببـيض طوالـع)
بل انها من بحر شيخ تلاطمت   معارفه او عـلـمه المتتـابع
امام اضاءت من سنا نور سره   قلوب غدت من قبل وهى بلاقع
وعطرت الارجاء من نفح طيبه   فطابت وفاحت النواحي الشواسع
هو البدر اشراقا هو البحر نائـلا   هو السيف تاثيرا! فهل من ينازع؟
امام الهدى الشيخ ابن احمد من علا   على البدر مقدارا فاقصر طامع
فلازالت العلياء تـزهو بنوره   ويجرى كما يبغى القضا ويطاوع

كان الشيخ المترجم بنى ثويا (١) زاهي السقف • تلونت فيه الالوان • مما يعد كالبديع بين القصور اذا قويس ببيوت الاضياف التى يعتنى بتبييضها وتلوين خشب سقوفها عند اثرياء الغ • فقد وقف سيدى سعيد التنانى على ساج السقوف فى السويرة حتى تم تلوينه وتزويقه على يد امهر النجارين المزوقين ثم حمل مفرقا الواحا على البهائم الى الغ • حيث وضعه صانع ماهر فى سماء الثوى بعد ماسقف مافوقه بجوائز عادية ؛ وقد ذيل مستدار مافى السقف الى ما تحته من الجدار بذلك الساج على الجهات الاربع ؛ ليستتم البصر بهجته ثم فرش الثوى وهـو فسيح بفـرش حضرية من الزرابى المزركشة والمسانـد وبعض الحشيات وراءها حائطى رفيع • وفى ربع من ارباع المكان صف مـن الساعات الكبرى ذوات القامات نحو ثمانية تدق كلها على راس كل ساعة وهذا كله غير معروف فى الغ فكان اضياف الشيخ يستاثرون بالجلوس هناك وحدهم فوجد بعض المبتدئين من شباب الغ مسرحا جديدا لقرائحهم ؛ فقد رايت من ذلك قطعا لايستحق ان يعتنى بها ؛ فاخترت ماياتى وقد كان الالغيون يسمون ذلك الثوى (الكايزة) وغيرهم القبة • قال العلامة سيدى الطاهر بن محمد الافرانى •

(١) الثوى كغنى : البيت المعد للاضياف

اياتاج هام الفضل ياملجـا العاني   ويا واحد العلياء من دون ماثان
بنيت لاهل الله دارا ترفعت   بما ضمنت من كل حسن واحسان
تجلت عروسا للعيون فاصـبحـت   وقد سفرت تزهو بحلية اتقان
سماء كما حـل النسيم اذا سرى   على روضة اكمام ورد وريحان
فمن ناصع في ناضر حول احمـر   كما لاح نجم الافق في الشفق القاني
محاسن تعشو العين منها كانما   تبدت به شهب المطالع للرائي
لقد علقت فيها (مواكين) لم تزل   ترن بما يزرى برنات الحان
تذكر وقت الدين في كل ساعـة   بتنبيه ساه او بايقاظ وسنان
مكان رسا بالدين والعلم والتقى   فاربت معاليه على كل بنيان
لك الله من بيت رفيع بما حوى   من المفخم الباقى الى الزخرف الفاني
يذكرنا جنات عدن ومـا اعــ   ــد رب الورى فيها لابرار عبدان

ومن ذلك ماقاله ايضا بعضهم واخاله ابن مسعود او لاحد الازاغاريين

هذه (كيزة) الضيوف الرشيقـة   بـزراب منوعـات انيـقـة
فوفت بالالوان حتى تـراهـا   كزهور تنوعت فـى حديقـة
تتراءى الوانها فـى خطـوط   وتعاريج ضخـمـة ورقيقـة
تلك بيضاء حشو حمراء تبدو   راى عين كدرة فـى عقيقة
افقها زهرة وفي ارضها فاعـ   ـجب لها زهرة الرياض الفتيقه
واذا مـا نظرت جنبيـك ابصر   ت بعينيك باهرا عن حقيقة
(مـاكنات) بطـولها قائـمـات   معجبات قامـاتها ممشوقـة
تذكر الله في كل وقت اذا دقـ   ـت برناتـهـا لكـل دقيقة
بهجة فلة تشوق الى الجنـ   ـة نفسا بربـهـا صديقـة
كل من زارها يرى نفسه تهـ   ـتاج نحو الفردوس اى مشوقة
رضي الله عن امام البرايـا   من بناها لعلية دون سوقة
من ابان الدين الحنيف به في الـ   ـغ نهج الهدى وانفق سوقـه
خير شيخ قد فاق بالجد فاعجب   لكسول محاول ان يـفـوقـه
كـان للـه مخلصا فـحـباه   من سناه صبوحه وغـبـوقـه
جيهل ايها الـفـلماء لشـيـخ   مصدر عن شريـعـة وحقيقة
فهو غوث فى العصر هذا وبدر   يدرك الزائرون الـغ شروقه
فاتـه يامريد تـجـن قطـوفا   دانيات الجنى بخير طريـقـة

ومن ذلك قطعة للفقيه سيدى موسى بن الطيب يقول فيها :

الا نزه العينين فى خير ماقبة   لخير امام حائز خير ما رتبة
ففي سقفها او ارضها وجه روضة   ازاهيرها شتى واكوابها عذبة
تشوق من يعنو امام الهـه   لجنته تـرضى عبادتـه ربـه

فمن مثل هذا الشيخ جمع حولـه   من الدين للدنيا ففي بهما نحبـه

ومن ذلك قطعة الامام سيدى محمد بن مسعود ، وهى اكثر من هذا ،ولكن لم استحضر الا ما يأتي :

لله سيدنا الشيخ الامام وما   ابداه في الحسن مما يخلب البصرا
بنى بناء لمن لايبصرون سوى   مايبصرون كأن لم يرزقوا الفكرا
للعارفين شهود في مقاصدهم   ويستوى عندهم ما سر اوجهرا
للجهر والسر اسرار وعندهم   في السر معنى جلي عند من بصرا

ومن ذلك قطعة للاديب الشاب المغتبط سيدى الطاهر بن المدنى الناصرى وهو اذذاك في المدرسة الالغية :

الى بيت اهل الجود والفضل والرشد   أميلوا عنان المدح والشكر والحمد
فبيت الضيوف عندهم خير مبتنى   يعيد به الصباغ سقفا كما يبدى
ترى العين فيه مثل روض تفتحت   به الزهر اوكالدر في وسط العقد
فلله مثوى الشيخ سيدنا اذا   يفوح بعرف العود في الجو والند
عليك سلام ما تقوم على الهدى   فتهدى بما اوتيته من سنا الرشد

واخرى له ايضا :

فلله بيت شيد للديـــن والتـقى   وذكر لاهل الله في كل ما شان
يذكرنا جنات عدن وما احتوت   عليه ، وما ابداه ملك سليمان
فلازال محفوفا بالطاف ربنـا   فيطرد عن اطرافه كل شيطان

وبعد ما بنى هذا الثوى بسنين بنى العلامة على بن عبد الله ايضا مثلـه ، فهنالك زخرت قصائد الادباء في وصفه وصفا شعريا حقيقيا ، لامثل هذا الذى لايرى فيه القارىء الا محاولات ضعيفة لاتسمن ولاتغنى من جوع ، ثم ان هذا الثوى تهدم سريعا بعد الشيخ حوالى عام ١٣٤٠ هـ فخر على من فيه ليلة فكادوا يهلكون

وبعد فقد خوطب الشيخ من اخرين بقواف يجدها القارىء في تراجمـهم مثل الذى جرى بينه وبين صهره العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى ، فانه يوجد في ترجمة والدتى رقية في (القسم الثانى) من هذا الكتاب ، كما ان هنالك ايضا قصيدة «هز الراية الجعفرية» لابن مسعود فاننا نختصر في حذفها هنا لانها ذكرت في مؤلف مستقل (الترياق المداوى) ومطلعها :

ياصاح اصغ لسيرة الصمدانى   قطب الورى الالغى قطب الآن

كما ان هنالك ايضا قصيدة اخرى له نونية مطلعها :

صدحت مطوقة بأثل البان   ام نفحة وردت بريح البان

فهى التى تسمى «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد ، بما للطريقة الالغية مـن اسنى الاسناد» فانها مؤلف على حدة ، شرح كثيرا منها مؤلفها في مجلد ضخم وهى التى ذكرنا بعضها قريبا في اول هذه القوافي

وحين رجـع الشيخ من حجته كتب اليـه العلامة سيدى الطاهر بن محمد من تارودانت يهنئه

تأرقت لما شمت برقا حجازيا   بدا اذ غدا للجو ثوب الدجازيا
وذكرنى اعـلام طيبة فانثنى   بقلب لنا والوجد مازال صاليا
وغادر جسما لوبغى الفوز لامتطى   مطى الهوى اوصار بالجفن ساريا
وسار مع الركب الكرام يقوده   زمام الهوى حتى ينال الامانيا(١)
فيقضى لبانات الهوى كيف يشتهى   ويحظى بوصل لم يخف منه واشيا
فيافوز من امسى بطيبة نازلا   بخير رسول كان للضيف حافيا
يروح ويغدو في مسارح جنة   ويجنى بها تمر المكارم دانيا
يقلد جيدا عاطلا عقد مفخر   ويلبس ثوب العز اسبغ ضافيا
ويغسل قلبا سودته ذنـوبـه   ويشرب ماء المجد اغزر صافيا
فيا ليتنى قد نلت لثم ترابها   واحدثت لى فيه بعيدا لظماريا
ويا ليتنى اذ فاتنى نلت نظرة   بوجه سعيد زار تلك المساعيا
محيا الكريم الفاضل الندب من غدا   على هامة النسرين بالجد سامـيـا
ابى حسن بدر الهداية من دعى   الى الفوز في جمع فلم يك وانيـا
ولكنه لبى النداء مسارعـا   وصار على متن الصبابة ساعيا
ووالى السرى حتى اذا مابدت لـه   اباطح سلع جدد العزم راميا
وعفر في مثوى النبى جبينه   فاصبح في ليل الغواية هاديا
هنيئا له نال المنى واحق من   يهنأ من زار الطبيب المداويـا
فياسيدى ابشر بذخر شفاعة   واجر كبير لم يزل متواليا
قدمت فضاء الغرب واهتز عرشه   سرورا وما ان زال مذغبت داجيا
يباهى بك الغرب البلاد ومن تكن   اماما له لاريب في ان يباهيا
وانى ممن كـان ودك عقده   فباح به دمعى ولفظ لسانيا
وكنت ارجى لثم كفك شاكرا   قدومك لكن حيل دون رجائيـا
فارسلتها تمشى اليك وتستفى   بنورك ان ضلت تبث التهانيا
واغض وان قصرت في الحق فالنوى   رمانى بهم وقعه غـال باليا
وجد بدعاء يعتق النفس من ردى   تملكها مازال يملأها عـيـا
عليك سلام كالنسيم اذا سرى   يحدث عن اعلام طيبة راويا

وقال ايضا يخاطبه وقد ذهب لزيارته يستغيث به في امر عناه

اتيتك حبوا للـزيـارة عندما   غزا صرف هذا الدهر فكرى فاحجما
ولم الف احمى منك فانصر فانه   تجمع واستعدى الحياء والجما

١) الياء في الزى وفي الرى مشددة في الاصل وكذلك الامانى المذكورات في القصيدة

فادرك فان المرء ينصر جاره فكم اطلعت رؤياك للسعد انجما

وكان الشيخ بعث الى سيدى الطاهر هذا اللغز في اسمه

فما اسم رباعي الحروف ترى الذى هو الثاني اولا ونسبة اول
وثان وثالث بجمع من ءاخر ثـلاثـة ارباع لعشر فحصل
وثانيه خمس ثالث تسع اول وثان وثالث بثـلـثيه تنجلى
الا فبالغير سر وفتش على الذى تـرد اليه المعضلات بمحفل
ولاسيما ان طاهرا اوعـرابيا تلقيته فانزل وبت خير منزل

جواب سيدى الطاهر

اتتنى فحلت من عقال الردى عقلى واحيت ذماء كان اشفى على الويل
ووافت فؤادا قارب الحتف بعدما عليه امير العى قد كاد يستولى
فسلت على فرط الصبابة والجوى تروى غليل الفكر من مائها الجزل
فهشت بها ارض القريحة مثل ما ربت بعد محل شانها الارض بالوبل
فحق لها اوفى النصيب بقوله ومن كان احياها له اجرة الكل (١)
حلفت بمن اعطى الخلائق خلقها وخصص جنس الانس بالفضل ملقول
وخصك منهم بالمعارف والحجا وبالهمة القعساء والعز والفضل
لقد كدت اذنا جيتها فرحا بها اطير واستعلى على العالم السفلى
ولكنها مـن بعد ان سر وصلها تكلف سقبانا مقارعة البزل (٢)
فقلت لها ناديت والله ميتا وطالبت صلدا ليس يبتل بالبذل
ولما أبت الا الوفاء وليس لى بحكم الهوى الا امتثال الذى تملى
اجبت ولكن الفهاهة اخرست لسانى ومالى عن مرادك من ميل
اشرت الى اسم لامسمى وراءه نظيف على شخص له ليس بالاهل
فاولـه تسع وثانـيـه واحـد وثالثه خمس بذلـك يستجلى
فمجموعها عشر وخمس وعزوها الى المائتين ءاخرا جاء بالسؤل
فهاكه نظاما وفق ما كنت تبتغى ولكن لما امليته ليس بالمثل
فمعذرة منى الى عفو سيدى اذا كنت قد قابلت علمك بالجهل
وما كنت لولا ما كلفت بحبه من العفو ان استن فى تلكم السبل
ودم سيدى للمشكلات تحلها اذ احاد عن ادراكها كل ما فحل
وجد الضعاف العزم يرجون دعوة بتوفيقهم للرشد فى الجد والهزل
عليك سلام مـا تلذذ عارف بذكر وما اشتاق المحب الى الوصل

والغز له الشيخ ايضا فى اللوز بقوله

وما اسم ثلاثي الى العز ينسب وثانيه خمس اول وهو يضرب
بخمسة اسداس له اول جلا علا ثالث ثان بسبع تطلبوا

١) تلميح الى قوله تعلى : ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا
٢) السقب كفلس : ولد الناقة والبازل : الكبير من الابل

الجواب :

تأملت لغزا اتعب القلب حلـه وعاناه حتى بان لى انه اللوز

ثم الغز سيدى الطاهر للشيخ فى القلم بقوله :

وما اسم تراه كلما سار يركب ويمشى يجد سيره وهو يلعب
ومفهومه مهما قلبت حروفه يدل على شوق يمر ويعذب
ومهما طرحت ثالثا جاء لفظه بامر كلام نلت ما كنت تطلب
ومهما ضممت ثالثا للذى تلا فقلب فعنه الميل ما كان يذهب

الجواب من الاستاذ سيدى على بن عبد الله عن الشيخ :

قلم البليغ يبين لغزا منبئا عن غور فهمكم السليم الالقب
يمشى ويركب وهو امر مشكل والعطف مفهوم لفظه المستعذب
قل يبق بعد ذهاب حرف ثالث والميل مفهوم غيره المستقلب

والغز ايضا سيدى الطـاهـر للشيخ فى النخل

خليلى دلانى على شاحذ الذهن يبين لفظا فكرتى منه فى رهن
هو اسم اذا نسبت اول لفظه لثانيه كان نصف سدس بلامين
ثلاثة اعشار لسدس يجىء ان نسبت لثان ثالثا دمت فى امن
ومقلوبه ان كنت صحفت لفظه يدل بحكم النحو فاعلم على شين
وتصحيفه من غير محن يفيد ما صنيعته فى غاية الصون والحسن
الا فابحثا واستنقذا الفكر دمتما ولا زلتما مستسهلى كل مافن

الجواب

تاملت هذا اللغز يا ايها الخل فبان كشمس فى الضحى انه النخل

بعض منظومات نفث بها الشيخ

لم يكن الشيخ ممن تربوا تربية ادبية حين كان يدرس فى مدارس تازروالت وتانكرت وادوز ، لانك رايت من حاله اذذاك ، انه لايعنى الا بالعلوم الرئيسية فى بيئته وما يبقى له من الوقت لايمضيه فى مطالعة كتب الادب التى تـكـون الذوق الادبى ، وانما يمضيه فى مطالعة كتب القوم ، او فى مناجاة ربه ءانـاء الليل واطراف النهار ولكنه مع ذلك ربما ينفث ببعض ابيات لاينكرها ارباب الذوق غالبا ، وفى مجموعة صغيرة عندنا كل ماصدر عنه وذلك قليل ، وهاك الآن بعض ما اخترته من ذلك مما لايغمض فيه اديب :

سعد الفقير وساعدت اوقاتـه ما دام من أذكـاره أقـواتـه
بالله يفرح كل قلب ما لـه غير الاله اذا سمت نظراته
ان المريد مراده فـى ربـه فبه تـتـم لقلبه شهواتـه
من لايرى فى الكون اجمع ربه بوجوده فهل انجلت مرءاته ؟

ومن ذلك في موضوع مخالفة النفس وهواها :

بحد سيوف الذكر فاقطع رقابها ... ولازم بخلف ما اشتهته عقابها
فان عقاب النفس مهر عرائس الـ ... ـمعارف ان انجزت تجل نقابها
فتجني ثمار الحسن من نور وجهها ... وتجنى على الوصل الشهي رضابها
عليك بشرب الكاس من راحة لها ... فلم يحى الا من يذوق شرابها

ومن ذلك ايضا يخاطب من اسمه موسى وربما كان الفقيه سيدى موسى الكرسيفي:

اموسى اجمعن في الله همتك العليا ... واعرض عن الدنيا ومن كان في الدنيا
تفرغ بقلب لن يزال مولها ... بذكر كثير كي تكون به حيا
وان حياة القلب بالذكر وحده ... وهل بسوى ماء نبات الثرى يحيا؟

ومن ذلك ماقاله يخاطب به من اسمه مبارك ، ولعله سيدى مبارك الميلكى الشهير:

ادخل مبارك حضرة الرحمان ... بعزيمة المستوفز الرباني
وانس السوى حتى يكون مشعشعا ... منك الفؤاد بساطع نوراني
فالسر كل السر في ان تقتدى ... في حضرة قد كنت فيها فاني
ان العبودية التي يابى الهوى ... في النفس منها اس من هو بان
فعبيد ربك كن ولازم منهجا ... قد مهدته شريعة الرحمان

ومن ذلك مانسبه اليه العلامة سيدى محمد بن مسعود المعدرى :

ولى مذهب في العشق منفردا به ... فلست ملونا بوجد ولافقد
قد امتزجت روحى بروح احبتي ... فلا وصل في قرب ولا فصل في بعد
فمن شاء فليفصل ومن شاء فليصل ... فحالى لم تحل عن الود والعهد

ومن ذلك ما أجاب به ابياتا ارسلها اليه شيخه سيدى محمد بن العربي الادوزى حين زف اليه بنته التي هي والدتي ، رحم الله الجميع :

جزاك اله العرش خير جزائه ... ايا شيخنا اوليت فوق المنى جزما
زففت لنا البنتين بنتا لفكركم ... وبنتا لصلبكم فذى نعمة عظمى
جمعت لنا اختين والعقد واحد ... وما كان ذاك في قضيتنا اثما

كان الشيخ قال في الشطر الاول من البيت الاخير هكذا : زففت لنا البنتين في عقد واحد ، باضافة عقد الى واحد من اضافة الموصوف الى الصفة ، كما ورد في الحديث : الكعبة اليمانية باضافة الكعبة الى اليمانية ، على ما في بعض الروايات ثم ان الاستاذ سيدى محمدا الرفاكي اصلح الشطر بما رأيته

ومن ذلك يخاطب جماعة من ارباب القلوب :

لله دركم يا من لهم دول ... فنظم جوهركم يسرى به المثل
انتم فؤادى وما مولى وملتجئى ... ومن بهم نحو ربى الدهر مرتحل
وبابكم هو باب الله من غلقت ... ابوابكم دونه ما ان له حيل
ومعشرى كل اهل الله قاطبة ... والله قصدى ومالى في السوى امل

ويكفي هذا القدر

غيرته الدينية أمام الاحتلال

لايزال الى الآن يطن في اذان من كانوا يعيشون في سوس سنوات ١٣٢٥ هـ ١٣٢٨ هـ ، من تلك الصرخات الصاخة ، التي كان الشيخ يرسلها في الجامع وفي الاسواق وفي المواسم ، وفي كل مجلس ، حين يستنهض الناس لمقاومة المحتلين الذين نزلوا اذذاك في الدار البيضاء ، فكادوا يغمرون بدسائسهم وبحيلهم وبمكايدهم على ايدى العيون السريين كل نواحي المغرب من ادناه الى اقصاه وهذه الغيرة الهائجة الثائرة كانت معروفة عن الشيخ ياثرها عنه اصحابه قبل هذا الحين وكثيرا ماكان يغارها من سنة ١٣١١ هـ عام موت الملك مولاى الحسن ، في مجالسه الخاصة اذذاك ، بل كانت له في رحلته الحجازية جذوة متاججة في هذا الموضوع فاسمع لمايقوله في هذه الرحلة يوم يفارق تونس وذلك سنة ١٣٠٥هـ اثر ما قص كيف احتلت تونس بعد الجزائر :

وقد جرى في اخر الايام ... هناك مع فذ من الاعلام
أن كنت من بعد صلاة العصر ... في جامع الزيتون عند الحبر
اعني به ذاك الذى سطرته ... وبرقيق القلب قد ذكرته
مستندا الى عمود الشاذلى ... وهو مكانه لدى الاصائل
ذاكرني في العقد للمحبة ... لله كالعادة في الاحبة
فقال بلغن الى الرسول ... متى حظيت منه بالمثول
فقال قولا الهب القلوبا ... حتى تكاد منه ان تذوبا
وحرك الاشباح والارواحا ... وحرك الجبال والبطاحا
قال اذا وصلت قبره الشريف ... وكنت اثناء مقامه المنيف
وفازت النفس هناك بالمنى ... واكتحلت عيناك منه بالسنا
فقل له يا ايها الرسول ... غر بني ملتك الذهول
وانها لامة مستضعفة ... احتوشتها امم مستضعفة
حتى غدت كاللحم فوق وضم ... من يفتح الشدق اليها يلهم
رموا وراء كل ما خلفتا ... وضيعوا في الدين ما اسلفتا
ونبذوا الدين سوى اطلال ... تبدو لما اسست كالظلال
والبلوا كلهم للشهوات ... كانهم قد خلقوا من شهوات

فهكذا ورد الى موسم تازروالت حيث أمر بالنداء فوق المراكع (١) : ان يتهيا الناس وأن يستعدوا للجهاد ، فان الكفار قد دهموا البلاد • وكذلك كان يوما ءاخر في سوق الخميس بأيت بعمران وقد اجتمع كل رؤساء القبيلة فاستحثهم على ترك المخاصمات بينهم ، وان الوقت قد حان ليتكتل الناس كلهم امام العدو ويجب على جميع الرؤساء ان يامروا المرابطين والعلماء والطلبة ان يتكموا في السلاح • فهم أولى من يقود الناس الى الشهادة في سبيل الله فبينما يقول ذلك ، اذا الاشكر ـ الرئيس هناك ـ يتخذ كلامه سخرية اذ قال له : «لن نقوم بهذا الذي تقول حتى يموت جميع اصحابك هؤلاء امامنا ويستشهدوا واذ ذاك نقوم بعدكم بدورنا» فالتفت اليه الشيخ محمر العينين وقال : «اوقد استنكفت ان تسمع الحق وابيت ان تنقاد للنصيحة ، فها انتذا تابى ان تدافع الكفار بعيدا ويوشك ان يدهموا عليك دارك حتى يخربوها» ثم اعرض عنه الشيخ كعادته متى خاطبه الجهال ، فسبق القضاء ان خربت داره بعد نحو ست سنين بيد الجيش الفرنسي الذي هاجم تلك الجهة سنة ١٣٣٥ ه فكان عبرة لمن اعتبر ، ولايزال الحاضرون الذين هم احياء الآن يروونها من فراسات الشيخ

وكذلك ذهب الشيخ عام ١٣٢٨ ه الى جيوش تجمعت في هشتوكة للقتال بينها ، فنادى في رؤسائها : يكفيكم من هذه الفتن يكفيكم ، فقد توجه اليكم من الاعداء ـ ان لم تدافعوهم ـ من لايكتفي منكم بمال ولا بارض ولا بـدين حتى يستعبدكم انتم وابناءكم ، في كلام طويل مثل هذا يتداوله الناس متى تذكروا بعد الاحتلال النذر التي يسمعونها من الشيخ ثم لايابهون بها فلم يعرفوا حتى خرجت البصرة

وكذلك وقع للشيخ ايضا مع رؤساء اهل المعدر فبعد صلاة الجمعة في مسجد القرية ، خرج الناس الى خارج المسجد ، فوقف الشيخ يحثهم على جمع الكلمة وعلى تعيين حراسة على فرضة اكلوا ، فقال له قائل ان العدو لايزال بعيدا عنا فهو في الدار البيضاء ، ولايصلنا الا بعد عشرين سنة ان لم يحل بيننا وبينه الدكاليون والحوزيون والحاحيون ، فحرك الشيخ راسه فقال : يا عجبا ان المسلمين كالجسد الواحد وهذا الامر يجب ان يكون فيه الناس كلهم يدا واحدة فمتى تركنا الدكاليين والحوزيين والحاحيين فلابد ان يغلبوا ان لم يعنهم السوسيون وامثال السوسيين ، على انك ياهذا ـ يخاطب ذلك القائل ـ تستبعد ان يصل العدو هنا ان لم يقاوم بالجد ثم تنفس الشيخ الصعداء واغرورقت عيناه بالدموع فقال : واسفا ايها الناس فوالله ان لم يقم الناس في هذا الامر قومة واحدة لترون الكفار هنا ، هنا ، هنا واشار الى ذلك المكان ثم غلب الحال على الشيخ

---

١) محل يجتمع فيه الناس كلهم بعد الموسم للدعاء • بجوار مشهد الشيخ سيدي احمد بن موسى

فباسهم بينهم شديد   من اجلها كانهم حديد
بيناهم في غفلة ووسن   ليس لهم بين الورى من رسن
اذ دهمت بين الديار الجل   فالبعض في الاسرى والبعض قتل
قد زعزعت بلادهم كفار   كان لهم من قبل ذاك ثار
فاستحوذوا على بلاد امتك   وقصدهم محو لكل ملتك
حتى غدا كل بني الايمان   اسرى بوسط الدار في البلدان
ودينهم ممتهن عيانا   كما يلاقي اهله الهوانا
قد مزقوا وشتتوا واحتقروا   وامتهنوا بيد من قد كفروا
فهاهم في صقعهم لاحولا   لاقوة غير دعاء يتلى
وما لهم وجه به يستشفعون   الى الهك ومنه يرتجون
سواك يا خير البرايا عنده   فانت من ليس يرد وحده
فليس للمستضعفين غير   دعا اذا مس البلا والضر
فانت باب للدعا فيستجاب   فمن اتى الباب فما اخطا الصواب
بلغ الى نبينا هذا الكلام   من بعد ان تقرا له مني السلام
يقول ذاك والدموع في العيون   كانما ثرت بمائها العيون
والصوت بالنحيب عال وانا   كدت اذوب لهفة وحزنا
حتى عراني الجذب في الحين كما   يقع لي حين اجيش ضرما
لم جرى مابيننا صموت   ودأب من تحيروا السكوت
فلم يكن مني ولا منه كلام   بعد سوى مد اليدين للسلام
اذ قرب المغرب فافترقنا   وانـنا بما جرى احترقنا
من ليس ذا حزن لضعف الدين   فذو نفاق مختف مكنون
وكيف يرضى مومن ان يحكما   امر بني الايمان وال اجرما

وقد كان الشيخ لما التقت حلقتا البطان على المغرب ، لايدع مجتمعا الانادى فيه بالبراح (١) : ان الزمان قد استدار • وان الكفر قد وغل عليكم وسيحتل عقر الدار ، وهو في اثناء ذلك يشتري السلاح ، فقد عد ماتركه بعد موته بست عشر بندقية رومية زيادة على البنادق الاهلية ، وهذا القدر من اسرة واحدة كثير فوق جهد الطاقة ، وقد كان معلوما ان مثله كان يعاب عليه ان يلتفت الى التسلح لانه صاحب زاوية وقد رايت من اهله المرابطين مارايت من انهم لايكادون يتسلحون وان تسلحوا يكاد السلاح لايجدي في ايديهم بين جيرانهم المغاوير كالمجاطيين والحربيليين ، ولسان حالهم ينشد :

على م تقول الرمح يثقل عاتقي   اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت

هذا في ذلك المقام بين الاهالي ، واما في الاستعداد للدفاع عن الوطن فان ذلك مقام ءاخر ، ويرحم الله من أظهر من ضعفه قوة وانما الاعمال بالنيات •

ثم ان الشيخ كان يحمل معه في السياحات بندقية بين يديه وهو راكب

---

١) البراح كشداد : المنادي في الاسواق عادة

فقلبه الاستبداد فالقتل عن القوم ، قال الحاكي : ثم لم يمض الا سنوات قليلة فاذا بي شاهدت المراقب الفرنسي في تزنيت واقفا في ذلك المكان بعينه فظهر مصداق قول الشيخ ، ولكن بعد ان ازهقت ارواح

وكذلك كان الشيخ يلم باكادير ، ويوصي تلميذه الحاج الحسن الكلول رئيس اكادير ان يتعهد المدافع الموجهة الى البحر فعل ذلك مرارا

هذا وقد اشترى الشيخ فرسا اذذاك فصار يركب عليها ، وبيده البندقية وذلك كله لاستنهاض الهمم ، ولكن اين الهمم ؟ واين العزائم ؟ واين من يعرف ماهو الاستعمار اذا ألقى على امة كلا كله ؟ وقد قال الشيخ مرة لبعض مجالسيه: ان قلبي ليتمزق على هذا القطر ، فانني اخاف ان يلتحق بالجزائر وتونس ، فقد اجلت بصيرتي في هؤلاء الناس ، فلم ار من يمكن ان يقاوم لامن الحكومة ولامن الناس فلامال ولارجال ولاايمان وانما انا وحدي الذي افاض الله على هذا العيشان ولكن ، ولكن ، ولكن واشار الى قرب انتقاله عن هذا العالم — كما قال الحاكي —

حضرت يوما في نزهة من اخلاط الناس في عرصة البياز في باب دكالة وكانت محلا للنزه ومجتمع الاصدقاء فيظلون هناك تحت الاشجار المختلفة وبين الحقول المخضرة وبين الجداول المتدفقة الى العشي ، فجرى ذكر ايام الاحتلال الاول وصار الحاضرون يخوضون في عدم الدفاع ، فقال قائل : ان الناس كانوا معذورين ، لان غالبهم ماكان يدري ماهو الاحتلال ، ولاكيف يعرك عركاته متى امتد الى شعب من الشعوب على ان علماءنا ورؤساءنا وحكومتنا هم المسؤولون حقا ، لانهم لم يستنهضوا الامة ، ولاادوا الحق الواجب عليهم في هذا الموضوع فالتفت اليه انسان من غمار الناس ساقته الاقدار الى مراكش فصاحبه بعض اهل الحومة الى النزهة ، فقال : اننا في تلك الجهة من حاحة الى سوس لم نوخذ على غرة ، فقد كان الشيخ سيدي الحاج علي الالغي ينادي فينا صباح مساء انذارا واستنهاضا لندافع عن البلاد ، فانه ماكان يترك من الجهات التي يسيح اليها مجتمعا ولاسوقا ولا موسما الانادى فيه بالتهيىء التام من جميع الناس للجهاد فلايعذر فقيها ولامرابطا ولا اي انسان قادرا ، ثم قال وقدشهدت الشيخ يوما عند قائدنا في تامانار وقد اجتمع كل كبار الحاحيين وعلماؤهم في حضرة القائد فقام في الناس موقفا لاينساه له الناس ، فلم يزل يلهب القلوب بمواعظه ويستنهض الناس بانذاراته ، ويبين للحاضرين ماينتظرهم من العدو متى استولى على البلاد من حيف وجور ومكر وانتهاك الحرم ، واذلال الاعزة وبث الاخلاق الفاسدة ، ثم التفت الى القائد فقال له : ان جل هذا الواجب يقع على عنقك انت وعلى اعناق أمثالك ، فقال له القائد : اننا ياسيدنا — معشر القواد — نتبع ما ترسمه لنا الحكومة وملكنا المعظم ، فلايمكن لنا ان نخرج عن خطتها

وملكنا اليوم يميل الى مسالمة العدو ، حتى انه ليرسل الينا ان نحافظ على النصارى اكثر مما نحافظ على المسلمين، وان نراعي خواطر الذين احتموا بالدول اكثر مما نراعي من يتسلطون عليهم بدعاو زائفة ، فما عسى ان نعمله نحن ؟ والافهاك ياشيخنا يدي على ان اكون اول من يموت في سبيل الله متى كان الجهاد قائما قال الحاكي : فاعرض الشيخ عما جاذبه فيه القائد ، فقال : «اما انا وكل من يتبعني من الفقراء فقد هيأنا انفسنا للموت في سبيل الله ، لوفتح لنا الميدان، وساعف السلطان فان امثالنا ليس لهم في مخالفة السلطان ايضا مصلحة» ثم بعد ان اتم الحاكي حكايته ، قال : انني اوقن ان الشيخ لو تيسر له ان يحضر في ميدان الجهاد لمات هو وكل الآلاف الذين معه شهداء فقال قائل للحاكي : اتعرف احدا من ابناء شيخك هذا ؟ فقال لا ، فقال هذا احدهم وقدمني اليه فلم اكن اعرفه قبل، ولاعرفني فاحفى في السلام ، وترحم كثيرا على الشيخ وكانت هذه الجلسة حوالى ١٣٤٠ هـ حين كنت لاازال تلميذا مغمورا في الجامع اليوسفي •

ارايت كيف يتحدث الحاحيون عن الشيخ حول هذا الموضوع ؟ فكيف اذن يتحدث عنه السوسيون فيه ، وهم الذين كان يماسيهم بذلك ويصابحهم نحو ثلاث سنين ؟ فقد كان مايقوله اذذاك حديث المجالس حتى ان الذين لايتقون الا ولا ذمة في اهل الخير اتخذوا ما يقوله الشيخ سخرية وهزءا ، فمنهم من يقول انما يريد بذلك الذي يعلنه ان يقتدي به كل الناس ، فيجدد له مكانة اخرى اعظم من مكانته التي كانت له ، حتى ان الشيخ اقبل يوما في الطريق عند قرية عين ابراهيم بن صالح من ارباض تزنت ، فلاحظته جماعة كثيرة وهم منتدون على شيء ، فقال منهم قائل : هذا الشيخ قد اقبل وهو الذي ينادي بالجهاد فهل تقدرون ان لاتقوموا له اذا مر بكم ، لتروه باعراضكم انكم لاتبالون به ولا بما يقوله فتعاهدوا كلهم على ذلك ، ولكن ماكاد الشيخ يقبل عليهم حتى بادروا جميعهم الى مقابلته والسلام عليه بكل اجلال واحترام ، قال من حكى ذلك وهو من تلك الجماعة لمارايت ذلك تبت الى الله ، فعرفت ان الشيخ مؤيد من عند الله •

كان الشيخ عام ١٣٢٧ هـ في السويرة وقد احدثت فيها اذذاك محطة البرق باذن من السلطان مولاى حفيظ ، فذهب الى المحطة فاكثر السؤال والبحث حتى ادرك الذي يؤديه التلغراف ، فلما رجع صار يحكي لمثل الفقيه سيدي علي بن عبد الله ماراى وقد قال لغيره : ان المسلمين اخاف ان لايجدوا شيئا في المقاومة لان عند العدو من السلاح ومن «الات الهجوم والدفاع والمحادثات ماليس عند المسلمين ، ولكننا مع كل هذا لانياس ، «كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين»

وكانت عادة الشيخ انه كلما جال في مجالاته الخاصة والعامة حول هذه المقاومة لايملك عينيه ، على خلاف مايعهده منه اصحابه من التجلد ومغالبة حاله

عند مايخوض في كل شيء مؤثر ، ولكنه في هذا الموضوع يغلب على حاله،لعمق الفكرة في نفسه بغمرة الايمان ، فلايحبس ان تجيش دموعه رغما عن تجلده المعروف .

حكي لي من لااتهمهان الشيخ زار مرة مشهد الشيخ سيدى عبد الرحمان من مقبرة تزنيت معاصحابه ، ثمتخلف عنهم ، قال الحاكى : فوقفت ازاء باب الضريحفاذا بياسمع نشيج بكاء الشيخ ، فتحينته حتىخرجبعد حين ، فسلمت عليه ثانيا ـوكانممن لايستحيي كثيرامن الشيخـ قال : فسألتهعن سبب بكائه الكثير فقال : هجمعلىانرايت تزنيت هذه مفعوعمة بالنصارى يقبلون ويدبرون كما شاءوا فامتعضت لهذا الهوان ، فلم املك نفسي حتىكانماكان ثمتنهد تنهدا طويلا ، فقال : «وا اسفاه على هذه الامة التى استولى عليها مااستولى ، حتىلا مطمع فيهالطامع متى جد الجد ، وحان الجهاد» فقلت له : «انالله سيدفع بكم عنها» فقال : اجل بصرك ، وامعن بعقلك فهل تحس من يشعر بواجبه في هذا الوقت ؟ قال: ثموالىالشيخ تنهدات وآهات ثمقطع كلامه وكانلسانحالهينشد:

ان دام هذا ولم تحدث له غير　　　لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

قال قائل يوما للشيخ : لماذا لاتقوم فتقود انت بنفسك الناس الى الجهاد فاننا لانرى الا ان الناس كلهم يتبعونك ؟ فقال له : ان تصدر امثالىفىذلك الماير الىميادين اخرى غير محمودة ، فان الجهاد خطة عظمى لايتصدرها الا الامام الاعظم، وامامنا اليوم هو مولاي حفيظ ، فانه لم يعدبعدقيامه على اخيه مولاى عبدالعزيز بالجهاد ، ان دخل فاسافسكن هناك ، فوقعفيما وقعفيه اخوه بل صار يأمر الناس بالهدوء ، فهذا الشيخ ماءالعينين قدامره انيترك هو واصحابه الجهاد فى الصحراء ، وكذلك يقع لكل من يتصدر لذلك ومتى خرق سياج مايأمر به السلطان تاتى وراء ذلك فتن اعظم واعظم ونحن الآن ان اردنا انتذهب الى الشاوية لتكون هناك مع المجاهدين فاننا لابد انتذهب نحنوالفقراء وهم ءالاف ، فاين الزاد واين النظام المطلوب ، وهذا الامر لايستقيم الابالسلطان وكل من تصدر لهدونه ـ خصوصا ان كان ذاشهرة ـ فانه لابد انيظن منه انه يخالفالسلطان ، ومخالفة السلطان لاتؤدى الى خير كيفما كانت

هكذا يرى القارىء الشيخ جائشا متلظيا متشوقا الى انيكون في صفوف المقاومة الاانه تتراءى لهمنبعيد موانع عظيمة ، هذا مع مايغلب عليه احيانافيفلت منه ـ على جهة الالمعية والفراسة ـ منانالاحتلال واقع ولابد لعدمالمقاومةالمجدية ولقوة العدو وضعف المغاربة ولكون الناس لم يدركوا بعد كيفية الاحتلال ولا مسلكه في الناس ، وقد جمعت من اقوال الشيخ في هذه الناحيةكثيرا واودعتها في جزء من اجزاء «من افواه الرجال»

كان اصحاب الشيخ المنخرطون فى طريقته ممتدين الى درعة فتافيلالت

فما وراء تافيلالت الى قبائل ذوى منيع ، فكانبعض ذوىمنيع يكاتبون الشيخ ويسالونه فيالمقاومة في الحدود التيكانت بينهم وبين الجزائر ، ـوقبائل ذوى منيع اذذاك لاتزالمغربية لم تلتهمها الجزائر بعد فكان الشيخ يجيبهم بالتحريض على الجهاد ، وهاك رسالة من الرسائل التى يكتبها اليهم :

«وبعد فقد وصلت الرسائل واطلعنا على جميع مافيها من المسائلوهانحن نجيبها بكل صامت وناطق سائل ، وقد اخبرتم واشتكيتم بجرءة عدواللهورسوله على بلادكم وحريمكم واموالكم وايمانكم ، ونعمة الايمان والاسلام اكبر النعم فلاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ، فلتعلموا ان باب الجنة قدفتحلكمفى بلادكم وهو الجهاد والهجرة الى الله ورسوله ، فادخلوا فى باب الجنة بان تسلموا اموالكم وانفسكم لله فى سبيله ، فقد قال الله تبارك وتعالى : (ان الله اشترى منالمومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم :«الجنة تحت ظلال السيوف» وقال : كلكم تدخلون الجنة الا من ابى انصروا دين الله تعالى» (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وقد استندتم الى اخوانكم المسلمين في هذه الجهة تتحازون اليهم ، وتشنون الغارات والاغزية على عدو الله ورسوله الى ان يطلب منكم الهناء وقد اخبرنا بانذوى منيع يغيرون بالاغزية على وادىنون مسيرة شهر في اخوانهم المسلمين ويتركون النصارى وراءهم في بلادهم ، فلاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ، ولاتقولوا تقوى علينا بجيوشه (فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقولوا : «ربنا افرغ علينا صبرا وثبتاقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» هل تحسبون وتظنون فى الله غير نصركم ؟ (وما النصر الا من عند الله) (ولله العزةولرسوله وللمومنين) والدنيا منفعتها الايمان والاسلام ، من لم يقض في سوقها تجارة الايمان والاسلام لم تنفعه حياته ، فالاولى له انلايكون ، واى حياة واىايمان واى اسلام كان عند منأذل نفسه لعدو الله ورسوله لئلايخرج من دارهواهله فلاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وقد قال الله عزوجل : (قل انكان ءاباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احباليكم من الله ورسوله وجهادفيسبيله فتربصوا حتى ياتى الله بأمره ، والله لايهدى القوم الفاسقين ، لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) ، (ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وهذا الزمان بمثابة زمان رسول الله صلى الله عليه وسلمفى وجوب الجهاد بل اكثر واكثر واكثر ، لان جهاد زماننا هذا لدفع الكفر وحفظ الايمان الذى هوموجود من غير زيادة ، واما جهاد السلف فلزيادة الايمان وحفظ الشيء الذى هو موجود من الايمان اوجب من طلب زيادته ، تفكروا وتذكروا واعتبروا وانظروا بعقولكم ، اى صلاة واى صيام واى حج واى زكاة لمن راى عدو الله ورسولهاجترأ على الاسلام لم لايجاهد فيه بامواله ونفسه ، وقد قال تعالى

«وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله) ولم يكن شيء يوكد الله عزوجل اكثر من الجهاد ، لان السيف هو الذى قام به الدين ، وقدكان المسلمون يشتهون الجهاد في قديم الزمان ، فهاهو اليوم فى بلادهم وناموا ، ويطلبون المهادنة معه في بلادهم فلاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ، جاءالى بلادهم فصاروايخافون منه ولو قمتم بالحق الذى وجب عليكم فىالشرع من الغارات عليه والاغزية وتنحازون الى اخوانكم المسلمين لرددتموه وتجدون من المسلمين الذين استولى عليهم بالظلم والعدوان المعاونة والنصرة ، فيغدرونه وتتبعونه شيئا فشئا،وما هو الا ابن ءادم مثلكم ، يضره مايضركم كما قال الله عز وجل (ولاتهنوا فى ابتغاء القوم انتكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون منالله ما لايرجون وكان الله عليما حكيما) وان قربتم من مكانه فابعدوا منه بقدر منع انفسكم منه (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة) (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) ولاتقولوا ان تركنا نتركه ، فلايجوز لكم ذلك فى الشرع لانه ان وصلكم فلاعذر لكم فانه جلس عليكم وعلى بلدكم ، ان لم تدفعوه فلابد ان يدخلكم بالحيلة او بالقهر ولاتقولوا هانحن معه فى الهدنة فلو انكم قمتم فى هذه السنين التى كان ثم لكسرتموه بحول الله وقوته ولاتقولوا نحن قليلون، بل انتم كثيرون عنده فقد خاف منكم غاية ، ولكن اظهرتم له الذل لما كنتم تعاملونه في الاسباب ، وتطلبون هدنته وها بلاد المسلمين تكفيكم فى الاسباب والسكنى ، وهو لم يحط بكم انما هو لكم فى جهة واحدة وجهة المسلمين تخرجون اليها بالاسباب وبالهجرة • ولاتجوز لكم المهادنة معه ، بل وجب عليكم ان تشمروا عن ساق الجد • واجمعوا رايكم فى اهل الخير • وتجاهدون فى سبيل الله ، فهنيئا لكم فقد فزتم بخير الدنيا والاخرة ، واشركونا فى اجركم والله لقد اشتهينا الحضور معكم ولاحرمنا الله من ذلك الاجر بجاه النبى وءاله والبخارى ورجاله ، وهذه الساعة الخير كله فى الجهاد لاغير ، وان احتجتم الينا فى شيء فاكتبوا مع الحامل ، ويرحم الله الذى صار الى رحمته سيدى الحاج الحسن الذى عرفتموه وحامل الكتاب الذى هو خليفتى فى كل شيء استمعوا منه واتبعوه والسلام»

ثم ان الشيخ الذى خامرته هذه الفكرة فاستولت عليه يقظة ومناما، بينما هو فى قرية (اورير) ازاء اكادير بزاوية اصحابه هناك ، فى عام ١٣٢٧ هـ اذ راى مناما حكاه لى الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح ، فاءالى أذنى ، فقد قال : «ان الشيخ اخبرنى مشافهة انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فى اورير فقال له : اننى اراك كثير الاهتمام بأمر النصارى ، فاجبته : نعم ياسيدى ، فقال «ان هذا الذى وقعت فيه من الهم والغم والقلق وقعت فى مثله يوم الخندق ، فرجعت الى الله بالكلية فصرت اقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فتوكلت عليه وفوضت أمرى اليه ، فاذا بنصر الله جاء بفضله ففك الله عنا الاحزاب ، فانهزموا بلا حرب

ومر كذلك انت اصحابك الآن بان يزيدوا فى وردهم مائة من حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانهم سيجدون بركة ذلك فى حفظ قلوبهم ، كما سيجد المغرب كله بركة ذلك فيجعل الله فى امر النصارى فرجا ومخرجا بخرق العادة»

بسبب هذه الرؤيا صار اصحاب الشيخ يذكرون ذلك فى وردهم ، وهاك من رسالة للشيخ فى ذلك ، ونص المقصود منها :

«نوصيكم بالتواضع والصبر وترك التدبير والاختيار لله تعالى فهو المدبر فى ملكه وفى ملكوته فى المسلمين وفى اليهود وفى النصارى ، فالامر لله الواحد القهار ، واخدموا (حسبنا الله ونعم الوكيل) مائة فى الصباح ومائة فى العشى فقد امرنا به لجميع الاحباب ان يخدموه على تعدى النصارى وظلمهم (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) ولايمكن ان يخدم على امر فيبقى على حاله ، بل لابد ان يكشفه الله حتى امر النصارى ان خدمتموه فلابد ان يزولوا ان شاء الله ، حتى ان قدرتم ان تبرحوا به فى اسواقكم ان يخدمه الناس جميعا كبيرا وصغيرا ذكورا واناثا فى الجوامع وغيرها ادبار الصلاة وغيرها ، فذلك افضل واكمل وليس الدواء الا فى الاضطرار اليه لان قوة الله هى الغالبة لقوتهم بلاشك ولاخلاف فمتى رجع الناس اليه حقا فلابد ان يرد كيدهم فى نحورهم (وهو القاهر فوق عباده) ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن»

ومن رسالة اخرى :

«•••• متى اراد الله ان يرد النصارى عن المسلمين فلايصعب عليه ، اما بسر ظاهر على يدولى (١) من اوليائه واما بسر باطن من غير واسطة اصلا ، وهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده ، ولاملجا ولامهرب من الله الا اليه فقد ظهر تعدى النصارى ولم يبق الا قوله تعالى : «حسبنا الله ونعم الوكيل» فهو السيف القاطع ، فاخدموه اينما كنتم على نية رد الله كيدهم فى نحورهم، تصديقا لقول الله «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا» (وما ذلك على الله بعزيز) وقد امرنا فى العام الاول فى ثالث عاشوراء بخدمته فى الصباح والمساء مائة لكل وقت لجميع الفقراء يزيدونه فى الورد، على نية هزيمة النصارى من بلاد المسلمين ان شاء الله» الخ

اقول : ان الشيخ مع اخذه بالاسباب التى رأيتها من الاستنهاض وتنبيه الناس لما يهددهم ، صار يبث فى اصحابه ـ كما رايت ـ مايستنهض ايضا القوة المعنوية فى كل اتباعه الذين تشبعوا بروحه ، فان الجهاد المنظم المجدى لايفيد مادام ملك العصر فاترا ازاءه فصار يقوم بما فى طوقه فيملأ به مجالسه وقد تواتر عنه انه يقول اخيرا بعدما رأى أن المقاومة المجدية اعرض الناس عنها «ان

---

١) الله اكبر ، اننا من رعايا ملكنا الهمام محمد بن يوسف هذا الولى الذى على يده خرج النصارى فاستقلت البلاد •

النصارى سيدخلون بخرق العادة وسيخرجون بخرق العادة» فاما دخولهم بخرق العادة حين لم يقاومهم الناس مقاومة فعالة ، فقدرايناها وليت شعرى متى تكون الثانية (١) فرحمه الله فقد قام بما فى طاقته •

بعض دعواته وأذكاره الخاصة

هذا باب من أبواب تحنث الشيخ ، وغالب ذلك يدور متى اختلى بنفسه على التجهد ليلا بالقرءان ، وهذا مما واظب عليه طوال حياته ، لايتركه وان احتوشته الاشغال وكثرة الاضياف ، وكان ورده من ذلك ـ كماقال ملازموه كسيدى سعيد التنانى وسيدى احمد الفقيه الركنى وسيدى مولود وءاخرون ـ خمسة من القرءان بلهءالنوافل المعتادة كالضحى وماقبل الظهر والعصر ومابعد الظهر والمغرب ومائة من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد صلاة عصر الجمعة ، وجل اصحابه احتذوابه فى كل ذلك واماالصيام فانه اقتدى فيه بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة ، فانه يصوم حتى يقال لايفطر ويفطر حتى يقال لايصوم الا انه فى الساحات لايصوم النوافل غالبا الافى الإمكنة التى لايحتاج فيها الى مخالطة الناس وتبليغهم ماأوجب على نفسه ان يبلغه لهم

هذه نبذة يسيرة مما يتعلق بهذه الناحية لخصناها تلخيصا ، لان هذا الكتاب لم يجعل لمثل ذلك ، فهناك كتب خاصة الفت فى الشيخ الم بكثير من هذه النواحى ، وان لم تستوف ذلك ، وقد يمر بنا فى هذه الترجمة وفى تراجم اصحابه اشياء اخرى لم نذكرها هنا

واما الدعوات التى يدعو بها كثيرا فقد حدثنى بها كثير من اصحابه، كهذا الدعاء : «اللهم اجمعنا على محبتك ، اللهم اعنا على طاعتك وخدمتك ، اللهم طهرنا تطهيرا تصلح به لحضرتك ، ولقينا بك ، اللهم زدنا فيك تحيرا وبك افتتانا وغيبنا بك عن كل شىء سواك حتى لانكون الابك ولك ، اللهم احفظنا فيك سائر عمرنا حتى تتوفانا وانت عنا راض ، ونحن بك غير مفتونين ، بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم»

وقلما يقوم من مجلس عام الادعا بهذا الدعاء اثناء الادعية المالوفة التقليدية ويقول ايضا كثيرا :

«اعطانا الله سرا من اسراره ، واعطانا نورا من انواره ، وجعل ريحنا فوق الرياح وجعلنا من خدامه ، وجعلنا من خدام بيته ، وجعلنا من خدام سنة سيدنا

١) كنت افكر يوم محاولة الاستقلال وسهولة امره • فادركت ان ذلك هو خرق العادة التى كان الشيخ يذكره دائما

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلنا من اهل الخير وجعل حياتنا مع اهل الخير فى هذه الدار ، وتلك الدار وجعلنا من المقبولين ومن المغفورلهم، ومن المرحومين»

الى غير هذه ، ولم نسقها الالنرى كيف نفسية الشيخ من هذه الناحية ايضا فان المعروف منه انه فان فى عبودية الله ، ولايلتفت الى غير الله فى الازمات فما يستغيث بالاشياخ ولاهويقبل من اصحابه ان يستغيثوا به فى الازمات ،وله فى ذلك حكايات •

مؤلفاته

للشيخ ولوع بكل مايمت الى الافادة والاستفادة ، وحين كان يخالط الفقهاء والفقراء • كان يعمل فى كلا الميدانين باقواله وبافعاله ، فاما افعاله فقد رأيت منها ما رايت فى الذى تقدم من هذه الترجمة ، واما اقواله فماكان منها مرسلا كالتى يطلقها فى مجالس تذكيره او مواقف حثه على الالتجاء الى الله فقد جمعت منها عن أصحابه كثيرا وان لم يكن ما جمعته الا كنقطة من بحر وهو فى باب من ابواب كتابى الذى جمعته فى الشيخ خاصة وسميته «الترياق المداوى» ومما يتعلق باقواله مايكتبه الى اصحابه فى رسائله ، فانها مجموعة على ثلاث نسخ واحدة جمعها تلميذه الكبير سيدى سعيد التنانى وقد نسخت منها نسخ متعددة ، والثانية جمعها تلميذه سيدى محمد الشيخ الدرعى ، وقد رايت منها كذلك نسخا على قلتها ، والثالثة جمعها تلميذه الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح التازروالتى ، وتوجد ايضا ولكنها اقل من القليل ، ورسائل الشيخ عليها مسحة من حاله العام ، فلاكلفة ولاتزويق كلام ، ومن اقواله ماضمنه مؤلفات فى موضوعات شتى وهذه قائمة مؤلفاته :

١ ــ مترجم الربع الاول من مجموع الشيخ الامير المصرى ، فقد اودعه كل مايتعلق بربع العبادات ، ولم يكد يترك مسألة من الزرقانى والرهونى يمكن ان يتوقف عليها الاحشرها هناك ، فجاء مجلدا ضخما بلسان الشلحة ونسخه كثيرة عند اصحابه ، وبه يتفقهون

٢ ــ (عقد الجمان) رسالة كبيرة بالنسبة لرسائله وضع بها لاصحابه اداب الطريق فى فجر تصدره للتربية ، ومنها نسخ كثيرة جدا ، وهى جزء صغير •

٣ ــ (ترجمة الحكم العطائية) نظما مشلحا ، يقرؤه اصحابه كل صباح بعد مجلس الذكر ، ولكنه لم يستوف كل الحكم •

٤ ــ (المبدئى المعيد فى اخبار الشيخ سيدى سعيد) وهو شيخه المعدرى لم ارمنه الاخطبته ، وقد ادخلتها فى ترجمته الآتية على ماكتبه فى الشيخ المعدرى العلامة سيدى محمد بن مسعود •

٥ ــ (كتاب فى الطب) ذكر لى ولم اره •

٦ – (رحلته الى الحج) عام ١٣٠٥ ﻫ وجدتها فى مبيضتها فخرجتها وحررت قوافيها فجاءت فى نحو الفى بيت من الرجز ، وقد ذكرت بعضها فيما تقدم •

هذه هى ءاثار الشيخ فى التاليف ، فرطت منه وان لم يكن متصدرا لمثل ذلك •

وفاة الشيخ

مضت حياة الشيخ كلها –كما رأيت فيما تقدم– فى الجولان بين قرى سوس الى الحوز الى اسفى ، فالسويرة لارشاد الناس وتعليمهم امور دينهم ولتنبيههم على ترميم مساجدهم واصلاح ذات بينهم ، واستتابتهم مما يقترفونه فهدى الله به من سبقت له الهداية ، وعمى عن محاولاته من قضت عليه الغواية وكان من اواخر سياحاته سياحة الى مراكش ، فقد وصل الى قبيلة اولاد ابى السباع حيث احتفلت به المدارس السباعية وعلماؤها سيدى الحسن بن احمد الرسموكى فى بوعنفير ، والفقيه سيدى العربى فى الساعدات وسيدى الحنفى فى مزوضه وقد كان كل واحد يخرج بطلبة مدرسته فيلاقون الشيخ من بعيد الطلبة بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والفقراء بذكرهم المعتاد فيختلط الجمعان حتى يدخلوا الى المدرسة ، كما مر بتزكين من قبيلة كدميوة حيث زاويته ثم بات فى قرية القائد عمر السكتانى ثم فى مسفيوة ، فمر الى الرحامنة حيث اقبل عليه كل الرحمانيين عامة وخاصة ، فرأى على عادته كلما دخل قبيلة – وكانت له فى ذلك نية حسنة – القواد الرحمانيين اذذاك كالقائد عبد السلام والقائد العبادى ، وغيرهما ، وقد كانت الطريقة الالغية انتشرت فى هذه القبيلة على يد سيدى ابراهيم البصير الركانى فلم يكد الشيخ يظهر حتى تطارح عليه الناس وهو يرشد ويهذب ، ومعلوم ما للعرب من النية الحسنة ، ثم لم يدخل الشيخ الى مراكش حتى بنيت زاويته فى الرميلة ، وقد كان ينتظر ان تتم على يد اصحابه الذين منهم سيدى الحاج محمد البوطيبى الهشتوكى ، وحين حل بمراكش اهتزت المدينة وطفحت الرميلة باصحاب الشيخ الذين يعدون بالمئات فاجتمع اهل الحومة على ضيافتهم فضيفوهم فى مسجد باب دكالة الذى يتسع لاولئك الجماء الغفير ، وقد اخبرنى مقدم الحومة بعد ذلك ان الموائد التى اتى بها اهل الحومة بلغت خمسمائة ، وقد التف كل الدرقاويين المراكشيين على الشيخ فى هذه الضيافة ، ثم داروا معه على السبعة الرجال صبيحة يوم ، وهم يعلنون بلسان واحد (حسبنا الله ونعم الوكيل) فكان يوما مشهودا بمراكش ، وقد قيل للشيخ اما تخاف ان يقع لك ما وقع للشيخ ماء العينين وقد كان اذذاك ذهب الى فاس فرد فى الطريق وراء تادلة بقوة الاحتلال الذى تم اذذاك فى البيضاء واحوازها فقال: اننا لم ندخل مراكش الا باذن خاص ، ولن نهتبل الا بالله ، فذكر له

مايخافه الناس من النصارى المحتلين فاظهر لهم قوة من نفسه ، ثم وقعت منه كلمات يدل بعضها على ان الواجب هو مدافعة الاجانب لو كان فى الناس ايمان قوى ، وامر منتظم وشمل مجتمع ، وبعضها على ان المحتلين لابد ان يخرجوا اخيرا من هذه البلاد الا ان الذين سيخرجونهم لايزالون الى الآن صغارا او لايزالون فى اصلاب ءابائهم ، وهناك كلمات اخرى تفرط من الشيخ من غير ان يحتفل بها تدل كلها على غيرته وعلى اهتمامه العجيب بالوطن العزيز ، وقد مر بك فيما تقدم بعض مايتعلق بهذا الموضوع •

ثم خرج من مراكش ، فرجع الى سوس على طريق حاحة ، فبات فى اذاكيلول فأورير حيث زاوية اصحابه ، ثم الى كسيمة حيث الاهالى كلهم يكادون يكونون من اصحابه لان رؤساء القبيلة من قرية الدشيرة منهم ، وهناك فى قرية انزكان فرق الشيخ المتجردين ثلة ثلة ، وهو يوصيهم كتوصية مودع ثم الى هشتوكة فمر بنا ونحن نقرأ القرءان فى قرية ايفريان ، فبتنا معه فى حمى الصوابى بماسة ، ولا ازال استحضر ان الحزب فى العشية يقرأ بغير الوقف ثم الى المعدر حيث اجتمع فقراء كل ازاغار وفى رئاستهم سيدى محمد بن مسعود وذلك فى مفتتح رمضان ، فخرج صبيحة اليوم الثانى فاصطف الحاضرون امام زاوية سيدى سعيد ، فكان مما قال : (هنا ابتداناها ، وهنا اختتمناها) كلمة سمعها الجميع ، ولكن لم يفهموا من الكلمة الا هذه السياحة الخاصة ، ثم ظهر مقصوده بعد ذلك ، ثم طلعنا الى الغ ، فدخلنا فى اصيل اليوم فمر العيد فسافر الشيخ الى تامانارت فرجع موعوكا ، وقد كانت السنة شهباء فتوارد جيران الزاوية على الشيخ ، ليمدهم بما عنده ، ففتح المخازن فامر ان يباع الشعير والتمر بثمن السوق مع زيادة حفنة حفنة فوق كل صاع ، فثارت ثائرة بعض الاثرياء هناك ، لانهم يبيعون الى اجل باضعاف اضعاف ذلك ، فكان الشيخ يقبل املاك الناس رهنا لا بيعا قاطعا تسهيلا عليهم ، وهو يقول لهم : «دعوا رجاء اولادكم ليمتد الى فك المرهونات» فجعل الله البركة فى مخازن الزاوية حتى تعجب الناس ، هذا والشيخ يزداد مرضه ، وقد كان كتب وصيته فى اول مرضه فارسلها الى سيدى محمد بن مسعود حيث سترت الى مابعد وفاته ، وفى صبيحة السبت ٢٨ من ذى الحجة عام ١٣٢٨ هازداد المرض وعند صلاة العصر فاظت روحه فالتحق بالرفيق الاعلى ، وفى الليل تولى غسله الفقيه سيدى على بن عبدالله ومؤذن الزاوية سيدى محمد بن بلعيد التنانى ، وقد كان الناس علموا بوفاته العشية بطلقتين من البنادق على العادة اذذاك ، وفى الصباح اجتمع كل الجيران فصلى الفقيه على الشيخ ثم دفن وراء الدار فى مشهده الآن

هكذا طويت تلك الصحيفة وتلك الهمة ، وتلك العزيمة وتلك الغيرة الدينية الغريبة العجيبة ، ولكل مبتدا منتهى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)

قلت لاخي احمد يوما : لماذا لا ارى مراثي كثيرة في الشيخ الوالد بعد وفاته ؟ ولماذالم ترعف اقلام الادباء بمايستحقه منعاه من عويل طويل بين قواف متخيرة ورسائل محبرة ؟ فقال : لااخال الان السبب فى ذلك هو كونه لم يذر وراءه عقبا يراعي ويفهم عن الادباء مايقولون ، فيتقرب اليهم المتقربون ، ويجد في متنداهم من هم لآدابهم يرجون ، فيدركون مغزى توجع الشعراء حين يتوجعون ومقدار مالبنات قوافيهم التي يصوغون ، لان كثيرا من المراثي انما هى تحية لاوجه الاحياء لا اثار لمايخلفه الموتى والغائب غائب دائما . وقلما يراعى من هم غائبون عن المجلس ، فضلا عن الغرباء عن الحياة ، ذلك معنى ماقاله وهى قولة لهاحظ من النظر والا فاين مايستحقه الشيخ الجليل الطائر الصيت وما تستحقه اعماله الكثيرة التى شرقت احاديث الركبان بها وغربت واشامت الاسمار عنها واعرقت من زفرات ادبية على قدرها ، وهل يطيل الثياب الاطول لابسيها «ان الرداء على العملاق عملاق» هذا مع اننا نجد من بنات السن الادباء السوسيين عشرات فـي مؤالف هى من موقف الشيخ بمزلة الارض من السماء ، اوبمزلـة الشسع مـن الاكليل

وبعد فقد اطلت البحث عما يتعلق بهذا الموضوع ، فلم اقع الاعلـى بعض قصائد والاعلى رسائل مختلفة النسج فى التعزية ، وغالبها لايستحق جرة قلم ، وهاانذا ساجتهد لالتقط من تلك الرسائل ماينبغي ان يعتنى به ، فاما ان اسوق الرسالة كلها اوبعضها وعلى الله الاتكال ، وبه المعونة

من ذلك رسالة الفقيه سيدى محمد بن عبد السلام الورزازى المراكشي :

اخواننا فى الله الفقراء المتجردين والمتسببين في زاوية الشيخ الهمام صاحب الفيوضات الربانية ، والنظرات الصمدانية ، السلام عليكم ورحمة الله عموما وخصوصا الفقيه ذا الهمة العلية سيدى سعيدا التناني وسيدى احمد الركني وسيدى محمد بن مسعود وغيرهم ممن نسمع بهم .

اما بعد فقد وصل نعى الشيخ رضي الله عنه فبلغ فينا الحزن مبلغا عظيما نحن وكل اهالينا ، فرحم الله تلك الهمة العالية والعزيمة الطائرة فلم نـبـك لموت الشيخ فان الموت مكتوب على كل انسان ،ولكن نبكي على مثل تلك الهمة التى يربى بها الشيخ المريدين وما اقلها حتى في كثير من العارفين ، فقد راينا كثيرين من مشايخ هذه الطريقة الدرقاوية ، وشاهدنا لكـثـيرين منهم اسرارا واستنهاضا الى الله ، ولكن لم يكن منهم مثل هذا الشيخ الذى رزئت به الطريقـة فلاحول ولاقوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون ،فالله يزيده مقاما علـى مقام فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، والسلام من اخيكم فى الله الضعيف محمد بن عبد السلام الورزازى لطف الله به ، كتبه فى ربيع الثاني عام ١٣٢٩ هـ

ومن ذلك ماكتبه الفقيه سيدى محمد التادلى ثم الرباطي ثم الجديدى وهو من اصحاب الشيخ: «حياالله تلك الوجوه النيرة منكم يااخواننا اصحاب شيخنا سيدى الحاج على بن احمد الالغى السوسي ، وانبت الله نباتا حسنا من خلفه من الاولاد الذين نتمنى ان يسلكوا طريقة الشيخ التى يعز نظيرها اليوم ، فاعلم ياسيدى سعيد التناني اننا سمعنا بالخبر الصحيح في وفاة الشيخ رضى اللهعنه ، فثارت مشاعرنا لله والى الله وفي الله لاننا نوقن ان ارواح العارفين لايلحقها الموت كارواح الشهداء ، وانما تنتقل الى عالم اوسع وافسح ، حيث تستمتع بالقرب مـن الله اكثر مما لها فى هذه الدار ، فأحوال العارفين خاصة سواء محياهم ومماتـهـم ومشهدهم ومغيبهم ، لالذة لهم الا فى المشاهدة ، وهم يرون من الاكوان عين المكون بلا حلول ، وهذا مقام لايتكلم فيه مثلي الا معك ياسيدي سعيد لان صدور الاحرار قبور الاسرار ، والفقير يجب عليه ان يملك الاحوال لا ان تملكه

يقولون خبرنا فانت امينها   وما انا ان خبرتهم بامين

هذا وقد كنت ذكرت من احوال سيدنا الشيخ للعلامة الجليـل سيدى احمد بن الخياط وللمدرس النفاعة ، سيدى احمد بن الجيلاني ، فتاسفا اليوم حين لم يلاقياه ، ونحن يااخواننا على العهد والسلام على سيدنا محمد الذى جعله الشيخ خليفته فيجب عليك ياسيدى سعيد ان تهذبه وان تسلك به الطريقـة فى مسالكها المعلومة ، حتى يستحق ان يكون خليفة الشيخ عن حق والسلام من محبكم الفقير محمد بن على التادلى عفا الله عنه .

ومن ذلك ماكتبه الفقيه سيدى الزبير البعمراني من رسالة :

« . . . ونعزيكم فى الفقيد شيخكم ، فان على امثاله تسيل الجـفـون دما وماكان الا فريدا فى حرصه على نفع العباد ، واحياء القلوب ، والاخـذ بايدى العامة في اصلاح ذات بينها ، والخاصة فى تربيتها على الطريقة التى تسلكها فرحم الله الشيخ وقوى الله الفقراء وكل ابنائه على الصبر ، وانما الصبر عند الصدمة الاولى . . . »

ومن ذلك ماكتب به الرجل الصالح سيدى الحسين صاحب الزاوية ازاء الجديدة ، وقد كان زار سوس فنزل على الشيخ عام ١٣١٦ هـ :

«الاخوان الذين لاتجتمع قلوبهم الا على محبة الله ومحبة نبيه ، اصحاب الشيخ سيدى الحاج على بن احمد السوسي ، رضى الله عنكم جميـعا ، وافاض علينا وعليكم من سحائب رضوانه ، وكذلك اولاد الشيخ الصغار واخوانه وكل اهل داره ، فالسلام والرحمة والبركة على الجميع

اما بعد فالله الله الله فى الاجتماع على الله ، والعض بالنواجذ على هـذه الطريقة التى من ذوق من اسرارها لايجد لها شبيها ، فنحـن نعزيكم ونعزى

الفسنا ولنعزى كل اهل الله في قطب الطريقة ، وامام الشريعة والحقيقة ، هذا الشيخ الذى بلغنا انه انتقل من عالم عين اليقين الى عالم حق اليقين، فهو والله فريد بين كل من زرتهم من المشايخ وهم كثيرون لايكادون يحصون عددا ، فقد كنت عندهم جميعا وجالستهم ، وفي الكل خير ، الا انني لمازرت زاوية هذا الشيخ رايت كل ماكان يذكر لنا عن اصحاب الشيخ مولاى العربي من تجريد ومحافظة على الاوقات ، والحرص على الانفاس ان لايضيع واحد منها في غير مشاهدة مكون الاكوان ، فقد تعجبت حين رايته استطاع ان يجد له اصحابا يقومون مثل قيامه في همة الصوفي الذى يعرف ماطلب ، فقد مضت لنا معه مذاكرات استفدنا منها الشيء الكثير ، ولولم ارتبط بشيخ ءاخر حى لسلمت له زمامي ، وجعلته في الطريقة امامي ولكن الزوجة لايكون لها الا زوج واحد على ان الاشياخ كلهم على طريقة واحدة ، كما قال الله : (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل) والآن يا اخواننا نحن وانتم ذات واحدة ، فلاتنسونا كما لاننساكم وان لم يمكن الاتصال كثيرا لبعد المقرين ونوصيكم على الطريقة فالمحافظة على شروطها من اوكد الواجبات على الفقير والسلام عليكم جميعا من عبد ضعيف خديم لاهل الله الحسين لطف الله به»

ظفرت بهذه الرسالة ممن حافظ عليها ، ويظهر انها لم تصل الى الغ، والا لسمعت بها من عند امثال سيدى سعيد التناني

ومن ذلك رسالة كتب بها الفقيه العلامة سيدى على بن عبدالله الى ابى فارس الادوزى

«الفقيه الدراكة الذى مابيننا وبينه الا الاتصال التام ، والذى كل مايهمه في جهتنا فهو عندنا من المهام ، سيدى عبد العزيز الادوزى ، وعليكم السلام ورحمة الله، وبعدفقد وصلت رسالتك ، فقضيت في الحين حاجتك على ان رسولكم وجدنا في حزن عظيم ، واسى لايكيف مقعد مقيم ، حتى انني اتكلف الصبر فلا اجد اليه سبيلا ، بعد مافقدت ازائي من لااجد له في النصيحة والاخوة والمعاونة مثيلا ، فقدصرت غريبا في بلدتناهذه بعدما صار سيدى الحاج على الى مالابد ان نصير اليه جميعا ، فقدغادرني مفردا لاانيس ولامشتكى اليه متى كنت وجيعا ، على انه صار الى جوار ، وانا بقيت في جوار كمايقول التهامى في رثاء ولده :

جاورت اعدائى وجاور ربه ... شتان بين جواره وجوارى

فما امر الحياة التى لااخوان فيها ولامعينين ، ولاجيران فيها مخلصين محتسبين فالله يرحمه ، ويجعل لنافى امثالكم البركة في السكون والحركة ، والسلام
وكتب الفقيه ايضا الى بعضهم اثر وفاة الشيخ متمثلا اثناء رسالته :
«لعمرك ما المصيبة فقد مال ... ولاشاة تموت ولابعير

ولكن المصيبة موت حر ... يموت لموته خلق كثير»

واما المراثى فقد قال العلامة عميد المدرسة الالغية سيدى على بن عبد الله رفيق الشيخ الدائم :

هبنا ملكنا المال عفوا ما الذى ... يجديك غير تحسر وتفقد ؟
او قد جمعت جموع كسرى ماالذى ... من بعد ذاك الجمع غير تبدد ؟
او قد حييت حياة نوح في غنى ... ايوب هل تنجو به او تفتدى ؟
او سالمتك صروف دهرك حقبة ... لابد تصبح في مقيم مقعد
تبا لدهر لايراعى برهة ... ذمما ولا الا لاهل السؤدد
وتراه يسفل بالكرام ويعتلى ... بلئام هذا الجيل فوق الفرقد
ويهم بالتنقيص والتشتيت في ... اخوان صدق همة لم تحمد
لايخد عنك اذا استلان فانه ... ما زال يقصده بنيل مقصد
ما راعني والدهر حبل مقرب ... لابد من وضع بيومك او غد
والشمل مجتمع بمن احببته ... والسعد يسعدني لعيش ارغد
الا النعي بموت شيخ ان تقل ... مات الكمال به فغير مفند
شيخ الشيوخ سليل احمد من بدا ... في عصره للدين خير مجدد
ماشئت من علم ومن عمل ومن ... ادب يزيد وهمة لم تعهد
وديانة تنسى اذا عاينتها ... غير الاله ورفعة لم تجحد
ونصيحة قد زانها اخلاصها ... وصداقة في غيره لم تشهد
لمناقب يعيي المفوه عدها ... وترد كثرتها لسان المقصد
ءاه على تلك المحاسن انها ... طارت بها العنقا الى متصعد

وقال الشاعر المفوه شيخ الاسلام شيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى :

امن حادث بكر الم فاجزعا ... جزعت وحق ان تنوح وتجزعا
لفقد امام الدين شيخ الرسوخ من ... غدا للعلا والدين عينا ومسمعا
مربى مريدى الرشد بالسيرة التي ... حوت كل ءاداب السياسة اجمعا
محط رحال القصد مطمح همة الـ ... ـمريدين مرعى للفضائل امرعا
زلال صفا ذوقا وبدر تضاءلت ... له الزهر لما ان تبدى واطلعا
ابى الحسن البر ابن احمد من غذا ... ه ثدى العلا والعلم طفلا وارضعا
وجد الى ان بذ كل منازع ... بهمة طماح العزائم اروعا
فنال منالا دونه النسر وانتهى ... الى رتبة تناى منالا ومطمعا
اقام يشيد الدين دهرا مجددا ... لركن الهدى لما وهى وتضعضعا
طمت لجج العرفان من بحر صدره ... وفتت مسك العلم ثم تضوعا
الى ان انارت من سناه جوانب الـ ... ـبلاد وزال الجهل عنها واقلعا

فلما استوى بدرا وازهر ناضرا   اهاب به ريب المنون ففجعا
فهيض جناح المجد وانقض نجمه   واصبح عرنين المكارم اجدعـــا
وغاض معين الفضل وانجاب ماطر   السيادة لما ان قضى فتقشعا
وحار ذوو الحاجات لم يهتدوا الى   سبيل ولم يلفوا الى القصد مهيعا
ومن ذا يرجى سائح متجرد   ليهديه او من يجير المروعا ؟
واى طـبـيـب للقلوب يلـدها   بدهن الرجا والخوف طرا لينجعا؟
مضى يجتنى تمر الرضا متبوءا   من الخلد في اعلى الفراديس مربعا
وخلف وجدا لايريم ووحشة   تكاد لها شم الذرى ان تزعزعـــا
فقل للذى يبغى العلا متطلبا   لشيخ مرب بـعـده متطلعـا
امن بعد ما اعتدت الجواد تريدان   تسير مغذا بالمقارف ضلعا ؟
«فليست عشيات الحمى برواجع   اليك ولكن خل عينيك تدمعا»
على قبره سحب التحية والرضا   من الله ماغنى الحمام ورجعا
ولكن ما ابقى لنا الله شيخنا الـ   ـامام فقد اسدى وارضى وامتعا
ففى مجده ـ والحمد لله ـ غنية   لمن سار يرتاد الكمال فاوضعا
نلوذ من الدهر المخيف بظله   وناوى له ان صال خطب وروعا
فلازالت العلياء تخدم بـابـه   وبارك فيه الله ركنا ممنعا

وقال ابنه الاديب الكبير سيدى محمد بن الطاهر :

قالوا قضى العلم الامام السيد   عين المعارف والعلوم الامجـد
ذاك الامام المرتضى المولى ابو الـ   ـحسن ابن احمد من غذاهالسؤدد
فعفت ربوع المكرمات وقد زهـت   بسناه ازمانا تـؤم وتقصد
وتعطلت درج المنابر واكتست   ثوب المذلة بعد عز يشهد
قالوا ارثه باللذ علمـت وانه   يفنى الكلام وفضلـه لاينـفـد
فاجبتهم كيف الرثاء لمن غدا   شمس الضحى تعشى الذىقديجحد؟
ماذا يفيد لمجده قول وقـد   بلغت به اقصى البلاد الوخد ؟
واذا اختفت عنك الفضائل فاسألن   عنـه الليالى اذ بها يتهجـد
وأسال مساجـده التى قـد طالـما   شهدت مـواقفه اذا ما يـعـبـد
فلقد غدت مثل النجوم لكل ما   ارض يقيم بها الصلاة العبد
لايجحد الفضل المبين سوى الـذى   طمست بصيرته وذاك المبعد
واحسرة الـديـن الحنيف لفقـده   واحسرة الضليل من يسترشد
رحم المهيمن روحه وانا لـه   رضوانه فـى النعم تـتـجدد
بالمصطفى صلى عليه الله مـا   غنى على ملد الغصون مغرد

وقال الاستاذ الكبير شيخنا سيدى عبد الله بنمحمد ابن اختالشيخ:

قد انقضى الخير وحاد الكمال   واستحكم الجهل وعم الضلال

وصار رسم المجد من بعد ما   كـان متينـا عرضة للزوال
واعلـن الديـن الشتات بمـا   اصابـه مـن ضر داء عضال
قلت احتسب يادين لا احـد   يشكيك من داء الضنى واعتلال
لما قضى الشيخ على بن احـ   ـمد امام الوقت اكرم خال
اودى فـثـاد بـعـده صبـره   فؤاد من راى كمال الجمال
قالوا وما اودى به قلت مـا   اودى به غير عيـون الكمال
ياليته يـبـقـى ونعـطـى بـه   ماعز من نفس وولـد ومـال
وقـل لـو امكن فـى حقـه   وانما (ليت) دليل الخبـال
لانـه المـوت فـلا يـرتشى   كالحكم العدل الرفيع المثال
ما الموت الا الدين مهما اتى   ميعاده يقضى بـدون مـطـال
اولا فمثـل تاجـر يشتـرى   نفائس الدر ورطـب اللئال
لذا يحوم عن بحور التقـى   ياخذ منها من خيار الرجال
الدهر قـدمـا هـكـذا دأبـه   تشتيت اخوان الصفا واغتيال
لم يغن عن كسرى ولا قيصر   معاقل شيدت ولا ذخر مال
ولا الـخـورنـق لنعـمـانه   ولا اخو الحضر نجا باحتفال
ولا حـمـى الابيض اربـابـه   ريب المنون بعد طول احتلال
ولا نـجـا مـنـادمـا ابـرش   معه بحسن عشرة واحـتـيـال
سعى الى ان نال فى المجد ما   ينـاله عـن ارث أصل وءال
والبدر ان تـمـت مـنـازلـه   لابـد مـن سراره وانـتـقـال
قلت وقـد عايـنـتـه علـمـا   يرفع من فوق رقاب الرجال
وازدحـم الناس عـلى نعشه   حتى تقطعـت شسوع النعال
العين لا يرقا لـهـا دمعـها   اما الشهيق فهو بـاد وعال
لاتعنقوا السير فقالوا اتـئـد   فانـه يـوم تسير الجـبـال
فيا لـه مشهود يـوم بما   حوى من الكرب وعظم النكال
يا هائل الترب عليه فان   تدفنه لم تدفن حسان الخلال
اقام فـى القبر وءاثـاره   سيارة تـتـلى بكـل مـجـال
وكيف لا وهو امام الـورى   وهو المهذب الغياث الثـمـال
مقصد اهـل الـلـه يهديـهـم   معالم الذكر الوريف الظـلال
واكـرم الـنـاس ولـكـنـه   يبدا عفـاة بابـه بالـنـوال
مجدد دين الهدى بعـد مـا   يكاد تعفوه عوادى اخـتـلال
قد اوتى المنشور وهو التقى   وهو الذى حاز سنى الخصال
وعـلـمـه بـحـر زلال غـدا   يقذف بالدر لاهـل السؤال
وحكمه ينسيك هـرمس مـع   بقراط فى غابر عصر وخال
اما اصطباره فنحو اولى الـ   ـعزم من الرسل بفرط المثال
ما شئت من حزم وعزم ومن   رصانة العـقـل وصدق المقال

وهمة النفس فيما واجهت ينقاد في الحين بكل انفعال
وفي فراسة يفطن كان رأى والمعية لا تخال
ومن رئاسة حباه بها في الدين والدنيا اله الجلال
وفي سياسة يقال لمن يأملها املت نيل المحال
ومن شمائل حكى لطفها ورد الرياض امطرتها شمال
ان قام في الناس بوعظ ترى محاجر الناس جرت بانهمال
او باغت المجلس اطرق من به جميعا هيبة واختجال
لغير هذا من صفات لوى عن عدها العي لسان المقال
من ذا يحل بعده مشكلا او يدفع الحادث حتى يزال ؟
او يورد البحث على وجهه يطلب فيه النص دون احتمال
مضى ولا يمضي بنا ذكره حتى توارينا بطون الرمال
صب عليه الله في قبره سحائب الرحمة صب العزال
صبرا جميلا يابني احمد لحادث اذال وخز النبال
فرزؤكم عم جميع الورى بالحزن من وهادها والتلال
وفي ابنه محمد غنية وهمة ترقى به للمعال
هما لافلاك العلا توأم اطلع ذا ، وذاك خاو يمال
يسعى لادراك العلا سعيه حتى ينال في العلا ما ينال
وبارك اللهم فيه وفي اخوته الشم الذرى والمنال
واغفر لعبد الله من بعده فالحمد لله على كل حال
أرخ وفاته بذي حجة قد انقضى الخير وحاد الكمال

وقال الفقيه سيدي موسى بن الطيب السليماني صهر الشيخ وابن اخته واحد مريديه :

مضى الاخيار وانقضت الدهور وتم الخير واتصل الشرور
مضى الصهر الوفي اخو المعالي وخال شيخنا الليث الهصور
فوا أسفا على قطب المزايا رحى الخيرات حوليه تدور
ووا أسفا على وجه تقفى يسر به غني والفقير
ووا أسفا على وعظ اذا ما يسجره تذوب به الصخور
ووا أسفا لكل الناس طرا سواء منجد وفتى مغير
ووا أسفا لهذا القطر غابت به شمس على الجوزا تنير
مصاب عم مقطعه وهادا وسهلا والجبال كذا البحور
مضى من كان فينا خير وال اذا ما جاءنا امر عسير
وخير وسيلة في كل خير اتيناه يحق لنا البرور
مضى من هو في الاحداث طود رسوخ في الشدائد والصبور
فان شئت العلوم تراه يبدى مسائل قد تضيق بها السطور

او الجود العميم تراه يعطي عطاء قدره جم غزير
او العزم اعترف بوضوح عجز عن افعال يقوم بها القدير
وليس بمنكر ذا الفضل الا ذليل او جهول او حقير

* * *

ايا من جد في نيل المعالي الى ان حل ساحته النذير
رثيتك عن مجامر في فؤادي يدك بها اذا اتقدت ثبير
فيا بدر التمام ويا مناطا لكل فتى الى العليا يطير
اتت سكرات موتك لاتفدى بمال لا ولا يغني السمير
يحق لجفننا ابدا دموع تمازجها الكآبة والزفير
فيا تربا حوى اشلاء شيخ اتدري ما حوت منك القبور ؟
رأيناه عيانا ذا وضوح تسلألأ منه وجه مستنير
وبعض من مريديه رآه فقام له على قرب يسير
فصبرا يابني شيخي جميلا لوقع لم يكن منه مجير
فبارك فيكم ربي كثيرا وفي الاخوان ما شيد القصور
فيا شيخي نزلت جنان عدن على جنبيك ولدان وحور
فلا يحصي رثاءك دو قريض وان يرث الفرزدق أو جرير
سقى الرحمان قبرك مزن رحمي تلث عليه ما طابت زهور
ولاقتك الملائك باحتفال وجاورك الافاضل والصدور
عليك سلام ربك كل حين ووقت ما ترنمت الطيور

وقال الاديب الكبير سيدي احمد بن محمد اليزيدي :

الدين يجزع والصدور توجع والعين تدمع والقلوب تصدع
وتلهب النيران بين جوانحي ابدا يزيد ، هلكت لولا الادمع
الدمع قد خد الخدود وفتها مثل الاصابع فت فيها اليرمع
أين الذين مضوا عنوا لملمة نزلت فصاروا كل حي بلقع ؟
واذا رمت اصمت سواء عندها الـ ـبازي الاشهب والغراب الابقع
لم انس حين وقفت في ربع فما اجدى الوقوف ولا اجاب المربع
حظ الذي ملك الدنية كلها حظ الخيال مضى وذلك اسرع
ان المصائب جمة لكنه ما مثل رزء على بن احمد مفجع
اودى فاودى العلم وانجاب الندى ان السهام لدى المنية شرع
لم تثنها عنه المعارف والعوا رف والجحافل والبناء الارفع
انت الكريم ابن الكريم ابن الكر يم ابن الكريم الالمعي الاطوع
ضاقت بموتك الفجاج عن الورى كل بكاك ولا بكاؤك ينفع
ماكنت انسى يوم موتك اذ غدا جم غفير خلف نعشك شيعوا
تفديك هل نفس تفدى مثلها ان المنية بالفدا لاتقنع

فالشيخ هون بترحاله مصائب الدهر الى نشره

وكتب العلامة سيدى عبد العزيز الادوزى فى التعزية بالشيخ :

اخواننا فى الله والاخوة فى الله اعظم رحم يجب وصلها ، وللطريقة اداب وكل من يقوم بها فانه اهلها ، ياسادتنا اصحاب العارف بالله الشيخ الاكبر سيدى الحاج على الالغى المرحوم ، ليس هذا الخطب العظيم خطبكم وحدكم ، ولا الرزء به هو التاثر الذى عندكم ، بل ان موت الشيخ موت ركن عظيم من اركان الاسلام ، فمن لنصيحة العباد بعد هذا الشيخ الامام فشهادتنا انه قام بمايجب أن يقوم به كل العلماء ، فى نصيحة الدهماء بله تربية الخاصة من الفقراء من جلاء مقلة عمياء اودواء اذن صماء

فماكان قيس هلكه هلك واحد   ولكنه بنيان قوم تهدما

فقد كان المرحوم يقيم القلوب ويقعدها ، ويقوم العزائم نحو الوجهة الربانية ويسددها فكم معوج قوم ، ومتأخر قدم ، وغافل ايقظ من وسن وسادر غض مماله من رسن فعزاؤنا فيه واحد ، والله على مانقول شاهد والسلام

وقال الاديب الصوفى سيدى الحبيب البوسليمانى بعد نثر ونص الجميع :

اولاد الشيخ الامام كبير العارفين ، وقدوة المتطلعين الى وصول رب العالمين المرحوم الذى رزىء به الاسلام ، علم الاعلام الشيخ سيدى الحاج على بن احمد الالغى مربى المريدين ، ومرشد الضالين من كان عمرى الهمة والبدر المشرق فى الليلة المدلهمة فكم كشف عن قلب غمة ، ولم انفاس المريدين الى الله لمة فعليكم ياأولاده وجميع الفقراء المنتسبين الى الطريقة الالغية ، من المريدين اركى سلام واذكى تحية ، ما ابدر قمر وازهر شجر وحلا ثمر

اما بعد فقد وقعت السماء على الارض ، ومنيت البحار المحيطة بالغيض وكسفت الشمس والقمر وغطى على السمع والبصر ، حين نعى الينا شيخ الاسلام وامام الائمة الاعلام قطب الطريقة ، والجامع بين الشريعة والحقيقة ، فياله من مصاب ذلك العزائم ونتف الخوافى والقوادم ، وكاد لولا الرجاء فى الله ان يؤيس فى الخلف ، لخير من سلف وما هى الا مصيبة جلى هاضت الاعضاد ، والست الاجداد والاحفاد فمن مثل الشيخ رضى الله عنه فى همته العمرية وعزيمته الخالدية ، فكيف الصبر بعده ام كيف يرجى ان يجد المريد نده ، ولكن على قدر المصيبة ينبغى ان يكون الصبر ، فصبر جميل وان اتقد فى كل القلوب الجمر فاحسن الله عزاءنا وعزاءكم يا اولاده وفقراءه وهاكم ابياتا تكلفتها فى رثائه وان كنت لاادرك كما اهوى رثاءه :

ففى امام الدين من لايرى   له نظير فى جميع الورى
ما كان فى افاقنا هذه   الا كمثل البدر ان ابدرا

من للشهامة والصرامة بعدكم   ما فيهما للغير بعدك مطمع
الشمس والبدر المنير ودوحة الـ   ـمجد الاصيل ثلاثة لاتربع
للشمس غور والمنير افوله   وبقيت فردا فى دهورك تلمع

* * *

ماالبحر عندك فى الندا ماالليث بعـ   ـدك فى الشجاعة ماالشجاع الاقرع؟
غاضت بحور العلم بعد ترحل الـ   ـبحر المحيط وما تغيض الادمع
نرضى الرضى بالشيب فرقة سيد   ولكل شخص بعد شخص مصرع
ان الذى ملأ القلوب جلاله   وهدى الانام له مقام ارفع
عجبا لبدر كان منزله الثرى   ولبحر اعظم فى الركية يجمع
قسما بحب الاريحى محمد   لله على قلب الاحبة موقع
وله بشم قد مضوا كالجشتمى   واليفرنى اسوة تستتبع
فسقت سحائب رحمة ديماس من   يهدى ويهدى بالمواعظ يقرع
صلى الاله على النبى محمد   ما الورق فى اغصان ايك تسجع
وعليهم ابدا لدى محبة   ما الدين يجزع والصدور توجع

يعنى الشاعر بمحمد الاريحى كبير اولاد الشيخ اذذاك ، وبالجشتيمى ابا العباس احمد بن عبد الرحمان وباليفرنى الحاج الحسين اليفرنى دفين تزنيت مات الجشتيمى عام ١٣٢٧ هـ ومات اليفرنى عام ١٣٢٨ هـ

وقال ايضا :

قد استوى الله على عرشه   والله غالب على أمره
والملك والبقاء والجبرو   ت والعلا لله لا غيره
يا ايها الباكى على فقد من   علا على الشموس فى قدره
ايه فقد اودى المنون بمن   كان امام الناس فى عصره
ابك او اعول ذاكرا وعظه   وجدد الحزن لدى ذكره
وقل لذى وعظ وذى ادب   الوعظ والآداب فى قبره
والوعظ والمجد الاصيل كذا   الذكر الجميل غرن فى غوره
هدى الجهول واستقاد العمى   من بعد ما غرق فى بحره
(ليس على الله بمستنكر   ان يجمع الاسرار فى سره)
الدهر قد نذر ان يغدر الـ   ـكرام بر الدهر فى نذره
فالرزء كل الرزء موت ابى   حسن السامى على غيره
لكنه هون ذاك بقا   ء الشيخ مجد الدين فى مصره
مجدد الملة شيخ الشيو   خ من غدا كالبدر فى دهره
محيى الهدى مهدى الندى والجدى   مردى العدا الشهير فى قطره
لازال ملحوظا بعين الرضا   ممتعا بالسؤل فى عمره
والموت فرض يحتسى كاسه   نظير ذاك الشيخ فى قصره

كم مقلة اسالها ادمعا بوعظه المشهور ان ذكرا
وكم سفيه رده سيدا فذا متى هذبه اكبرا
يارب الحف بالرضا قبره ومن يزور ذلك المقبرا

أولاده

ترك الشيخ من الذكور ومن الاناث خمسة عشر ، محمد وعبد الحميد وحبيبة ومريم اشقاء من السيدة فاطمة الالغية ، واحمد وعبدالله وعبدالرحمان وعائشة وصفية وءامنة اشقاء من السيدة خديجة التملية، ومحمد المختاروالحبيب واباالقاسم وابراهيم وفاطمة من السيدة رقية الادوزية ، وقد بينا بعض احوال اولاده في كتاب (الترياق المداوى) وسترى امامك تراجم من يستحقون الترجمة من اولاد الشيخ واحفاده

الكتب المؤلفة في الشيخ

١ ـ «المامول المبغى فى مناقب الشيخ سيدى الحاج على السوسى الالغي» للفقيه سيدى محمد التادلى

٢ ـ «الفتح الموهوب فىمناقبالشيخ المحبوب»للفقيه سيدى الطاهرالسماهرى

٣ ـ «هز الراية الجعفرية» للعلامة محمد بن مسعود

٤ ـ «السر الجلى فى مناقب الشيخ سيدى الحاج على» لسيدى بريك بن عمر المجاطى

٥ ـ «حياة الشيخ سيدى الحاج على» كتبتها لبعض الاجانب بطلب منه

٦ ـ «من افواه الرجال»جمعت فيه بلا ترتيب ماكنت اخذه عن اصحاب الشيخ فى كل مايتعلق به • كمااضفت الى ذلك اخبار كثيرة من غير اخبارا الشيخ فيه عشرةاجزاء واتمنى لوامكن لى أن اميز من الكتاب اخبار الشيخ من غيرها على ناحية

٧ ـ «الترياق المداوى فى احوال الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى» لبيت فيه رغبة من طلبه منى ، وهو فى جزء وسط

العلامة على بن عبد الله الالغى

= ١٢٧٥ هـ = ٦-٤-١٣٤٧ هـ =

نسـبـه :

على بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد ابن عبدالله بنسعيد •

ليس كل من وصفه المترجمون الذين يخبط بعضهم خبط عشواء بكونه علامة ، كان علامة حقا ، ولاكل منقيل فيه انه استاذ هو استاذ بلفظه ومعناه كما تقصدهبه العرب العرباء فقد صارت الاوصاف تنثر يمنة ويسرة ، حتىصار من يريد ان يضع الاشياء فى مواضعها ، والاوصاف ازاء مستحقيها يستحيى ان يصف باحدى تلك الاوصاف من قامت به حق القيام ، خوف ان يظن انهالقى أيضاذلكالوصف بغيرتبصر وأنه ممنيخبط خبطعشواء ككثيرينغيرهولكنبالآثار تظهر الرجال ، وبالاصحاب والاعمال يعرف العاملون الذين بذلوا جهود حياتهم فى التثقيف والتهذيب ، فمن اعوزك ان تعرفه ، وان تتبصر هل ما وصف به يستحقه حقيقة فانظر الى اصحابه واعماله وءاثاره ، قبل ان تستهويك بنيات الالسنة ، فهناك تلمس حياة الرجل ويكتنه قدره كيفهو

العلامة على بن عبد الله ، هو ذلك الرجل العظيم الذى خلف صنوه الاستاذ المتقدم محمد بن عبدالله فى تسيير دفة الدراسة فى المدرسة الالغية ، فكانخير خليفة تم على يده ما افتتحه الاول ، واستتم فى درسه من كان شدا فى درس اخيهوسار على خطته فى رفع شان العلم واهله ، وفى تمكين اسمه فى الغ ، وفى ترشيح اهله الى ان يكونوا بهقادة معاصريهم، وفى تلقى كلمنوفد للورود فى مناهل المدرسة ، بكلتا اليدين ، فكانت المعارف الالغية تزخر بالواردين والصادرين وقد التجم مابعد عام ١٣٠٣ هـ الى ماقبله ، فكأنالغ لم تززا بذلك الاستاذ ، حين صار هذا الاستاذ الجديد على خطته :

اذا مات منا سيد قام سيد قئول لما قال الكرام فعول

الاستاذ على بنعبد الله ، هو ذلك الاديب الحى الاريحى الذى وصل بالادب الالغي الى هذه الغاية التى يشاهدها المغرب اليوم ، كما سيشاهدها العالم غدا فى التاريخ ، فقد قام على اللغة العربية ، والعلوم التى تدرس بها خير قيام

من حين انزول المدرسة ، الى ان التحق بربه عام ١٣٤٧ هـ فقد كانت الخمس والاربعون كلها ادابا وابحاثا ، ودراسات ومحاورات ومكـاتبات ، وفتاوى رائعات وقصائد ومقطعات ورسائل محبرات تتسم بسجع يخف على السمع ، فقامت به في الغ سوق حافلة رائـجـة طارت بذكرها الركبان ، وتعطـرت باحاديثها الاندية :

فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق   وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب

خطوته الاولى

كان والده رحمه الله قد اعتنى بأخيه الاستاذ محمد بن عبد الله كماذكرنا ثم التحق بعداخذه للقرءان بالمدرسة التانكرتية ، وحين بلغ الاستاذ علىصنوه هذا مبلغ التعلم ، صاحبه معه الى تانكرت وقد كان تخطى الحروف الهجائية وبعض احزاب عند اساتذة القرية ولم نهتد الى معرفة من هو ـ فالحقه صنوه باستاذ مسجد تاباحنيفت ـ من قرى تانكرت ، وهـــو سيدى "محمد بن علي الناضوتي ، وبه وحده تخرج فى القرءان حتى اتقن حفظه ، ثم التحق بمدرسة سيدي حمو بن الحسن عند الاستاذ الكبير سيدى محمد بـن الحسن الماسي القارىء الشهير لتعلم القراءات المختلفة ، فبقى هناك الى عام ١٢٩١ هـ

في دراسة العلم

تهيأ للاستاذ صنوه ان يؤسس في اول يوم ، في مسجد قرية الزاويـة مدرسة صغرى ، انضاف اليه فيها بضعة تلاميذ اولا ، فذهـب هـو وصاحبه سيدي سعيد بنعلي الاعضيباى الى صاحب الترجمة بالاخصاص ، فالحقـــاه بأولئك التلاميذ ، فصار يتدرج ثم لما انتقل صنوه الى المدرسة البومروانية وقد بلغ حصلت منه فترة ، فسمت به همته الى التكسب ، فجال في المقايضة وكادت تكونفاضية عليه لولا ان لاحظتهعين السعادة ، فاتصل به الشيخالوالد كما يقول العم اذ خلفه الاستاذ محمد بن عبد الله بتلك المدرسة ، فعرف كيف يحول فكرةالاستاذ على الى الدراسة ، وكان رحمه الله من البق الناس فىمثل ذلك واسعدهم حظا فيه ، فما شاه فى المطالعة والمراجعة والتلاوة ، فما مضت سبعة اشهر حتى تفتحت قريحته وشدا وصار في العلم من النهمين :

اذقه واطلقه فمن ذاق شربة   من الكاس هذى كيف بعد يفيق؟

ثم لم يزل فى التحصيل سهرا واكبابا باذلا كل جهده فى ذلك ، حتى انهفى بعض العواشر ارتحل الى الاستاذ سيدى علي بوضاص الاخصاصي ، فاخذ عنه الفرائض والحساب ثملميفته درس من دروس صنوه ، ولامن دروس الاستاذ

الحاج محمد اليزيدى ، حين كان فى المدرسة الالغية عام ١٣٠١ هـ ولم يزل على هذه الحالة ، الى ان توفي صنوه باحواز مراكش ، ونقله مع الشيخ الوالدالى الغ ثم استتم الوالد تلك السنة ، على ماخلفه عليه الاستاذ المرحوم في المدرسة الالغية ، ففادره الى ماخلق لاجله ، كما رايت ذلك فى ترجمته .

فى الاستعداد لقيادة المدرسة

فى المدرسة الالغية حين توفى مؤسسها ، نبغاء اصحابه المتفوقون غاية التفوق وهم بلاشك تدربوا على مجاذبة الابحاث مع من يتصدر امامهم ، فحين حق لصاحب الترجمة ان يقود القافلة ، وان يتصدر فى مركز الادارة ، وزن نفسه بميزانه الدقيق الذى نعرفه عنه في طول حياته ، فلاشك انه راى فـي بعض نواح من معارفه نقصا ، فاراد ان يستدركه قبل ان يبرز فـي الميدان ، وينقض عليهبواشق المدرسة بابحاثهم من كل جانب،فاستدعى الاستاذ اليزيدى فشاركه في المدرسة من جديد ، فاكب بمعاونته في مخض الوطاب ، وسنالقلبا وكان يتعاون هو واليزيدى والوالد الذى كان يغب فى كل مساء الى منتصف الليل ، فى استفتاح المغلقات واستيضاح المشاكل ، فما توسط عام ١٣٠٤ هـ حتى احس من قوادمه وخوافيه بقوة يقتدر بها على مطايرة اقرانه فى المدرسة بل يبذهم بذا ، حتى يصلح ان يكون استاذهم بالاستحقاق وان يسمواتلاميذه بكل جدارة .

وقد حكى لى انه كان في هذا الطور قد طلق كل اشغاله الخاصة وتركها فىايدى العبيد ، مع انه يدرك انالسرقة من ابناءحام عادة مستمرة ان رأوهم فكيف ان جعلتهم بأنفسهم رعاة ، يعرف ذلك حق المعرفة ، ولكنه يقدم الاهم فالاهم وهو الفقيه الذى يعرف قاعدة : اذا اجتمع ضرران ارتكب اخفهما
هذا مع انه تزوج اذذاك ، وقد خلف صنوه على السيدة مريم بنت احمدابن والدنا ، بعد ان تقضت عدتها

أستاذ المدرسة

صدق الذين قالوا ما افسدالطب الا انصاف الاطباء ، ولاافسد العلوم الا انصاف المعلمين ، صدقواوالله ، لان من تصدر لتعليم علم قبل ان يتمكن فيه وقبل انتحصل له فيه ملكة ، وقبل ان يكون على ذكر منجل مسائله على الاقل فانما هو كمثل الاعرج الذى يريد ان يعلم غيره المسابقة بالارجل ، وكيـف الوثبات التى يمكن للمسابق ان يبذبها صاحبه عند الحضر فى المضمار .

راينا الاستاذ على بن عبد الله ، ومااثره تعليمه بعد انتمكن كل التمكن في المعلومات التي يدرسها ، وفي العلوم المختلفة التي يلقنها في المدرسة منذ

تصدر ، فرأينا ماخلبنا وما بهر عقولنا ، وتركنا نوقن ان ذلك من اثر تمكنه ومعرفته ما يعلمه حق المعرفة •

كثيرا مايوازن طلبة المدرسة الالغية في اسمارهم بين ماينقلونه عن الاستاذ ومقدار رسوخه في قلوبهم ، كانه نقش على حجر وبين مايتلقونه عن غيره ممن يستنيبهم الاستاذ فى المدرسة ، فيتعجبون من ان درس غيره يطيرعن ذاكرتهم قبل ان ينفتل المدرس عن مجلسه ، بخلاف مايتلقونه عن الاستاذ ، ولكنه قلما يتفطنون الى هذا السبب الذى ذكرناه •

قال بعض الفتية الالغيين : لدرس واحد ءاخذه عن الاستاذ اكثر فائدة من عشرة ءاخذها عن فلان ، سمعت ذلك باذنى ، وهذا الفتى من البق النشء الالغيين •

وقال ءاخر ممن كان ربض بين يدى الاستاذ ماشاء الله ، ثم التحق باستاذ ءاخر ، فى مدرسة اخرى وهو من مشاهر المدرسين في اول نصف هذا القرن انني اليوم عن ذلك الاستاذ وكأنني بليد موصد القلب ، متحجر الذاكرة على حين اعهد من نفسى اننى استحضر كل ماأخذته عن الاستاذ على بن عبد الله بعد سنة وكأنني اخذته عنه الساعة او كماقال ، وما السبب فى ذلك الا ماذكرناه •

ثم ان تحقيقه رحمه الله ومباحثته في الدروس وارخاءه العنان للمباحثين ـوان عرف بادىء بدء ان سهام المباحث طائشةـ حتى يفهم مباحثه غلطه بالتي هى احسن ، أمر مشهور عنه ، يعلمه عن كل من حضر عنده ولو درسا واحدا اوجالسه فى محفل واحد لان محافله العامة ان كان فيها الطلبة تمضى كدرس من مجالس المدرسة ، فلاتخلو من مباحثات ومراجعات وانتقادات وتحرير مسائل من مختلف الفنون فالاستاذ يدرس دائما متى التقى مع الـطلـبة سواء فـى الطريق على البغال او حول الصينية والكئوس تدار ، أوفي اى مكان ءاخر صادفهم فيه ، فهذا هو الاستاذ الذى بنفسه تولى الدراسة فى المدرسة الالغية من اواسط عام ١٣٠٤ هـ الى نحو ١٣١٣ هـ حين سلم المدرسة لنائبه وتلميذه الاستاذ ابى القاسم التاجارمونتى ثم صار يلقى بعض الدروس فينة بعد فينة ، متى وجد فراغا مما طوق به من منصب القضاء الذى تولاه رسميا كما سيأتى

قولة الشيخ الوالد فيه

اسمع ماقال الوالد فى هذا الاستاذ في شعبان عام ١٣٠٥ هـ في رحلته الحجازية ، حين صاحبه للتوديع فى لمة من المشيعين ، بعد ان رجع من رجع:

وبعدهم لـم يـزل الـفقيه ... اخو العلا السميدع النبيـه
يطوى الطريق معنا فى السير ... ومن يشيع حاز كل خيـر

الاخ والصهر من انتمت له ... محاسن الخـلق فذاع فضله
علامة الدهر ونـخبة الزمان ... وفخر ذا العصر على كل اوان
وراية العلم عليـه خافقـة ... وشمسه وسط سماء شارقة
اليه مـرجـع الصلاح والادب ... وفكره قطب القريض والادب
مدرس العـلم عـلى الـدوام ... بالبحث مثـل مخذم صمصام
لم تلهه الدنيا عن التدريس ... ولا عن الذكر لدى التقديس
وكلنا مـن نسب متصل ... وهو ابو الحسن سيدى على

يولي القضاء من حضرة السلطان

فى عام ١٣٠٣ ٤ عاد السلطان مولاى الحسن الى سوس ، فعاد العلمـاء ووجهاء جزولة وما اليها الى اداء حق التحية الواجبة ، فكان من بينهم صاحب الترجمة اقتداء باخيه الذى له اختلافات متعددة الى حضرته حتى عرف فيها وكان نزول السلطان اولا بتيزنيت خارجها ، فهناك التحق به الاستاذ ثم صحب ركابه باذنه الى وادى نول ، ثم الى تيزنيت ثانيا ، وقد كان القائد احمد الابلاغـي الاساكي البعقيلي من المقربين حين ذاك الى السلطان لايفارق تلك الايام مجلسه والناس كلهم ينتظرون نكاية بالشريف الحسين الايليغى الذى يتخلف عن حضرة السلطان ، وكان الابلاغي من اعدائه الالداء فيتقرب بذلك فقال للسلطان حين قدم اليه الاستاذ : ان الحاج عبد الله والد هذا شيخنا وصالحنا والمتبرك به عندنا ، فزاد ذلك الاستاذ تقربا ثم ان السلطان وصله وولاه قضاء مجـاط وما اليها وهذا نص الظهير بذلك :

«يعلم من هذا الرقيم الكريم المتلقى امره بالاجلال والتعظيم انا بعناية الله ومنته ، وحوله وقوته ، ولينا حامله الفقيه السيد على بن عبد الله الالغـي السوسى ، خطة القضاء على خدامنا قبيلة مجاطة وما والاها ، واسندنا اليه النظر فى الفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم على ان يحكم بمشهور مذهب الامام مالك ، وما جرى به عمل من سلك بعده اوضح المسالك وان يسوى بين الخصمين ويسمع منهما سماعا مستوى الطرفين وان يـردد الفصل بين ذوى الارحام ويشاور اهل العلم فيما اشكل عليه من الاحكام او يدعو الى الصلح كما نص عليه الائمة الاعلام ، وان لايقبل من الشهود الا مـن تحققت عدالته واشتهرت خيارته وديانته وان لايتعرض لاحكام من تقدمه مـن القضاة فيما يخالفه النفوذ والامضاء ونعهد اليه بالتقوى ومراقبة المولى سبحانه فى السر والنجوى الهمه الله رشده واعانه وسدده ، والسلام ، فى ٢٢ شعبان الابرك عام ١٣٠٣هـ»

وفوقه الطابع الكبير فى وسطه ، الحسن بن محمد بن عبد الرحمان الله وليه ، وفي دائرته : ومن تكن برسول الله الخ ، البيت المشهور

ثم جدد هذا الظهير بظهير ءاخر عزيزى ، على يد القائد سعيد الكيلـولى

الحاحي والقائد سعيد المجاطي ، ونص الظهير الثاني :

«يعلم من هذا الخطاب المحكم العزي السامي الذري ، اننا بحول اللهوقوته وشامل يمنه ومنته ، اقررنا الفقيه السيد علي بن عبد الله السوسي على تولية خطة القضاء بقبيلة مجاطة وما والاها من القبائل واسندنا اليه النظر في ذلك فنامره بالفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم ، وليكن في ذلك متقيدا بمذهب امام دار الهجرة الذي ضرب اليه اكباد الابل من شد لانقاط دره ازره ، وبأن لايخرج في الحكم عما جرى به العمل ، والراجح والمشهور ، انلم يكن ثمعمل ، وبأن يسوى بين الخصمين وان يسمع منكليهما سماعا مستوى الطرفين وبان يردد الفصل بين ذوى الارحام ، وان يدعو الى الصلح اذا اشكل الامر ، كما تقرر في كتب الاحكام ، ونعهد اليه ان لاتاخذه في الله لومةلائم وانيشيد للعدل المنار ، ويحكم الدعائم وان لايفتح على المنصب ابواب الرشا ، ويتجافى عن تلويث الخطة بما يقدم في الظاهر والحشا ، فان للخطة ربا يحميها وللخليقة مولى يغار عليها فينجيها ، والله تعالى يعصمه من الزلل ، ويوفقه لصالحالقول والعمل والسلام ، ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ هـ

وفوقه الطابع الكبير في وسطه : عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه وفي دائرته : ومن تكن الخ البيت

ثم ورد مع هذا الظهير من الحمراء ، جواب القائدين وهو هذا :

«خديمينا الارضيين ، القائد سعيد الكيلولي والقائد سعيد المجاطي ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد وصل كتابكم طالبين مساعدةقاضي مجاطة على تجديد الظهيرين الذين وجهتم طي كتابكم ، وصار بالبال ، فقد وصلا وها تجديدهما مع أصلهما يصلكم والسلام في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ هـ وفوقهطابع صغير فيه عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه»

والظهير الثاني الذي ذكرهنا تجديده هو الظهير الحسني في تحرير المرابطين ، وقد ذكرناه مع غيره في ترجمة الجد

في رئاسة إخوانه المرابطين

رأيت ان شغل الاستاذ الشاغل هو التدريس ، وادارة شئون المدرسة مع قيامه بمنصب القضاء ، زيادة على مالابد له منه من مشارفة امور اسرته في الوقوف على حرثه وعلى حصاده ، وعلى كل شاذة وفاذة ، لانه بعد ان استولىعلى الدراسةوملك زمام نفسه ، ونال ثقافة تامة لاكبوة معها ، اذا جالت المباحث في ميادين الدروس ، واختلفت الانظار فيما بين الطروس ، يميل احدى عينيه احيانا ليراقب اسرته التي يفرط ماشاء الله في شئونها ، فقد يغادرها بينيدى بني حام ، الذين كانوا في زمن قليل يخبون ويوضعون بغير مراقب ، فرأىان يرتكب الحزم الذي هو شنشنة راسخة في اهالينا في كل ما يزاولون — كما

قاله الوالد في احدى مقالاته يوماـ وان يكون من اخوان محمد بن ادريس القائل:

ماحك جلدك مثل ظفرك　　　فتول انت جميع امرك

بهذه الامور كلها ملأ الاستاذ مابين عام ١٣٠٥ هـ الى عام ١٣١٥ هـ ثم فاجأ في تلكالسنة امر هائل ، وموجة مخزنية من الحاحيين ، تركت كل من في جنوب سوس في مقيم مقعد ، فاذذاك اضطر الاستاذ ان يستنيب الاستاذ ابا القاسم التاجارمونتي ، لئلا يقف دولاب المدرسة ، ولئلا يتسرب الفتود الى من فيها .

كان للوالد معرفة سابقة بهؤلاء الحاحيين كما تقدم ذلك في ترجمته ، فندب الاستاذ الى أن يقوم برياسة المرابطين ، الذين اعلن القائد سعيد الكيلولي تحريرهم ايضا ، اتباعا لما في الظهائر الملوكية ، ولكن القائد سعيدا المجاطي والقائد مباركا البنيراني اللذين يحاوران هؤلاء المرابطين يحرقان عليهم الارم ويتطاولان الى الاتصال بهم ، فيفعلان بهم مايفعلان بالمجاطيين الذين القياعليهم كلاكلهما فيطحنانهم بالمغارم المتتابعة

تلقى القائد سعيد الكيلولي الاستاذ مع الوالد في تزنيت ، فعين الاستاذ رئيسا للمرابطين المحررين وقد مضى تحرير هذا القائد بين ما الحقناه بترجمة الجد عبد الله بن سعيد ونفذ له اعشارهم وزكواتهم ليستعين بها في القيام بالمدرسة ، وليعين بها غرباءها .

وهذا مرسوم القائد بذلك التنفيذ للاعشار :

«فحامله الفقيه الاديب العلامة النجيب والمدرس الاريب ، سيدي علي بن عبد الله بن صالح الالغي ، اذناله في قبض اعشار من اشتمل عليهم الظهير المكتوب له على ايدينا ، وصرفها على طلبة العلم المستفيدين بمدرسته المحروسة بالله عمرها الله بدوام ذكره،وصرفها في مصالح زاويته،اعانة على البروالتقوى وعليه ان لاينسانا في صالح دعواته في خلواته وجلواته وانصدر منا الاذن بذلك لعشر بقين من ذي الحجة عام ١٣١٥ هـ» وتحته طابع القائد سعيدالكيلولي

هكذا امكن للمرابطين ان ينجوا من ضغطات قائدي مجاط ، القائد سعيد والقائد مبارك البنيراني ، ولكنهما لايزالان يحومان حولهم ، ويمدان ايديهما الى من توصلا اليه من المرابطين ، فكتب القائد سعيد الكيلولي هذه الرسائل المتوالية اليهما ، ومن معهما من الخلفاء الحاحيين :

منها :

محبنا الطالب السيد الحسن بوروابن الغماوي ، وخادم مولانا القائد مبارك البنيراني ، سلام عليكما ورحمة الله وبركته ، وبعد فنامركما بحول الله

وقوله ووجود سيدنا المنصور بالله ان تجابنا كل ماهي امور المرابطين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد حيثما كانوا فيه لاتقربوا من بيادرهم واعشارهم وبهذا اكدناكما ، وكونوا منه على بلل ، فانكم لم تكلفوا بهم اصلا فضلا عن الاعشار والسلام في صفر عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلولي

واحمد بن محمد هذا هو خليفة القائد وعضده الايمن ، وهو القتيل في بعقيلة .

ومنها :

السلام والرحمة والبركة على القائد مبارك بن الحسن المجاطي ، وبعدفلا تتعرضوا للمرابطين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد ، بما يؤذيهم في كل شيء شيء واعشارهم اعنا بها طلبة العلم بمدرسة الفقيه سيدي علي بن عبد الله بن صالح ، اعانة على البر والتقوى والسلام، ٦ من جمادى الاولى عام١٣١٦هـ وتحته طابع القائد سعيد الكيلولي

ومنها :

«خديم الحضرة العلية بالله القائد مبارك بن الحسن البنيراني ، السلام والرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فلا باس وقد نبهناك عن التعرض للمرابطين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد بما يؤذيهم وامرناك بالتخلي عن اعشارهم ، فلم تمتثل ولم تبال على عادتك ، وعليه فان عدت لمثل ذلك فلاتلومن الانفسك ، والسلام كتبه اليك لست مضت من جمادى الثانية عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلولي»

ومنها :

خديم الحضرة العلية بالله القائد سعيد بن محمد المجاطي السلاموالرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فقد نهيتك عن التعرض للمرابطين اخوان حامله الفقيه السيد علي بن عبد الله ، وخادم زاويته بما يؤذيهم ، فلم تمتثل عياذا بالله وقد اخبرت انك تنزل عليهم المخازنية وذالك عندي عظيم عجيب ، وعليه فلاتعد لمثل ذالك ابدا وخصوصا اهل (تحت الحصن) لانهممنخدام الزاوية،ولايبلغنا عنك مايسوءنا ولاتكلفهم بشيء قل اوجل والسلام:
كتبه اليك بـ ٢٢ ذي القعدة ١٣١٦ هـ وتحته طابع القائد سعيد

ومنها :

الخانا الخليفة الشيخ احمد بورغا وخادم مولانا القائد سعيد المجاطي سلام عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فما امرناه للفقيه الشريف السيد علي بن عبد

الله الالغي من تنفيذ عشر اخوانه ، ومن ينتمي لخدمة زاويته في الماضي من غيرهم ، لتصرف على زاويته وفيما هو بصدده من نشر العلم ، لاسبيل لاحد الى نقضه وكماتعلمان اننا قد عينا العلامة المذكور لمباشرة ماعسى ان يعرض لاخوانه ومن ذكر معهمن الخدمة من المطالب المخزنية بحيث ان لامدخل لاحد غيره في مباشرة ماذكر ، وغيره من العمال والاعيان بمعزل عن ذلك ، فنامركما ان تشدا عضده وتعيناه على العمل بمقتضاه على انه لاكلفة عليهم اذهم بضعة نبوية والقصد في الشرفاء المذكورين ان يبنى امرهم على التخفيف ، فمثلكما لاتقرع له العصا ، ولاينبه بطرق الحصا ، وفقنا الله واياكم والسلام في اوائل ربيع الثاني عام ١٣١٧ هـ وتحته طابع القائد سعيد :

وهذه الرسالة بخط الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي الحاحي وهو اذذاك كاتب القائد سعيد ، وما ادعاه من ان المرابطين شرفاء من البضعة النبوية قد تكلمنا حوله في ترجمة سيدي عبد الله بن سعيد ، كما نعرفه،ولسنا من المتكلفين اللابسي ثوبي زور ، الذين يتعالون الى ما لايثبت عندهم

من هناك يدرك القارىء مايلاقيه الاستاذ في الذود عن المرابطين ، من مدافعة القائد سعيد والقائد مبارك البنيراني الضاربين اللذين لاير اقبان ممن توصلا به الا ولاذمة ، فقد كان رحمه الله يفزع الى القائد سعيدكلما تلوش هذان المرابطين ، فيلاقيه القائد بكل تجلة ،فيرسل الى هذين القائدين باللوم وربما يامره ان يكتب هو بيده رسالة لاحدهما ، ثم يوقعها القائد بطابعه كماحدثني به العم ابراهيم حين رأينا بعض هذه الرسائل بخطه فسألته عن سبب ذلك

كتب الله النجاة للمرابطين من الطغاة اهل المخزنية الحاحية العاركةاشد العرك على يد الاستاذ الذي يسانده الوالد ، في ايام القائد سعيد الحاحي ثم لما جاء القائد انفلوس انقلبت الحالة وكان ماسنذكره :

في كلاءة الله بين الزعازع

كثرت الشكوى بالقائد سعيد الكيلولي ، من بعض السوسيين وقد تولى كبر ذلك القائد دحمان الوادنوني الشهير ، فصادف ذلك انقلاب الوزارة في البلاط العزيز بموت احمد بن موسى اخر رجالات المغرب الافذاذ ، وبتولي الحاج المهدي المنابهي في الصدارة حقيقة ، وان كان لم يعد رسميا الوزارة الحربية ، ودفع بغريط الى الصدارة ، وقد كان للمنابهي مع القائدمحمد بن ابراهيم أنفلوس وهما في مطبق فاس صحبة ، تعاهدا بها على ان يتعاونا ويشد احدهما أزر صاحبه ، ان تبسم له السعد ، فكان هذا هوالحامل للمنابهي = كما حكى من له خبرة = على ان يوجهه الى سوس ، ويعتاض به الكيلولي لما بين النفلوسيين والكيلوليين من منافرة الجيران المعتادة

سبق القائد سعيد المجاطي الى القائد النفلوسي ، بعد ما انفلت من الحصار الذي طوقه به المجاطيون منذ انجلاء الكيلوليين في شهر ربيع الاول سنة ١٣١٨ الى اواخر السنة ، وقد اطلت جيوش انفلوس ، فتقرب اليه فطلب منه اول ما لاقاه بسط يده على المرابطين السعيديين ، فمكنه من ذلك فسقط في يد الاستاذ وخاف من بطش المجاطي ، ولكن الله كلاه من ذلك بعنايته ، ومن كلأته عناية الله فلينم في آجام الاسود ، ملء عينيه فالمخاوف كلهن أمان

وسوس القائد سعيد المجاطي كثيرا ، والقى في روع القائد محمد انفلوس ما القى : فحين توجه اليه الوالد مع الاستاذ خاطبه الوالد في ترك ماكان على ماكان ، وان لاينتهك من الحرمات التي كان يحترمها ابن عمه الكيلولي ، فبسر واستكبر ونفخ وحملق ، فالقى اليه الوالد كلمة قاسية في وجهه برباطة الجاش المعلومة عنه ، فالتفت القائد الى من معه ، فقال لهم ان هذا يستحق التأديب حتى يعرف كيف يراعي الادب مع اصحاب الكلمة العليا ، فقال له الوالد ، ان استحققت من الله تاديبا لشيء اجرمته ، فهو الذي يتولاني بنفسه ، ولاتتولاني انت بنفسك وانما كنا نريد ان تذر عنك المرابطين يديرون شئون انفسهم بأنفسهم ، واذ ابيت الان تولى عليهم القائد سعيدا فانت وذاك ، ثم انفتل من موضعه رافع الراس كانه لم يكن امام ذلك الرجل الذى لايبالى بما يفعل ، ثم لم يرجع اليه بعد ، ولارأى وجهه الى ان مات شر ميتة ، مع انه كثيرا ماينتظر رجوعه حين لامه الذين يعرفون من الشيخ مالايعرف ، ولكن لسان حال الشيخ ينشد :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد   اليه بوجه اخر الدهر تقبل

وينشد ماقاله بعض الالغيين :

اذا انسد باب من امير فان لى   من ابواب ربى الف باب مفتح
فانى متى اخلص لربى وجهتي   انل كل ما ابغى واظفر وانجح
أأعرف باب الله ثم يخيب لى   رجاء وراجي الله اكبر مفلح ؟

تولى القائد سعيد المجاطي امر المرابطين ، فكان اول مافعله ان اجال يده في بهائمهم بغالا وجمالا ، فاحتوشها وقدمها الى انفلوس ، ثم والى عليهم المغارم الباهظة حبوبا وسمنا ودجاجا وكباشا ، بله الدراهم التى لاينقطع تطلبها فنال المساكين ما نالهم مما لم يعرفوه لاهم ولاءاباؤهم من قبل

ثم ان القائد سعيدا المجاطي كان يراعي مع ذلك الوالد اتم مراعاة ، لما كان بين اسرتيهما من قديم المؤاخاة ، فلذلك لايحوم حوله ، ثم لايحوم ايضا حول الاستاذ صاحب الترجمة واشقائه بالمغارم ، لما يعلم من ان الوالد لايذره وذلك بما امكن فربض القائد ينتظر الفرص بالاستاذ • ويهدده اشد تهديد من بعيد ، ويقول للناس لابد ان يؤدى كل تلك الاعشار التى ادخلها في ايام الكيلولي

ولكن يده لم تزل بعناية الله منقبضة عنه ، وكان يقول لاخصائه : لااخاف والله الا سيدى الحاج علي ، فانه كثيرا ما اهم ان انفذ ارادتي في الفقيه ، وان لايرجع الى داره ان جاء الى هذه الدار ، حتى اذا أراه مصاحبا للشيخ ينخنس عزمي وافتر فيما أنويه ، وقال مرة أخرى : عجبا من الشيخ فاني لااكاد على رغم انفي انخطى مقاصده ، ولولاه لما رأى الفقيه الشمس بعد •

ثم انه عزم مرة عزما اكيدا على ان ينفذ ارادته في الاستاذ ، قال القائد ألعربى الضرضورى الرأسلوادى الاولوزى ، فركبنا معه في مائة فارس ، وهو في حنق عظيم جاعلا بين عينيه ان لايرجع الا بصاحبه ، فرحنا الى الغ ولكننا تعجبنا حين صدرنا بخفى حنين صبيحة اليوم الثاني •

جلس الاستاذ في دارنا مع الوالد وهو ثالث ثلاثة ، وقد القى الاصيل رداءه المذهب في جو الغ الصقيل ، تحت ذيل النسيم العليل ، والنفوس مطمئنة والبهجات في المحافل الادبية مرسلات الاعنة ، اذا بعاد يعدو الى الجالسين فقال لهم : ان خيلا كثيرة قد البست بسوادها ماحول دار الفقيه فانفتل الوالد والفقيه وراءه فصادفوا القائد سعيدا مع اصحابه ، ومع حاحيين وغيرهم ، فلاقياهم ببشر وسرور كأنهما لايهجس في قلوبهما منهم شيء او كأنهم وفد خير ورسل سلام ، ثم أقيمت الضيافة لهم خير قيام في دار الاستاذ ، وفي دار الوالد ولكن الاضياف فاجاهم ليلا ما ازعجهم عن طلبتهم التي صمدوا اليها ، فقد طرقهم ان الوفقاويين والبدراريين (١) الذين كانوا اذذاك في محاربة مع الجيوش النفلوسية وما اليها ، قد سروا بسرية تكمن لهم في (دراووغ) في نفس الطريق الذي يسلكه السالكون من مجاط الى الغ

حكى الاستاذ رحمه الله انه كان واقفا في تلك الليلة امام باب ثويه والقائد سعيد واصحابه في داخله ، وعبد جميل نشيط احوذى للاستاذ قائم على رؤوس الاضياف يمد اليهم مايحتاجونه ، فالتفت القائد الى جلاسه فقال لهم : لماذا يكون مثل هذا العبد الاحوذى الجميل لفلان الفلاني ـ وعبر بعبارة لاتكتب ـ فلماذا لانذهب به ؟ فانا اولى بمثله ، قال الاستاذ : فقلت له في نفسي : والله لاترينه ايها الجبار العنيد ، بفضل الله وعنايته •

في منبثق الفجر ، اجفل الاضياف وطلعوا من طريق تاكانزا وهم يكثرون الالتفات يمنة ويسرة ، خوف ان يمتد الكمين ايضا الى تلك الجهة البعيدة عن (دراووغ) وهم يطيرون بأجنحة النعام ، اذا رأى احدهم غير شيء ظنه رجلا •

كأن فجاج الارض وهي بسيطة   على الهارب المطلوب كفة حابل
يؤتى اليه ان كل ثنية   تيممها ترمي اليه بقاتل

١) البدراريون : الجمادون اهل جبل جزولة الذين يدافعون اذذاك عن جبلهم

هكذا دام حفظ الله على الاستاذ ، وما تخطاه حتى في هذه المرة التي جاء فيها هذا الجبار عازما ، ثم رد الله كيده في نحره وقد اغنت عناية الله عن مضاعفات الدروع وعن عاليات الآطام .

حكى لي حاك ان النفلوسي ذاكر القائد مباركا البنيراني يوما في الفتك بالاستاذ لما يوسوس به القائد سعيد عنده كثيرا فنهاه عن ذلك ، وقال له : اياك ان تمس هؤلاء المرابطين بظفر ، فان لهم حمة لاتفلت من تمتد اليهم يده قال : وذلك مارده عما يريده بادىء بدء ، ولكن هيهات ان يفلت النفلوسي منها هيهات ، فان الله يدافع عن الذين ءامنوا ، ومن اجترح ذنبا أومس حمى فلابد ان يمس «ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»

طاف داء عياء بالقائد محمد النفلوسي اعيا نطس الاطباء ، فلم يمهله كثيرا فالحقه برمسه في تزنيت في ١٤ محرم عام ١٣٢١ هـ كما طاف بتازة ايضا ذلك الزعزع الهائل الذى اثاره ابو حمارة ، فضمت الحكومة كل جيوشها لمقاومته ومن بينها هذا الجيش الرابض مع القائد احمد انفلوس الذى خلف صنوه في مركز تيزنيت ، فثارت القبائل على رؤسائها ، ولاقى كل قائد من اخوانه مالاقى فانجحر القائد سعيد المجاطي في تاكجكالت وضرب حوله نطاق الحصار من ذلك العام الى رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان يرسل سرايا من اصحابه الى البيوتات فينهبون ويلصون ومن بين من اصابه شره الاستاذ صاحب الترجمة ، فقد اصبح يوما فوجد بغلة له مفقودة وقد رأى اثر اللصوص ، ففزع الى الوالد فركبا معا الى ذلك الجبار المحاصر ، وقد عرفا انه هو صاحب الفعلة فربض الاستاذ بعيدا ولم يقدر ان يلج تاكجكالت فمثل الوالد بين يديه وبمجرد ماانقضى السلام المعتاد ، قال له الشيخ : بغلة الفقيه الاستاذ تجيء الآن فصار يتلوى في الكلام فقال له : لاكلام ولاما تقوله الا البغلة الآن وكان للشيخ في امثال هذه المواقف همة نفاذة تفعل بنفوس مخاطبيها فوق مايفعله لسانه في اصمختهم فلم يجد القائد مايجيب به ، ولم يسعه الا ان ارسل الى البغلة فحضرت ، فصار يعتذر فقيدت البغلة برسن كما قيدت من دار صاحبها ، قال لي امغار ابراهيم اخو القائد وهو يحكي لي القضية : فقال لي الشيخ وقد خرجت معه لاودعه : هذه هي نهاية القائد ، فكثيرا ما ارده عن ان يمس الفقيه ، واذ مسه اليوم فقد انكشفت عنه تلك الغمامة التي يستظل بها منذ صار قائدا ، ثم لم يمض الا اربعون يوما اذا به ينحدر ليلة في عقبة تاكجكالت هاربا ، وذلك في ١٥ رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان ذلك ءاخر عهده بداره ، وءاخر خيط انقطع بينه وبين ايالته

هذه صفحة اخرى من صفحات تاريخ الاستاذ ظهر فيها بمظهر التجلد التام وبمنتهى الانفة ، فلم تذره نفسه ان يتطارح على عدوه هذا لعله ينزاح عنه

ما كان في صدره عليه حقدا على حقد ، وقد اكتفى بالالتجاء الى الله الذى لايضيع احدا ، وكيف يستباح من كان في كلاءة الله ؟ وخصوصا من كان مستضعفا لا يتكل على قوة الا على قوة ربه «اليس الله بكاف عبده» ؟

في شبه غربة بعد دفن رفيقه الشيخ الالغي

اريد منك ايها القارىء ان تستحضر في ذهنك الآن معملا من المعامل زرته في حياتك وان تتذكر ان هناك ءالات تستدير كلها وان كانت وجهاتها مختلفة واقرب ماتلاحظه ان لم تشاهد قط معملا ءالات ساعتك ان فتحتها من ورائها فتدرك ان هذه الآلات المتحركة التي ربما لاتتجه في دورانها الى وجهة واحدة ينتج عنها وراء ذلك عمل واحد ، هو المقصود بها اولا وءاخرا

مثل ذلك مثل الاستاذ العلامة المدرس سيدى علي بن عبد الله الذى افرغ جهوده كلها في التعليم والفتوى والقضاء ، ومثل الشيخ الوالد المربي للمريدين الذى افرغ جهوده كلها في الارشاد والوعظ والتهذيب ، وازالة غيون النفوس عن المريدين ، حتى تصلح للمقامات العليا ، ذلك عمل الاستاذ المستمر وهذا عمل الشيخ الوالد المستمر ، ثم انهما مع ذلك يكادان يكونان كروح واحدة في جسدين ،لانهما لايكادان يفرغان من اعمالهما هذه بعض فراغ الا تواصلا واستمرا كذلك مالم يدعهما الواجب لمعاودة اعمالهما ، ثم يتواصلان ايضا ، وهكذا دواليك وهل يجمع بين القلوب الا الصفاء ؟ وهل يجدى الجوار الا اذا تاخى الجيران مشهدا ومغيبا ؟ :

وليس اخي من ودني بلسانه ولكن اخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما ومالي له ان اعوزته النوائب

كانا يفرحان فرحا واحدا ، وكانا يقومان ويقعدان في حين واحد وينظران معا نظرة متحدة الى كل شيء ، حقيقة ان لكل واحد منهما وجهة مستقلة يستقل بها ، فللوالد تصوفه الذى يرفرف عليه علمه الخفاق وملاقاة الواردين عليه ، المقتبسين مما لديه المنهالين عليه من كل صوب ، وللاستاذ علمه الزاخر وأدبه العالي ،وسبحه في امواج المعارف بين طلبة مدرسته الذين انقطعوا اليه من الآفاق ، فلكل وجهة هو موليها كما ترى ولكن الجامع بينهما ما وراء ذلك مما هو غاية لكل هذا ، وهو نفع العباد والسعي في مصلحة العامة

عرفت ان الوالد اكبر من الاستاذ ، وانه هو الذى له الصدارة بعد الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ولكنه لما رأى ان تصوفه هو ، وماطوق به من الطريقة واهلها لم يدع له فراغا للعلم ، والعلم هو القطب الذى يدور عليه نفع العباد الدائم ، ساند صاحب الترجمة وصار يعاونه في القيام بهذه المهمة الكبيرة التي

ماخلق الا لها كما ان الوالد ماخلق الا لتصوف ، فكان الوالد يرسل الى المدرسة كل من ءانس منه ميلا الى التعلم من اولاد مريديه ، ويشجع من فيها ويعين ويزود ويعير الكتب ويقيم الحفلات ، من غير ان يكون منه ذلك كله الاعانة فقط ، ثم لا يتداخل فى ذلك لما يعلم من ان الاستاذ هو رب المدرسة الذى ورثها عن صنوه وانه هو العلامة الذى لايجارى فى ذلك الميدان ، وكذلك لايسأل عن مسألة فقهية خارج باب العبادات الا ارشد السائل الى الاستاذ ، بل ولااتته قبيلة المرابطين بشىء من عند جميعهم الا أمرهم ان يذهبوا به الى الاستاذ ، فقد جمعوا مرة فى ايام الكيلوليين سمنا كثيرا ففرقوه ، فتوجهوا بنصفه الى الاستاذ وبالنصف الآخر اليه ، فأمرهم ان يلحقوا هذا النصف بذاك ثم لايعودون الى مثلها ، وكان رحمه الله يرى للاستاذ مكانة علية ومهارة يقتدر بها على الادارة فى مختلف الامور فيدفعه اليها ، ثم يكون له وراء ذلك خير معين وهو الذى تطلب منه المرابطون ان يرأسهم فى أيام الحاجيين فقال كلا ثم كلا ، فهذا مركز الفقيه فهكذا سلم له من الجميع حتى من صنوه الشيخ ، ثم لايزالان كذلك مجتمعين فى الحضر والسفر مالم يشتغل الوالد بمريديه فى زاويته ، اومالم يسح اليهم فى اسفاره ، وفيما سوى ذلك تراهما معا ، اما فى دار الشيخ واما فى دار الاستاذ وضيفهما واحد ومجلسهما واحد ورأيهما واحد وكذلك كثيرا ما تراهما على بغلتيهما كانهما فرقدان ، اما فى طريق تامانارت واما فى طريق موسم تازروالت اوفى طريقهما الى اقامة سلم بين المتحاربين ، فقلما يتطلب من احدهما امر فيه ظفر ، اوتعرضت له وجهة يتوجه اليها الامر بصاحبه فرافقه ، اشتهرا بذلك حتى كان ترافقهما عند كل الناس معروفا مشهورا .

حكى لى حاك ان الوالد تطلب منه ءال أمتضى ان يقف لهم على عين تخرج – وهى التى ذكرنا انها غارت فى ترجمة سيدى احمد بن بلقاسم التييوتى حتى المتقدم – وكان الوقوف فى امثال ذلك مما يكرهه الوالد ، ولايحب ان يشتهر به ولا ان يقصده الناس من أجله ، ولكنه لايرد من يتطلبه منه الابحيلة كما فعل بهؤلاء فقد مر بصاحبه الاستاذ بن عبد الله فركبا معا فوصلا أمتضى ، فقال لمن هناك : لابدان تعطونى وان تعطوا الفقيه سيدى عليا مقدار ماتسقى العين نهارا لكل واحد منا من الحقول ازاء العين ، مع مانبنى فيه ديارنا ثم مال بصاحبه وهما على شفير العين يخطان خطط الديار ، والشيخ يتباله ويتظاهر بانه ذو حرص شديد فى ذلك ، فتراءى لئال امتضى الجشع العظيم من العالمين الالفين فقالوا فى انفسهم ما قالوا ، فردوهما بالتى هى احسن ثم رجع السيدان وهما يتبسمان ، وقد ادرك الفقيه مقصود الشيخ ، فتمت حيلة الوالد من غير ان يشعر بها احد ثم لم يعد ءال أمتضى الى الغ بعد ذلك اليوم ولاذكرا بعد قضيتهما .

سالت يوما سيدى سعيدا التنانى عن كتاب من الكتب ، لماذا لم يشتره الوالد فقال : ان الشيخ اذا كان بمراكش ، لايهمه الا أن ياتى الى الفقيه سيدى

ل وال الحاج ابراهيم الايغشانى بما يكسوان به كل من فى دورهما ، وقلما يفضل له عن ذلك شىء ءاخر اقول : ان دارنا ودار الاستاذ ودار الايغشانى واحدة فى ذلك الوقت والآن ايضا ، لان الامهات منهن متلاحمات الارحام فزوجة الاستاذ اخت الوالد وزوجة والدى بنت اخت الايغشانى وزوجات اولاد الحاج ابراهيم بنات اخت الوالد وربيبات الاستاذ ، فلذلك علاوة على اداء حقوق الصحبة والجوار ، ترى الوالد مهتما بشؤون الجميع كما يهتمون هم ايضا بشؤونه فكانوا خير رجال فى خير عصر لايعرف الحسد ولا مايكون من تباغض المتعاصرين المتجاورين اليهم من سبيل ، ولاتجد النمائم الى ذات بينهم منفذا ، فقام بهم من العلم والدين فى الغ مالاتزال السنة المتحدثين به رطبة الى الآن .

ثم لما توفى الوالد وفقد منه الاستاذ من كان له خير معين فى كل ناحية أصبح كغريب فى الغ ، ثم لم ينشب ان بدت له امور تلو أمور ، فكان لسان حاله ينشد فيها قول الطغرائى :

هذا جزاء امرىء اقرانه درجوا   من قبله فتمنى فسحة الاجل

وكان رحمه الله كثيرا مايذكر الشيخ فى محادثاته كلما حزبه امر لايجد فيه معينا ، اورأى فى بيئته من لايقدرونه قدره ، ويقول : مامات الشيخ الا لى وحدى ، فقد حكى لى الفقير سيدى محمد الزكرى انه التقى معه ليلا عند مصلى العيد غربى المسجد السليمانى وذلك حين قلب الايشتيون ظهر المجن لآل الغ فارادوا أن يلتهموا أملاكهم التى اشتروها فى قريتهم ، قال الزكرى : فقلت له انه يجب عليك ان تدارى الايشتيين كما كان الشيخ يداريهم فى عصره ، فقد كان قام بذلك فى حياته عنك وعن نفسه خير قيام بما كان يصبه عليهم من العطايا صبا ، فانه لامقصود للايشتيين الا مايتمصصون ولايشتكون اليوم الا من فقدانهم ماكانوا الفوه ايام الشيخ ، قال : فاجابنى الفقيه بقوله : ايراد منى ان امثل دور الشيخ فى كرمه وفى حسن معاملته مع الناس ؟ فانى اكون كشعرة من شعراته فانه كان وحيدا فى دنياه محظوظا فى حياته ، انهالت عليه الدراهم ومختلف الالبسة من كل ناحية ، حتى اننى لاأزال اتقلب فى كساه التى كسانيها الى الآن وقد انصرمت سنوات كثيرة قال الزكرى : ثم تناول سلهاما كان عليه من الملف وقميصا ءاخر تحته فقال اشهد على بان هذين من بقية ماكسانيه الشيخ رحمه الله ، أبمثل هذا الرجل العظيم تريدان تسوينى ، وترغب فى ان اقوم مقامه للايشتيين اوغيرهم ؟

هذه شهادته رحمه الله وقوله فرحمه الله من متواضع منصف ، وهل يعترف مثل هذا الاعتراف الا الافذاذ الذين يقلون فى كل وقت ؟ فقد تناخيا حياة ومماتا رحمهما الله ووفق اولادهما ان يرثوا عنهما ذلك التناخى .

ولبعض الالغيين :

وان اخاك الحق من كان مثنيا عليك وترب الرمس قد هيل فوقكا
ويعلن في كل النوادى لسانه من الفضل والمجد المؤثل حقكا

بين قضاة تزنيت في عهد الهيبة

دار الزمان دورته ، وتقلبت بالمغرب المنكود فتن وثوارت ، فجاء الاحتلال الداهم بزعازعه ومعاركه فيتخبط المغاربة كلهم فى امواج متلاطمة مهاجمة ومدافعة فامتد الى سوس حظه من بين ما تتموج به جوانب المغرب فبويع الشيخ احمد الهيبة فى جمادى الثانية عام ١٣٣٠ هـ على ايدى رؤساء القبائل الجنوبية وفقهائها ، فكان صاحب الترجمة لما له من الشهرة الطائرة والسمعة المنتشرة ممن لابد ان يكون فى طليعة الفقهاء ، لماله من غيرة دينية وشهرة بين اقرانه في كل سوس مدوية ، ثم توجه الهيبة الى الحمراء زاحفا بجيوشه فترك ثلة من العلماء بتزنيت ، قضاة تحت رئاسة سيدى المحفوظ الادوزى رحمه الله فكان استاذنا من بين هؤلاء القضاة بل ممن لهم هناك شفوف ورهبة وجولات اثر جولات ، وقد صدرت عنه اذذاك ادبيات نثرية او شعرية الى الشيخ الهيبة والى أخيه النعمة فتمشى فى فض النوازل على العادة ، والقضاء غير منظم ومتى لامثال تلك القبائل اذذاك تنظيم فى شئونهم الخاصة ، فينتظر منهم ذلك فى شئونهم العامة ـ فيتوصل القضاة من المحكوم له على العادة بما يتفاوضون عليه ، فبقى هناك الاستاذ شهرين : شعبان ورمضان عام ١٣٣٠ هـ ثم عيد عند أهله بالغ ، وقد جاد على كل من زاره يوم رجوعه اوالم بداره بما عرف عنه رحمه الله من اكرام القاصدين واتحاف من اليه بعد سفره من الجيران والاقربين .

وقد وقعت له هناك بتزنيت قضية تدل على تسامحه ، وذلك ان بعض الناس المتفقرين كان تعرف به فاتخذه امينا ، يودع عنده ما ياتى به الله من قوالب السكر حتى بلغ ذلك سبعين قالبا ، فحين ازمع الرحلة طلب الوديعة من سيدنا الفقير الصوفى فصاحبه سيدنا الامين الى البيت الذى يضع فيه السكر ، فاراه مسيل الماء الذى يكف به السقف وقال : ان السكر ذاب كله من وكفات السقوف بالمطر ، ولادرى اظن الاستاذ الكاغد ايضا مما ذاب فلم يستقص فى السؤال ، ام علم ان السكر حقيقة ذائب ولكن بماء سخين غال مما تداوله المقراج والبراد فى حضرة سيدنا الفقير الفانى فى حضرة ربه :

ان قال قد ضاعت فصدق أنها ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى
او قال قد وقعت فصدق انها وقعت ولكن منه احسن موقع

فقد كان القاضى سيدى محمد أعمو ـ قاضى تيزنيت اليوم ـ يباسط هذا

الفقير ويجاريه حول هذه القضية ، والاخر يبسم ويظهر من بسماته ان ذلك السكر انما ذاب بين حرف الكاس ورشفاته ، ام ان القدر هو الذى امل ان الذى ياتى بنقط المداد من اليراع بين الاوراق ، فمن ان يذهب مشروبا بين حبات السبحة وبين كاس دهاق .

بين رؤساء قبائل هذه الجبال في الكفاح

اجفل الشيخ احمد الهيبة من مراكش فحل بتارودانت حيث زاره صاحب الترجمة مع الحاج ابراهيم الايغشانى ، وقد مرا فى رجوعهما بتزنيت بعدما جلاعنها الشيخ النعمة الذى كان فيها خليفة اخيه الهيبة ، وكان الجلاء الرهيب الاضحى من عام ١٣٣٠ هـ فحل الاستاذ ورفيقه هناك فلم ينشب ان داعته امراة من هناك الى مجمع رؤساء تيزنيت وكان الاستاذ حكم لها فى قضية فى تلك الايام الماضية ، وتوصل منها بما توصل ، على عادة القضاة كما ذكرناه لم حفزها الآن بعض فقهاء تيزنيت ممن كانوا يتطلبون اذذاك حظهم فى تلك القضية فلم ينالوه ، ثم انفتل الاستاذ عن تيزنيت كما ذكرنا قبل ان يتوصلوا به فوضعوا البرغوث الآن فى اذن المرأة لعلهم بذلك يتوصلون بشيء من الاستاذ فحين علم من أين مثار هذه الموجة تبسم فناول اولئك الفقهاء شيئا يقطع به السنتهم فسكتوا المرأة وانتهت القضية ، وقد قال الحاج ابراهيم الغيور على مرابطيه الالغيين دائما : لو علمت ان في تيزنيت مثل هذه القضية لما مررنا بها ولكن كان امر الله قدرا مقدورا ، على ان صدر الاستاذ الفسيح الذى يعلم من امثال هؤلاء الفقهاء انهم انما يريدون ان ينالوا من ورائه مضغة حين اعوزهم ان يشقوا له غبارا فى ميدان القضاء ، لايمكن ان يضيق ولا أن يتغير ومتى تغير البحر بقذاة تسقط في عرض عبابه :

افتقذى عرض البحار قذاة ان رمتها فى جانبيه الرياح ؟

ثم ان الهيبة ازعج ايضا من تارودانت الى اسرسيف ، ثم الى تيمكر ثم حط رحله اخيرا بكردوس ، وفى كل هذه الامكنة لايغب المترجم زيارته ، ثم دارت بين هذه القبائل الجزولية وما اليها الى ايت بعمران ، وبين الجيوش التى ترسلها الحكومة تحت ايدى القواد حيدة بن مايس المنابهى والقائد ابن دحان والباشا الحاج التهامي الكلاوى والقائد الكنتافى وغيرهم من ضباط فرنسا وجنرالاتها ، حروب ومجاذبات عنيفة ، وكان لصاحب الترجمة يد عليا فى الاستحواذ على القلوب فى كل مجمع بمواعظه المبكية ، وفصاحته المؤثرة حتى لايتكلم فى المجمع العام للقبائل ـ كما حكى لى الاخ احمد ـ سواه ، وسوى القائد المدنى فهما المفيدان للشيخ احمد الهيبة ، ولسانه الذى هو يبلغ به الهيبة ما شاء لهذه القبائل ، ثم لما دفن الشيخ احمد الهيبة واقيم صنوه مربيه ربه مقامه تمادى

الامر على ذلك ، وقد انقطع غالب الفقهاء عن كردوس الاهو وسيدي الطاهر الافراني لانه لايبقى فى الميدان الا المخلصون

هذا هو شغل الاستاذ الشاغل منذ اجتمعت كلمة هذه القبائل الجبلية والجنوبية على مناصرة الهيبة وخلفه فى الكفاح والمقاومة ، فعلا كعبه في الرياسة وكاد يكونوحده قطبا لايتخطى في المهمات امره ، وقد اتخذه القائد المدنى الاخصاصي الذى كان هو فى الحقيقة كبش الكتيبة والمنتفع بحليب هذا الضرع الدار شريكا ونجيا ، والاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافراني تلميذه يسانده ويشد عضده ، ويؤمن على كل دعواته ، فقد حضرامعا في وقعة وجان يوم زحف اليه القائد حيدة فكانا ممن تسللوا الى وجان حين حوصرت فى ذلك اليومالمشهود كماحضرا ايضا حين سقط القائد حيدة هذا قتيلا ، ولهما في ذلك نظراء وكانا عام ١٣٣٥ هـ من بين المقاومين يوم الزحف الاكبر بالجيش الجنرالى ـ كما اشتهر به فى هذه الجهات الى الآن ـ ثم كانا ايضا من الزاحفين الى اداوزكرى مرات والى ايت ودريم والى غير ذلك مما وقعت فيه حروب ومجاذبات بين هذه القبائل وبين الحكومة وهو فى كل ذلك بذلاقة لسانه وبلاغة بيانه ، وتدفق عباراته التى تتدفق كلما قام فى مجمع من مجامع القبائل للوعظ يترقى فى اعين الناس ترقيا عظيما ، حتى كان يحسب له ولرايه الف حساب مع ثبات جاش وشجاعة تؤثر فوطىء رؤساء القبائل عقبه ، ووفدوا زرافات الى داره وهو فى كل ذلك لامطمع له الاسداء النصح لاخوانه لاغير ، ولايقصد اى شيء اخرعلى حين انالقائدالمدنى الذى كثيرامايجعله تكاة ، يسرفى كل مايفعلهمنذلكالحسو فى الارتغاء فمقصوده الوحيد ان يتغلب ويتمكن من اعناق الضعفاء فيمتص دماءهم ، حتى لايذر فيها قطرة واحدة ، وانما يحكم عليه بهذا لان ذلك هوالذى يظهرمنه فى كل القبائل التى تحت كنفه ، فلاشفقة ولارحمة ، ولكن الاستاذ مع كل هذاكان يحسن فيه الظن ، لطيب سريرته وزكاء عنصره ، ولان الفقهاء ابعدالناس عن متجهات السياسة ومغامزها ، كما قاله ابن خلدون .

ذلك هو الاستاذ الرئيس المعروف بالجهر بالحق ، والاشادة بالصراحة التامة ، حتى لايابه بماينااه في ذلك وكانلهفي مواجهة الشيخاحمدالهيبةوخلفه مربيه ربه ـ وهما ماهما فى اعين الناس بهذه القبائل ـ كلمات ماثورة يجبههما بها ، يراها من الواجبات عليه من جهة دينه ومن محبته الدائمة لهم ، فكانا يتلقيان منه ذلك برضا يدل على انهما يعرفان انه لايريد بنصيحته الا الخير حتى انه مرة القىالى الاخير منهما ان الزواج والطلاق اللذين يجعلهما هجيراه كل يوم ، مما يفسد المروءة ويغمز عرض الانسان ورجولته ، ويحكم بان لشهوته عليه سلطانا لايقدر ان يقاومه فاجابه مربيه ربه بأن المرء فقيه نفسه قلت انكثرة الزواج والطلاق فى بلادنا هذه التى لاتعرف الزواج الثاني الانادرا ولايفرط فيها طلاق الا فى بعض ازمنة قليلة جدا ، من بين الرعاع السفلة ،من

العاروالشنار اللذين لاتبقى معهما مروءة،ولايحفظ بهما عرض الاانالصحراويين كئال الشيخ ماء العينين يالفونهما الفة معتادة ، فهم معروفون بهذه الخلة حتى ان الشيخ احمد الهيبة نفسه ماكاد يروح الى قصر القصبة الملوكى بمراكش ، حتى كان اول ماجالت فيه فكرته : زوجة جديدة يتملى بها على تلك الارائك التى تسنمها جديدا ، فقد اخبرني باشا الحمراء اذذاك صديقى السيد ادريس منو انه فاوضه في ذلك بمجرد دخوله ، قال فوجدته قد استقصى اسماءالشريفات الابكار الموجودات اذ ذاك في دور القصبة من بنات الشرفاء العلويين ، استقى ذلك من بعض العبيد الذين تنازل اليهم من عليائه ، حتى صار يفاوضهم فى مثل هذا ، قال : فكنت اراوغه عن كل من يريدها من هذه الآنسات العلويات ،فاجعل لكل واحدة منهن حجة خاصة ، واختلق انها متزوجة بفلان ابن عمها ، وانماالاخر زفافها اليه الى حين ثم املت عنقه عن عمد ، فقلت له اين انتمن الجمالالبارع والشرف الباذخ والاصالة المغبوطة ؟ فقال واين هذا كله ؟ فقلت له فى تامصلوحت ، فقال : اونساؤهم هناك ؟ فقلت له : ان الخبر عن ذلك دونالخبر فهكذا استطعت ان افلت الشريفات منه ، فخرجت وانا اتعجب منه ومن همته اقول : تامل في هذا السيد الذي اطلت اليه الجيوش من كل جانب وهو يريد ان يؤسس ملكا باقيا ، وان ينقذ المغرب من الاحتلال ، ثمانظر الى ما يملأفراغ وقته ، كأن الايام ساعدته فى كل شيء اوكأنه نال كل متمناهولاينقصه الاماهو متطلبه من بنات الوسائد ، واين هذا من المؤسسين الذين ماكانوايبالوا وهمفىمثلهذاالطور بذوات القناع (وانبتنباطهار) فهذا ابو مسلم الخراساني الخنذيذ الشهير ، يعد البعال جنونا ويقول يكفي الانسان ان يجن مرة واحدة في السنة وهذا عبد الملك بن مروان تعرضتلهاحدى الغواني في قصره وقد استلام واستعد للخروج لمناجزة مصعب بن الزبير ، فاجهشت اليه فى موقف الوداع ، وكأنها تقول له لمن تذرني وراءك ؟ فساعدها من فى القصر من الجوارى على بكائها ، فلم يعد عبد الملك ان ارسل اليهن نظرة قصيرة ثم ولى وهوينشد ماقاله كثير :

اذا ما اراد الغزو لم يثن همه حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهى رده بكت فبكى مما شجاها قطينها

فمثل هذه الهمة هى التي يريدها الاستاذ فى الشيخ الهيبة ، واخيه بعد ان بذل لهما صفقته ، لان الامور العظام لاتتم الا بالاعاظم ، وكيف تكون عظمة من لميقدر ان يتملص من مثلذلك ، فلايستطيع انيملك قبقبه ولا ذبذبه ولا كبكبه (١) . ولكن هؤلاءابناء الشيخ ماء العينين الذى تزوج بمائة وست عشرة بالتوالى على نية امتثال الحديث تزوجو الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة . فرضى الله عن الشيخ وابنائه . وانما الحديث ذو شجون

١) تفسر الكلمات بالمسان والبطن وءالة التناسل ، واصل ذلك حديث

الاستاذ ومدرسته اخيرا

عهدنا بالمدرسة الالغية ، ومديرها الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتي فقام بها خير قيام ، فلم يكن للاستاذ علي بن عبد الله فيها معه الاالاشراف عليها من بعيد ، ومشارفة احوالها والقاء بعض دروس عالية خارج دائر الدروس النظامية ، يوم يمكن له ذلك ووجد فراغا من ضيوفه الكثيرين ومن منصبه القضائي الذى شغل كثيرا من وقته ، فقد اصبح يراعه في حركة دائمة لايفتر في الافتاء والاحكام حتى ان سلات الرسوم في قبائل تلك النواحي لتعج بها عجيجا ، وقد اخبرت ان ديار الوفقاويين لم تكن فيها دار واحدة تخلو من فتوى اوحكم مما حرره بقلمه ، واحدا اواثنين اواكثر ، وكل ذلك بعبارته الفصيحة التى استمد بهافقهه من ادبه ، فاذا وجد من الاشغال الشاغلة فراغا فلايدع القاء بعض دروسه في المدرسة

وفي عام ١٣٣٥ ﻫ غادر الاستاذ سيدى بلقاسم المدرسة لنزوة من النزوات التى لايخلو منها البشر ، بعد ان حضه الاستاذ على ان لايغادرها ولكن الرزق قد اقتضى له هناك ، ثم شارط صاحبها فيها الاستاذين سيدى احمد بن محمد اليزيدى مرتين ، وسيدى علي الاوفقيرى حينا ، فحملت الاستاذ ذبذبة الدراسة هناك على ان يجعل ايضا من وقته حظا لتمشية الدروس النظامية وخصوصا بعد ان شغرت المدرسة من هؤلاء الاساتذة الذين يعتورونها ، فهذه حاله من عام ١٣٣٥ ﻫ الى ان التحق بربه في عام ١٣٤٧ ﻫ

وكانت عادة الاستاذ ان يرسل اخص تلاميذه ليتلقوا بعض فنون العواشر عند من يتقنها ان لم يكن له الاتيان بذلك الاستاذ ، فهذان الاستاذان سيدى احمد ابن صالح الافرانى وسيدى الطاهر بن المدني الناصري ، قد ارسلهما الى المدرسة البوعبدلية لياخذا المنطق عن استاذها سيدى المحفوظ ، وكان ايضا اتى بالاستاذ شيخه سيدى علي بوضاض في اوائل تصدره في المدرسة ، فاخذ عنه من في المدرسة الالغية الحساب والفرائض كماكان ايضا يقدم لذلك الاستاذ محمد بن علي ايكيك ، وربما يجلس مع الطلبة في درسه ويعمل معهم عمل الفرائض ، او اعداد الحساب وذلك من تواضعه ، وليكون خير قدوة للطلبة ، وقد اخبرني ايضا ولده الاستاذ الطاهر بن علي انه ارسله في عواشر الى استاذ مدرسة افلا اوكنس ، سيدى احمد بن سعيد الاكماري لياخذ عنه الفرائض ، والبخاري سردا في رمضان ، وأين نظير الاستاذ في مثل هذا الصنيع ، حين لايستنكف ان ياخذ تلاميذه الاخصاء عن غيره مع مانعهده من غالب معاصريه من اعتداد كل واحد منهم بنفسه وبعلومه وبمدرسته الخاصة ، فلايكاد يسلم للاخرين مكانتهم في المعارف من بعيد، فضلا عن ان يتنازل حتى يبعث اليهم اصحابه او يستقدمهم

فيجلس مع تلاميذه بين يديهم ، فياخذ عنهم هو ايضا كما ياخذون ، فليعرف التاريخ للمترجم هذه المنقبة ، فانها لمنقبة عظمى ، تكفي ان ترفع بها الغ راسها مفخرا الى عنان السماء وان تسكت من عسى ان يغمر المدرسة الالغية مغمزا باباه الله والشمم :

أقلوا عليهم لا ابا لابيكم   من اللوم اوسدوا المكان الذى سدوا

وقد كان اخذ عن سيدى عبد الرحمن السالمي في مبدا امره ثم صار يستقدمه فيبقى في المدرسة في بيت ياخذ عنه فيه طلبتها

نظرة عامة على اخلاقه

ماظنك برجل كان اولا منعزلا في مدرسة ، مقبلا على موالاة دروسه لايمد بصره الى اكثر منها ثم بعد ذلك دهمته اعاصير ادارة اعمال اسرته وطلبته ومزاولة الخصوم الذين يحكمونه في القضايا وهم الحطب الذى لايوقد في مطبخ الا اذا أوتي به من بعيد ، وشأن الحرث والحصاد في الغ ادهى وامر ، والعبيد وهم كثيرون عند الاستاذ فيما بين هذا وذاك ينتهبون كل ماوجدوا ، لايؤتمنون على حبل فضلا عن غيره ، والوفود المستضيفة تتوارد من كل جهة ، افترى من كان بين هذه الموجات الزخارة يهدأ خلقه ام تنتابه فينات نوبات عصبية تقيمه وتقعده ، حقا كان الاستاذ على هذه الاخلاق فكان هو في نفسه لينا طيبا متحملا صبورا واسع الصدر ، مراعيا لجبر الخواطر بالغا اقصى جهده ان لا ينصرف عنه جلسيه الاراضيا ، لاسيما في اوقات الابحاث العلمية فانه يرخي العنان كل الارخاء ولايجبه من يخالف رأيه في مسألة بل يسايره حتى يتجلى الحق للجانبين فيقف المباحث عن عسفه ان كان هو الذى اعتسف عن الصراط السوى ، وان كان هو الاستاذ فسرعان مايرجع ، فربما يلاقي رحمه الله في امثال هذه المجالس من امثال الفقيه سيدى محمد بن علي ايكيك مايضيق به نطاق الحليم ، ولكنه يرى لمقام رئاسته انه لا يستحق ذلك المقام الا اذا كان لايخرج عن الاغضاء والقاء كل مامسه في ذلك دبر اذنيه :

ليس الغبي بسيد في قومه   لكن سيد قومه المتغابي

ذلك طبع الاستاذ الجبلي الذى يظهر منه كل الظهور بين اقرانه وتلاميذه وجلسائه ، ولكنه لايكاد يزاول الشئون الاخرى ويرى بعينه مايرى ، مما لايتسع له حتى صدر الاحنف بن قيس وتحمل قيس بن عاصم حتى ترى منه بعض المرات ثورات ، لايقف امامها واقف ، وخصوصا حين يشاهد افساد الحقول ودوس البقول والعبث بالمزارع واقتضاب الاغصان المثمرة ، فلاازال اتذكر انني في بعض الصبية الرابي ، كنا نتجارى على فرس في مزارع السنابل

فلم نشعر به حتى هرول الينا ، وصوته الجهوري تصتك به اذاننا فرجعنا باجنحة النعام ، وهو يتبعنا بالرمي باحجار كنالها مستهدفين ، غير ان الله سلم فولجنا ديارنا بقلوب واجفة ، وفرائص مرتعدة فكان لنا ذلك درسا لم يزل نصب اعيننا الى الآن ، وقد يضجر ايضا احيانا من المتخاصمين الذين يحكمونه فـي قضاياهم ، ومن كثرة الدادهم وشغبهم وعنتهم ونزولهم عليه كأنهم لم يطرق اذانهم قول القائل :

(ليس على الفقيه من ضيافة)

فينهال عليهم متفجرا بالتانيب والعتاب ماشاء الله ، ثم لايلبث ان ينهال عليهم ثانيا بخيرات حسان ، وجفان كالجوابى وقدور راسيات ، فتبـرىء الموائد البهجة ماجرحته الصدور الحرجة

وكان يحب نجباء الطلبة ويقوم بضعفتهم بمايمده الى كل انسان منهم بيده فيما بينه وبينه ويشجع كل من انس منه تقدما فى فن من الفنون التى يعتنى بها الالغيون وخصوصا علوم الدين والادب وماليها ، فكل من رأى له فى ذلـك اثرا محدثا مقالة اورسالة اوقصيدة اوقطعة ، يعتنى به غاية الاعتناء ويجمـع عليها اهله ـ وما اهله الا علماء نجباء متفوقون ـ مع من وفدوا على حضرته فيلقى عليهم بنفسه ما احدثه التلميذ من قريحته بلسانه الفصيح ، ولهجته العذبة فان كانت شعرا وهو الغالب فانه يكر كل بيت على حدة ،ويترنم به فيستحسن بكل اعلان ماكان مستحسنا ، ويغض عما راى من الزلل مع التلويح الى مافى ذلك من غير تصريح،حتى لايحصل خجل للقائل فينكص على عقبه وتفترهمته والتشجيع دائما افضل للتلاميذ ، وهكذا ايضا فى الرسائل والفتاوى وسواء صدر هـذا من تلاميذه الالغيين أم من تلاميذ تلاميذه ، بل يعتنى بكل ذلك وان صدر عـن اجانب عن الغ اريحية منه وحبا للادب العام وللآثار العلمية كيفما كانـت وايا كان اصحابها .

على ان له وسط تلاميذه مع هذا الخلق الواسع وقفات اخرى اذا شاهد من احدهم خروجا عن اللاحب او انس مايخل بالمروءة او يـهتـك سمعة المدرسة فكم ذى لحية كثة وهو عملاق يطاول النخيل ، مد أمامه فى المدرسة ، فاختلفت عليه الحبال حتى يكره الغ وماليها ، وتمنى لولم يعرف اليها من سبيل ولاورد بلا شوك ولاروضة انفا بغير سياج وجزاء سيئة سيئة مثلها وكم زلة لايمكن ان يتلى ازاءها : «فمن عفا واصلح فاجره على الله» ولبعض الالغيين فى الموضوع:

اذا انت لم تكبح رفـيـقـك مرة وقد اعتدى شاركته حيث لاتدرى
وذو الاعتداء ان اعاد غدت له خلائق تبقى لاتزول الى القبر
ونفس الفتى جماحة لا يـردها سوى كبحها بالجذب والنهر والقهر
ومن كان ذا حزم فلابد ان ترى له ضغطة حينا وان كان ذا صبر

فما كل ذى داء يداوى بسكر فكم نغل لابد فيه من الصبر

فعلى هذه الطريقة التى عليها صاحب الترجمة يسير كل الالغيين ولااعلم الآن من حاد عنها حتى الشيخ الوالد الذى هذبه التصوف وكانت تربيته قلبية غير تربية الالغيين فانه قل ان تجد من اصحابه الذين اكثروا ملازمته من لم يحدثك عنه باثارة من هذا الخلق ، وهذا الخلق يسمى عـنـد الاخلاقيـين الاسلاميين عمريا نسبة الى عمر الذى قل ان تجد من بقية العشرة المبشرين بالجنة فمن دونهم من لم يصطدم ودرته ، ولايوتى هذا الخلق الامن اوتى القوتين الذاتية والروحية وقلما يسلك صاحب هذا الخلق فجا الاسلك المفسدون فجا اخر فرارا مـنه على ان الناس طبائع والغاية واحدة ، وان تعددت الوسائل وان كان الخلق النبوى من الحلم والاناة والمسامحة اعظم الاخلاق وافضل مايقتدى به ، وفى الحديـث انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، وقد سرى الى الاخلاق منا نحن الالغيين هذا الخلق من الاسلاف ولكن يجب علينا ان لانتخذه المثل الاعلى

وهبنى قلت هذا الصبح ليل ايعمى العالمون عن الضياء ؟

فانا بنفسي طالما ندمت على مثل هذه المواقف (١) المزرية ولكن الطـبـع وا اسفا يغلب التطبع ، فلنقل الحق ولننصف فان الله يعين على الرفق مالا يعين على الخرق

فهذا الحق ليس به خفاء فدعنى من بنيات الطريق

وكانت له رحمه الله فى رماية اليد قرطسة قلما تخطىء ، اشتهر بهـا ، لاسيما ان كان راجلا لذلك كان ان حزبه امر واستحثه ان ينهى مفسدا مـن المفسدين فى المزارع وقت فصل الربيع ينفتل عن ظهر بغلته ان صادفه الحال راكبا ، فيقف على رجليه ، ليوجه الحجارة كيف يريد فاذا بالحجر من يده كالسهم من يد احد بنى ثعل وكان رحمه الله رجل الدنيا والاخرة ورجل المعارف والمكاسب خلق لهما معا

وانما رجل الدنيا وواحدها من لايعول فى الدنيا على رجل

فكما انه هو الذى يتولى مراجع مسالة من المسائل وقعت فيها الابحاث المختلفة فى مجلسه فلايكل ذلك الى غيره ولايكسل عن تردده الى مكتبته مرارا اليوالى الكتب التى تتوقف عليها المراجعة كذلك يقف بنفسه على جميع شئونه ، ولايكل ذلك الى احد وان اتفق ان يرسل احدا ليقضى غرضا ، فلايلبث ان يطل عليه لـيـنـظر كيف يفعل ، فكثيرا ما يمكث فى قبة الاضياف بداره ، والمحفل بالعلماء غاص وكتاب من كتب الادب اوالتفسير اوالحديث يتلى ، اوقصيدة تلقى وربما يكون

١) كنت حين لبثت فى تينجدا معتقلا جمعت مؤلفا فى هذه المواقف التـى عددتها اذذاك ازيد من ... (مواقف مخجلة)

هو التالى للكتاب ، او الملقى للقصيدة لم لايشعر به وقد انتشب من حضر فى مبحث هو فيه بين قبول ورد والمراجعة سائرة فى طريقها ، فينسل من القبة الى داره الداخلية ، فيخرج مهرولا من بابها الشمالى فيتوجه الى ضيعته بتالات نيت عيس ، فيبغت عبيده هنالك لينظر مايفعلون فيما ارسلهم اليه ، ثم يرجع بسرعة فيدخل من ذلك الباب فيمثل فى المحفل وشيكا ، فيشارك فى المبحث الذى ترك المجلس منه فى قبول ورد ، فيلقى رايه ويسلك طريق المراجعة فى الكتب الحاضرة وياتى من الكتب بمااحتيج اليه ايضا كأنه خالى البال من كل شئ الامافيه اولئك العلماء وكأنه ماقضى شغلا آخر خلسة وهم لايعلمون ثم يشاركهم فيما هم فيه يتباحثون ، وربما كان ايضا يسرد قصيدة ويترنم بها فيلقيها على المسامع واريحية الادب التى تنسى كل شئ قد غمرت المحفل ، ولكنه بين ذلك الانشاد ينادى احيانا بعض من يوصيه بمايريد ، اويسأله عمالايريد اويامره بعلف البغال اوبايرادها الماء ، ثم لايقطع عنه ذلك تلك الموجات التى غمرته وغمرت كل من كانوامعه جالسين

وكان رحمه الله يشاور كثيرا فى النوازل حتى ان عادته المعهودة ـ وقلمايخرج عنها ـ انه لايبت فى نازلة حتى يشاور آخرين ، وكان سيدى الحاج احمد بن محمداليزيدى رحمه الله والاستاذ سيدى الطاهر الافرانى اطال الله عمره والعلامة سيدى الحاج أحمد الجشتيمي والفقيه سيدي عبد العزيز الادوزى والفقيه سيدى محمد الجرارى الاساكى المجاطى ممن يشاورهم وهم كثير ، زيادة على من وجد فى حضرته من العلماء الذين لاتخلو منهم ، فلابد ان يذاكرهم فى كل نازلة يزاولها فتأتى له بذلك ان سار بقدم آمنة من العثار ، فلم يعهد انه حرر نازلة فقام من معاصريه مـن يـردها عليه بحق ، لكنه هو كثيرا مايرد نوازل غيره وينقضها بالنصوص ، ومما وقفت له عليه فى ذلك فتاو مراكشية للاستاذ الحاج العربى الرحمانى ، وشيخنا مولاى احمد العلمى ، فمن دونهما نقضها نقضاتاما ونكث غزلها انكاثا وقد ذكرناها فى (مجموعتنا الفقهية) بنصوصها على انه عـلى عادة اهل هذه البلاد لايتجاوز فى الفقهيات هذه الكتب المتداولة غالبا ولذلك نـراه ونرى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى رحمهما الله يميلان الى انه لازكاة فى الاوراق البنكية وماعلة ذلك الا الاقتصار على بضعة كتب فى المراجعة ولايتوسعون فى المراجع العليا ، ولايشاركون فى الحياة العامة خارج سوس ، وان كان هناك عذر مقبول عنهم فان الكتب الموجودة يستوعبونها ثـم لايطالبون بماليس فـى مستطاعهم ، ولايكلف الله نفسا الاوسعها ، وهل الانسان الا ابن بيئته خلقا وفهما وتمييزا وسعة مدارك ؟

فهذه نظرة اخيرة على العلامة سيدى على بن عبدالله رحمه الله الذى كان ثانى اثنين فى الغ فى عصر واحد فنال الغ بهما مابلغ ، ولله در بعض الالغيـين اذ قال فى مقام ايجاز :

اكلف من مد اليراعة مرغما وان لم اقل كل الذى كان واجبا
فمن لى بان احصى الرمال بعالج ومن لى بان احصى بعدى الكواكبا

آثار قلم الاستاذ من النثر

ليس كل استاذ ينتظر ان تشاهد منه آثار قلمه ، ولاكل اديب علامـة يفتش عن آثاره فى التثقيف والتهذيب ، مالم يكن كصاحب الترجمة الذى كانت له وجهتان ، وتيسرت له هجرتان فامكن للسانه الـذى يدرس به ويلقى بـه مختلف العلوم على تلاميذه الكثيرين ان يترك لنا ذلـك الجم الغفير مـن آثـار تهذيبه وتخريجه ، وامكن ايضا ليراعه الذى لايهدأ بين الدواة والقرطاس ان يفيض علينا بآثار قيمة رائعة ان قيست ببيئتها زخرت بها الكنانيش والموعمت بها الخزائن ، فلذلك يجب علينا لك ايها القارئ ان نعرض امامك من آثار قلمه اولا ، ثم نعرض عليك ثانيا من آثار تهذيبه وتخريجه ماستراه قريبا ، ان قلم الاستاذ كان سباقا الى الغايات ، نساجا صنلعا فى القصائد الاخوانيات ، وفى الرسائل المحبرات ، فكان يتقلب بين الشعر والنثر وكان الجناس والسجع مما يقصده الاستاذ ، وينتظم فى سلك الادباء الذين يختارونهما ويرون «ان فـى الخمر معنى ليس فى العنب» تمشيا مع البيئة ، وهل الانسان حتى الاديب الا ابن بيئته ؟

حدث الاديب سيدى احمد بن محمد اليزيدى ان الشيخ احمد الهيبة سأله مرة وقد زاره بكردوس عن الموازنة بين هذين الاديبـين الكبيرين ، صاحـب الترجمة والاستاذ الافرانى ، فأجابه الاستاذ اليزيدى :

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد اقلعا وكلا انفيهما رابى

فقال له صدقت ، غير ان الاستاذ الالغى فى النثر ابرع ، ولايشق له فيه غبار وليس دون وادى ام الربيع الى شنكيط من يوازيه فى الترسل والاديب الافرانى شاعر مصقع فرع فى براعته وبلاغته كل من يتعالى الى النزع فى القوافى فى الغرب كله

هذا هو حكم هذا الشيخ العلامة الصحراوى الذى لاينكر نظره السديد فى الادب لماله به من ولوع ، لدن شب حتى شابت سود ذوائبه وقد سمعت من بعض ادبائنا من يعجبهم هذا الحكم ، ويقفون عنده ولايحيدون عن سبيله فلنكن معهم فى ذلك ، وان كان يتراءى لى وقد مرت تحـت يدى من رسائـل الاستاذ الافرانى نحو خمسين ، انه ايضا حتى فى الترسل قد بلغ فى ادباء طبـقـته مبلغا ربما يقصردونه حتى باع صاحب الترجمة ولكننى وان كان يتراءى لى هذا اخاف اننى لم اتصل الى الآن برسائل كثيرة من رسائل صاحب الترجمة ، على ان هذا الكتاب لم نضعه لدرس هؤلاء الادباء فذلك سنتركه لغيرنا فى عصر غير هذا العصر وانما وضعناه لعرض بعض مانعرفه عن المترجمين ، وسوق بعض آثارهم بحسب الامكان

لنحوك ما اخفي من الشوق اوابدي   فياليت شعري كيف حالك من بعدي
غدونا كندماني جذيمة حقبة   فغيظت لياليها فاصمين بالبعد

سلام ارق من نسمات الرياض والطف من غمرات العيون الصحاح المراض وتحية عبقة الريا مشرقة المحيا معتقة الحميا وحبب كئوسها في ابتسام ، وسناها يخطف ابصار الندام ، على سيدنا الذي علا كعبه على المجرة ، واتاحت له السعادة التي لاحظته كل مسرة

من لاسميه اجلالا وتكرمة   وقدره المعتلى عن ذاك يغنينا

اما بعد ، فلا اخبرك عن قلب انت ادرى الناس بعلقته باودائه حتى ليكون النائي من احدهم اعضل ادوائه ، فقد كنت ترشفني بقربك ماتحلولي به الحياة وتريني بمواصلتك ومباحثتك اياما لها بالسرور سمات وشيات ، فلاوربك ما مهدت مثل استنارة ذلك الزمن الذي انارته غرتك ولامثل تلك الساعات الطيبة التي قامت بها مقام الحدائق البهجة طلعتك

فكأن الدهر عنا غافل   فاختلسناها سويعات غرر
نترامى بحديث طيب   فكأنا نترامى بالزهر

ايام كلها غرر وحجول ، يفوز في ميادينها بالخصل كل من يجول ، كثيرا ما تأملها بين ايام اخرى فاتبينها في اثنائها كثوب في اثنائه علم ، فاين منها يوم العرجي الذي غاب عذاله ولا ماذكره الرضي عن زمنه بذي سلم ولاعيب فيها غيرانها اقصر من انملة القطاة وانها ولت فغادرتنا في تكدشوق اطول من ظل القناة ، ولكن عادة ايام السرور ان تكون قصارا ، وان تهب عند اقبالها بريح رخاء ، ثم تصرصر عند ادبارها اعصارا

فتبا لهذا الدهر لايعرف البذلا   سوى ان ادالت كفه بعده البخلا
كشمس تفيء الكون لكنها متى   تميل تديل الظل يستتبع الليلا

هذا وقد جاءتني رسالتك الكريمة ودرتك اليتيمة ، فوقعت فيها على كنوز الجوهر والدر ، وان كان غيري يسميها النثر والشعر ، فاقبلت بعيني امتعهما واسيمهما مايروعهما واتمنى لو كنت كلي عيونا بصيرة ، ليكثر استمتاعي بتلك الرياض النضيرة غيران سيدي قاسني على نفسه وظنني من جنسه ، فافاض علي من حلاه والبسني من سناه ومن طابت خصاله وخلاله ، وحسنت اقواله وفعاله ، يخال الناس كلهم من معدنه وانهم كلهم سائرون في سننه ، ومن حسن فعله حسنت ظنونه وصدق ما يعتاده مما تتوهمه عيونه ، على عكس قول ابي

الطيب المتنبي ، الذي اذا قال في معنى يزيد فيه توسعة ويربى :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق ما يعتاده من توهم

جزاك الله ياسيدي على طيب سريرتك وصفاء نيتك ، فقد عبرت عن جوهرك الخالص خير تعبير ، ونبأتنا عن ذات نفسك ولاينبئك مثل خبير

ثم ان تلك المسائل التي راجعها سيدي فحررها غاية التحرير (لما يدل كل الدلالة على انه بين علماء سوس ، علامة نحرير) وقد تتبعتها فظهر لي في بعضها ايضا بحث اخر ، غير ماجرت فيه المباحثة معكم ، وربما ازيد ذلك تاملا فيما بعد فارسله اليكم ، فقد وجدني كتابك في شغل شاغل من الدرس ، وقد توزعت بماتحتاج اليه النفس ومتى اوعينا في المخازن الحبوب ، (ونفضت من همها الجيوب) تفرغت ايضا الى الابحاث القلوب واطلب منكم صالح الدعوات فان العبد كثير العثرات واسلم على رفيقك الفقيه البركة ، سيدي عبد الرحمان وغيره ممن انتظموا معكم في الوفادة ، التي نرجو ان نرى لها عن قريب ثانيا اعادة ، وأما سيدي الحاج علي والحاج ابراهيم فانهما بخير وقانا الله واياكم كل ضير ، والسلام

واقول : ان مابين القوسين ليس من الاصل وانما كتب في طرة الرسالة

رسالة اخرى كتبها للاستاذ سيدي الحاج مسعود الوفقاوي ، بعدماكتب الوفقاوي اليه بما يلاقيه من بعض جبابرة قبيلة كسيمة

«بقيت سليما لاتقابل بالردى   ولا مدت الدنيا اليك يد العدا
ولاشاب صفو العيش فيك تكدر   ولابات جفن العين منك مسهدا
ولازلت مسرور الفؤاد ممتعا   بكل الذي تهوى وجانبك الردى
ولازلت حصنا للافاضل سيدا   منيعا وركنا للعلوم مشيدا»

انه من عبد تلعب به ايدي الاشواق وتاخذ بتلابيب رقبته من الاطواق ، وتسمه بالخضوع والضراعة بين بني جنسه ، وتحول بينه وبين انسه ، ومادأبه الا الاطراق كمن استدارت السلاسل منه بلبات الاعناق ، العبيد الجهول المجترىء على نفسه الصئول ، علي بن عبد الله بن صالح الالغي ، وكيف اعبر عن حالة ضميرك مني بها اعرف بدلها الله الى ماشاءه وابغي ، الى من لايزال في الكمالات ومدارجها راقيا ، ولما يرضى الله عنه واقيا ، عالم العلماء الاتقياء وحامل علم المرسلين الاصفياء ، كامل الفتوة ، وصافي الاخوة ، سيدي الحاج مسعود بن احمد بن ابراهيم الوفقاوي ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى من بكم واليكم من الاخوان والاحبة عموما وخصوصا ولكم خصوصا على ماعاينت امره وعانيت امره ، والعاقبة للمتقين الذين من كان منهم لايضاع ، فهل رايتم احدا عامل مولاه فضاع ؟ هذا وقد وصل كتابك العزيز وخطابك الوجيز وذهبك

الابريز فسقانا الفرقد صرفا فانتشى الندامى وما نطقوا ولو حرفا ووافانا وقد تبركت حضرتنا وتزينت بعدة من العلماء الاعلام ، هداة الانام ومصابيح الظلام وخدمة الانام ومستقل الكلام ، الصدر الاوحد ، والفرد الامجد شافعي وقته علما وشعرا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى ، والمدرس الاتـقـى والاروع الارقى سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، والبركة المسداة للخلق والراتق للفتق ، ولـد الاقطاب ، ومن بهم ابتهج الدهر اولا واخرا وطاب ، سيدى البشيريـن المدنى ونير افق السيادة وحائز قصب السبق فى ميدان المجد والاجادة ، من لايلحق له غبار ، فى مضمار حامل راية التدريس ، حال الغدو والتعريس سيدى احمـد ابن الحاج محمد اليزيدى ، ومولانا عبد الرحمان بن الحاج محمد الاجبالى مـن لايغيب بشهادة علام الغيوب تعظيمك عن باله وعن بالى ، وقرأ الجميع كتابك وهم يديرون الكاس ، فلما عاينوا حلل بلاغته وذاقوا طعم وحلاوة براعته ، فكلهم به طاعم وكاس ، وفى ذلك الوقت انشأ سيدى الطاهر بن محمد :

ياعجبا كيف يخشى النحس مسعود   وفوقه ظل لطف الله ممدود
وكل من حل حرز السعد ذل له   وان تناولـه الآساد والسود
ياخير اخواننا فى الله ياعلما   بهديه تهتدى الصيد ا لاماجيد
كن كيف شئت تنل عزا ومكرمة   فانت لا شك محظوظ ومجدود
وافت رسالتك الغراء فانشرحت   منا النفوس لها وزال تنكيد
شفت بما كشفت من حسن حالكم   ما غمنا زمنا فيومها عـيـد
فالحمد لله اذ ولاك مدرسة   قد فاض فيها عليك الامن والجود
لازلت مادمت تدنو كل شاسعة   الى يديك وتنقاد المنى القود
ثم سلام كما هب النسيم على   روض مجود به للورق تغريد
على مقامك يابدر الكمال ويا   من وسمه كرم والاسم مسعود

فهذا ماقاله لله دره ، ولافض فوه ، فقد ناب عنا جميعا فى الذى اداه مما تكنه الضمائر فهكذا والله يكون فى قومه من هو الشاعر ، وقد اجابك على وزن البيتين اللذين كتبت بهما فى رسالتك الفذة ، التى قرأتها بلذة اية لذة

وواثق بالليالى الخادعات لـه   يغتر بالبيض لايخشى من السود
فقال سعدى يحمينى فقـلـت لـه   هل يطلب النحس الاكل مسعود

وبعد فلاباس لله الحمد عندنا جميعا ، والحمد لله على نعمة الايـمـان والاسلام امن الله الجميع بمنه وكرمه ءامين

هذه رسالة وقفت فيها على نسخ مختلـفـة وفيها مـن النقص والزيادة والتحريف مايسمى مسخا لانسخا ، ولكننا انتقينا حسب جهدنا

وكتب الى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى بعد ان استؤنفت عنده قضية

كان حكم فيها سيدى المحفوظ ، ضد حكم ءاخر صدر من الاستاذ عبد العزيـز الادوزى شيخ سيدى المحفوظ ، وهذه الرسالة نموذج لرسائله الاخرى فى مثل هذه المشادات التى كثيرا ماتقع بين الاقران اذذاك

«حامل راية التحقيق والتدقيق ، ومن اقر له بالسبق فى ميدان المناظرة كل حر ورقيق» :

علامة العلماء واللج الذى   لاينقضي ولكل لج ساحل

سيد السادات والكبير الفوائد والاستفادات ، لولا مابه من الجماح فى ميدان الافادات ، وماجبل عليه من انشاء مامنشؤه المعاداة ، المحفوظ بن عبد الرحمان الادوزى ، جعل الله رضوانه الاكبر محوزه ومحوزى والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاشركنا فى صالح الادعية ، وقد وصل كتابك الراحة فحـال بينى وبين الراحة انبت فيه اخا لايرى لك الا الوفاء ، ولايعتقد فيك الاغايـة الكمال والصفاء ، وزننته بما كان منه بريئا براءة الذيب من دم ابن يعقوب ، فانى مانقضت مبرمك ولاعزمت فيه بشيء من تصحيحه ولا ابطاله ومازلت استخير الله ان يوفقنى ، ويلهمنى الى مافيه سلامة الدين والعرض ، وعدم الدرك يـوم الحساب والعرض على ان جميع مارقمته فى كتابك الى دليل عليك لالك ، وحجة تشد على عنق تقصيرك اغلالك فقد حكمت وبنيت على اساس واه حين لم تستدع المحكوم عليه حتى تعلم مايجيب به عن ذلك ، ولم تعجزه ولم تعذر اليه ولم تنظره فالحكم منقوض ومنبوذ بذلك كما ذكرت ، ولايجوز لك ان تستند فيه الى علمك ولا تجد جوابا فى هذا الآن اختلقته وافتريته من عندياتك ، وهذا كله على فرض وتقدير ان لو اجيز لك التعرض والتصدى لذلك شرعا ، والامر بخلاف ذلك فانك لم تحكم الا فى أمر مخصوص ، علمته وادى به كاتب التحكيم ، ودلت عليه قرائن الاحوال وقد علم وظهر ظهور نار على علم ، ان دائرة المحكم دائرة تقييد ودائرة القاضي دائرة اطلاق ، ولاينبغى للمستبرىء لدينه وعرضه ان يتعرض لما اسند الى نظر العلماء المتبصرين ، وابرموا فصله على وجه يحتمل صحته ، بل يتركه كذلك ، والعهدة عليهم ، والفتنة نائمة لعن الله موقـظهـا الا ان يسال عنـه بالخصوص واسند تعقيبه بالخصوص الى نظره فلاباس ان يتعرض له بماظهر له ، وهذا الباب الذى فتحته يؤدى الى ان لاتبقى قضية على فصل ابدا ، كمانص عليه القرافى فى (فروقه) واما ماذكرت من مخالفتى ففيما مضى وان الحامل لى على ذلك جاه المتبوع وهيبته وجبر خاطره ، فالذى اراه لك وارضاه لكمال دينك ووفور علمك ، أن لاتتعرض لسخط الله وغضبه باسخاط من رباك وعلمـك ونصحك ، وقدمك على اولاده وهو فى القبر تحت الرجام ، ام الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر؟ وقد نصوا على ان علامة قبول ولاية الولى ، زيادة هيبته وتعظيمه واتفاق القلوب عليه بعد موته ، وهذا السيد كذلك ، فاتق الله فى حق والدك واتهم رايك

ولقد لصحتك ان قبلت نصيحتي   والنصح اغلى مايباع ويوهب

قال تعالى : «ولكن لاتحبون الناصحين» اقول وحليي عطل،ونطقي خطل، مكره اخاك لابطل ، واما ماذكرت اخيرا فاني فيه تابع لك ولامثالك من كبار العلماء فماظهر فيه انه مصلحة للاسلام فاني مساعد عليه ولاملام والسلام غبار نعلك العبيد الجهول علي بن عبد الله بن صالح جبر الله كسره ، وحل بفضله من أيدي الغفلات اسره ءامين

وقد كتب الاستاذ المحفوظ على ظهر هذه الرسالة كلاما اوردناه في المجموعة ، ولا طلاوة ادبية عليه حتى نسوقه هنا ، حيث لامجال هنا الا للادباء والاديبات

رسالة اخرى له الي وانا بالحمراء اتلقى في الجامع اليوسفي حوالى ١٣٤٠هـ :

«ولدنا الذى نحب له التقدم على الاقران حتى تكون له فى احراز تراثوالده بدان ، منهو المختار ، خار الله لى وله واختار عليك السلام منوالد يحب ان يراك مبرزا وان تكون لادوات السيادة محرزا ، واعيذك انتشتغل بمالانتيجة وراءه وان تلقى العلم ظهريا ثمتحاول من المجد سماءه ، فوالدك رحمه الله مع ماهو فيه،لم يفرط فى العلمقط وذويه فاسلك مسلكه ان اردت انتكون ولده وممن جعل العلم النافع فى الدنيا والاخرة عضده ، وقد برقت منك بارقة نجابة ، ستكون عنك سحابتها ان لم تجتهد منجابة ، فماذا فقد من وجد العلم؟ وماذا وجدمنفقدالعلم؟ فالبطالة قد يجدها الشاب الغرير ذات حلاوة وطلاوة ولكنها بعد انقضاء الصبا يجدها كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء حتى اذا جاءه وجده كما وجد الفرس عند البعثة بحيرة ساوة ، فهذه نصيحتي لكاحملها الفقيه سيدى موسى بن الطيب الذى توجه الى مراكش ، ولاتنسنا من الدعاء الصالح عند الرجال السبعة والسلام»

وقد كنت اجبته اذذاك فى شعبان عام ١٣٤٢ هـ بقصيدة كانت اذذاك نالت من الاستحسان مانالت ، لما تشتمل عليه مما كان يستحسن من الادب اذ ذاك، وربما ينظر اليها الالغيون امسبغير نظرى اليها اليوم، والناس أذواق نصها :

اعاطى أ كؤس السلوى نديمي   وبى مابي من الوجد العظيم
وأبدى فى منادمتيه انسى   بجنات وقلبى فى جحيم
وادمج فى الحديث انا سليم   وما يدرى مرادى بالسليم
واكثر عن نبى الله موسى   لما لى معه فى لفظ الكليم
واجرى ذكر مكة فى حديثى   لما للقلب من معنى الحطيم
اريه ان قلبى فى نعيم   وقلبى بالصبابة فى اليم
واخبره بانى الخلو صدقا   ولكن من سوى الوجد الصميم

واظهر انني جلد ، وغمز   بجانب مقلة يعفو رسومي
اشاممه الدبور لكى الاقى   تغافله فانعش بالنسيم
واجرى وصف بيض الهند لكن   مرادى لحظ سوداء القميم
احدثه وقصدى عين نجد   باخبار الفوارس من تميم
ويذكر ليث خفان لسانى   وما يعنى سوى ظبى الصريم
ويتحفه عن اخلاق لطاف   بالطف من نسيم فى وسيم
فيحسبها لقيس وابن قيس (١)   واين النجم من مرقى النجوم
وكيف ولا تليق لغير فرد   عديم فى المجادة للقسيم
خضم العلم يزيد نور هدى   يضيء بغيهب العصر البهيم
ابى الحسن العظيم اسما وقدرا   فزره تزر عظيما فى عظيم
من اللائين ان جادوا يجودوا   بما يغنى عن الغيث العميم
تفى ابدا بروق الوعد منهم   ويخلف كثرة برق الغيوم
وهم ما هم ذكاء فى وقار   كمشبوب على الطود العظيم
فكم احيت قرائحهم علوما   عظاما وهى فى عظم رميم
اذا اقلامهم وشت نظيما   تضيف لباقل عبد الرحيم (٢)
فيشهد والنواظر شاهدات   حلال السحر فى ذاك النظيم
ويمرح سالم الاذواق فيه   ويبهج بين جنات النعيم
زكوا لما زكوا اصلا ، اينشا   قويم الظل الا من قويم ؟
اذا نعم الاديم كذاك ياتى   شراك قد من ذاك الاديم
وما يرضون الا باهتصار   اذا ما الغير يرضى بالشميم
علت بمقامهم رتب المعالى   وكم ربع تعالى بالمقيم
تغالى فى حلى تلك السجايا   مغالاة العواطل فى النظيم
سجايا بل رياض صافحتها   مبللة الزهور يد النسيم
فهن ارق من خجل تسارى   بلحظ الصب فى الوجه الوسيم
والطف من مسارقة العذارى   باطراف الحواجب غمز ريم

* * *

ابا حسن ومثلك من يوالى   على بعد المدى نصح الحميم
لقد اهدى الكتاب ، جزيت خيرا ،   الى وصاة لقمان الحكيم
وصاة لو مشيت على سناها   لكنت بها على قدم عظيم
وصاة كنت لو انى عليها   على متن الصراط المستقيم

١) قيس بن عاصم المنقرى الذى تخرج به الاحنف بن قيس فى الحلم ، والنجم الاول لبيت معروف

٢) عبد الرحيم : القاضى الفاضل وزير صلاح الدين ، واليه تنسب الطريقة الفاضلية فى الادب

ولكن كيف ــ وا اسفا ــ ولفي، كما تدرون ، اشرد من ظليم
ولكن كيف ــ واعجزاه ــ دبــغ ــ وليس بنافع ــ حلم الاديم (١)
عل اني ــ ولم اقنط ــ لارجــو قريبا رحـمـة الله الـرحيم
ايعوز ــ لا ورب البيت ــ ما قـد اشا ؟ والله ذو الفضل العظيم

رسالة اخرى منه الى ولده الاستاذ سيدى محمد بن علي وهوياخذ بالمدرسة الادالية :

«من علي بن عبد الله الى ولده محمد ، اصلحه الله واعانه ووفقه ، وفتح له فتح العارفين بالله ، وسلام عليه ورحمة الله وبركته،وبعد فلاباس ولله الحمد وبيد الحامل ماتقضى به الضروريات ، هذا وقد انشات لـلاخ الاديب سيدى محمد بن الطاهر قصيدة عددها١٥ بيتا بينت لهفيها عظم نعمة الله عليه ليشكرها ومطلعها :

محمد نجل الطاهر بن محمد وورات اسلاف اماثل مجد

واجابني بقصيدة في عددها كلها غرر ودرر ، هذا وقدطلبت منه ان يكف عنكم معشر طلبة اداى ، وان لايبعث اليكم سريات القصائد ، علما منى بعجزكم عن مقابلتها وقد استشفعت اليه بوالده وقد علمتم ان شفاعتي عنده مقبولـة فوعد بذلك بشرط ضرب الاجل ستة اشهر ، حتى تحفظوا المقامات حفظ اتقان فحينئذ تبعث السرايا ، والسلام

قف معي ايها القارىء از اءهذه الرسالة ، لترى كيـف تبعـث الهمم ، وتستنبط القرائح وان هذه الحلبة السوسية ، لتنظر الى المقامات الحريرية بغير العين التي تنظر اليها بها حلبة من المدرسين الكبار ، الذين ادركناهم في الجامع اليوسفي ،فمهدى ببعضهم حين افتتحت مع بعض الطلبة المقامات في هذا الجامع عام ١٣٤٩ هـ قاموا وقعدوا ، وقالوا لقد اتى فلان شيئا ادا ، وارتكب أمرا امرا حين اشتبل بالكذب والبهتان الذى حشيت بهما المقامات ، وقد نص فلان فـي المعيار للونشريسي على انها لاتقرا في الجوامع ، فاعتبر ايها القارىء وانا معـك من المعتبرين

هذا وقد حدثت اخيرا على الاستاذ غربة صريحة ، لان اقرانه كالوالد قـد توفوا عنه ، ففقد منهم اعضادا قوية ، ومعينين حاضرين ولان كبار تلاميذه قد اتصل كل واحد منهم بمدرسة اوبشغل شاغل من اسرته ، فلايراهم الا فينة بعد فينة ، وهو ذلك الاديب الاريحي الذى نعلم منه انه اجتماعي لايطيب لـه

(١) حلم الاديم كتعب ، افسدته الحلمة ، وهي الدودة التي تفسد الجلد قال:
فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم

بالانفراد قلب ، وذو همة اعتادت الترقي دائما في كل ناحية ، فكيف يرتـاح لسكون في عزلة اوانفراد ، وحتى الحلبة الاخيرة من تلاميذه الادباء قد تفرقـوا شذر مذر ، وءاخرهم الاديب البوزاكارني الذى ترك بمغادرته الغ مقام الادب خاليا وثغره شاغرا ففقدوعه الاستاذ بعدما كان زينة مجلسه في عقد حياتـه الاخيرة ، وفارس الادب الذى يقبل بالحلبة كماشاء ويدبر • وقداندفع أيضاهذا الاديب الى من لايعرف قدره فادركته حرفة الادب من كل جهة ، فلنقف هناوقفة حتى نقرأ رسالتين تعاطياهما اواسط عام ١٣٤٦ هـ قبل وفاة الاستاذ بقليـل فقد نجد لما ذكرناه من الغربة التي ذكرنا ان الاستاذ صار اليها ممايلاقيه ممن لايعرف قدره من بعض المجاطيين ونظرائهم دليلا ناصعا على ذلك

كتب اليه الاديب البوزاكارني بما نصه :

«شيخنا شيخ الشيوخ ، المضاهي في تحقيقه وتدقيقه ابن فروخ ، رجل الاخرة والدنيا قصوى كانت او دنيا ، سيدى وامامي ، الذي لاسرى مسرى الا وانوار ارشاده محيطة بي من ورائي وأمامي

نزيلك حيثما اتجهت ركابي وضيفك حيث كنت من البلاد
وما يممت من بيداء الا ومن جدواك راحلتـي وزادى

من لااسميه مهابة واجلالا ، ولااحليه اكتفاء بشهرة صفاته فناهيك بها صفات وخلالا :

فعرض اذا حدثت بالبان والحمى وإياك ان تنسى فتذكر زينبا
ستكفيك عن ذاك الجمال اشارة فدعه مصونا بالجلال محجبا
اشر لي بوصف واحد من صفاتها تكن مثل من سمي وكني ولقبا

سلام الله على تلك الحضرة ، التى لايعدوها السرور والنضرة ، هذا وقد وصل كريم كتابك • وجليل خطابك • مؤكدا على وصول كتاب القائد ساعة القدوم وقد وصله بحمد الله ، بمجرد وصول الحامل سيدى محمد قبل ان يراني غير انه كما قيل :

دخولك من باب الهوى ان اردته يسير ولكن الخروج عسير

ثم ، الله يعظم اجر سيدى في مصابه، بسيدى عبد الله بن احمد ويحسن فيه عزاءه ، فقد علمنا والله ان كان لرجل صدق وامانة وفتوة ومروءة ، وكل خلق حسن ، فلذلك عجل به ــ كلكم تموتون وانما يعجل بخياركم ــ وليتـعـز سيدى عنه بما امر صلى الله عليه وسلم بالتعزى به ، اذقال : «ليعز المومنين في مصائبهم المصيبة بي»

لكل اخي ثكل عزاء واسوة اذا كان من اهل التقى في محمد

ولولاني تركت الشعر لترك السقب لفرسه ، والرال لتريكته (١) لقلت فيه فاله للذلك اهل بيدانه لاطاقة لنااليوم الابالترحم عليه ؛ والاستغفارله؛ فالله يرحمه ويغفر له ، مغفرة عزما فهو الغفور الرحيم

واما عبيدكم فلم يزل يوالي الزفرات ، ويتابع العبرات ، على تلك الاوقات؛ التي كلها مذاكرات ومنافحات :

يا ليت شعري والدنيا مفرقــة بين الرفاق وايام الورى دول
ابعد بعد تقول الدار جامعة ام هل تعود لنا ايامنا الاول ؟

* * *

ابعد بعد تقول الدار جامعة ؟ شملي بهم ام تقول البعد محتوما ؟

فهاانذا ملقى في زاوية الاهمال ، غيرمنظور الى لابعين الاجلال ولابعين الاذلال، منتبذا عن الناس، سمير الهم والوسواس؛ فلاراتب ولاجارى، ولاانيس ولاصديق ولادار ، فالآن صرت غريبا حقا :

الفقر في اوطاننا غربة والمال في الغربة اوطان

فلا اسمع بطرو اخ اوصديق الا وددت لولم القه ، لعجزى عن بره ، والله لقد صدق من قال : :

اذوب حياء من زيارة صاحب اذا لم يساعدني على بره الوفر

فلقد طرقني سيدى محمد البعمراني اذ طرقني ، فلو مات احد من الحياء لمت اذلم يجد عندي الضوء فما فوقه ، والله للموت من بعض الحياة اهون ، فالى الله والى سيدى المشتكى

شكوت وما الشكوى لمثلى عادة ولكن تفيض الكاس عند امتلائها

ثم اعلم سيدى انى عاملت ذلك المرحوم بالله سيدى عبد الله بن احمد معاملة اظنها مستفيضة هنا لكم ، وهى انى اعطيته خمسين ريالا قراضا ثم انه اشترى بها من الشعير خمساوعشرين اوستاوعشرين بالمكيال الخميسى (٢) فهى عنده معزولة في بيت منذشهر قبل انتقالى ، ثم لماازمعت على الانتقال ، كان اخر امرى معه حين تفرقنا ان يتركها كذلك معزولة ، ويرصد بها الاسواق فمهما ظهر من ربح غنمه ، ثم يرسل لى ماهو لى والآن لما قضى الله عليه بماارادا حب من سيدى استطلاع طلع ذلك من أهله ، هل اوصى اوامر بشىء ، اوعلموابذلك ويعلم بما اجابوا به ويعمل بمقتضاه واياماكان فما عمله سيدى في ذلك فعلى الراس والعين ، وحكمك مسمطا ، فانت بصيرتى في ذلك والحاكم وكيل الغياب والسلام ، وعلى العهد وازدياد المحبة والدعاء بظهر الغيب

واعيد السلام على جميع الاولاد ، الامثل فالامثل وقد سرنا صنيع سيدى

---

١) السقب كفلس : ولدالناقة ساعة يولد . والغرس بالكسر: مايخرج مع الولد كالمخاط . والرال : ولدالنعام . والتريكة كالسفينة : البيضة ان خرج منها الفرخ
٢) بمكيال سوق الخميس الوفقاوية

المدني أعانه الله على ماهو بصدده ، وأمده بدائم مدده ؛ واراك سيدى في جميعهم مايسرك ، واؤكد سيدى الطاهر على قراءة اللامية ايضا ، بتوجيه كل الهمة فلامندوحة له عنها. فاكثر مايصحفه حالة سرده انما اتاه من عدم اتقانها كما ينبغى ، فلا بد له من الصبر عليها حتى يتقنها ، فهناك يصح له السرد استقلالا وفى الملأ . وعلى سيدى تنبيهه على ذلك بلاتراخ فقلما ينتبه الا بتنبيهه ولايتوجه لوجهة خير الابتوجيهه وفق الله الجميع . اوائل جمادى الاولى عام ١٣٤٦ هـ
ولدكم عبد الرحمان بن محمد الاحبالى»

فاجابه الاستاذ :

أخى وصريحى ، ومريحى وسنيحى ، ابقاك الله مصون العرض والعرض ، مفدى بالانفس والآباء من كل عاهة ومرض ، ومن الم كل حادث عرض، مؤديا في ملة الفتوة والاخوة كل حق مسنون أومفترض ، مجددا من معالم الدين ماندرس، ومن رسومه ماعفاه الجهل ودرس ، مغبوط الاحوال ، مخدوم الآمال، قار البال؛ فار البلبال؛ ذلك السيد السند؛ والصدر الاوحد؛ انيسى وجليسى، وهزبر خيسى، وكاف كيسى ، ورئيسى وخنديسى، من اذاغاب عن القالب فهو في القلب حاضر؛ لايخلفه فيه سواه مابين باد وحاضر ؛ الغريب بين أهله ، والحائز خصل السبق في الكمالات على تؤدته ومهله، الشريف العفيف؛ والاحوذى السرى المنيف، مولاى عبد الرحمان ابن مولاى الشريف محمد :

نسب كان عليه من شمس الضحى فلقا ومن نور الصباح عمودا

السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الشذية ، والمكارم النديـة والسجايا المسكية ؛ ومن بها واليها ، وبعد فلاباس نسال الله لناولكم التوفيق لما يرضى ، واللطف الجميل فيما قضى ، والتيسير لليسرى ؛ والختم بالحسنى ، آمين آمين ، انه على مايشاء قدير ؛ وبالاجابة جدير ؛ وقد وصل ذلك الكتـاب الحائز من اسرار البلاغة اوفى نصيب ، والراتع من هضاب الفصاحة في كل ممرع خصيب فقرح بشكواه ، وفرح بسلامة كاتبه وهذا اعزماهواه ، ووقفت عـلى تفصيله وجمله ومالم به من ألم راقمه بالمفارقة وأمله ، فحرك ماسكن . وغيب عن الاهل والسكن ، واوقدنار الاشواق ؛ لمحبوب التلاق ، والله عليم بذات الصدور وقد تمثلت لماذكرت في كتابك انه لا مجانس ولا مجالس ، ولاجارى ولاراتب ولا مأوى، بقول من قال :

ارادت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم

فليصبر كل منا سيدى لسهام دهره ، وعوالى مكره ، فان محاله لايبقى على حال؛ ومحاول اوحانه على غارب الارتحال :

الدهر لايبقى على حالة   لكنه يقبل او يدبر
فان نلقاك بمكروهه   فاصبر فان الدهر لا يصبر

ورحم الله البحترى اذ يقول :

تنكر العيش حتى ان اكدره   ياتى نظاما ويانى صفوه لمعا
وانست من خطوب الدهر كثرتها   فلست ارتاع من خطب اذا طلعا

واحوال المدرسة والاهل داخلا وخارجا بخير ماذا فقد من وجد الله ؟ وماذا وجد من فقد الله ؟ غير ان رياض الادب تصوحت بعد انقشاع سحابتك المدرار ، وافول شمس مشكاتك المزهار ، ورعى فى مراتعها الهشيم ، واقلعت سحائب الاجادة فما لمع برقها بعد ولاشيم

دوام حال من قضايا المحال   واللطف موجود على كل حال

وقد بدا من مربى نعمتنا فلان (١) مايستغربه كل حاضر وباد ، ولايرضى به ادنى الاوغاد ، بله أفضل العباد ، والعرق دساس :

واسرع مفعول فعلت تغيرا   تكلف شيء فى طباعك ضده

والطبع املك ، قال حازم :

من يسمع الجفوة من خل ولم   يغضب لها فانه كمن جفا

* * *

متى تسد معروفا الى غير اهله   رجعت ولم تظفر بحمد ولا شكر

وقال حازم ايضا :

من صاحب الانسان فى العسر كما   صاحبه فى يسره فقد وفى
ومن يفارقه اذا ما يسره   فارقه فما وفى ولا رعى

وخير ماانتمثل به فيما وقع من التباعد بينى وبينك ، واوجب على الرغم منى بينك ، قول حازم :

يازمنا جفا المنى من بعدما   قد كان والى البر منه واحتفى
قد بلغ الحزام طبييه وقد   افرط حتى بلغ السيل الزبى
انايت يادهر المنى من بعدما   ادنيتها فما عدا مما بدا
ياهل انى ان ابلغ الحظ الذى   كم قلت فى تامليه : ياهل انى؟

والسلام عليكم ورحمة الله

١) يعنى الاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى وفى ترجمته تبيين ماوقع

وشعير القراض على ماعهدت • وما ظهر للكانه المصلحة فيه فاخبر به ولدنا محمدا يفعله به بلاتراخ ، والخلق اذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ظهر الفساد فى البر والبحر الآية ، والسلام على من انتمى اليكم او اخوتكم او قرابتكم ، خصوصا الوالد الاتقى والخال الارقى ، سيدى احمد بن ابراهيم ، واسال من الجميع صالح الادعية ، على بن عبد الله الالغى»

نتف من قوافيه

واما شعره فهاك منه قصائد لطيفة، وقطعا منتقاة، مما نراه امامنا متراكما ككثبان يبرين ، فمن ذلك ماقابل به وفدا افرانيا ، فيه الاستاذان سيدى البشير الناصرى وسيدى محمد بن الطاهر البكرى النسب :

لله يوم خميس جادلى بلقا   من كنت من بينهم قبل اللقاء لقى
حيوا فاحيوا نفوسا طالما قبرت   فاستاصل البعد من ارواحها الرمقا
وفى لى الدهر مذ وافوا وجدد لى   من وشى برد التهانى كل ماخلقا
هم الكرام وابناء الكرام ومن   قاد الاله بهم للرشد من خلقا
قوم يروج بهم للعلم كاسده   والجهل ينزاح من انوارهم فرقا
ان عز قوم بمال جم او عدد   فانهم جمعوا الاوراق والورقا
ماكنت اقضيهم الحق الذى لهم   وان فرشت لهم من جفنى الحدقا
فمن يكافى وان جلت صنائعه   صنع البشير الذى بفضله سبقا
ومن يكافى ندى البكرى غير الـه   قد حباه من الاخلاق ما عبقا
منى عليهم سلام طاب مورده   ما اشتد بالبرق شوق كلما برقا

وقد ثارت اثر هذه المقطعة مقطعات اخرى ، وقصائد بعضها فى رويها ، وبعضها على روى آخر على عادة الادباء الالغيين اذذاك حين يولعون بان يقول كل واحد قصيدة فى امثال هذه المحافل ، التى تحفل بادباء وافدين ، ثم يجيبهم الوافدون ويكيلون كل صاع بصاع فكم شعرور يجرى برذونا قطوفا ، وكم كهام مفلول تراه فى يد بعض البلداء مسلولا

وقال يخاطب الاستاذ سيدى الطاهر بن محمد حين زار العلامة سيدى الحاج احمد الجشتيمى عام ١٣٢٧ هـ ثم مر بالغ :

شنف باخبار من احيا اذا ذكروا   مسامع القلب واعرفهم وان نكروا
واربع على ربعهم وقل اذا سالوا   عن عبدهم : هام فيمن قبله اسروا
فاعجب لصب بمن شدوا الوثاق فلا   من لديهم ولا فداهم ذكروا
كانهم مارعوا حق الوداد له   وحقه اعظم الحقوق لو قدروا
فما لهم مارثوا لحاله فعفوا   ان الكرام لهم عفو اذا قدروا
وكلما اعولت نفسى اعللها   بالوصل والعطف منهم بعدما هجروا

مهدتهم من نحاة العصر قد قرعوا   ابواب عطف وباب الوصل قد نظروا
فمالهم لزموا بـــاب اشتغالهم   عني ومضمار شوقي وسطه حضروا
رعاهم الله قد راعوا ببينهم   روعي وهم فيه ان غابوا وان حضروا
قطرت دمعا بلا عين فكان دما   وغبت عن هذه الاقطار مذ قطروا
جالدت جند الهوى جهدي وحاربني   حرب البسوس ودارت بيننا عبر
كانوا مني القلب لكن زاده ولها   بالسفر أن يمموا سوقا هي الظفر
لله دهر تقضي كلــه غرر   بوصلهم ووقوت كلها سحـــر
وفوا فما شاب فود الوصل فيه ولا   شاب صفاء الهدى من بيننا الكدر
مني عليهم، على متن الصبا، وعلى   ذاك الزمان سلام طيب عطر

وقد اجابه الاستاذ سيدي الطاهر بقوله :

هذي نجوم الدجى ام هذه درر   لابل قواف اجادت سبكها الفكر
هذبها طبع مولانا الامام كما   هذب طبع نسيم الروضة السحر
الفلك كما افتر ثغر الزهر قلده   جواهر القطر لما زارها المطر
في طيها كل معنى كاد يشربه   بحسنه الواعيان السمع والبصر
لاسحر الاالذى ضمت لطافتهـــا   او ما تضمن في عين المها الحور
ماكنت احسب قبل ان اشاهدها   ان البطائق روض زهرها الفقر

وقال مرحبا بالاستاذ سيدى محمد بن الطاهر الافراني ، وقد وفد عليه ثالث شعبان عام ١٣٢٧ هـ :

اهلا بمن رحل العنا بنزوله   وشفيت من الم الضنا بحلوله
اهلا بوفد قل من اكــرامــه   ان صرت عبد مبشر بوصوله
اهلا بمن احيا القلوب قدومه   فتبرجت بولائـه وفضولــه
اهلا بمن اغنى ضياء علومه   عن نور بدر الجو عند افوله
اهلا بمن خرق العوائد فضله   وسما بفضل فعاله واصولــه
اهلا بشهم جل وقت نضاله   عن ان يسام حسامه بفلوله
شرفت عبدا بالزيارة لم يزل   لك في المحبة مخلصا كفصوله
ان الكمال جميعه لك مسنــة   فالشعر يقصر عن بلوغ فصوله
والله رب العرش يمنح كل ما   تــرجوه مــن اقبالــه وقبوله
ويثيبك السر العميم فتنثنــي   احظى امرىء قد سر عند قفوله
باجل خير الخلق صلى ربنا   ابدا وسلم دون حصر حصوله

فاجابه الاستاذ الضيف ، وقد غير الروى وان التزم البحر :

شعر زرى بالعقد حسن نظامــه   وزها على الحسنا بحسن كلامه
فرحابه فلقد ازال الهم عن   قلب المتيم بعد ستر غمامه
ما الروض في ازهاره ما الدر في   اصدافه ما البدر ليل تمامه

الى اخر القطعة ، وهي من اوليات هذا الاستاذ الجليل حفظه الله .

وقال ايضا مرحبا بقاضي اقا اليوم تلميذه سيدى الهاشمي الفاسي :

ياواردا عمت الدنيا مفاخــره   وغم اعــداءه فيـــها مآثــره
وقاد مالم يزل في القلب مسكنه   ان غاب عني فما غابت اواصره
اهلا بمقدمك الزاهي ومورك الـ   ــباهي ، وسهلا بوفد سر سائره
لله طلعتك الغرا وسيرتك الـــ   ـــسرا ودهر بك انجابت دياجره
قدمت في طلب العليا وانت لها   كفؤ وازكى فتى طوعا تصاهره
مهر الفضائل صبر انت باذله   والصدق من شرطها وانت ماهره
والحلم ان ضيم يوما انت ناصره   والعلم ان كان اجنى انت هاصره
سر هكذا فالعلا تدني مقادتها   لمن تدين لها منــه عناصره
لازلت تنمو وتسمو للعلاء الى   ان تستحيل امرأ غر مفاخره
منحتك الود منحا لا اعتصار له   والود في الله ما ترجى اواخره
مني عليك سلام زان ناضره   روض اشتياقي وقد فاحت عواطره

وقال ايضا مرحبا بالعلامة الاستاذ محمد بن عبد العزيز ، كاتب آل كردوس وهو ممن يخاف الله فيما يحكى عنه ، وذلك في الاربعاء ١٧ رجب ١٣٤٦ هـ:

ياقادما فضله في العلم والعمل   قد كان اسير من طيف ومن مثل
وسيدا عمت الدنيا صنائعــه   انخ فقربك اضحى غاية الامل
وواردا جد مذ ان كان شب الى   ان دب في حفظ شمل الدين من خلل
احييت بالوصل حيا قد نزلت به   نزول قطر بقطر سيم بالخلل
ان ساد قوم بجمع المال والخول   فانت سدت الورى بصالح العمل
لازلت ياخير طب ماهر فطن   تشفي برايك ما بالدين من علل
يانجل عبد العزيز ياامام هدى   لم يرض مذ شب ان يرعى مع الهمل
هجرت مالوف اوطان دعتك الى   ما ليس يرضى به الرحمان من عمل
فقابلتك القلوب بالرضا وبما   يعليك من طيبات الذكر عن زحل
اصفيتك الود في الرحمان حين صفت   منك الخواطر من غش ومن دخل
عليك مني سلام الله ماطلعت   شمس وما غربت عن غارب الطفل

وقال رحمه الله يخاطبني في بعض وفاداتي على الغ من الحمراء اعوام ١٣٤٢ هـ

يحق على للمبشر انــكـم   قدمتم من الاحسان افضل ما خلع
يعين ان عاينت شخصك لى المنى   وقلبي حاط بالذى قبل قد ولع
طلعت طلوع البدر في حندس الدجا   الا فاعجبوا للبدر في الغرب قد طلع
نزلت نزول الغيث في وسط مجدب   فازهر روض العلم والفضل قد نبع
فاهلا بمن احيا من الدين ما قضى   وشاد له ركنا قضى الجهل ان خضع
وسهلا بمن راض العلوم فاصبحت   اوابدها ما ان يقال لها (هدع) (١)

١) هدع بكسر الهاء وفتح الدال ، كلمة يهدأ بها صغار الجمال

لفيبت في جمع الكمالات معرفا   عن العرض الفاني وما هالك الهلع
فشمر وجد السير ان الذى تريـ   ـده ستشيم برقه بعد قد لمع
فلا شك ان الوارث السر فاشكر الـ   ـاله الذى يحميك من كل ماقذع
فلا زلت يامختار في كل مايزيـ   ـن قدرك مختارا جماع العلاجمع
عليك سلام من قريب يحب ان   يراك ونور الله فوقك قد سطع

وقال يحرض على تحسين الخط وشاع انه يخاطب بعض اولاده ، وانها له :

ان لم تكن كابن مقلة   في الخط جد بابن مقلة
وخط في الخد خطا   اخدوده عين عقلة
وارض بخطة عجز   فما لها عنك نقلة

وقال في ذلك ايضا ، وهو ماشاع ايضا انه له :

ان حسن الخط زين للفتى   فهو نصف العلم من حيث اتى
جيد من ليس يجيد الخط في   عطل هبه ابن ادريس الفتى (١)

وقد خاطبه سيدى محمد بن مسعود المعدرى بقوله :

تبدى فخلت البدر في الافق ينجلي   اذا هو بدر المجد والشرف العلي
ابو حسن مأوى المكارم كلها   ولا غرو في جمع المكارم في علي
فمهما ذكرنا من خصال فضائل   فليس لها الا ابو حسن علي
فلو اطنب المداح في مدحه فما   عسى يبلغ الاطناب من وصفه العلي

فاجابه بقوله :

لله درك من امام عادل   ورث المكارم فاضلا عن فاضل
فقت الاوائل والاواخر والذى   قرن الفضائل منكم بفواضل
لاتكب في ميدان تدريس وكن   وقت اشتداد الجهل خير مناضل

وقال ايضا يجيب الاستاذ شيخنا سيدى محمد بن الطاهر عن قصيدة خاطبه بها:

وصالك هذا ام بدا صبح اسفار   ووجهك ام شمس دهت نور ابصار
وعرفك هذا ام صبا قد تصافحت   اناملها وهنا بروضة ازهار
وخلقك هذا ام خلوق تعطرت   بارواحه لبات صقع واقطار
ونظم لئال في نحور خرائد   ارى ام نظاما جاز رتبة اشعار
تفتق من روض البلاغة نورها   ورقت به الالفاظ رقة اسحار
اذا احتست الاذواق كأس رحيقه   سكرنا حلالا ما رزئنا باوزار
يقلد جيدى من فرائد لفظه   باطواق مدح منتقى ذات اخطار

١) يعنى الامام محمد بن ادريس الشافعي

واني ورب البيت لولا اعتقاده   وحسن الرجا ما كنت اهلا لاكبار
فما روضة جاد العهاد وهادها   وغنت بها الاطيار في ملد اشجار
وابدت ونور الشمس قابل نورها   جداولها كالايم (١) في حين ادبار
وتصبح في برد قشيب منمق   وشته يد الوسمي وشيا بازهار
وينشق منها كلما هب ريحها   شذى العنبر الشحري فاح بمعطار
باحسن من شعر يعز على ان   ارى رقمه في غير صفحة افكاري
فاقسم بالفضل الذى حزت خصله   وبالشرف العد المشيد بايثار
وبالادب الغض الذى كان بعض ما   منحت وما اعطيت من رفع اقدار
وبالود مني قد منحت صميمه   فما شيب حتى شبت يوما باكدار
لقد فقت ياابن الاكرمين فما ارى   لفضلك ندا عند نزع لاشعار
أسال اله العرش حفظ مقامك الـ   ـسمى من الاسواء طرا واغيار
بجاه اجل الخلق صلى وسلم الـ   ـاله عليه والاجلة انصاري

وقال الاستاذ ايضا فيماكتبه لطلبة مدرسته معاجلة انصار يطلب ممن وفقه الله منهم ان يقرب احجارا الى بنائين عند الاستاذ ، على عادة الطلبة مع اساتذتهم في بلادنا عند المهمات والبادون كلهم عملة طلبتهم وعوامهم ، فكل يحك جلده بظفره ، فلايستهجنن الحاضرون احلاس البيوت ، وابناء الكلل وربيبوا الخمامات حتى غدوا كما قال الشاعر :

خطرات النسيم تجرح خديـ   ـه ولمس الحرير يدمي بنانه

هذا الاستخدام ، فان طلبة البادية من عادتهم ان يقوموا بكل ضروريات اساتذتهم ، حصادا وبناء وسفارة وغسل ثياب ليمكن له ان يوالى لهم الدراسة وهذا ماكتب به الاستاذ :

اريد من خير اخواني وصفوتهم   حمل حجار غدت تفرى بالعملة
لازال في صالحات السعي سعيكم   ولا برحتم هداة جلة كملة
بجاه خير الورى صلى الاله على   مقامه وعلى اصحابه الفضلة

وكتب اليهم ايضا بعد ماأتمو احصاد مزروعاته :

جزى الله اخوان الصفاء بكل ما   يجازى به احبابه وسط القبر
واعطاهم من فضله الغمر كل ما   يحبونه بل فوقه دونما حصر
كفوني مئونات الحصاد وظللوا   باوجههم وجهي كفوا ازمة الدهر
وعند امتحان المرء يظهر فضله   او النقص والرجحان في كفة الصبر
الاهكذا الايثار ، لاكالالى تغيـ   ـبوا عن صنيع قائد المرء للخير
كذاك تقوم السوق والناس بين من   يراج له والدالجين الى الخسر

١) الايم مخفف الايم بالتشديد : الافعى

ولو لم تعف بالمكاره جنة الـــ ـــخلود تساوى الذب فيها معالبر
عليكم سلام الله ياخير من سعوا لتحصيل مايول الهنا ساعةالحشر

وبعد فقد ءان لنا ان نكتفي من ءاثـار قلم الاستاذ بهذه النماذج الـتـي سقناها منها من كل ناحية ، فاتينا بنماذج مختلفة حتى يستفيد المؤرخ الـذى يقبل كل شيء، وهذا كله كما يراه القارىء لايخرج عن الاخوانيات ، ومن اراد التوسع في كل ماقاله الاستاذ أوجله فانه سيجده ان شاء الله فـي (جـوف القرا) فاننا ماعدونا هناان اتينا بطاقة صغيرة جدا من تلك الـروضة الاريضة ولكن لانحسب ان القارىء يرى ماكتبناه هنا حتى يعرف مقدرة الاستاذ ومقدار براعة يراعه ، فالحمد لله الذى يسرنا لهذا اليوم ، ونساله تعالى ان ييسرنا لاتمام الكتاب جميعه غدا فيجد القارىء بين التراجم الامداح الكثيرة التي يخاطب بها ادباء الغ وما اليهم هذا الاستاذ الاديب الكبير

الآخـــذون عن الاستاذ

مر بنا فيما تقدم العلامة علي بن عبدالله في اطوار شتى ، فرأيناه اجتماعيا وقاضيا ومفتيا ومدرسا ورئيسا وواعظا ، وقد رايتما يشهد لكل هذه الاطوار فكثرة اصحابه وثبات مركزه في الرئاسة ، وشفوفه في المكانة الاجتماعية ، وفتاويه واحكامه التي تعج بها سلات الرسوم من كل القبائـل المتاخمة لالـغ المفصحة كل الافصاح عن مكانته في الافتاء والقضاء ، وهذه التموجات الـتـي لاتزال الى الآن بين علماء جزولة هي منأثرتلاميذه الذين يتتابعون طبقا عـن طبـق كما أن الترحم عـلى الاستاذ الـذى يعليه كـل منصف عندما يـذكر الكرم أو البخل في الغ ، تحمل الناس عـلى أن يـرددوا اسم الاستاذ ، وان يجعلوه ءاخر الكرماء السعيديين ـكما يقول الاخ احمد رحمه اللهـ وهذه كافية غاية الكفاية في مقامه بين الصادر والوارد ، فقد ادى للمروءة حقها الواجب :

فعادوا فاثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائـب

ولكن استاذيته التي وصفناه بها ، وكانت الاصل الاصيل الذى تفرعت عنه كل هذه الاخلاق الاخرى ، من اين نجد مايشهد لنا بها الا في ءاثارهاالتي لاتخفى في الذين يردون الى المدرسة الالغية عطاشا ، «وقـد كربت اعناقهـم ان تقطع» ثم يصدرون عن مناهلها العذبة الصافية من بعد ما ارتووا عللا بعد نهل حتى ضربوا بعطن ، فكم راحل عن الغ ءاباليه قريبا حين ظهر له راى العيـن الفرق بين الدراستين :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا الى مغناك والعود احمد

كنا ذكرنا في ترجمة صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله ان غالب من خلفهـم في المدرسة قد اخذوا ايضا عن هذا الاستاذ ، فها نحن اولاء سنذكر كل منعلم

انهاخذ عنهوندخل فيهم من كانوا اخذوا قبل عن صنوه ان اخذوا عنه ايضا ، ثم لانذكر الامن اشتهر منهم بعلم اوتدريس او استبصار ، ثم ظهرت مكانتـه في الرئاسة اومركز آخر ، وأما من لم يحصل اولم يعرف بعد ذلك بشيء يرفع مكانته مع الاستبصار فيما أخذ ، فاننا نتنكب ذكره ، ثم اننا نذكر كل من مر بالمدرسةالالغية في عهده وان كان اخذ في غيرها ، قبل ان يلتحق بها ، او بعد ان فارقها لانه على كل حال ممن أخذوا عنه، وهذا هو شرطنا، وعلى الله التكلان

فلنتتبعهم بالقبائل ، فنبدأ بئال الاستاذ ، ثم بغيرهم من الالغيين كلهم ثم بكل من كان من مرابطينا من غير الالغيين ، ونمزج الايغشانيين والوفقاويين والتاكنزيين والتيغشيتيين بالمرابطين ، لامتزاج المساكن ، ثم بالايسيين ثم الامانوزيين والكرسيفيين ثم التمليين ومن اليهم كالكثيريين ، ثم الرسموكيين ثـم السملاليين ثـم البعقيليين وما اليهم كالتازروالتيين ثم المجاطيين ، ثـم الافرانيين ثم الاخصاصيين ، ثم البوعمرانيين ومن اليهم كالساحليين ، ثـم الازاغاريين ثـم التاغاجيجتيين ثـم التامانارتيين ومن اليهـم كالاموكاديريين والاقاويين ، ثم الساموكنيين ، وهكذا نرتب ذكرهم الآن كما سنرتب ايضا ان شاء الله تراجمهم في محلها على حسب ما تيسر ، ومن كان من غير هـــذه القبائل فسنبينه نصا :

الالغيون ومن اليهم :

١ ــ الاستاذ عبد الله بن محمد الالغي
٢ ــ صنوه عبدالرحمان بن محمد الالغي
٣ ــ صنوهما احمد بن محمد
٤ ــ الاستاذ محمد بن علي
٥ ــ الاستاذ المدني بن علي
٦ ــ الاستاذ الطاهر بن علي
٧ ــ الاستاذ الحسن بن علي
٨ ــ سيدي صالح بن احمد
٩ ــ صنوه عبد الله بن احمد المرحوم
١٠ ــ النجيب المرحوم الحسين بن ابراهيم
١١ ــ النجيب محمد بن عبد الله بن محمد
١٢ ــ النجيب سيدي احمد بن محمد التاهالي
١٣ ــ الشيخ محمد بن عبد التهالي
١٤ ــ السيد محمد بن الحاج بلقاسم
١٥ ــ العم سيدي ابراهيم بن احمد
١٦ ــ سيدي موسى بن الطيب
١٧ ــ صنوه المرحوم سيدي البشير

١٨ ـ الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم
١٩ ـ الاستاذ سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح
٢٠ ـ الاستاذ علي بن صالح الاوفقيري
٢١ ـ سيدى علي بن الحاج احمد التيفشيتي
٢٢ ـ سيدى الحسين بن بوبكر الاغوديدى
٢٣ ـ الاستاذ سيدى البشير صنوه
٢٤ ـ الاستاذ عبد الله بن مسعود التيبيوتى
٢٥ ـ صنوه سيدى احمد بن مسعود
٢٦ ـ الحاج مسعود الوفقاوى الاستاذ الكبير
٢٧ ـ النوازلى سيدى محمد بن مبارك الوفقاوى
٢٨ ـ سيدى المحفوظ بن الهاشمي
٢٩ ـ سيدى أحمد بن بوهوش التاويبي الايفشاني
٣٠ ـ الاستاذ سيدى احمد بن الحسن البناءى الايفشاني
٣١ ـ صنوه سيدى محمد بن الحسن
٣٢ ـ سيدى محمد بن مبارك التاويبي الايفشاني
٣٣ ـ سيدى الحسن اخوه
٣٤ ـ سيدى الحسين بن صالح التاكنزى

الايسيون

٣٥ ـ الاستاذ سيدى المكي اليزيدى
٣٦ ـ سيدى الطيب اليزيدى
٣٧ ـ الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى
٣٨ ـ سيدى محمد بن عابد اليزيدى الصغير
٣٩ ـ الاستاذ محمد بن الحاج احمد الاستاذ اليزيدى
٤٠ ـ سيدى محمد بن عابد اليزيدى
٤١ ـ سيدى محمد بن الحسن اليزيدى
٣٢ ـ سيدى الحسن بن عبد الرحمان الاعرج الايسي
٤٣ ـ سيدى محمد بن الحنفي الفيلالي الحضيكي
٤ ٤ـ صنوه سيدى الحسن بن الحنفي الحضيكي
٤٥ ـ سيدى الحسن بن البشير الحضيكي
٤٦ ـ سيدى المحفوظ التارصواطي

الامانوزيون والكرسيفيون ومن اليهم

٤٧ ـ سيدى محمد بن بومليك

٤٨ ـ سيدى محمد ـفتحاـ بن عبد السلام الكرسيفي
٤٩ ـ سيدى محمد بن عابد نسخت : اى النسخة

التيمليون

٥٠ ـ سيدى الحسين التانفيلتي
٥١ ـ الاديب سيدى محمد بن بلقاسم الاعسرى
٥٢ ـ بلقاسم الانامرى التيملي
٥٣ ـ سيدى محمد بن بلا الانيلي
٥٤ ـ سيدى محمد المسناتي
٥٥ ـ سيدى احمد بن بلقاسم
٥٦ ـ سيدى احمد بن محمد الدويملالني
٥٧ ـ الاديب سيدى محمد الكثيرى
٥٨ ـ صنوه احمد

الرسموكيون

٥٩ ـ العلامة علي بن الطاهر
٦٠ ـ اخوه عبد الوهاب
٦١ ـ الفقيه سيدى صالح الزعنوني
٦٢ ـ سيدى احمد بن محمد الزعنوني
٦٣ ـ الاستاذ ابراهيم التازيلالتي

السملاليون

٦٤ ـ سيدى احمد الاعضياوى
٦٥ ـ الاديب محمد بن سعيد الاعضياوى
٦٦ ـ سيدى احمد بن محمد الورحماني
٦٧ ـ الصالح سيدى احمد التازيمامتي
٦٨ ـ الفقيه عبد الله المافاماني
٦٩ ـ الحسن بن عبد الله
٧٠ ـ الفقيه سيدى محمد التيقيبي
٧١ ـ العابد محمد بن محمد من ايت الحاج
٧٢ ـ الفرضي سيدى الطيب بن محمد الكوسالي
٧٣ ـ سيدى عبد الله بن محمد الورحماني
٧٤ ـ سيدى الحسين بن ابراهيم الاخصاصي

الباعقيليون

٧٥ – الاستاذ سيدى ابراهيم القاسمي
٧٦ – سيدى علي الباعقيل القاسمي
٧٧ – الاديب سيدى احمد بن سعيد الاكماري
٧٨ – السيد الحاج الاحسن الباعقيلي ثم البيضاوي
٧٩ – احمد بن صالح الايفيرموسي
٨٠ – النجيب سيدى ابراهيم بن الطيب
٨١ – الفقيه سيدى محمد بن احمد بن محمد الخياطي

المجاطيون

٨٢ – الاستاذ الكبير بلقاسم التاجارمونتي
٨٣ – الاديب سيدى احمد بن محمد الاهريبي
٨٤ – سيدى جامع بن همو الازونيفي المجاطي الشهيد

الافرانيون

٨٥ – العلامة الشاعر سيدى الطاهر بن محمد
٨٦ – الاستاذ محمد بن الحاج الاديب الشهير
٨٧ – صنوه سيدى الحسن بن الحاج
٨٨ – الاستاذ احمد بن صالح من بني عدي
٨٩ – سيدى احمد بن صالح الشكوكي
٩٠ – الاديب سيدى الطاهر الناصري
٩١ – الاديب سيدى البشير صنوه
٩٢ – النجيب ابنه المهدي
٩٣ – سيدى محمد السلامي التاغونيتي
٩٤ – مولاى صالح التانكرتي
٩٥ – الفقيه سيدى الحسين التيمولائي
٩٦ – صنوه احمد بن محمد

الاخصاصيون

٩٧ – الاديب الكبير مولاى عبد الرحمان البوزاكارني
٩٨ – الفقيه سيدى الحسين التاطاروستي
٩٩ – سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم
١٠٠ – سيدى محمد السلامي المقدم التاكانتي

١٠١ – صنوه سيدى علي
١٠٢ – سيدى محمد بن علي اوبالوش
١٠٣ – صنوه سيدى عمر
١٠٤ – محمد بن ابراهيم المانوزي الاخصاصي
١٠٥ – سيدى محمد بن مبارك الاكيسلي
١٠٦ – الاستاذ والده سيدى مبارك

الباعمرانيون والساحليون

١٠٧ – القاضي سيدى محمد بن عبد الله اوبالوش
١٠٨ – سيدى الحسن اخوه
١٠٩ – سيدى عبد الله بن الحسين الموساكناوي
١١٠ – سيدى محمد بن الحسن الموساكناوي
١١١ – الاديب محمد بن الحسين بوكرع
١١٢ – سيدى محمد بويشوارين الساحلي
١١٣ – النجيب صنوه سيدى احمد

الازغاريون وما وراءهم

١١٤ – سيدى محمد المرسي المعدري
١١٥ – سيدى محمد بن محمد بن الحسن الماسي

التاغجيجتيون

١١٦ – سيدى ادريس بن الحسن
١١٧ – سيدى محمد بن مبارك الموش
١١٨ – سيدى ابراهيم بن محمد
١١٩ – صنوه سيدى احمد بن محمد
١٢٠ – القائد الحاج احمد اضارضور

التا مانارتيون

١٢١ – سيدى اليزيد الخلاسي
١٢٢ – الحاج عبد الله اليزيدي
١٢٣ – سيدى الطيب اوباحو
١٢٤ – سيدى الحسين بن بلقاسم الايموكوديري
١٢٥ – سيدى ابراهيم بن محمد العنتري
١٢٦ – سيدى سعيد بن علي العنتري

١٢٧ – القاضى محمد الهاشمى الافاوى

السامو كنيون

١٢٨ – الاستاذ سيدى العربى الساموكنى الشهير
١٢٩ – الفقيه محمد بن محمد بووازى
١٣٠ – سيدى الحسين بن احمد
١٣١ – سيدى محمد بن احمد الحافظ
١٣٢ – سيدى محمد بن الحاج عبد الرحمان

هؤلاء من امكن لنا ان نعرفهم اليوم ، ولابد ان يفلت من احصائنا هــذا بعض نجباء اخرين ، ولكننا فى الغالب قد استقصينا غاية الاستقصاء ثم انتخلنا النجباء من غيرهم على شرطنا الذى ذكرناه ، فبقى بعد الانتخال فى ايدينا بعد ذلك من رايتهم امامك الآن ، ولاشك ان النجابة تتمطط الى حيث يشاء الانسان ولكننا توسعنا فيها ، وادرجنا فى ضمنها ما يقصد اليوم بالثقافة العلمة، فكل من يقدر ان يكتب ما فى ضميره باحسن عبارة ، ويتلو ماكتبه غيره القوم تلاوة وان لم يكن ذلك المتفوق الزاخر ، فانه لاشك نجيب مثقف ، وهذا ماجعلناه محور هؤلاء الذين انتخبناهم من مئات سواهم ، فادناهم من يقدر ان يعبر عما فــى ضميره باللغة العربيــة كتابة ونطقا بغير لحن كثير ، وقد اشرف على الفنون التى اخذها وكانت له يد متمكنة فى بعضها • واما المتفوقون فهم الفطاحــل العلماء الاجلة وهم فى هؤلاء نحو الثلث ، وسترى ان شاء الله وتمم مرادنا فى ترجمة كل مقدار خطواته فى الميدان ، فانتظر فانا معك منتظرون ومن افلتوا من هذه القائمة ثم عرفناهم بعد اليوم ، فسنضيفهم الى اخوانهم يوم نصل الباب الذى يترجم فيه لكل واحد واحد والله الموفق

الآن ايها القارىء ادركت بلاشك مقدار استاذية صاحب الترجمة فقد برهن لك ماتراه امامك من المتخرجين تحت يده عن تلك المكانة السامية التى تنزلها استاذيته ، وتجول فيها تربيته ؛ على أنك لاتدرك ذلك غاية الادراك حتى تضع ان شاء الله بين عينيك حياة كل واحد من هؤلاء ، فتكون اذن علــى حــق اليقين فيما كنت فيه اليوم على علم اليقين (واذقال ابراهيم رب ارنى كيف تحى الموتى ، قال أولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى)

أيام الاستاذ الاخيرة

كان للاستاذ تلك الحظوة العظيمة فى علمه وفى رئاسته وفى قضائه فى كل ماتمسه يده ، فكان فى مقام يغبط فيه ، وفى منزلة تتطاطاودونها الهامات وقد انتشر له من التلاميذ من نشروا من محاسنه ومن مفاخره ماترك ذكره كالكباء

الفائح فى كل ارجاء سوس ، ينشقه القريب والبعيد ، ويقر بمقامه المـعظم مكاسره ومكاشره خلقا وفضلا وعلما وادبا ؛ واشادة للحق وهدا للباطل ؛ وحكما مسمطا فى النوازل وغيرة تنافح عن جزولة مع المكافحين منافحة الآساد دون اخياسها ، وهو رحمه الله يتزايد فى هذه الخصال التى كللها بمائدة ممدودة وسماط مايغلق دونه الباب ولا يسأل دونه عن السواد المقبل ، فقد سمعت اخى احمد رحمه الله ، وكان ممن يعجب بصاحب الترجمة ، فكان هو على الحقيقة من ارانى عنه ماكنت اجهله فى تلك الشهور التى قضيتها معه اثر نفيى من الحمراء قبل أن يلتحق بربه فذكرنى بعض ماكادت تنسينيه هذه السنوات العشرون التى قضيتها منذ غادرت الغ للاخذ منذ عام ١٣٣٦ هـ فكان يقول عنه رحمهما اللــه معا : ان الاستاذ هو اخر من يتقبل فى الغ اى ضيف جاء ولايكاد يجيف بابه دون اى احد ءاء ثم انطوت هذه الخلة بعده حتى لم يبق لنا شىء فى الـغ كـرم لاحقيقة ولامجازا ، وهذه الشهادة من الاخ تتضمن زيادة على الاشادة بالحق لاهله انصافا اعتاده انا من الاخ ، فقد عرف كل الناس ان غالب الاقارب الذيـن لايعدون فى المعتاد ان يكونوا بينهم كالعقارب ، قلما يشهد بعضهم لبعض شهادة مثل هذه ، ولكن نحائز الالغيين التى حافظ فيها الابناء على ماعوده الآباء لاتزال مسترسلة ـ كماترى ـ بعدمامضى زمن كادت فيه الغ تاتى عليها فعلة سماوية ادت باحد اولاد المترجم فجبلت وراءها جولة غير محمودة ، ثم وقى الله الغ شرها فالتأمت القلوب وانطفأت الحزازات ، وتركت تلك الفظيعة وكل ماجرته ملاحس البقر اولادها؛ فبعد ان رزىء الاستاذ بفلذة كبده ؛ وبعد أن جوذبت الحبـال فترة من الزمان مع اناس من بينهم الاخ احمد ومن اليه ، غلبت طباع التسامح حتى رايته يشيد بالاستاذ ، وحتى رمى الاستاذ نفسه كل عقابيل تلك الجريرة دبر اذنه ، فعاد الالغيون ثانيا وقد نزع من قلوبهم الغل ، فيجلسون على سرر متقابلين فهذا هو الاستاذ الكريم الذى لاتخلو داره من علماء يزيديين أو افرانيين او صحراويين أو سملاليين أو اخصاصيين أو بعقيليين او تمليين أوصوابيين او تامانارتيين ، ولايكاد يودع وفدا منهم حتى يتلقى وفدا اخر ومن اريحيته ان يتلقى النازلين بقصيدة ، ثم يودعهم باخرى ، كمايربى على ذلك تلاميـذه ليتمرنوا على الانشاء ، وعلى الاخذ والرد فى ميادين الادباء وخصوصا ان جاء الوفد الافرانى الذى يتركب غالبا من الاستاذ شيخنا الطاهر بن محمد ، ومن الاستاذ العربى قبل أن يتوفى عام ١٣٢٩ ومن الاستاذ البشير بن المدنى الناصرى وصنوه الاديب الطاهر بن المدنى ، قبل ان يتوفى عام ١٣٢٦ هـ ومن الاستاذ الافرانى احمد بن صالح زيادة على من يقعدون عنده غالبا كالفقيه المكى اليزيدى والفقيه الحاج احمد بن محمد اليزيدى وأخيه عبد الرحمن والفقيه أوالشلح الايسى والنوازلى الحاج أحمد من ءال بريك الوفقاوى ، وربما كان معهم الاستاذ شيخنا محمد بن الطاهر النابغة الجديد فى الادب اذذاك ، والعلامة ابوزيد البوزاكارنى شيخنا الكبير ، والاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى ، والاديب محمد بابه

الصحراوى ، فيتسابقون جميعا فى القصائد ثم تاتى حلبة اخرى من الالغيين كالاستاذ عبد الله بن محمد والاديبين ابنى الاستاذ المترجم : محمد وصنوه النابغة المدنى ، والاستاذين عبدالله بن مسعود التيبيوتي وعبد الله بن ابراهيم الالغى وادباء المدرسة الالغية ، فتتلاطم امواج القريض فى دار الاستاذ وفى دار الايغشانيين ، وفى دار الوالد حين كان لايزال حيا الى مختتم عام ١٣٢٨ هـ فترى الاستاذ صاحب الترجمة بين ذلك المحفل هو الذى يسبق ويتقدم الى الصدارة ، بعد أن توفى الوالد لان الوالد كاد يتصدر وحده ، لسنه ولمكانته ولكون الجميع اخذوا عنه ، ومن بعد وفاته كان الاستاذ منفردا بتلك الصدارة بجدارة واستحقاق ، ويتصدر على الكل لان هؤلاء كلهم من تلاميذه وفى كتابنا (جوف الفرا) ترى غالب هذه القصائد التى تستغرق عشرات فعشرات من الصفحات مما لم يمكن لنا كتبه فى هذا الكتاب هذه كلها خلال الاستاذ التى صاحبته الى آخر حياته ، التى ابتلى فيها بتلك الرئاسة التى صار يتململ منها اخيرا ، وقد عاين بعين البصيرة تلاعب الناس بالدين ، وخلو نفوسهم من الغيرة عليه ، وفساد النيات واختلال الاحوال وتكاثر الاهوال والمرء لايخرج من شديد منها الا الى ماهو اشد ، فعزم عزما اكيدا ان ينزوى فى داره وأن يطلق هذه المجامع وكانه شاهد الصخرة قد تدحرجت من قنة راس الجبل فى منحدرها وقد شاهد كيف ذلك المنحدر فايقن ان الصخرة لايردها راد حتى تصل الى قعر الوادى ، هذا ماكان خطر له يوما رحمه الله ، ولكن الاعاصير لم تذره فى انزوائه فهبت عليه مرة اخرى عاصفة من عواصف تلك الايام المقلقة بين اعاصير الكفاح ، كان ابتدات من بنى عمران فجرفت كل ماامامها فكان الاستاذ مما جرفته مرغما فلاقت الحملة ملاقت فى قبيلة أيت عبلا وقد وقفها الزكريون ، وهم الذين كانوا سبب هذا الزحف لامور كثيرة ذكرناها فى غير هذا المحل ثم لم تلبث هذه العاصفة ان تضاءلت تضاؤلا مخجلا كساكل من كان فيها حياء فيما بينه وبين نفسه ، فضلا عن وسط الرامقين وقد ظهرت السرائر وافتضح المراءون وظهر ان لاغيرة ولا ايمان ، ولاقصد حسنا وان كل ذلك انما هو من أجل دراهم معدودة يتوصل بها بعض المغرضين كالقائد المدنى وامثاله ، ثم لم يرزءوا الزكريين قلامة ظفر ، ولا وطاوهم كما زعموا فقال الاستاذ : وا أسفا على نقض عزيمتى وعلى ان راجعت هذا الهرج من جديد فرجع من ذلك الزحف الذى كان بعد عام ١٣٤٣ هـ ثم لم تلبث طلائع مسغبة ـ ١٣٤٥هـ ١٣٤٦ هـ ان طلعت على اهل هذه الجهة ، فعركت الناس عركا ولاقوا منها عرق القربة ، وقد نال الاستاذ منها بعض جهد لكثرة عياله ، ولكثرة اضيافه ولعظم نفقات مجده ـ ومعلوم ماللمجد من نفقات باهظة ـ وقد خلت الاهراء ونفدت الدخائر ، واعوز المعينون ، وقد اصيب الاستاذ عام ١٣٣٧هـ بخروج املاك ايشت من يده وهى التى كانت تمده بتمر كثير ، وغلل اخرى غير قليلة ، فاضطر فى هذه المسغبة ان يشترى من الحبوب مثل الناس مايزيده الى مدخر عنده لايزال

موجودا ، ولكنه قليل ، والاحتياط دائما كان من حزم امثال الاستاذين الالغيين

اخبرنى الاخ احمد قال : حرث الناس عام ١٣٤٦ هـ فكان الاستاذ تخير المزارع الجيدة فاقتصر عليها ولم يتجاوزها الى الارض الهشة فنزل مطر قليل فلم يفد الا الاراضى الهشة ، فصار الاستاذ فى مقيم مقعد ، فاجتمعت معه فى دار انسان فجالت اطراف كلامه حول هذه السنة الشهباء ، حتى ظهر لنا تاثره فقال : ماذايلاقى الالغيون من هذه السنة العجفاء ؟ ثم قال : اتريدون ان نستهم لننظر من هو المنحوس فينا ؟ ـ قال ذلك تواضعا وهضما للنفس ـ ثم قال : ولكن واحياءاه ، ربما يقع السهم على جانبى وما يدرينى ؟ افلا اخاف ان اكون مثل يونس ، حين ساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهو مليم ؟ فصارت عبراته تنتثر على لحيته البيضاء الطويلة ، وقد خنقته العبرة ـ وكان ذلك منه يؤثر غاية التاثير ـ ثم صار يقول : ان الحوادث قد وعظتنا مرات فما اتعظنا وجاءتنا المثلات تترى فما ارعوينا وزلزلتنا النذر ونحن فى اعمالنا القبيحة سادرون ، قال الاخ : فحصلت لنا منه رحمة الله موعظة اثرت فينا غاية التاثير ثم خرجنا فاملنا الى داره ، فمد سماطا يزخر سمنا وعسلا وملتوت لوز ولحما مزعفرا ، ثم مافارقنا حتى اضحكنا بكرمه بعدما ابكانا بمواعظه قال الاخ : كذلك كان الاستاذ اذا اطلق وعظه كثيرا مايهضم نفسه ، ويتعظ بكلامه قبل ان يتعظ به الناس ، حتى انه فى مثل ذلك الموقف ليصرح عن نفسه بما لايقدر اى انسان آخر ان يصرح به عن نفسه انصافا منه وتواضعا

الاستاذ يلفظ نفسه الاخيرة

ذلك هو الاستاذ وهذه مجالسه وهذا هو كرمه الحق حتى فى المساغب وتلك همته التى تستحوذ على جليسه ، حتى يبقى دائما لهجا به فى كل حين كذكرى مستطرفة بين المتسامرين

مر عام ١٣٤٦ هـ ودخل العام الذى بعده وقد ارتاش الناس ، وضمت المسغبة المشهورة اذ ذاك اذيالها ، ففى يوم عاشوراء من العام الجديد اجتمع الناس صباحا على العادة ؛ فقام فيهم الاستاذ خطيبا ، فبشر وانذر ووالى المواعظ المبكية ثم حمل على الحاضرين فى سكوتهم على العادات المستهجنة التى ترتكب ليلة ذلك العيد من مناداة الذئب والثعلب ، ومن اجتماعات تكتظ بالرجال والنساء فى الملاعب ثم قال : ماذا صنع لنا الذئب والثعلب ؟ وهل هما اللذان اخرجانا عن الصراط المستقيم وهل هما اللذان ساقا محارمنا وشبابنا حتى خلطوا بينهم فى الملعب؟ فمالنا أيها الناس لانعتبر ؟ ومالنا لانقف فيما بيننا وبين أنفسنا حتى نعرف من اين اتينا ؟ فياللمصائب ويا للرزية ، فقد صبت علينا الكوارث من كل جانب ، بسبب اجتراحاتنا الكثيرة واغراقنا فى الذنوب التى نسدر فى غلوائها

غيرمبالين ، فصار رحمه اللهيعظ على هذا المنوال فى كلام كهذا ، وعبراته تنهل إلى لحيته البيضاء وزفراته متوالية فى وجوه الحاضرين ، حتى غلب على نفسه ولم يمكن له بعدان يجلس بين الناس تاثرا وتدفق عبرات ، فانصرف من غير ان يدعو للناس على العادة فترك كل من حضر بين ذى قلب ذائب وذى نفس متطايرة فبقى له ذلك الموقف يذكر كلما عن ذكر الاستاذ ومواقفه فى الوعظ، فيفعم عليه المحدثون سجلا من الثناء :

وانما المرء حديث بعده   فكن حديثا حسنا لمن وعى

طرقه مرضه فى ربيع الاول ، فكان ربما يخف عنه وربما يجهده وقد كان ولده الاستاذ سيدى المدنى اذذاك فى المدرسة يتولى الدراسة فيها ، قال الاستاذ سيدى الطاهر : فقال لى ابى يوم السبت اليوم الاخير من ربيع الاول: الا تزالون فى موالاة الدروس ؟ أتركوا ماانتم فيه ، وافرغوا لى حتى تودعونى ـ هكذا بهذا اللفظ ـ يقول ذلك بكل تثبت ورباطة جاش وهمته هى هى فى كل شيء حتى انه وجد بعض قوة يوم الاربعاء الرابع من ربيع الثاني ، فزار ضيعته بتالات نيت عيس ثم جمع اليه اولاده كلهم قال الاستاذ الطاهر: فصار يوصينا ويقول: ان المدنى للمدرسة وان محمدا والحبيـب لادارة شئون الاسرة ، والآخرون يواظبون على دراستهم ، قال : ثم حثنا على ملاينة الناس والتخلق لهم بالخلق الحسن ، وقال : لاتطمعوا ان تكونوا والناس كما كنت انا واياهم فانا فى عصر وفى ناس وأنتم فى عصر ءاخر وفى ناس ءاخرين ، قال : ثم حثنا على المتابعة وان لانزيل الستر عن دارنا ، فقال : ان قدر الله ان تقسموا مابايديكم فلايطلعن احد على ماعندكم ، ولا تتجاوزوا سيدى الطاهر الافرانى وحده ، ثم تقاطرت الوفود من كل جهة حين سمعوا بمرض الاستاذ ، فحضر الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى والرئيس أحمد بن ابراهيـم الايغشاني وسيدى سعيد الاعضياوى والعلماء والرؤساء القريبون من البلد ، ثم فى عشية الخميس ازداد مرضه وفى يوم الجمعة دخل عليه الزائرون والطلبة فاستداروا به وقد اشتد عليه مايجده ففتح سيدى الطاهر صورة يس، فماختموها حتى ختمت حياة الاستاذ ،فسكت غالب من حضر عن اتمام السورة وقد خنقهم البكاء ، ولكن المتجلدين صابروا حتى أتموها

هكذا انقضت حياة هذا العالم الجليل ، وهكذا طويت صفحة هذا الاستاذ العلامة الاديب المفتى القاضى المدرس الرئيس الكريم طيا لاانتشار له فى هذا العالم وذلك فى بهرة حلقة هؤلاء العلماء والطلبة الذين امضى معهم كل عمره ، ثم هيىء لسفرته الاخيرة ، فصلى عليه شيخنا الافرانى فى نحو سبعمائة من جيران الغ فدفن الى جانب أبيه وأخيه الاستاذ سيدى محمد فى وسط القبة التى تتداعى اركانها كأن تداعيها من هيبة هؤلاء الاساتذة العظام ، الذين لاتتسع لحضراتهم اركانها

عظمت المصيبة بموت الاستاذ ، ورزيء أهله وتلاميذه منه برزء وفجعهم بفجيعته الهائلة قال ابنه سيدى محمد بن على : فمرت شهور ولم تظهر مرثية له كأن الغ الادبية غير الغ بل كأن الارض بدلت غير الارض اوكان الوفاء الذى تدل عليه المراثى عاد بلقعايبابا ينعق فيه البوم ، فنبهت الاستاذ الاديب الطاهر الافرانى بلبل الشعر الصداح ، وصدى الادب الذى لايكاد يفرغ من قصيدة الفية ، حتى تفتتح أخرى ، فقلت له ماهذا السكوت ؟ وهل يمضى الاستاذ الوالد بلامرثية ؟ قال فاجابنى بأن مايقال له فى هذا الموضوع يقال لكل اديب الفى ثم كان ذلك سببا على أن القى الاستاذ الافرانى هذه القصيدة الرائية الآتية كما قال ايضا فى الموضوع الاديب الكثيرى ، ثم بعد ذلك قفاهما قاضى اقا سيدى محمد الهاشمى الفاسى بقطعتين هذا كل ماكان حظ هذا الاستاذ من المراثى ، مع انه كان يليق ان تتبعه عشرات من قصائد طنانة الغية ، ولكن تابى حرفة الادب الا أن تدرك صاحبها فى الحياة ان لم تجد منعة من همة فولاذية كهمة الاستاذ ، او بعد الوفاة وقد انطوت تلك الهمة الحفازة وقل الوافون وكـثـرت الاعتذارات الواهية الباردة ، قال الاستاذ الافرانى :

أمن حادث بكر جرى منه ما جرى   جرى دمعك القانى فقرح محجرا
فبت بليل نابـغـى مسامرا   كواكب عاقتها الدجا ان تسيرا
وضافك هم طارق نحر الاسى   له كبدا حرى وقلبا تفطـرا
وجاشت نكايات الزمان فلم تجـد   لصبرى عزما ايـدا فتكسرا
وخانك ماعودت من جلد سوى   مدامع تهمى او زفيرا تسعرا
ولا مسعد الا فؤاد مولـه   تحير لايدرى اماما ولا ورا
نعم ثار ليث الدهر يفترس الالى   هم زينة الدنيا وهم صفوة الورى
هم الغيث فى محل هم الاسد فى الوغـى
هم الغوث فى أزل هم الشهب فى السرى
فذكرنى بيتا لحسان هاج من   جوى وعديا القلب ان يتذكرا (١)
«رايت خـيـار المومنين تـواردوا   شعوب وقد خلفت فيمن تاخـرا»
الم تر ما غال العقول وارمض النـ   ـفوس ، واقذى كل عين واسهرا
مصاب ينسى كل صاب مرارة   ورزء اهان المـرزيـات وحقرا
وفاة امام الدين والعلم الذى   به يهتدى باغى الهدى حيثما سرى
ابى الحسن القرم الرضا خير من اضا   بانواره افـق العلـوم ونـورا
خضم بامواج المعارف يرتمي   وروض بأزهار المعارف نـورا

١) عدياه : قساراه وهو بالتصغير

همام له فى المجد همة سيد   بصير اذاماورد الامر اصدرا (١)
كريم له عند المكارم هشة   كما شمت برقا فى الغمامة امطرا
يفيض بانواع المعارف والندى   على كل عاف رائحا او مبكرا
على بابه فى كل يوم تزاحم   كما يمم الحجاج جمعا ومشعرا
ومن علمه او كفه يقبس الغنى   عن المزريين الجهل والفقر من عرا
فكم من عم فى مهمه الغى حائر   رأى سره البادى السنا فتبصرا
وكم طالب يبغى المعارف امه   فاصدره عن علمه متبحرا
هو الشيخ كل العصر معترف له   بمن سواء من تربى ومن قرا
هو الشمس أنى كنت شمت ضياءه   بغير حجاب منجدا ام مغورا
هو البحر من اى النواحى اتيته   اتالك درا دون من وجوهرا
هو البدر اشراقا هو الدهر همة   هو البحر معروفاهوالليث مجترى
هو الملجأ الاحمى هو الناقع الظما   هو العلم الاسمى لمن ضل فيعرا
هو الصارم المسلول انصال اوسطا   لدى الحرب ابصرت الهزبر الغضنفرا
غدا ذكره اسرى من الشهب والصبا   ومن مثل والليل والطيف فى الكرى
فكم طرقت اخباره سمع راغب   فجا فرأى من لم يخله فكبرا (٢)
لقد افعم الارجاء اضواء بره   وعطر ريا علمه المدن والقرى
فمن ظن ان العصر ضم نظيره   فقد ظن اخت الشمس خاب من افترى
فقل لحسود ظل ينكر فضله   اذا كنت ذا عينين فانظر لكى ترى
وللمدعى هيهات ويك افى الندى   تجاريه ام فى العلم؟ فارعو واقصرا
تجمع فيه كل فضل مفرق   على غيره كالصيد ضمنه الفرا
فكم مجتد اجدى وكم حائر هدى   وكم جائر اردى وكم مفتر فرى
وكم موقف ضنك لدى حومة الوغى   وقد صار فيه اليوم ادكن اغبرا
وحمحمت الجرد الجياد وضرجت   دماء الى ان تحسب الجون اشقرا
وجالدت الابطال واشتجر القنا   وظن الجبان اليوم يوما مقدرا
وصمت بصوت المرعدات مسامع   وافحم بالذعر اللسان فبربرا
وسيئت ظنون واصطككن فرائص   ودارت عيون خيفة وتحيرا

١) قال النابغة الجعدى :

ولاخير فى جهل اذا لم يكن له   حليم اذا ما اورد الناس اصدرا
ولاخير فى حلم اذا لم تكن له   بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

٢) هذا ينظر الى قول المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت   منها الشموس وليس فيها المشرق

وقارعت البيض الذكور وعقدت   على الجو اطراف السنابك عثيرا (١)
فلا تبصر العينان الامضرجا   جريحا والا مستميتا معفرا
جلا فيه كرب الدين لله دره   بصادق باس لايحل التاخرا
له وثبات ، او ثبات كانما   يعاطي لدى الهيجا مداما معصفرا
يرى الكفر ان العز بالله لابما   يلقبه الجهال جندا وعسكرا
وان جموع الكافرين وان طغت   سترجع عند العزم جمعا مكسرا
فبيض وجه الدين بالجد ناصرا   عصابة حزب الله نصرا مؤزرا (٢)
وقاتل اعداء الهدى بشهامة   اذاقت مرارات الردى من تنصرا
وجاهدهم فى الله حق جهاده   فاوجب رضوان واجرا موفرا (٣)
الى ان دعاه الله بالفوز والرضا   فلباه مسرورا بما كان احضرا
فخلف صيتا طائرا ومفاخرا   مدى الدهر تستدعى الثناء المعطرا

١) البيض بفتح الباء : جمع بيضة وهى المغفر ، والذكور السيوف قال المهلهل

فلولا الريح أسمع من بحجر   صليل البيض تقرع بالذكور

والشطر الثانى ينظر الى قول المتنبى :

عقدت سنابكها عليه عثيرا   فلو ابتغت عنقا عليه لامكنا

٢) ينظر هذا الفصل من هذه القصيدة الى ماجاء فى قصيدة لابراهيم السكتانى السوسى فى الامير محمد العالم ابن الملك مولاى اسماعيل

واعظم مقدام اذا اشتجر القنا   وماج بحر الحرب جحفله المجر
به يتقى فى معمعان الوطيس ان   تمعرت الشجعان وانقصف الصبر
وقد قامت الهيجاء حق قيامها   ودارت رحاهاوالتظى وسطهاالجمر
وقد صابر الشجعان حتى لوى بهم   الى العجز رغما مطعن الاسل المر
وقد فلت الاسياف واندقت القنا   وكدست الموتى وضاق بها البر
وجف من اوساط الحلوق لعابها   وقد ضاقت الاضلاع وانتفخ السحر
وقد قام ميزان الهزيمة فانثنى   عن الوالد الحانى ابنه المستحى البر
هنالك مولانا يضيء جبينه   حبورا كأن طافت براحته الخمر
يقاوم فردا ثابت الجاش مقدما   كما خر نحو السفح من قنة صخر
يشايعه العزم الوطيد وقائم   من المشرفيات البواتر والمهر
الى أن يرد الجيش ادبارهم وقد   تقسمهم حد المهند والاسر
والجميع مستقى من قول المتنبي:

وقفت وما فى الموت شك لواقف   كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم

٣) حكي لى القائد الناجم ان ميتا من المسلمين سقط فى نحر العدو فى واقعة ولم يقدر احد أن يتقدم ليأتى بشلوه الا الفقيه سيدى على بن عبد الله ، فقد غامر بلا مبالاة حتى أتى به ورجع والرصاص يتطاير حواليه .

الا انما تلك المكارم لا الالى   يعدونها شيزى وقعبا مقورا (١)
واعقبنا حزنا يزيد وعبرة   تفيض ووجدا لايزال مسعرا
ولكننا نلقى المقادير بالرضا   وتسليم امر كان حتما مسطرا
مضى شيخنا الحامى الذمار مطهرا   مبرأ مايخفى وما كان اظهرا
سأبكيه ما ناح الحمام هديله   وان كان يبكيه بكاء مزورا
وتندبه عين اليراع معى وان   جرى دمعها احوى ودمعى احمرا
وتبكيه عين المزن في الروض اذ حكت   شمائله الازهار طيبا ومخبرا
وانى اعزى المجد فيه فانه   ابوه الذى يحميه ان يتهورا
واندبه للعلم والدين والندى   وخابط ليل جائعا متحيرا
واندبه للمشكلات يحلها   ببرهان صدق بادها او مفكرا
واندبه للدرس في الدست اذ غدا   يقلده من فيه عقدا مجوهرا
وللوعظ تهمى العين من رقة به   اذا قام فيه مغريا ومحذرا
واندبه للطالب العلم يجتنى   من اادابه او ماله متخيرا
وللمعتدين الظالمين يكفهم   عن الظلم كفا يردع المتكبرا
وللدين والدنيا وللفضل والعلا   وللبشر والترحيب بالضيف ان طرا
وللسادة الابناء ابنائه ومن   أضيف له معنى فحاز التصدرا
وللجلة الاخوان والجيرة الالى   حووا منه بالقربى وبالقرب مفخرا
فصبرا جميلا يابنيه وكلنا   بنوه فعجز الحر ان يتفجرا
فلارزء الا دون رزئكم فلا   يكن حظكم في الصبر ادنى واقصرا
ولاتهنوا للحادث النكر انه   اذا جل رزء كان بالصبر أجدرا
ففى الله للعبد المنيب كفاية   تقيه اذا ابدى الزمان التكشرا
لما جزعى ؟ والموت حتم وانما   مدى كل حى ان يموت فيقبرا
اما زار طيف الموت كل منبأ   كريم وزار المصطفى المتخيرا ؟
فلا ملك تحميه عدته ولا   عليم ينجيه من الموت مادرى
فاين ذوو التيجان من كل أمة   الم يستبح كسرى الملوك وقيصرا؟
واين الكرام الشم من برمك ؟ اما   تصدى ليحيا حين عفر جعفرا ؟
دعا الكل داع لايرد لمصرع   يلازمه حتى يوافى محشرا
فلم تخلق الدنيا ليعمرها الفتى   وان عاش احقابا ولكن ليعبرا
فتبا لها لم تصف الا تكدرت   ولم يحل فيها العيش الا تمررا
وطوبى لمن لم ينخدع بغرورها   اذا هو بالزهد ارتدى وتازرا
وجد حبال السوف اذ جد جده   لزاد معاد فاتقى وتبررا
وبادر قبل الفوت اعداد طاعة   تسر اذا لاقى نكيرا ومنكرا

١) القعب بالفتح : اناء اللبن والشيزى : عود تصنع منه القصاع
قال الشاعر : تلك المكارم لاقعبان من لبن   شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
وقيل في اصحاب قليب بدر : وكم ذا في القليب قليب بدر   من الشيزى تكلل بالسنام

فيارب ثبتنا وتب واهد واعف عن   مساوى جلت ان تكت تكثرا (١)
وجد بالرضا واغفر كما انت اهله   فانك اهل ان تجود وتغفرا
وان الرجا في جنب عفوك شافع   كريم ، وحسن الظن من اوثق العرا
ومنه لك اللهم للشيخ رحمة   تقدسه روحا وذاتا ومحضرا
وان تتلقاه برضوانك الذى   يبيح له مثوى كريما ومنظرا
بجاه رسول الله من جنبه حمى   حصين يجير الملتجى وان اجترى
عليه صلاة الله قدر كماله   على عد ذرات الوجود واكثرا
واصحابه والتابعين ومن تلا   ومن نصر الدين الحنيف وعزرا

انتهت مرثية الشاعر الافرانى ، وقدتتبع فيها شمائل الاستاذ باطناب ثم ضم الى ذلك مايألف الشعراء ان يزجوه بين اوصاف تحمد دائما من الحماسة التى تخاض بها المعامع ، وان لم يكن غالب علماء الغ الامثال علماء كل هذا العصر الذين لايطيقون ان يسمعوا وصف معمعة كما هى ، فضلا عن ان يخوضوها لانهم لم يتربوا تربية الجند ، ورحم الله استاذنا سيدى سعيدا التنانى الذى يقول : انني وامثالي يحرم في حقنا ان نقرب المعامع ، لاننا لانجر على الناس الا الهزيمة لاننا سرعان ماننكشف في المعامع ، ولبعض اساتذتنا وقد انهزم في معمعة حكاية نطويها الآن ، على ان للمترجم مواقف جلى بين الرصاص تذكر عنه ، كموقعة يوم وجان حين ولج القرية المحاصرة ليلا مع سيدى الطاهر ، وكامثالها من المواقف التى اشتهرت عنه في أيت واد ريم وغيرها

وقال الاديب محمد بن محمد الكثيرى :

الدهر بعد تعرف يتنكر   فسلامة من باسه تتعذر
مافتر عن اسنانه الا بدا   متجهما عن نابه يتكشر
فاذا تذلل لامرىء يوما غدا   من بعد اى تذلل يتنمر
واذا أتى عفوا واصفى موردا   غما قليل صفوه يتكدر
كم خانه من بعد ما قد صانه   واذاله من بعد ما يتصدر
ورزية تمرى ضروع مدامع   كل الرزايا عندها لا تذكر
عمت وخصت كل ذى ادب فما   تلقاه الا حائرا يتفجر
ياعاذلى ومؤنبى في عبرتي   ان الرزايا في الاكابر تكبر
هل بعد فقدك يافقيه العصر من   عيش يرجى او منى تتذكر ؟
طم المصاب وعم ابناء الورى   فتحيروا من وقعه وتحسروا
من للمحابر والمنابر والعلا   والضيف في ذيل الطوى يتعثر
من للمجالس والمجالس يبتغى   كشف الخفايا لبسها لايبقر
كم من غوامض قد جلاها فكره   لولا ثقوب شعوره لاتشعر

١) لايكت : لايعد

نشر العلوم افادة واجادة   واشادة عن همة لاتفتر
من للحمى يحميه من لعوارف   ومعارف وصراخ من يستنصر ؟
من للعزائم والعزائم ازمنت   من للهدى من للوغى اذ تسعر ؟
ناداك داعى الله ياروح العلا   فاجبت لا مستنكفا تستكبر
وكذاك دأبك فى امتثال اوامر   فلقيت رحمة ربنا تستبشر
فاذا ترحمنا عليك فرحمة الـ   ـمولى تعالى جده تستغزر

وأما مرثيتا الاستاذ الاقاوى فأولاهما :

موت العليم مصيبة لن تجبرا   لاسيما من فاق فى العصر الورى
اعلى احزنت القلوب واعينا   ابكيتها ومنعتها ذوق الكرى
الناس ما حييت سيادتكم على   خير ولما ان قبرت تقهقرا
لو كان عهدا ان شخصا يفتدى   اشياخه من موتهم لن تقبرا
قمر الزمان قبرتم ، ماكنت قـ   ـط حسبت ان البدر يقبر فى الثرى
غبتم فاشخصنا العيون الى السما   أشخاص من سلب القوى متحيرا

وثانيتهما :

لتبك فما فى الارض من كان اغيرا   على العلم والاسلام مثلك فى الورى
لتبك على موت الذى الدين زعزعت   بفقدانه اركانه فتقطرا
لتبك على فقد المحلى بكل ما   يزين الفتى حلما وعلما منورا
ابى الحسن الالغى شيخ زمانه   ومن فاق كل من غدا متبحرا
همام يفيد المرء فى جلسة من الـ   ـمعارف ما لايستفيده اعصرا
عليم كريم لايمل جليسه   اذا جئته يغنيك بالعلم والقرى
ترى حاتما منه على خلق احنف   وعلم الغزالى فى لسان القبعثرى
فماذا عسى ابديه من وصفه وان   غدا لى وجه الارض اجمع اسطرا
أبا حسن ابكيت اعيننا كما   أذبت بنا كل القلوب تحسرا
أجود بدمعى قائلا ومؤرخا :   (مواتك يا خير الزمان معفرا)

هاتان هما مرثيتا الاستاذ الاقاوى نثبتهما كما وجدنا هما على اختلاف نسخهما فقد حاول حفظه الله ان يرثى الاستاذ بما هو أهله ، ولكنه رأى الرقعة فسيحة واوصاف الاستاذ المحمودة كثيرة فالقى هاتين القطعتين ثم اكتفى بهما وهو على كل حال افضل من ادبائنا الكثيرين الذين طوقوا بعدم رثاء استاذ الادب بما طوقوا به اخر الدهر ، حين أعرضوا عن الواجب ، ولم يتلفظوا ولو بقطعة اوقطعتين كالاستاذ الاقاوى جزاه الله خيرا ، وقد سمعت ان سيدى عبد الله السملالى كان أيضا من الراثين ، ولكن لم اعثر على مرثيته

ثم اننى وقفت على رسالة لشيخنا الاستاذ الافرانى ارسلها بعد سنة من وفاة الاستاذ يدل بها اولاد المرحوم على الصراط السوى ، فاحببت ان الحقها بالمراثى

وهى :

«سادتنا الاجلة ، بدور المعارف ونجوم الملة؛ اولاد شيخنا المقدس بكرم الله سيدى ومولاى ابى الحسن الالغى ، الاخ الفقيه المدرس النفاعة الساعى بحكم السعادة ان شاء الله فيما يزيد ارتفاعه ، سيدى المدنى ، والاخ اللطيف الشمائل ؛ والكريم الذى هو لاكتساب المجد مائل ، الاديب الاريب، سيدى محمد والنجيب الحبيب ؛ سيدى الحبيب ؛ والفقيه المرشح للمكارم ، المهذب الطبع تهذيب الصارم ، سيدى الطاهر ، وبقية السادة المرجو رشدهم ؛ المرموق سعدهم؛ سيدى الحسن وسيدى عبد الله ، حفظ الله جمعهم السالم من التكسير واعلى مجدهم الذى يرجع عنه بصر الحاسد خاسئا وهو حسير ، وسلام عليهم وعلى من بالحضرة من السادة الاعمام والاقارب والجيرة، ورحمة الله هذا وعليكم بتقوى الله والعمل بما يرضيه تعالى ويقر عين السلف الصالح رحمهم الله ، فبجدوا فى العمل على السنن المعهودة ، والزموا قدر الطاقة عادة الاكارم من الآباء والجدود وجاروا الزمان على حسب مقتضى الحال من غير افراط ولاتفريط ، واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، وكونوا خير اخوة من غير انفة البعض من البعض او نخوة فيد الله مع الجماعة ، ولاتنازعوا فتفشلوا الاية واعذرونى والسلام ١٤ بذى الحجة ١٣٤٨ هـ».

هذا وقد حدثنى الاستاذ سيدى الطاهر على ان الشيخ الافرانى المذكور كان كتب اليهم اثر وفاة والدهم رسالة ضمنها الرسالة الصغرى التى كتب بها القاضى الفاضل الى اولاد صلاح الدين يوم مات والدهم ، وهى معروفة فى التاريخ

قولة الاستاذ الرفاكي فى صاحب الترجمة

الشيخ الهمام ، الحافظ الامام ؛ ذوالمآثر العالية ، والمفاخر الصمدانية• الكاتب المجيد البارع، الواقف فى فن البلاغة بكل المشارع •وقد نزعت اليه اللطائف من عذيب المعانى والاجارع ، البليغ المصيب ، والفائز من الاجادة بأى نصيب• أبو الحسن سيدى على بن الحاج عبدالله ، بتحت الحصن ، من ذرية سيدى عبد الله بن سعيد الساموكنى -كما فى الحضيكى- التجانى الطريقة المحمدى الحقيقة قرأ فى بلده عن أخيه العلامة سيدى محمد صاحب القبة ثمة ، وهو الذى بنى المدرسة ودرس فيها ، وأحيا فيها السنة ، وتلاميذهما رحمهما الله كثيرون شنشنتهم كتب الادب واللغة فبها يتسامرون ، وعليها يتكلون ، وهو فى نفسه قوى العارضة • لايطمع الفتح ان يعارضه ، القت اليه الرئاسة يد الطوع، وامنت باقلامه من الروع ، له شعر يشهد له بالدراية ؛ وانه له فى ميدان الراية ؛ وقد

البت له مالبصر شمرا ؛ وتجده عند الاختبار صخرا، وعند الانتشاق شحرا، (١)
فمن ذلك قوله يخاطبني :

عليك اماما اعجز اللسن فى اللسن … وأروى بغاة العلم عذبا بـلا اسن
ومن قل شكرى عن عوائد بره … ومن قادقود الفضل نحوى بالرسن
ومن لم يزل دهرى يبين فضله … ويتلى على آرائه : حسن بسن
سلام كورد فاح اذ رشه الندى … واحلى بعيد الجهد والكد من وسن

وذلك جواب لقولي فيه :

سلام يخوت (٢) ملحضيض (٣) الى القنـن … الى قدم الشيخ الهمام ابى الحسن
سلام خديم لايريم مع النـوى … على العهد والحنين شوقاالى الطعن
فتى خصه المولى بعلم وحكمة … ويمن حيا بشر ثوى ذلك الوطـن
ابى المجد الا أن تكون سريه … نقيبا وان يتلى عليك : حسن بسن
الى غير ذاك من معال تجمعت … لديك وعدها لدى من المحن
الى سيدى خود تفوح ليومها … عبير مديح اشهى للصبى من وسن(٤)

وذلك في جمادى الاولى عام ١٣٤٤ هـ .

وكتبت اليه أيضا من جملة رسالة:

على السميذع من زرت مآثره … بروتق البدر بل برونق الشجر
ابى على مرعف اليراع اذا … ما ارتج القوم فهو السن البشر
عليه من خادم ازكى السلام على … عد الرمال وعد الرمل والدرر

فاجاب رحمه الله فقال :

مولاى من قد زرت بطلعة القمر … طلعة ماخطه نحوى من السمر
وزان عقد كمالات له نظمت … لبة مجد فاضحى خير مفتخر
ويا اماما غدا من اقدر البشر … على نظام حوى لطافة السحر
بعثت لى من بنات الفكر مالم أكن (٥) … أهلا لهن وما العيان كالخبر
جزيت عن حسن عهد قدجبلت على … احياء ميته يا اكمـل البشر
عليك منى سلام الله ما طلعت … شمس وما زين عين العين بالحور

١) المراد بالشحر شحر عمان وهو ساحل البحر بين عمان وعدن ، وقـد جرت عادة الادباء أن ينسبوا ما استحسنوه من الـروائـح الى عنبر هذا المكـان وهو المعروف عندهم بالعنبر الشحرى، وذلك هو مراد مؤرخنا هذا
٢) خات العقاب يخوت خواتا : كان لجناحه دوى
٣) ملحضيض : من الحضيض ، على لغة بلحارث بن كعب
٤) «اشهى» هكذا بخطه نفسه ، مع انها غير موزونة
٥) كذا من خط المؤرخ: وكثيرا مايقع مثل هذا فى البسيط حتى لشيخنا الافرانى

توفى رحمه الله فى ٦ ربيع الثانى عام ١٣٤٧ هـ

هذا ماترجم به الاستاذ الرفاكى صاحب الترجمة ، وقد اتت اقواله كلها على اختصارها اجمالا لما بيناه نحن واسهبنا فيه بعض اسهاب والحمد لله ، ولـم يزد على ما قلنا الا انه تيجاني المشرب ، وقد كان صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله تلقنها من شيخها بسوس سيدى الحاج الحسين الافرانى ، ثم صار يلقنها للناس فتلقنها والده الحاج عبد الله ثم سائر اهله ، ثم جميع تلاميذهم فانتشر الفرع التيجانى الالغى على يد هؤلاء الاساتذة انتشارا ، ولايزال ينتشر ولكن هذا الفرع اقرب فروع التيجانية الى الاعتدال وما نعرف عن اصحابـه التعصب الذى يشاهد فى الفروع الاخرى وكفى فى ذلك ان هذا الفرع جـاور الطريقة الدرقاوية التى حمل الوالد رأيتها ، كما أن الاستاذ صاحب الترجمة صاهر رئيس الطريقة الناصرية سيدى المدنى الافرانى ، واستطاع الكل أن يتمشى جنبا لجنب مع مصافاة واخوة تامة وحسن ظن • والمترجم تلقن التيجانية من مراكش •

قولة المؤرخ علي بن الحبيب فيه

ومنهم اللوذعى الكامل العارف بالله الواصل ، الفقيه البركة العـلامـة ذو القلب السليم ، والفضل العميم ، صاحب القلم السيال ابو الحسن سيدى على بن عبدالله الالغى ، احد الخاصة من احباب والدنا المقدس بكرم الله ومـن خاصة اصحاب الشيخ التيجانى رضى الله عنه وأرضاه بالاذن المطلق ، قائـمـا فى ذلك احسن قيام ، الى ما انضاف الى شعر يشهد له بالدراية وهو فيه يبين قبيله حامل راية ، وله يخاطب بعض علماء عصره :

عليك اماما اعجز اللسن فى اللسن … واروى بغاة العلم عذبا بـلا اسن

الى آخرها «وقد تقدمت فى ترجمة الرفاكى له»

ومما كتب به الى والدى : «علم الاعلام وامام معتقلى الاقلام ، ومن له بكل فن ـولاقول الاحقاـ اى المام السيد السند والصدر الاوحـد ، مقـيـم الاود الشريف الحسيب ، سيدى الحبيب السكراتى ، السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الزكية والاحوال المسكية ، وبعد فلاباس ولله الحمد ، نسأل الله لنا ولكم التوفيق لما يرضى ، واللطف الجميل فيما قضى ، وقد وصل الرسول ومعه من الاشعار بسلامتكم والعلم نحو جلالتكم ، ماتضمن كل سول ، فحمدنا الله على ذلك وشكرناه على حق المنن هنالك ، ومعه ايضا رسالتك الغراء المهدية لجنابنا كل سرا

حيت فاحيت هناك ساكني القصبة … واسترجعت اعظما بالشوق مغتصبة

١) كذا من خطه

فالله يبقيك ويقيك ويرقيك ، ومن بحر عناية لبيه يسقيك ويرويك ، ويجزيك عن حسن العهد خيرا ، ويجعلنا ممن يديم لحضرتـه سيرا ، وهذه ابيات جادت بها القريحة القريحة، وهي بهامن بعض الشوق واعبائه مستريحة، وعلمت في ذلك انني والله كمن جلب التمر الى هجر ؛ اوهذي فهجر؛ لكن الحجر من يد الحبيب تفاح :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم   ان التشبه بالـكـرام ربـاح

نصها :

مولاى اني وان شطت بي الدار   وحكمت بالتنائي عنك اقدار
وجار بالصرف عن لقياك وهي مني   قلبي صروف لها للشت اقدار
وكسرت حنقا جمع سلامتـنا   واثارت فلها في العيث اثار
وغيبت ذلك الوجه الصبيح فمـا   لصبح وصلك منذ الدهر اسفار
باق على ذلك الود الصميم وهـل   يدك شم الجبال الشم اعصار ؟
اني وحقك ابقى مابقيت على   عهد يجل له في القلب اضمار
ينمي نموك في الخيرات شوقي ما   لخيل ودي في السلوان مضمار
لازلت بدر كمال في سماء مجا   دة تتاح لـه بالعـز انـوار
لك السعادة والاعلون سادتنا الـ   ـأبناء دارتـه والـكـل ابرار
خصوصا الندب مولانا الامام علـــ   ـيا من له لحضور الخير احضار
مني عليكم سلام الله ما طلـعـت   شمس وما هاجت الاشواق اشعار

فهي من بنات افكاري احد عشر كوكبا ، وعندك الشمس والقمر ، ويسجد الكل للسن لسانك ، وسلطان احسانك ، وسلم على الاحبة عموما والسلام»

وبالجملة فصاحب الترجمة موصوف بطهارة الازرار والذيل ، وبصفاء الجيب وقلبه لاينطوي على نكر ومكر :

له شرف قد جل عن ان يناله   غوائل ايدي الحادثات قـدام
يلوح سنا برق الهنا ببروجه   كبرق بدا بين السحاب يشام
مطافا لارباب العلا وفضائـل   فمنهم جثوم حـولـه وقيـام

اخذ العلم عن أخيه الشقيق الفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد الله ،وهو الذي بني المدرسة ، وتسبب فيها للخير ، ونصب فيها نفسه للتدريس واحيا السنة في تلك الجبال القبلية وطلبته كثيرة دابهم الادب واللغة،فيهما يتمارسون وقد شهد العصر بسمو تقدير صاحب الترجمة وتقديمه ، واجمعت الجماعة على تقديره وتعظيمه؛ اذاذكر المجد فهو المرتدي بردائه ، اوالكرم فهو العامر لفنائه، او العلم فهو الحامل للوائه ، او جميل الفعل فهو صاحب ارضه وسمائه ، وله قصائد خاطب بهاأدباء الوقت لوجمعت لاستقر بها سفر ، (ثم ذكر وفاته وبعض

مراثيه) الى ان قال : ولصاحب الترجمة يهجو «ال (فصك) : دشرة من مداشر جزولة قوله :

أتيت لامر حافز (فصك) وهي بلـ   ـدة قد خلت من كل حسن واحسان
فالفيتهم قـومـا برابر يدعو   ن انهم في العرب من غير برهان
وليس مفيدا ان يروا عربا اذا   صنائعهم ليست صنائع عربان
أماتوا الندى فاقبروه واحيوا الـ   ـمناكر فهي العرف من غير نكران
فلا الجود فيهم لا ولا في نسائهم   حياء ، ولا فيهم غياث للهفان
ولم از مثل حالهم في خشونة الـ   ـمعاش وفي اديانهم منذ ازمان

وقد خلف اولادا اجلة فقهاء مذكورين اتعبوا انفسهم في تحصيل العلم عند والدهم الى أن حصلوا منه كفايتهم ، وفاقوا به رهطهم وعشيرتهم وجـاوزوا فخرهم ومكانتهم ، لايطمع فيهم طامع ولايقرع لهم العصا قارع كما قال الشاعر:

اعاذلتي على اتعاب نفسي   ورعيي في الدجا روض السهاد
اذا شام الفتى برق المعالي   فاهون فائت طـيـب الرقاد

أولاد الاستاذ

كان صاحب الترجمة عقب صنوه العلامة سيدي محمد بن عبد الله على حليلته عمتنا مريم عام ١٣٠٤ هـ فولدت له من الذكور الذين ادركوا مـدارك الرجال :

الاديب سيدي محمد وستقرأ ترجمته انشاء الله

واحمد ، شاب حفظ القرءان حفظا جيدا والم ببعض الروايات وكان والده يقول له انني أريد منك أنت بين اخوتك ان تستفرغ جهدك في تحصيل الروايات وان تكون ممن حصل ذلك تحصيلا تاما ، وذلك لما يراه الاستاذ من عدم هذا النوع من المعرفة عند الالغيين ، فيقنع الكثير منهم بورش الذي جرت العادة بالقراءة به ، وقلما يتعدى الى حرف المكي اوقالون الا عند البعض منهم ثم لايلبث ان ينساه فاراد من ولده هذا أن يحيي ذلك المجد الآخر على يديه ، الا ان الاقدار قد تعاكس أماني المتمنين فقد كان أحمد هذا رجلا مغامرا باسلا ، برزت منه غريزة الشبيبة وفطنتها باجلى مظاهرها ، وقدر الله ان كان يختلف الى قرية دووكادير لقضاء اغراض ، فكان يلتقي هناك بثلاثة رجال من كسيمة وهشتوكة كانوا عندنا في الدار ، حين رجع الاخ سيدي محمد من قبيلة اداوزيكي اول عام ١٣٣١ هـ فكان يجاذبهم الحبال ، يتحكك بهم ويتحككون به وفي ليلة ـلسبب من الاسبابـ ثاور بعضهم بعضا اواسط الليالي في ازقة القرية ، فسقط برصاصة احدهم فكانت فتنة مشتعلة حفظ الله من نارها مرابطينا ، بعد ان ازدلفت اليهم ازدلاف

اللهيب الى الهشيم ، فرضى حكم احمد الهيبة فى القضية ، فحكم ان يقتل من ثبت عليه القتل قصاصا فاخذ اثنان منهم مع ان الرصاصة التى اصابته انما هى واحدة ، فاعتقلا على يد الاعراب ، فدفعا لاولياء الدم ثم تفلت احدهما وهو مبارك الكسيمى والعجيب انه انما ظلم لانه لم يحضر مع صاحبه تلك الليلة ففكه الله ولا يظلم ربك احدا ، وأما الآخر محمد الهشتوكى وهو القاتل حقا ، دون القاضى البوعشراوى الذى كان اذذاك معه ، فقد قتل ازاء تافكاغت فانجلت العقدة بذلك وكفى المرابطون شرها والحمد لله ، وكان هذا ـ أخال ـ حوالى عام ١٣٣٣ هـ رحمه الله وهذا ما اخبرت به عن القضية من الذين يتحرون الصدق ، لاننى لم احضر اذذاك فيها ، فهكذا ذهب احمد اثر تهوره سامحه الله وغفر له ، فقد العق والده علقما بهذا ، وكادت الغ ينهار بناؤها من أجله

ثم ان الاستاذ اقترن ايضا بالسيدة نفيسة بنت الشيخ سيدى المدنى الناصرى ، بعدما وقع بينه وبين الاستاذ سيدى الحاج ياسين عليها نزاع وذلك ان الحاج ياسين كان خطبها لولده اولا من أخيها الاكبر سيدى احمد بن المدنى فعقد له عليها بغير اذنها واما اخواه الاديبان سيدى البشير وسيدى الطاهر فقد اخطبا فيها صاحب الترجمة ، وبعد نزاع مستطير ، ذهب وفد من الغ فيه الحاج محمد اليزيدى والحاج ابراهيم الايغشانى وءاخرون ـ كما حدث بذلك العم ابراهيم (وانظر هل كان هذا اليزيدى اذذاك حيا) ـ فخابروا الحاج ياسين ، وقالوا له ان أولى من يتبع الحق لانت ، فهذا العقد انت اول من يحكم بفساده ، والذى تقتضيه مروءتك الابتعاد عن مثل هذا ، لانك عالم كبير ، ولا تؤد بهذه الاسرة الى التفاقم فيمابين افرادها ـ والمقصود بين اولاد سيدى المدنى ـ فتبع رحمه الله رأيهم فسلم فى الامر ، فتم تزويجها من الاستاذ ، وهى سيدة عالية المقام مهذبة من كل ناحية وبينها وبين والدتى مؤاخاة مع انهما لم تترا ايا قط ، وقد اخبرت ان عقدها كتبه الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر ، فكان يطفح بالبلاغة ، وطالما حثثت بعض اولادها ان ياتى به لننسخه للتاريخ ، ولكن ذلك لم يتيسر ثم ولدت للاستاذ من الذكور : العلامة سيدى المدنى والاستاذ سيدى الطاهر والنجيب سيدى الحسن ، وسترى تراجم الكل فيما سياتى ان شاء الله ، والحبيب والحسين وعبدالله وهذا اصغرهم ، وهو الآن ١٣٥٨ هـ مازال يتلقى ، وقد برقت منه بارقة نجابة فلئن ثابر ليكونن بين اخوته اولئك نجما ثاقبا ، فهؤلاء اولاد الاستاذ الذكور ، وأما الاناث فصفية وحبيبة من السيدة نفيسة ، ماتتا عند ابنى الفقيه سيدى سعيد الاكمارى الاديب سيدى احمد واخيه سيدى محمد ، وخديجة عند ابن عمها سيدى عمر وقد ولدت له الآن ١٣٥٨ هـ اولادا ، وفاطمة وهى اكبر اولاد السيدة نفيسة عانس فى الدار الى الآن (ثم ماتت خديجة فتزوج سيدى عمر فاطمة اختها العانس) وأما اللاتى من السيدة مريم ، فتعزى ، ماتت عند شيخنا سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ، وقد خلفت ولدها النجيب سيدى

المدنى وغيره ، ورقية عند سيدى احمد بن الحسين الاعضباوى ، ولا تزال ١٣٥٨ هـ حية ولها أولاد من جملتهم بنت تزوجها ابراهيم بن الرئيس احمد الايغشانى ثم ماتت

فهذا ما اعلمه عن اولاد الاستاذ حفظهم الله وكلاهم وادام بينتاوبينهم ما بيننا والدينا قبل ، فرحم الله الاستاذ وجعل البركة فى عقبه انه سميع مجيب

انتهى الجزء الاول من (المعسول)
فى منفاى بالغ فى واسط عام ١٣٥٨ هـ
ثم زيدت فيه زيادات بعد ذلك

ويليه الجزء الثانى فى بقية ابناء عبد الله بن سعيد
من اهل (الفصل الاول) ثم يليه (الفصل الثانى)

الفهارس خمسة :

1] فهرس المترجمين في هذا الجزء

2] الفهرس العام

3) فهرس القوافي

4) « الرسائل

5) « الفاظ الشلحة المضبوطة

الفهـرس الاول

في أسماء المترجمين في هذا الجزء

٨٠ سيدى عبد الله بن سعيد التاهالى
١١٧ سيدى احمد بن عبد الله بن سعيد الالغى
١٢١ سيدى محمدبن عبدالله بن سعيد
١٢٢ سيدى على بن أحمد بن عبدالله
١٢٥ سيدى عبد الله بن أحمد بن عبدالله
١٢٧ سيدى حسين بن عبدالله بن احمد
١٢٨ سيدى آحمد بن على بن احمد
١٣١ سيدى عبدالله بنموسى بنمحمد الاوخضيرى
١٣٢ سيدى ابراهيم بن بلقاسم بن محمد التاكانزى
١٣٤ سيدى بلقاسم بن على بن احمد التيييوتى
١٣٦ سيدى احمد بن بلقاسم التيييوتى
١٣٨ سيدى سليمان بن محمد أول فقيه فى المرابطين
١٤١ سيدى ابراهيم بن سليمان الفقهي
١٤٤ سيدى احمد بن صالح بن عبدالله الزاوى
١٤٥ سيدى صالح بن عبد الله الزاوى
١٤٧ سيدى محمد بن احمد السعيدى
١٤٨ سيدى محمد بن بلقاسم التيييوتى
١٥٤ الحاج على التيييوتى
١٥٦ الحاج عبلا بن صالح الالغى
١٦٠ الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الالغى
١٨٤ الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى
٣٢٥ العلامة سيدى على بن عبد الله الالغى

الفهرس الثاني

الفهرس العام

مقدمة بين الامس والغد
ع بيان (يتعلق بضبط الكلمات الشلحية)
١٢ خطبة الكتاب
١٥ تحية الغ بقصيدة بائية كبرى
٢٣ اسم الكتاب التام
٢٥ وصف الغ الجغرافى
٢٨ قرى الغ كلها
٢٩ بعض العادات الالغية
٣٠ عاشوراء
٣١ ليلة المولد
٣٢ العرس
٣٣ العقيقة
٣٤ الحذاقة ـ العواشر ـ الختان
٣٥ الحصاد ـ والدارس وما اليهما ـ الجنائز
٣٦ الحرف والصنائع ـ الحدادة
٣٧ التجارة ـ الدباغة والحذاءة ـ الاكافة
٣٨ الحبالة ـ الشباكة ـ نساجة الصوف
٣٩ الخياطة
٤٠ الرفاءة ـ الخزافة ـ الحجامة
٤١ معدن النحاس ـ العلم والتديـن والاخـلاق العامة
٤٣ اطعمة الالغيين ووجبات اكلهم
٤٦ قصائد فى بعض اطعمتهم
٥٢ المشروبات الالغية
٥٣ رجز فى تشحير الاتاى
٥٤ المعتاد فى اول السنة الفلاحية ـ الالبسة
٥٥ الفرش ـ المعتاد فى المساجد
٥٧ المعتاد فى المدرسة آلالغية
٥٨ دور المرأة الالغية
٥٩ الامثال الالغية
٦٠ الالعاب الالغية ، ذكرفيها ١٤ نوعا
٦٣ ماقيل فى وصف الغ من الاشعار
٧٦ تقسيم الكتاب
٧٨ (الفصل الاول) من (القسم الاول)

٧٨ اسماء المذكورين فى (الفصل الاول)
٨٠ الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد التهالى
٨١ النطفيات التى اسسها فى القفار وهى ١٢
٨٣ وثائق واقوال المؤرخين (حوله)
٩٠ استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك ، وهو فصل طويل لابد ان يقرا ليعرف الشيخ حق المعرفة
١١٢ بقية الوثائق المتعلقة بثال الشيخ بعده
١١٥ قصيدة للمؤلف يوم زار هذا الشيخ
١١٧ سيدى احمد بن عبد الله اول نزيل فى الغ من ايمور احد اولاد الشيخ
١٢١ سيدى محمد بن عبدالله ، الولد الثانى للشيخ
١٢٢ سيدى على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
١٢٥ سيدى عبد الله بن احمد ، اخو من قبله
١٢٧ سيدى الحسين بن عبد الله بن احمد ، ولد من قبله
١٢٨ سيدى احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
١٣١ سيدى عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاوخضيرى
١٣٢ سيدى ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد
١٣٤ سيدى بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
١٣٦ سيدى احمد بن بلقاسم ولد من قبله
١٣٨ سيدى سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد ، اول فقيه فـى ءال الشيخ عبدالله بن سعيد
١٤١ سيدى ابراهيم بن سليمان ، الفقيه ولد من قبله
١٤٤ سيدى احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد ، الفقيه
١٤٥ سيدى صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سعيد
١٤٧ سيدى محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن سعيد
١٤٨ العلامة سيدى محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
١٥٤ سيدى الحاج على التيييولى ابن عمه لحا ، الفقيه
١٥٦ سيدى الحاج عبلا بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد ابن عبدالله بن سعيد ابو الاعلام
١٥٩ قصيدة فى رثائه
١٦٠ العلامة مؤسس المدرسة سيدى محمد بن عبد الله ، ابن من قبله
١٦١ مبتدأه
١٦٢ فى مدرسة تانكرت
١٦٢ فى مسجد قريته (مدرسا)

١٦٣ فى المدرسة البومروانية
١٦٤ المدرسة الالغية تؤسس
١٦٥ قوام المدرسة
١٦٦ الاستاذ فى مدرسته الجديدة
١٦٦ كيف دراسة الاستاذ
١٦٨ العشرة الاولى
١٦٩ العشرة الثانية
١٦٩ الاستاذ وطلبته فى وادى افران
١٧٠ الاستاذ يعاود ادارة الدروس بنفسه
١٧٠ الاستاذ يتصل بالسلطان
١٧١ الاستاذ يلتحق بالرفيق الاعلى
١٧٢ قصيدة فى التعزية ، فيه
١٧٣ تجاليد الاستاذ تنقل الى الغ
١٧٣ اخلاق الاستاذ مع رجزحولها
١٧٥ اثاره ، نظما ونثرا
١٨٠ الاخذون عنه
١٨٢ مراثيه
١٨٣ قولة على بن الحبيب فيه
١٨٤ الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى
١٨٥ موضع ولادته
١٨٦ فى المكتب
١٨٧ فى مدرسة تانالت
١٨٧ فى مدرسة المولود
١٨٧ فى مدرسة تازاروالت
١٨٨ فى مدرسة تانكرت
١٨٩ ملاقاته للشيخ سيدى سعيد المعدرى
١٩٠ مايدل على ذلك من رحلته ومن بعض رسائله
١٩١ فى مصاحبة شيخه المعدرى
١٩٣ محاورة لطيفة (بينه وبين ابيه وقد رده من عند الفقراء الى القراءة)
١٩٤ فى مدرسة ادوز
١٩٦ فى فض النوازل وقسم التركات
١٩٧ فى التجارة
١٩٨ فى مدرسة فوكوض معلما
١٩٩ فى المدرسة البومروانية
١٩٩ العزم على المشارطة فى المدرسة الوفقاوية
١٩٩ الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

٢٠٠ وقفة قصيرة بالقارىء (لالقاء نظرة على احوال المترجم)
٢٠٢ فى التجريد وخرق العادة
٢٠٨ من رحلته يصف هذه الحالة
٢١٠ السياحات
٢١٠ بين قرى سوس مع شيخه المعدرى
٢١١ فى جبالة
٢١٣ رسالة منه الى شيخه من جبالة
٢١٥ فى فاس
٢١٨ فى محاورة الشيخ كنون
٢٢٠ فى سلا
٢٢٠ بين الفقراء فى سوس بعد موت شيخه
٢٢١ سيدى الحاج الحسن خليفة الشيخ
٢٢١ يزور اهله
٢٢٢ لطمة ترده الى اهله بالكلية
٢٢٣ يؤسس مركزه ببلدته
٢٢٤ قطعة نظمية يوم تاسست زاويته
٢٢٦ تصدره للمشيخة وتربية المريدين
٢٢٨ يتزوج بزوجه الاولى
٢٢٩ أثر الحياة الجديدة (فى المترجم)
٢٣٠ الشيخ يسيح الى أقا
٢٣١ يراجع التدريس
٢٣٣ ينهض بهمة علية الى ماهو بصدده
٢٣٥ سياحات اخرى كبيرة
٢٣٧ يؤدى فريضة الحج
٢٣٨ قطع من رحلته الى الحج الى ٢٥٧
٢٥٧ انتهاء وصفه كل مامر به وصفا شافيا
٢٥٨ محور حياته
٢٥٩ عمله فى سياحاته
٢٦٠ عمله فى زاويته
٢٦١ نتف من اخلاقه
٢٦٤ الشيخ فى انظار معاصريه السوسيين وغيرهم
٢٦٨ بعض اقوال المثنين عليه
٢٧٠ قول المؤرخ ابن الحبيب فيه
٢٧٣ قول المؤرخ الاكرارى فيه
٢٧٤ بعض الامداح فى الشيخ الى رقم ٢٩٩

٢٩٩ بعض منظومات لفت بها الشيخ
٣٠١ غيرته الدينية امام الاحتلال
٣١٠ بعض دعواته واذكاره الخاصة
٣١١ مؤلفاته
٣١٢ وفاة الشيخ
٣١٤ مراثى الشيخ والتعزيات فيه
٣٢٤ اولاده
٣٢٤ الكتب المؤلفة فى الشيخ
٣٢٥ العلامة سيدى على بن عبد الله الالغى
٣٢٦ خطوته الاولى
٣٢٦ فى دراسة العلم
٣٢٧ فى الاستعداد لقيادة المدرسة
٣٢٧ استاذ المدرسة
٣٢٨ قولة الشيخ الوالد فيه
٣٢٩ يولى القضاء من حضرة السلطان
٣٣٠ فى رءاسة اخوانه المرابطين
٣٣١ مراسيم رسمية حواليه
٣٣٣ فى كلاءة الله بين الزعازع
٣٣٨ فى شبه غربة بعد دفن رفيقه الشيخ الالغى
٣٤٠ بين قضاة تزنيت فى عهد الهيبة
٣٤١ بين رؤساء قبائل هذه الجبال فى الكفاح
٣٤٤ الاستاذ ومدرسته اخيرا
٣٤٥ نظرة عامة على اخلاقه
٣٤٩ ءاثار قلم الاستاذ من النثر
٣٥٠ نموذج من رسائله وبعض اشعار متهواليه
٣٦١ نتف من قوافيه
٣٦٦ الاخذون عن الاستاذ
٣٧٢ ايام الاستاذ الاخيرة
٣٧٥ الاستاذ يلفظ نفسه الاخير
٣٧٧ مراثيه
٣٨٣ قولة الرفاكى فيه
٣٨٥ قولة ابن الحبيب فيه
٣٨٧ اولاد الاستاذ

الفهرس الثـالـث

فى القوافى

يذكر فيه القائل ، مع الشطر الاول ، ان دل ءاخره على قافية القصيدة ، والا فتذكر الكلمة الاخيرة ايضا لتدل على القافية ، وقد رتبت القوافى على حروف المعجم على عادة المشارقة

الهمزة

٦٣ الشاعر الافرانى	بانت فبان جميل الصبر اسماء
٦٦ الحسن بن على الالغى	اهل بوفد الخصب وفد سماء
٦٧ المؤلف	ماذا رأى من لم يكن بالراءى
٢٧٨ محمد بن مسعود	باكربها لمرابع الزهراء
٢٧٩ محمد بن الطاهر	لاحت فاعشت اعين البصراء

البـاء

١٥ المؤلف	اليكم بنى امى اثيب ركائبى
٢٨١ محمد بن مسعود	أسادتنا صحب الامام الرضا القطب
٢٩٥ موسى بن الطيب الالغى	الانزه العينين فى خير ماقبة
٢٩٨ الشيخ الالغى	وما اسم ثلاثى الى العز ينسب
٢٩٩ الشاعر الافرانى	وما اسم تراه كلما سار يركب
٢٩٩ الاستاذ على الالغى	قلم البليغ يبين لغز منبئا — الاثقب
٣٠٠ الشيخ الالغى	بحد سيوف الذكر فاقطع رقابها
٣٤٨ بعض الالغيين	اكفكف من مداليراعة مرغما — واجبا

التاء

٧١ المؤلف	الغ المعارف والاداب بلدتهم — الامارات
١٥٥ المؤلف	الفجر بالنور وزهر الربا — الذكيات
١٧٢ لبعض الالغيين	نعزيك لاانا جهلنا مقام من — الموتا
١٧٩ الاستاذ محمد الالغى	اذا اودع الله الانامل حكمة — جلت
٢٧٦ محمد بن مسعود	متى كان حكم الروح فى الجسم لم يكن — البشرية
٢٩٣ الشيخ الالغى	وفيت بما تهوى جزيت جزاء من — قرته
٢٩٩ الشيخ الالغى	سعد الفقير وساعدت اوقاته

الحـاء

٦٥ بعض الالغيين	ابواب الغ لكل ءات تفتح
١٧٨ الاستاذ محمد الالغى	اذا ماهب من افران ريح

٢٨١ محمد بن مسعود	ياسيدا من نوره الوضاح	
٣٢٤ بعض الالغيين	اذا انسد باب من اميرفان لى	مفتح

الدال

٦٦ محمد بابة	عرج بتحت الحصن يامن سادا	
٢٣٨ محمد بن مسعود	ليهنا الورى طرا بابلاك السعد	
٢٩٠ الحسن الركنى	ابو حسن نجم به السار يهتدى	
٢٩٠ الحسن الركنى	الابلغ الشيخ المربى بوزده	
٢٩٦ الطاهر الناصرى	الى بيت اهل الجود والفضل والرشد	
٣٠٠ الشيخ الالغى	ولى مذهب فى العشق منفردا به	ولافقد
٣١٧ الاستاذ على الالغى	هبنا ملكنا المال عفوا ما الذى	وتفقد
٣١٨ محمد بن الطاهر	قالوا قضى العلم الامام السيد	
٣٥٠ الاستاذ على الالغى	لنحوك ما اخفى من الشوق او ابدى	
٣٥١ الاستاذ على الالغى	بقيت سليما لاتقابل بالردى	
٣٥٢ الشاعر الافرانى	ياعجبا كيف يخشى النحس مسعود	

الراء

٦٤ محمد بن الحاج	اياساكنا ارضا هى الارض وحدها	والبصر
٦٦ المؤلف	ما الغ غير شعوره فى شعره	
٧٠ المؤلف	نعمة الالغى فتح	داره
٧٤ المؤلف	يقولون صبرا انه بك احدر	
١١٥ المؤلف	لله رحلتنا الى ايمور	
١٧٦ الاستاذ محمد الالغى	بدت لى احبتنا عبرة	يعتبر
١٧٩ الاستاذ محمد الالغى	ياسبعة من سعد سبعة جمعهم	الامر
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى	سلام كما المسك والعنبر	
٢٩٣ الاستاذ على الالغى	عليك سلام ياكريم معنبر	
٢٩٦ محمد بن مسعود	لله سيدنا الشيخ الامام وما	البصرا
٣٢٠ موسى بن الطيب	مضى الاخيار وانقضت الدهور	
٣٢٢ احمد بن محمد اليزيدى	قد استوى الله على عرشه	أمره
٣٢٣ الحبيب البوسليمانى	قضى امام الدين من لايرى	
٣٤٦ بعض الالغيين	اذا انت لم تكبح رفيقك مرة	لاتدرى
٣٦١ الاستاذ على الالغى	شنف باسماع من احيا اذا ذكروا	
٣٦٢ الشاعر الافرانى	هذى نجوم الدجا أم هذه درر	
٣٨٤ المؤرخ الاكرارى	على السميدع من زرت مآثره	الشجر
٣٨٤ الاستاذ على الالغى	مولاى من قدزرت بطلعة القمر	
٣٨٦ الاستاذ على الالغى	مولاى انى وان شطت بى الدار	

٣٦٣ الاستاذ على الالغى	ياواردا عمت الدنيا مفاخره	
٣٦٤ الاستاذ على الالغى	وصالك هذا ام بداصبح اسفار	
٣٦٥ الاستاذ على الالغى	جزى الله آخوان الصفاء بكل ما	الحشر
٣٧٧ الشاعر الافرانى	أمن جادت بكرجرى منه ما جرى	
٣٧٩ ابراهيم السكتانى	واعظم مقدام اذا اشتجر القنا	المجر
٣٨١ محمد الكثيرى	الدهر بعد تعرف يتنكر	
٣٨٢ الاقاوى القاضى	موت العليم مصيبة لن تجبرا	
٣٨٢ الاقاوى القاضى	لتبك فما فى الارض من كل اغبرا	

الزاى

٢٩٩ الشاعر الافرانى	تاملت لغزا اتعب القلب حله	اللوز

السين

٤٦ مساجلة	بسيسك يازهراء خير بسيس	
٧٥ المؤلف	الاليت شعرى هل ابيتن ليلة	سكسو
٤٥ لبعض الالغيين	فكه مصاحبك الالغى ما الفت	قاس

العين

١٥٩ الشاعر الافرانى	على مثل هذا الحادث الفادح الوقع	
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى	اذارمتم نظما مقفى محبرا	الوسع
٢٨٩ محمد بن مسعود	سلام كما ازدانت بصوب مرابع	
٣١٧ الشاعر الافرانى	امن حادث بكر الم فاجزعا	
٣٢١ احمد اليزيدى	الدهر يفجع والصدور توجع	
٢٩٤ الشيخ الالغى	بشير وطاهر ونجل لطيب	
٢٩٤ الشاعر الافرانى	انفح نسيم الروض والروض ناصع	
٣٦٣ الاستاذ على الالغى	يحق على للمبشر انكم	خلع

الغين

٦٣ الشاعر الافرانى	نسيم الصباهبى بنشر ربا الغ	
٧١ المؤلف	اذا احتفلت آداب من كان فى الغ	
٢٨٢ محمد بن مسعود	نسمات الرضا وروح سلام	الغ
٢٨٣ محمد بن مسعود	أقول لمن قد شفه الوجد ماتبغى	
٢٨٣ الشيخ الالغى	اياطالبا سر المعارف فى الغ	

الفاء

٦٤ محمد يحيا الولاتى	ياأهل تحت الحصن انتم فوقه	يشرف

٦٤ محمد بن الحاج — بالغت في الارشاد يامن ينصف
٦٥ البونعماني — لله مافقد هاج ذاك الموقف
١٨٢ الشيخ الالغي — فمن للعلا والمحاسن والوفا
٢٨٤ محمد بن مسعود — ذق من كؤوس ودادهم فتصافي

القاف

٨٤ المؤلف — لمن جفنة قد أقبلت تتألق
٢٨٢ محمد بن مسعود — ليهنكم ياءال الغ مفاخر — شرق
٧١ المؤلف — الغ فرد وس لمن منيته — رائق
١٧٩ الاستاذ محمد الالغي — فتارة ذو سرقة
٢٩٢ الشيخ الالغي — ابا حسن زرنا على عجل ومن — فرق
٢٩٢ الاستاذ على الالغي — اجيب بجثماني وقلبي لديكم — فرق
٢٩٥ لبعضهم — هذه (كيزة) الضيوف الرشيقة
٣٦١ الاستاذ على الالغي — لله يوم خميس جادلي بلقا

الكاف

٢٤٠ لبعض الالغيين — وان اخاك الحق من كان مثنيا — فوقكا

اللام

٣٦ لبعض الالغيين — وكم عانس بكر تخطت زواجها — الاهل
٦٨ المؤلف — الغيث في مارس بعد — الجميل
٧٣ المؤلف — حنانيك الغ المكان الجميل
١٦٩ الاستاذ محمد الالغي — ياابن القطب احيا الدين جهرا — جهلا
٢١٣ بعض الالغيين — وما مخبر عن الفتى مثل نفسه — الوصل
٢٢٤ الاستاذ على الالغي — بيت اتيح الخير من وجهاته — القالى
٢٩٣ الشاعر الافراني — هنيئا لقلبي والهناء على مثل
٢٩٨ الشيخ الالغي — فما اسم رباعي الحروف ترى الذى — اول
٢٩٨ الشاعر الافراني — اتتني فحلت من عقال الردى عقلي
٢٩٩ الشيخ الالغي — تاملت هذا اللغز ياايها الخل
٣٠٠ الشيخ الالغي — لله دركم يامن أهم دول
٣١٨ سيدى عبد الله الالغي — قدانقضى الخير وجاد الكمال
٣٥٠ الاستاذ على الالغي — فتبا لهذا الدهر لايعرف البذلا
٣٦٢ الاستاذ على الالغي — اهلا بمن رجل العنا بنزوله
٣٦٣ الاستاذ على الالغي — ياقادما فضله في العلم والعمل
٣٦٤ الاستاذ على الالغي — انلم تكن كابن مقلة
٣٦٤ الاستاذ على الالغي — تبدى فخلت البدر في الافق ينجلي
٣٦٤ الاستاذ على الالغي — لله درك من امام عادل

٣٦٤ الاستاذ على الالغي — اريد من خير اخواني وصفوتهم — العملة

الميم

٦٥ ابن العتيق — ياأهل تحت الحصن ان يقع النوى — زعيم
٦٩ المؤلف — ياطيب الغ في الربيع فما — نسيم
١٨٠ الاستاذ محمد الالغي — انشئوا ياخير قوم
٢٩٢ الاستاذ محمد الالغي — اباحسن مني سلام عليكم — سلام
٢٩٧ الشاعر الافراني — اتيتك حبوا للزيارة عندما
٣٠٠ الشيخ الالغي — جزاك اله العرش خير جزائه — جزما
٣٥٤ المؤلف — أعاطي اكؤس السلوى نديمي
٣٦٢ محمد بن الطاهر — شعر زرى بالعقد حسن نظامه

النون

٤٧ الشاعر الافراني — ان الموالد انت من شجعانها
٢٨٣ محمد بن مسعود — حي ربع الرباب من تحت حصن
٧٠ المؤلف — الغ بسيط بلقع مقفر — عين
١٧٩ الاستاذ محمدالالغي — سلام عليك ياعلى الشقيق والبنى — الغصن
٢١٦ محمد بن مسعود — ورءاهم شيخ بزاوية وقد — الاركان
٢٧٤ محمد بن مسعود — مالي سواك وسيلة لله ثم — الصمداني
٢٨٠ محمد بن مسعود — قفا بالمطي في اراكة نعمان
٢٨٢ محمد بن مسعود — سقى الله الحمىمن تحت الحصن
٢٨٣ محمد بن مسعود — ياسادتي الغر العظام الشان
٢٨٣ محمد بن مسعود — انفاتك القطب ذاك الشاذلي فلذ — ابي الحسن
٢٨٩ محمد بن مسعود — وافت نوصل الهائم الحيران
٢٩٠ الحاج عبد الحميد — الا ابلغ الشيخ الامام أبا الحسن
٢٩١ محمد بن المحفوظ — أنت خير الشيوخ في الاقران
٢٩٢ الاستاذ على الالغي — ابا حسن تم مسرة عيدنا
٢٩٩ الشاعر الافراني — خليلي دلاني على شاحذ الذهن
٣٠٠ الشيخ الالغي — ادخل مبارك حضرة الرحمان
٣٦٤ الاستاذ على الالغي — عليك اماما اعجز اللسن في اللسن
٣٦٤ المؤرخ الاكراري — سلام يخوت ملحضيض الى القنن
٣٨٧ الاستاذ على الالغي — اتيت لامرحافز (فصك) وهي بلدة — احسان

الهاء

١٥ المؤلف — لي همة عالية فذة — منتهى
٢٨٢ محمد بن مسعود — تلك شمس القلوب بانت فتاهوا
٢٨٣ محمد بن مسعود — ياسيدا اطلعت بالسوس طلعته — تيها

الياء

٦٩ المؤلف — لله الغ ومرءاها ومحياها

٣٠٠ الشيخ الالغى — اموسى اجمعن فى الله همتك العليا

٢٩٧ الشاعر الافرانى — تأرقت لما شمت برقا حجازيا

الالف المقصورة

٢٩٣ الشاعر الافرانى — ابا حسن هذا غداء جميعكم — الضحى

٣٦٤ الاستاذ على الالغى — ان جسن الخط زين للفتى

الاراجيز

٤٦ لبعض الالغيين — املوا علينا من حديث املو

٥٣ الشاعر الافرانى — هذا وانى قد رايت رجزا

٦٩ لبعض الالغيين — اوصاف الغ متنافيات

١٧٣ الشيخ الالغى من رحلته — متبعا شقيقه محمدا

١٩٠ منها — قد كنت فى غياهب الغباوة

٢٠٨ منها — تركت ما سوى الاله جهرا

قطع منها فى رقم ٣٠١ كما فى رقم ٣٢٨ كما من٢٣٨ الى ٢٥٧

١٨٠ الاستاذ محمد الالغى — اتعبت فى تملك التصريح

١٨٠ الاستاذ محمد الالغى — تكلف الاسفار للاوطار

الفهرس الرابع
فى الرسائل والوثائق والظهائر والمراسيم الرسمية

سيدى عبدالله بن سعيد الايموى

وثائق وظهائر من ٨٣ ـ الى ٩٠ ثم من ١١٢ ـ الى ـ ١١٥

سيدى محمد بن عبد الله العلامة الالغى

رسائل فى هذه الارقام ـ ١٧٦ ـ ١٧٦ ـ ١٧٧ ـ ١٧٩

سيدى على بن عبد الله العلامة الاديب

رسائل فى هذه الارقام ٣١٦ ـ ٣٥٠ ـ ٣٥١ ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٤ ـ ٣٥٦

ظهائر ٢٩ ٣ـ ٣٣٠

الشيخ الالغى

رسائل فى هذه الارقام ١٧٩ـ١٩٠ـ١٩٥ـ٢١٣ـ٢١٦ـ٢٢٥ـ٣٠٧ـ٣٠٩ـ٣٠٩ـ٣٠٩

غير الالغيين :

سيدى الحسين الزرهونى ٣١٥ — سيدى الزبير البعمرانى ٣١٥

سيدى محمد بن على التادلى ٣١٤ — سيدى عبد العزيز الادوزى ٣٢٣

محمدبن عبدالسلام الورزازى ٣١٤ — محمد بن المحفوظ التازيمامتى ٢٩١

سيدى الحبيب البوسليمانى ٣٢٣

الفهرس الخامس
في الالفاظ الشلحية التي وقع فيها حرف مشددة

إِدْبْنِّيرَانْ	إِيغْرْمْ	تَافْكَّانْتْ
أَسَاكَا وَّاصِّانْ	إِيسَافْنْ	تَاطَّارْوُسْتْ
أَسِيفْ مْقُّورْنْ	إِينْشَّادْنْ	تِيسَّا
أَنْكَّاوْرْ	إِيسْقَّالْ	تِينُوضْفِوِينْ يِّتْهِيِّنْ
أَضَارْ أُوكَلِّيدْ	إِيخْفْ وِينْتْكُّونَا	تِيِّيُوتْ
أَفَلَّا أُوكْنُّسْ	أَيْتْ أُومْرِّى	تِيزْرَا إِيفُولُوسْنْ
أَكْرَّامْ	أُوبَاحُو	حُوكَّا
أَكْنِي إِيغْدَّانْ	أُوبَا لُوشْ	دْرَا وُّوغْ
أَمْلَّنْ	تَازْمُّورْتْ	دُّوكَّادِيرْ
أَمْتِّضِى	تَالَاتْ غْزِّيفْنْ	دُو تْمْنَرُوتْ
أَنْشْدّ نْتُومْلِيلِينْ	تَارْكَانْتْ صْلْمَاطّ	دُّونْمْلَالْنْ
أُوجُّو	تَامُودّيزْتْ	الرّْكَّادَة
إِيغْدْ إِيفِّي	تَابُورِّيشْتْ	مَامَّاسْ
إِيغْشَّانْ	تَاغُّونْتْ	حَيْدَة بن مَّايْسْ

فهرس الخطأ والصواب

صفحة	السطر	
٢	٢	هكذا هذه الابيات الثلاثة لا كما فى الاصل

كأن لم يكن الغ بلادى التى بها سريت صغيرا بين شتى المسارب
كأن لم يكن أصلى ومنبت نبعتى ومجمع اخوانى ومغنى أصاحبى
كأن لم تكن لى أرضها خير مرتقى سموت بها فوق الذرى والمناكب

صفحة	السطر	خطأ	صواب
١٧	١١	وبعض ماسكو	وبعض ما سكوا
٢١	٦	أنخت العيش	أنخت العيس
٢١	٧	فى الحاشية ـ صوا	صوى
٣٤	١	حفنة عصيدة	جفنة
٤٥	٢٠	اغدايقى	اغد ايقى
٥١	٣	فى جانبى الحوض	فى جانب
٥٢	٣	فى الحاشية ـ الباديين	البادين
٥٢	٥	فى الحاشية ـ شطئه	شاطئه
٥٢	١٣	فى الحاشية الضفاديع	الضفادع
٦٠	٧	يتتساوون	يتتساوون فيه
٦٧	١٠	يشعشها	يشعشمها
٧٠	٣٣	رشف الكؤس	رشف لكؤوس
٧٠	١	فى الحاشية ـ الجرج	الجرز
٧٧	٢	وخزوته	وحزوته
٨١	١٣	التطفيات	النطفيات
٩٢	١٩	بعضها ولكن	بعضها لكن
٩٣	١٧	يرونها	يروونها
٩٦	٣٢	ولا يعرف	ولايعترف
١٠٤	٢٤	فى واد ساموكن	فى وادى ساموكن
١٠٥	١٨	الاعلى	الاصل
١١٧	٢٢	شاور	ثاور
١٤٥	١	سيدى	سيد
١٤٥	١١	فكان ممن يحرر	فكان يحرر
١٤٥	١٦	عن مجاط	عن مجاطى

صفحة	السطر	خطا	صواب
١٤٧		نحو ١٢١٥ ٤ ١٢١٦ هـ	قبل ١٢١٠هـ = ١٢٩٦هـ
١٤٧	٩	أتقن ـ اشتهر	أتقنوا ـ اشتهروا
١٥٩	١٩	القادح	الفادح
١٦١	٢٠	ممن سار	ممن ساروا
١٦٦	٤٤	دعائم مراسية	راسية
١٧٩	١٤	لقد كان لك	لقد كان لكم
١٧٩	٣٠	فتحـــو	فتحوا
١٨٣	٧	عصاية	عصامية
١٩١	٢١	منهم الوقوف	منهم من الوقوف
١٩٢	١٧	ان يكون	ان يكونوا
٢٠٦	٢٢	وينفظر	وينفطر
٢١١	١٥	لم تمضى	لم تمض
٢١٧	٥	احتجت	احتججتم
٢٢٠	٢٩	كمن اخبره	عمن اخبره
٢٢٠	٢٨	وما راى كمن سمع	وما راء كمن سمع
٢٢١	١١	فى كثر القال	فى كثرة القال
٢٢٢	٢٩	فى ناحية المترجم	فى ناحية والتمرجم
٢٢٣	١١	لما ستراه	كما ستراه
٢٢٤	٢٧	اذاك	اذ ذاك
٢٢٦	٧	ولو بدارهم	ولو بدراهم
٢٢٧	١	كبير	كـثـير
٢٢٧	٧	الشبيح	الشبيخ
٢٢٧	٣٣	يتبجحوا	يتبجبجوا
٢٢٧	٢٢	ظهرانهم	ظهرانيهم
٢٣٢	٤	سيخلفه	يستخلفه
٢٣٦	٢٥	فى فايمى اوكادير	فى ايمى اوكادير
٢٤٠	١٣	الجـــارى	الجار
٢٤٣	١٠	فابندورا	فابتدروا
٢٤٤	١٦	وولیت	ووولیت
٢٤٨	٢٦	يدرى	يـبـدر
٢٥٢	٤	ليس	ليست
٢٥٤	١	أن يزيره	ان يزبره
٢٦٤	١٤	... القواد	وكذلك القواد

٢٥٠	٣٣	الادوزى	التازيمامتى
٢٦٨	٥	يخفف	يـخـف
٢٧٢	٥	يصون	يحصون
٢٨١	٣	من غــير	مــن خير
٢٨١	٢٣	بلا مزح	بلا مزج
٢٨٢	٢٨	لـه ـ طب	لاه ـ طـاب
٢٨٤	١٦	غراما	مزافـــا
٢٩٠	١٦	السارى	السار
٢٩٤	٢	الانزاضى	السكرادى
٢٩٥	٢٠	الله فى كل	الله كل
٣٠٣	١٩	حتى خرجت	حتى خربت
٣١٤	٥	ويجد	ويجدون
٣١٨	١٠	ضلعا	ظلـعـا
٣٢٣	٤٢	ذك	دك
٣٢٥	٢٠	اخبار كثيرة	اخبارا
٣٤٠	١٦	ومتى لامثالهم	ومتى كان لامثالهم
٣٤٥	٣	ان يغمر	أن يغمز
٣٤٥	١٢	أوتى	اتـــى
٣٤٥	١٧	يكر	يـكـر ر
٣٤٧	١١	الى الاخلاق	الى الاخلاف
٣٤٧	١	فى الحاشية تينجدا	تينجداد
٣٥٣	١٨	ففيما مضى	فيما مضى
٣٦٥	١٢	والاجلة آنصارى	مع أجلة انصار
٣٦٦	٧	جوف القرا	جوف الفرا
٣٧١	٢٤	التامانارتيون،سيدى اليزيدى	سيدى اليزيدى،التامانارتيون
٣٧٣	١٩	بفدة	بفلدة

هذه هى الاغلاط التى وقفنا عليها • وقد يكون هناك آخرى • فالقارىء النبيه لاتخفى عنه